جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس
UNIVERSITÉ SIDI MOHAMED BEN ABDELLAH DE FÈS

كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس – فاس
FACULTÉ DES LETTRES ET DES SCIENCES HUMAINES SAÏS-FÈS

الرقم الترتيبي: 2022/118

مركز دراسات الدكتوراه: الآداب والعلوم الإنسانية والفنون وعلوم التربية
تكوين الدكتوراه: التاريخ والتراث والعلوم الدينية والاجتماعية
الحقل المعرفي: الدراسات التاريخية
التخصص: التاريخ الحديث
المختبر: المغرب: التاريخ والعلوم الشرعية واللغات

ملخص أطروحة لنيل الدكتوراه

عنوان الأطروحة

الحركة الصوفية وتراثها في مدينة فاس

خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين/ السابع عشر والثامن عشر الميلاديين

إعداد الطالبة الباحثة: نورة لعروسي

تحت إشراف: الدكتور محمد العمراني

تاريخ المناقشة:

2022/07/20

أعضاء لجنة المناقشة:

أعضاء لجنة المناقشة	الإطار	مؤسسة الانتماء	الصفة
الدكتور محمد اليزيدي	أ . ت. ع	كلية الآداب ظهر المهراز فاس	رئيسا
الدكتور الحاج ساسيوي	أ . م	المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين مكناس	عضوا
الدكتور سيدي محمد الكتاني	أ . م	كلية الآداب سايس فاس	عضوا
الدكتور محمد العمراني	أ . ت. ع	كلية الآداب سايس فاس	مشرفا

السنة الجامعية: 2022/2021

تقديم :

شكل القرنان الحادي عشر والثاني عشر الهجريان/ 17 – 18م، مرحلة تحول في تاريخ الدولة المغربية قي كافة المجالات، واحتل المجال الديني بشكل عام ومجال التصوف بشكل خاص مساحة شاسعة ضمن هاته التحولات، فالإنتشار الكبير لظاهرة تأسيس الزوايا حتى كاد عددها يفوق عدد المساجد ـ كما قيل ـ ميز هذه المرحلة من تاريخ المغرب، والتي يمكن القول عنها إنها مرحلة غيرت مسار التصوف وخلقته من جديد سواء من حيث الكم أم من حيث النوع وأيضا على مستوى التأليف والتنظير والممارسة، فكانت تلك المرحلة مجالا خصبا لتأسيس الطرق الصوفية وميلاد عدد كبير من الزوايا السنية والطوائف الصوفية البدعية ، وفي خضم هذا التنامي الطرقي سيشهد التصوف تحولا في مساره، حيث سيعرف انتقالا من التصوف ك "فكر وسلوك" وهو ما أطلقنا عليه مفهوم "التصوف العلمي"، إلى التصوف ك "ظاهرة وشهرة" وهو ما أطلقنا عليه "التصوف الشعبي"؛ ويعتبر القرن 10هـ/16م نقطة بداية التحول البارز في تاريخ التصوف المغربي، فمنه كان التمهيد لظاهرة التنوع الصوفي والانشقاق الطرقي وانتشار الزوايا وتنامي المنافسة الذي سيشهده القرنان 17 و18 الميلاديان، وهذه المرحلة هي التي أسست فيما بعد لما تلاها، حيث مثلت مخاضا صوفيا أدى لظهور زوايا جديدة خلال القرنين 19م و20م (كالتيجانية، الدرقاوية، الكتانية...)، وقد احتلت مدينة فاس مكانة بارزة بين الحواضر التي شهد التصوف فيها تلك التحولات، فكانت أنموذجا لمركز صوفي علمي حضري يعبر عن تطور الحركة الصوفية وتحولها خلال القرنين 17 و18م.

1- دواعي اختيار الموضوع

كان الدافع لاختيار هذا الموضوع، هو التحول الذي عرفته الحركة الصوفية بمدينة فاس خلال الفترة التاريخية المذكورة، فاختيار مرحلة القرنين 17 و18م لدراسة موضوع "الحركة الصوفية وتراثها" ، يرجع للتحول الذي عرفه التصوف خلال هذه المرحلة ، من التصوف "العلمي أو السني" إلى التصوف "الشعبي أو البدعي"، حيث شكل حدث وفاة السلطان السعدي أحمد المنصور مع مطلع القرن 17م بداية دخول المغرب مرحلة جديدة من التحولات التي مست التيار الصوفي .

وأما اختيار مدينة فاس كمجال للدراسة فيعود إلى الخصوصية الصوفية التي تميزت بها، وإلى حضورها البارز في الحركة الصوفيو المغربية ، حيث فرضت وجودها في مجال التصوف منذ العصر الوسيط، إلى أن أصبحت خلال العصر الحديث مركزا صوفيا ذائع الصيت، له مكانته كموئل للعلم ، ومستقر لعدد كبير من أعلام التصوف والصلاح، فقد عكست مدينة فاس تطور الحركة الصوفية في المغرب عبر مراحله التاريخية، كما عكست حضور التراث الصوفي لمختلف الزوايا المغربية المنتشرة داخلها، كالزاوية الناصرية والوزانية والشرقاوية والعيساوية... وغيرها، فضلا عن وجود مئات من الأولياء والصلحاء والصوفية الذين أضفوا على المدينة الطابع الروحي المميز فكانت بمثابة عاصمة للتصوف.

2- الإطار التاريخي

يشمل موضوع بحثنا القرنين 11- 12هـ / 17- 18م؛ من بداية القرن السابع عشر الميلادي، إلى وفاة السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي، وهي فترة عرفت أربع مراحل تاريخية: المرحلة الأولى، من وفاة السلطان أحمد المنصور الذهبي سنة 1603م، إلى هزيمة الدلائيين سنة 1668م؛ والمرحلة الثانية، من هزيمة الدلائيين إلى نهاية عهد السلطان مولاي إسماعيل عام 1727م؛ والمرحلة الثالثة، من نهاية عهد مولاي إسماعيل إلى نهاية عهد الاضطرابات أو عهد "الفترة" الذي أعقب وفاته ودام ثلاثين سنة؛ أما المرحلة الرابعة، فتبدأ من تولي السلطان سيدي محمد بن عبد الله مقاليد الحكم سنة 1757م وتنتهي بوفاته ونهاية عهده سنة 1790م .

3- أهداف الدراسة

تهدف هذه الأطروحة إلى البحث في جذور الحركة الصوفية وتراثها في مدينة فاس خلال مرحلة القرنين 17 و18م، واستقصاء العوامل التي أسهمت في تطور تلك الحركة وأثرت في مسارها وتحولها من الطابع العلمي إلى الطابع الشعبي، وذلك عبر رصد مظاهر الحركة الصوفية في مدينة فاس وتتبع تراثها خلال الفترة المذكورة، كما تهدف إلى دراسة الزوايا الصوفية العلمية البارزة وأعلامها وإسهاماتهم في تنشيط الحركة الفكرية والروحية في فاس، وذلك بإبراز الأدوار الحيوية التي اضطلعت بها الزوايا الفاسية لصالح المجتمع، فضلا عن إبراز تراثها الصوفي المادي واللامادي، بدراسة الانتاجات الفكرية والصوفية والمعالم العمرانية المتصلة بمجال التصوف في المدينة المذكورة، وبدراسة هذا التراث

وتصنيفه وتوثيقه وإحصائه، وإبراز أهميته وقيمته، وأبعاده العمرانية والثقافية والأدبية والجمالية، ودلالته الرمزية والتاريخية والحضارية والروحية، والتأكيد على حيويته واستمراره، محاولة منا لربط الماضي بالحاضر والحاضر بالمستقبل .

4- إشكالية الدراسة

إن البحث في مضامين هذه الأهداف يجرنا إلى طرح مجموعة من الأسئلة تخص مدينة فاس، والحركة الصوفية ، والتراث الصوفي ، وهي ستندرج ضمن ثلاثة جوانب:

أولها الجانب التاريخي: والمتمثل في مرحلة الأزمات التي أعقبت وفاة أحمد المنصور الذهبي واستمرت مع العلويين خلال المرحلة المدروسة، فطرحنا الأسئلة التالية :

- كيف كان رد الفعل الصوفي والنخب الدينية إزاء الأوضاع السياسية المتأزمة التي عاشها المغرب خلال القرنين 17 و18م؟ وكيف أسهمت في ازدهار الزوايا وانتعاش الطرقية؟ وكيف انعكس ذلك على علاقة المخزن بالزوايا؟ ثم كيف كان حال مدينة فاس في خضم الأزمات المذكورة؟

وثانيها الجانب الفكري: والمتمثل في النسق الداخلي للتيارات الصوفية، فكان لابد من الإحاطة الشاملة بكل حيثيات الحركة الصوفية وفكرها، فطرحنا الأسئلة التالية :

- كيف تمكن علماء المغرب وفقهائه من أن يحققوا مغربة الفكر، برسم نهج منفصل عن نظرائهم المشارقة؟ وكيف تمكن تيار الصوفية من أن يحقق الانفصال عن تيار الفقهاء؟ وماهي تيارات التصوف ومنابعه داخل المغرب وكيف انعكست على منظومة التصوف داخل مدينة فاس خلال القرنين 17 و18م؟ وما خصائص الحركة الصوفية بمدينة فاس خلال القرنين 17-18م؟ وكيف قامت نظم الزوايا بمدينة فاس؟وما مدى إسهامها في صناعة "الحركة" الصوفية داخلها؟ وما أهم المؤلفات التي أثرت في الفكر الصوفي داخل مدينة فاس؟ وما دور حركة التأليف في صناعة "الحركة" الصوفية؟ ومن هم أبرز أعلام التصوف الذين أثروا في الفكر الصوفي في مدينة فاس؟ وكيف تمكنت مدينة فاس من أن تصبح مركزا للحركة الصوفية خلال مرحلة القرن 18م ؟

وثالثها الجانب التراثي: حيث تبادرت إلى ذهننا الأسئلة التالية:

- ماهي أبرز الزوايا والأضرحة التي عكست الحركة الصوفية في مدينة فاس خلال القرنين 17 و18م؟ وإلى أي حد أمكن اعتبار التراث الصوفي شاهدا على التحول الذي مس التصوف في فاس خلال الفترة المدروسة؟ وما علاقة "التصوف الشعبي" بصناعة الأسطورة والميتولوجيا الجماعية المرتبطة بتصوف مجتمع فاس خلال القرنين 17 و18م ؟

5- منهجية البحث

إن طبيعة هذا الموضوع الذي يجمع بين ماهو تاريخي وفكري وتراثي، تطلب منا البحث في الحدث التاريخي والمضمون الفكري كخطوة أولى، ثم العمل على تحليل وبناء النسق الداخلي لتلك الأحداث والمضامين كخطوة ثانية، ثم حصر التراث الصوفي وتتبعه في المكان كخطوة ثالثة ، وذلك عبر مضامين معرفية تأريخية، تخص البحث ضمن النظم والبنى الصوفية لمدينة فاس خلال المرحلة المدروسة، من الناحية العلمية والدينية والاجتماعية والسياسية، وتتبع تطورها، والبحث في تأثيراتها في التصوف المغرب المغربي؛ ومضامين تراثية ، وذلك بتأريخ التراث الصوفي (المادي واللامادي) المنتمي لمدينة فاس ، وتتبع تطوره في الزمان وصولا إلى الوقت الحالي .

وقد اعتمدنا في الشق التاريخي والفكري المنهج التاريخي التحليلي، بتقصي المعلومة عبر المادة المصدرية التي أرخت لهذه المرحلة، والعمل على مقارنتها وتحليلها؛ أما ما يتصل بالشق التراثي فقد اعتمدنا المنهج الوصفي الإحصائي التحليلي، وذلك بإحصاء ووصف التراث الصوفي، ثم البحث في جذوره، ولاشك أن مقاربة الموضوع من الناحية التاريخية والتراثية سيكون له دور في فهم الكثير من الظواهر الاجتماعية والمعرفية الصوفية لمدينة فاس، كما سيكون له دور في فهم العلاقة بين الحركة الصوفية والتراث الصوفي، فبقدر ما كانت الحركة الصوفية سببا في إنتاج تراث صوفي مهم في فاس، بقدر ما كان هذا التراث نفسه سببا في انتعاش حركة صوفية في المدينة نفسها.

إن التعمق في دراسة هذين العنصرين سيفرض علينا الإحاطة الشاملة بكل ما له علاقة بالأطروحة، من حيث دراسة العوامل الثقافية والدينية والسياسية والاقتصادية المذكورة، مركزين أساسا على العوامل الدينية والثقافية باعتبارها أعمدة بنى التصوف عليها بنيانه المعرفي، وهذا سيفرض

علينا استدعاء مجمل الفكر الصوفي الذي كان سائدا وقتئذ في المغرب، وتعميق البحث فيما يخص مدينة فاس، فضلا عن تكثيف الزيارات الميدانية لهذا التراث، وذلك بهدف توثيقه ورصد تطوره في الزمان، ذلك أن الهدف من وراء ذلك هو الوقوف على وجوه تأثر الفكر الصوفي بفاس بالفكر الصوفي المغربي عموما، وإيضاح مواطن تماثله معه واختلافه عنه، حتى يتسنى لنا فهم تطور التصوف في مدينة فاس ورصد حركة تحوله من "العلمي" إلى "الشعبي". ذلك أن هذا الاستدعاء سيكون عبر التعاطي مع مختلف المؤلفات المتصلة بهذا الفكر، باعتبارها مادة أولية لدراسته، من الآداب الصوفية، ومن مصنفات المناقب والفهارس والنصوص والأقوال المروية والرسائل وأخبار المتصوفة والأولياء والأشعار والأجوبة، والبحث في مضامينها .

كما أن تحليلنا للواقع الصوفي خلال الفترة المدروسة، يفرض علينا الالتزام بالحيادية وتقصّي الحقيقة ما أمكننا ذلك، فمن الضرورة المنهجية دراسة الدين كظاهرة اجتماعية بما تقتضيه من اقتصار الباحث على تفسير الظاهرة الاجتماعية بما هي اجتماعية، والامتناع عن إقحام التفسيرات الميتافيزيقية في العمل العلمي، وضرورة عزل الذات عن الموضوع المدروس .

6- الدراسات السابقة

لقد اطلعنا على جملة من الدراسات السابقة التي قاربت الموضوع، غير أنه بالرغم من وفرة المادة المصدرية التي اهتمت برجال مدينة فاس وصلحائها، فإننا نحد ندرة في الدراسات والأبحاث الأكاديمية التي تناولت مدينة فاس ، فحجم الدراسات لم يكن بحجم حركتها الصوفية، ذلك أن تراث هذه المدينة الصوفي المرتبط بالمرحلة الحديثة بشكل خاص لم يأخذ حقه من البحث والدراسة، كما لم تتم دراسة نصوص الفكر الصوفي المرتبطة بزواياها دراسة علمية دقيقة، إذ أن أغلب الدراسات تناولت دراسة الحركة الصوفية من ناحية وصف الظاهرة دون البحث في أسس تشكلها خاصة الجوانب الفكرية التي تشكل أس المنظومة الصوفية في المغرب عموما وفي مدينة فاس خصوصا؛ باستثناء دراسة نفيسة الذهبي التي تناولت "الزاوية الفاسية" موضوعا لأطروحتها الجامعية، حيث درسة هذه الزاوية في محيطها الفاسي، فعمقت البحث في جذور الزاوية الفاسية وأدوارها وامتداد فروعها، كما نجد أبحاثا جامعية تطرقت إلى الحركة الصوفية في مدينة فاس في خضم تناولها زوايا معينة، كدراسة محمد حجي عن "الزاوية الدلائية" ، ودراسة أحمد بوكاري عن "الزاوية الشرقاوية"، فضلا عن أطاريح جامعية

أخرى تناولت الحركة الصوفية خلال العصر الحديث، كأطروحة عبد اللطيف الشاذلي "التصوف والمجتمع نماذج من العاشر الهجري"، وأطروحة أحمد الوارث عن "الأولياء والمتصوفة ودورهم الاجتماعي والسياسي في المغرب خلال القرنين 17 و18م" .

لقد اعتمدنا في انجاز هذا العمل على مصادر ومراجع متنوعة توزعت بين كتب التراجم والمناقب والفهارس والرحلات وبين كتب التاريخ، التي تناولت مدينة فاس وتراثها الصوفي؛ ففيما يخص كتب التراجم، اعتمدنا على: "نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني" لمحمد القادري، و"الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر"، لعبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الفاسي الفهري"(ت1131هـ)، و"الروض العطر الأنفاس باخبار الصالحين من أهل فاس" لمحمد ابن عيشون الشراط (ت1109هـ/1697م)، و"عناية أولي المجد بذكر آل الفاسي ابن الجد" للسلطان المولى سليمان، و"صفوة ما انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر" لمحمد الصغير الإفراني (ت1156هـ/1743م)،، و"ممتع الأسماع في ذكر الجزولي والتباع وما لهما من الأتباع" ، لمحمد المهدي الفاسي(ت 1109هـ/ 1697م)، فضلا عن كتاب "سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بمدينة فاس" لمحمد بن جعفر بن ادريس الكتاني، وهي كتب أفردت لأولياء فاس وصلحائها وعلمائها تراجم وافية، فاحتفظت بمعطيات مهمة عن أحداث ووقائع تاريخية شهدتها هذه المدينة خلال المرحلة المدروسة .

ومن كتب الفهارس ، اعتمدنا على "فهرسة اليوسي" لأبي علي اليوسي ، و"فهرسة عبد القادر الفاسي" ، حيث ضمتا عددا من علماء فاس وفقهائها الكبار .

أما كتب المناقب فقد رجعنا إلى عدد منها ، مثل على رأسها مؤلف "مرآة المحاسن أخبار الشيخ أبي المحاسن" ، للشيخ أبي حامد محمد العربي بن يوسف الفاسي، و"المقصد الأحمد بأخبار في التعريف بسيدنا ابن عبد الله أحمد"، لعبد السلام القادري، و"تحفة الأكابر في مناقب الشيخ عبد القادر" لأبي زيد عبد الرحمن الفاسي، وكتاب "تحفة الإخوان ببعض مناقب شرفاء وزان" لحمدون بن محمد الطاهري الجوطي (1191هـ/1777م)، و"معتمد الراوي بمناقب سيدي أحمد الشاوي" لعبد السلام بن الطيب القادري (ت1110هـ/1698م)، و"الكوكب الضاوي في إكمال معتمد الراوي بمنقب

سيدي أحمد الشاوي" لمحمد بن الطيب القادري(ت1773/1187م)، وهي كتب أُلّفت في بعض مشايخ التصوف وأرباب الزوايا والطرق الصوفية في فاس.

وفصلا عما تقدم ، اعتمدنا على بعض الأبحاث الأكاديمية المتصلة بموضوع البحث ، مثل كتاب "الزاوية الفاسية – التطور والأدوار حتى نهاية العهد العلوي الأول" لنفيسة الذهبي، وكتاب "الأولياء والمتصوفة ودورهم الاجتماعي والسياسي في المغرب خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر" لأحمد الوارث ، حسبما سبقت الإشارة إلى ذلك آنفا .

7- خطة البحث

قسمنا أطروحتنا إلى مدخل عام وبابين، وكل باب قسمناه إلى ثلاثة فصول، وأدرجنا تحت كل فصل مباحث :

تناولنا في المدخل العام أصول الحركة الصوفية وتجلياتها في المغرب خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، الميلاديين، فحاولنا فيه وضع الحركة الصوفية ضمن سياقها التاريخي، مستحضرين العوامل التي أسهمت في بلورة هذه الحركة ، وقد جعلناه في ثلاثة محاور:

أفردنا المحور الأول لدراسة الأوضاع السياسية والثقافية وتأثيرها في الحركة الصوفية في المغرب خلال القرنين 17 و18م، فخصصناه للبحث في التحولات السياسية التي شهدها المغرب خلال المرحلة ودورها في تطور التيار الصوفي ؛ كما تطرقنا للتحولات الفكرية والثقافية خلال الفترة المذكورة .

وأفردنا المحور الثاني لدراسة أسس الحركة الصوفية في المغرب خلال هذه المرحلة ، فتطرقنا من خلاله إلى جذور الحركة الصوفية وأسسها في المغرب ومسار تطورها إلى غاية القرن الثامن عشر، كما تطرقنا إلى أهمية الشرف وقضية التشرف ودورهما في تطور الحركة الصوفية .

أما المحور الثالث، فقد خصصناه لتطور الحركة الصوفية في المغرب خلال القرنين المذكورين، فتطرقنا من خلاله إلى الطرق الصوفية وانتشار الزوايا، كما حاولنا إبراز دور الطرق الصوفية في انتعاش الثقافة الصوفية زمن الفترة المذكورة .

وأفردنا الباب الأول: لدراسة الحركة الصوفية في مدينة فاس خلال القرنين 17 و18 الميلاديين، فحاولنا من خلاله التطرق لأسس هذه الحركة، وعلاقتها بالحركة الصوفية المغربية، وقد قسمناه إلى ثلاثة فصول أساسية:

أفردنا الفصل الأول لدراسة مظاهر التصوف في مدينة فاس خلال القرنين 17 و18م ، وجلعناه في مبحث تمهيدي وثلاثة مباحث : خصصنا المبحث التمهدي للحديث عن مكانة وأهمية مدينة فاس ضمن المجال المغربي؛ بينما تحدثنا في المبحث الأول عن أسس ازدهار مدينة فاس علميا وصوفيا ، من خلال التطرق لأبرز العوامل والمؤثرات التي أسهمت في إغناء حركة التصوف في هذه المدينة؛ والمبحث الثاني أفردناه لدراسة العوامل التي أثرت في تراجع وتقهقر مدينة فاس سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، وكيف انعكس على حركتها الصوفية ؛ بينما خصصنا المبحث الثالث لدراسة الطرق والطوائف الصوفية في مدينة فاس .

وأفردنا الفصل الثاني لدراسة التأثير المتبادل بين التصوف المغربي والتصوف في مدينة فاس خلال الفترة المذكورة، وجعلناه في ثلاثة مباحث: تناولنا في المبحث الأول تأثير مدينة فاس على الحركة الصوفية في المغرب، وذلك من خلال الحديث عن دور المؤسسات الدينية والعلمية ودور رجال فاس؛ والمبحث الثاني أفردناه للحديث عن تاثير التصوف المغربي على التصوف في مدينة فاس، من خلال الحديث عن دور صوفية وعلماء المغرب في إثراء التصوف الفاسي ، في حين تطرقنا في المبحث الثالث إلى دراسة التأثير المتبادل بين التصوف الفاسي والتصوف المغربي .

أما الفصل الثالث، فقد أفردناه للبحث في طبقات العلماء والصوفية بمدينة فاس ، وجعلناه أيضا في ثلاثة مباحث: تناولنا في المبحث الأول دراسة الطبقة الأولى من مطلع القرن 17م (1009هـ)، الى غاية حادث معركة بطن الرمان (سنة 1079هـ/1668م)؛ بينما خصصنا المبحث الثاني للحديث عن الطبقة الثانية من سنة 1079هـ/1668م، إلى غاية 1171هـ/1757م؛ في حين تطرقنا في المبحث الثالث دراسة الطبقة الثالثة من علماء فاس، وذلك من سنة تولية سيدي محمد بن أبي عبد الله 1171هـ/1757م الحكم إلى غاية وفاته سنة 1790م .

8- خلاصة ونتائج البحث :

في ختام دراستنا حول "الحركة الصوفية وتراثها في مدينة فاس خلال القرنين 17 و18م"، نؤكد أن مرحلة القرنين 17 و18م، كانت مرحلة فاصلة ضمن الحركة الصوفية ، إذ شهد التصوف تحولا في نسقه؛ فانتقل من جانبه العلمي، الذي طبع أشكال التعبير عنه طيلة القرن 16م ، إلى نسق شعبي ، فغلب عليه الطابع البسيط من التعبير عن روح هذا التصوف. ويعود ذلك إلى عدة عوامل ، منها ما ارتبط بالظرفية التاريخة التي عرفها المغرب خلال القرنين 17م و18م، ومنها ما ارتبط بالتيار الصوفي نفسه، والذي ساهم من خلال التعبير عن روح التصوف إلى فئة عريضة من المجتمع ، عبرت عنه بطرق مختلفة .

وقد تجلى عمق التحول الصوفي في مدينة فاس بفضل الوظيفة التي أدتها مؤسسة الزاوية وهي الوظيفة الدينية التي كانت منطلقا للتطور الطرقي ، كما تجلى في الوظيفة العلمية ، حيث كان الجمع بين التصوف والعلم ، هذا الجمع برز عند الزوايا العلمية التي شغلت مرحلة القرن 17م، مع الزاوية الفاسية والناصرية والمعنية ، لكن خلال مرحلة القرن 18م أخذ هذا التيار في الانحصار ، لتبرز الزوايا ذات التوجه الطقوسي الشعبي كالزاوية الغازية والصقلية والصادقية...، التي احتفظت بوظيفة العبادة وإحياء طقوس الطريقة ، وهو ما مثل مسار التحول في نهج الطرق الصوفية .

وقد تميزت مدينة فاس بخصوصية طبعت تاريخها العلمي والصوفي ، فكان لها دور مؤثر ومتأثر بكل التحولات والتطورات التي شهدتها الحركة الصوفية. ونسجل في هذا الصدد مجموعة من الاستنتاجات والخلاصات، نبرزها في التالي:

- إن الحركة الصوفية في مدينة فاس لم تكن منفصلة عن الحركة الصوفية في المغرب، فهي عبرت عن مضامينها من خلال التنوع الطرقي الذي عرفته، فوجود العدد الكبير من الزوايا ذات الفروع الجازولية والزروقية في فاس لم يكن سوى انعكاس للحركة الصوفية بالمغرب، والتي تمثلت من خلال احتضان المدينة لكل الطرق الصوفية المغربية من خلال فروعها، كما أن هذا التمازج الطرقي أسهم في إثراء هذه الحركة بالمغرب، من خلال التنافس والتبادل والتعايش الصوفي والطرقي .

- دور الطرق والزوايا في مدينة فاس في نشر التصوف في المغرب، وذلك من خلال تأسيس العدد الكبير من الزوايا التي ميزت مدينة فاس خلال هذه الفترة، فمن خلال دراستنا لهذه الزوايا وقفنا على حجم الظاهرة الصوفية وعلى مستوى التأثير الصوفي الذي مارسه رجال فاس ضمن هذه الحركة، خصوصا دور الزاوية والطريقة الفاسية في الداخل والخارج، وكيف أسهمت في نشر التصوف الفاسي، من خلال فروعها بتطوان والقصر الكبير، ودورها كذلك في تأسيس الزاوية المعنية والتي كانت امتدادا للطريقة الفاسية .
- دور الأسر غير الفاسية في خلق الحركة الصوفية بمدينة فاس خلال القرنين 17 و18م ، حيث نجد توغل أسر في عمق البنية المجتمعية لفاس حتى أصبحت تنسب إلى هذه المدينة ، فمنها من انتسب للأندلس ، الشيء الذي كان له تأثير في انقراض جل البيوتات العلمية الفاسية التي اشتهرت قبل القرن الحادي عشر؛ كآل المكودي ، والونشريسي ، والسراج ، والمواق والزقاق ... وظهور أخرى ذات جذور أندلسية أو منتمية لبعض الأقليات كالفاسي الفهري ، وابن سودة ، وجسوس، وميارة ... وغيرها، ومنها الأسر التي تنتمي للوسط البدوي، خاصة أبناء منطقة الدلاء والذين أسهموا في إنعاش مدينة فاس صوفيا وعلميا، وتأثيرهم الكبير في بلورة الفكر الصوفي بمدينة فاس خلال القرن 18م ، وهذا التمازج أسهم في التغيير الذي مس الحركة الصوفية أثناء هذه المرحلة، مما سيؤدي إلى دمج التصوف البدوي مع التصوف العلمي الحضري ، وهذا سيساهم بشكل كبير في تحول التصوف من "التيار العلمي" إلى "الشعبي" .
- تأثير العلاقات بين رجال التصوف، والتي اتسعت وشملت فئات اجتماعية متنوعة، سواء داخل فاس أو خارجها ، وهي علاقات أغنت التصوف الفاسي ، وظهرت آثارها من خلال تبادل التأثيرات بين رجال فاس وغيرهم، إذ لا يمكن الحديث عن التصوف الفاسي دون الحديث عن كل رجال الطرق الصوفية الأخرى ، من شيوخ الطريقة الشرقاوية والناصرية والوزانية وغيرها .
- أهمية الشخصية الصوفية من رجال فاس، ودورهم في الاستقطاب الكبير للمريدين من جميع مناطق المغرب، من خلال دور المشيخة للعديد من رجالها، فمدينة فاس ضمت العدد الكبير من العلماء والفقهاء المتصوفة ، حيث جمعت هذه الشخصية بين العلم والتصوف، كما جمعت بين الجمال والاعتدال، لموافقة الظروف التي طبعت بعض الفترات

من تاريخ فاس، وهو ما لمسناه في تدبير خليفة الشيخ أبي المحاسن للزاوية الفاسية ، عبر التغيير الذي أدخله على أوراد الطريقة الفاسية، فكان لهذا دوره في ملاءمة وتناغم التصوف المغربي مع الظرفية السياسية .

- دور الظرفية التاريخية في تطور الحركة الصوفية في مدينة فاس، ورسم معالمها خلال هذه الفترة، إذ تعرضت المدينة خلال القرنين 17 و18م، لأزمات سياسية واقتصادية واجتماعية مست التيار الصوفي في عمقه، من خلال الانتشار الكبير للزوايا والطرق الصوفية، وذلك عبر الانشاقاقات التي شهدها تيار الصوفية، متمثلا في فروع الزوايا الكبرى: كالفاسية، والمعنية، والناصرية، والشرقاوية، والوزانية، وفي بروز طرق جديدة كالقاسمية، والغازية...، وفي تطور طوائف صوفية كالملامتية، والمجدوبية، وغيرها ، فكان لذلك دور في نقل الحركة الصوفية من الجانب العلمي إلى الجانب الشعبي ، وهو ما أسهم في انتشار الجانب الكرامي بمفهومه المادي ضمن التصوف ، فالتيار الشعبي كان متأثرا بهذا الجانب من التصوف ، وأبدى ارتباطه الكبير به ، وهو ما تضمنته الكتب والمؤلفات التي أرخت لرجال الزوايا والطرق الصوفية لتلك المرحلة .

وفما يخص جانب التراث ، فقد وقفنا على مجموعة من الاستنتاجات، تتلخص في وجود علاقة وطيدة بين الحركة الصوفية والتراث، فكل منهما عبر عن الآخر، وعكس مضامينه، فبقدر ما كنا نبحث عن الحركة الصوفية لتأريخ التراث الصوفي في مدينة فاس ، بقدر ما كنا نجد أن هذا التراث هو وسيلة لتأريخ هذه الحركة، بل وتصحيح بعض المضامين والأفكار الخاطئة التي يتم تداولها دون تمحيص واستقصاء، فالتراث هو استقصاء للتاريخ ، وهو ما خلصنا إليه من خلال مضامين الباب الثالث من الدراسة، وذلك عبر التنوع الصوفي التراثي لمدينة فاس خلال القرنين 17 و18م ، سواء المادي أو اللامادي، عكس حصيلة الحركة الصوفية فمثل كل التطورات والتحولات التي شهدتها، كما عكس مضامينها ، فكان تجليا لتطور هذه الحركة وتحولها من تيارها "العلمي" لتيارها "الشعبي" .

كما نسجل، في هذا الصدد، المشترك التراثي ضمن الحركة الصوفية في فاس، خصوصا في الشق اللامادي منه، من خلال الطقوس وإحياء المناسبات والليالي، بل وحتى في جانب الكرامات، التي تشابهت مضامينها، فكل عناصر التعبير عن الكرامات والمناقب التي امتاز بها شيوخ الطرق من الأولياء أو المجاذيب، كانت هي نفسها تلك التي تعبر عن مقدراتهم في الاستجابة لدعوات السائلين

من الشفاء والإغاثة والحماية، وإنزال البركات وغير ذلك، وقد عبرت تلك الكرامات عن واقع اجتماعي وسياسي واقتصادي عاشه المغرب بشكل عام ومدينة فاس بشكل خلص خلال القرنين 17 و18م ، إذ بقدر ما كانت الكرامة وسيلة لإثبات صدق ولاية الصوفي وتميزه الروحي، بقدر ما كانت في ذات الوقت، تعبيرا عن مكنونات مجتمع يعاني من الكثير من الأزمات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فكانت الكرامة وسيلة للخلاص من أزمته .

وفي الأخير ، نسجل أن هذا التراث الصوفي لم يأخذ حقه من البحث والدراسة، فالتراث هو دليل التاريخ بقدر ما أن التاريخ هو أصل التراث، فلا يزال البحث ضمن التراث يعتبر نوعا من الكماليات وينظر إليه كمخلف تاريخي لا غير ، بينما يمكن عبر هذا التراث فهم حركة التاريخ ، فإن كان التاريخ أنتج التراث، فإن هذا الأخير هو الدليل عليه. كما نسجل- من خلال ما وقفنا عليه – أن هذا التراث مهدد بالضياع، نتيجة التهميش والإهمال الذي يتعرض له، إذ إن عددا كبيرا من الزوايا والأضرحة معرض للانهيار، وبعضها أغلق تماما وأصبح مجرد خرب ، الأمر الذي ينذر بفقد ذاكرة فاس الصوفية .

وفي الختام، أتوجه بخالص الشكر وعظيم الامتنان إلى أستاذي الفاضل "محمد العمراني" على رعايته لهذا العمل، وعلى ما أمدني به من نصائح جعلتني أتجاوز صعوبات البحث وتحدياته، كما أشكر السادة الأساتذة الأفاضل القائمين على مختبر "التراث: دراسة صيانة وإنقاذ" بكلية الآداب والعلوم الإنسانية (سايس- فاس) على مجوداتهم القيمة في سبيل خدمة البحث التاريخي.



إلى من علمني العطاء بدون انتظار...إلى من انتظرعملي هذا ولم يره ...إلى أبي "رحمه الله"

إلى من علمتني أن الصبرطريق النجاح.. إلى من كان دعاؤها سرنجاحي وحنانها بلسم جراحي...إلى أمي.

إلى جميع أفراد أسرتي العزيزة والكبيرة كل باسمه أينما وجدوا

إلى أصدقائي الذين تكبدوا العناء في سبيل نجاحي

إلى كل من قدم لي يد المساعدة من قريب أو بعيد

إلى أساتذتي الكرام الذين أناروا دربي بالعلم والمعرفة

إلى كل من يقتنع بفكرة فيدعو إليها و يعمل على تحقيقها، لا يبغي بها إلا وجه الله ومنفعة الناس.

إليكم أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع





شكر وتقدير

أرى لزاما علي تسجيل الشكر

وإعلامه ونسبة الفضل

لأصحابه

استجابة لقول رسولنا الكريم محمد ﷺ: «من لم يشكر الناس لم يشكر الله».

فالشكر أولا لله عز و جل على أن هداني لسلوك طريق البحث و التشبه بأهل العلم وإن كان بيني وبينهم مفاوز

كما أخص بالشكر أستاذي الكريم الفاضل المشرف على هذا البحث الدكتور محمد العمراني، على كل المجهودات التي قدمها في سبيل إنهاء هذا العمل .

كما أشكر السادة الأساتذة المحترمين، أساتذة "مختبر التراث دراسة صيانة وانقاذ" وكل من قدم لي يد المساعدة في سبيل انجاز هذا العمل، أسأل الله أن يجزيهم عني خيرا

و أن يجعل عملهم في ميزان حسناتهم.



"رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا"

صدق الله العظيم

سورة الكهف: الآية 10

مقدمـــــة :

شكل القرنان الحادي عشر والثاني عشر الهجريان/ 17 – 18م، مرحلة تحول في تاريخ الدولة المغربية قي كافة المجالات، واحتل المجال الديني بشكل عام ومجال التصوف بشكل خاص مساحة شاسعة ضمن هاته التحولات، فالإنتشار الكبير لظاهرة تأسيس الزوايا حتى كاد عددها يفوق عدد المساجد ـ كما قيل ـ ميز هذه المرحلة من تاريخ المغرب، والتي يمكن القول عنها إنها مرحلة غيرت مسار التصوف، فيما سماه الباحث أحمد بوكاري ب"**الطفرة الصوفية**" التي عرفها مجال التصوف المغربي في هذه الحقبة، وخلقته من جديد سواء من حيث الكم أم من حيث النوع وأيضا على مستوى التأليف والتنظير والممارسة[1]، فكانت تلك المرحلة مجالا خصبا لتأسيس الطرق الصوفية وميلاد عدد كبير من الزوايا السنية والطوائف الصوفية البدعية، وفي خضم هذا التنامي الطرقي سيشهد التصوف تحولا في مساره، حيث سيعرف انتقالا من التصوف ك "**فكر** وسلوك" وهو ما أطلقنا عليه مفهوم "**التصوف العلمي**"، إلى التصوف ك "ظاهرة وشهرة" وهو ما أطلقنا عليه "**التصوف الشعبي**"؛ ويعتبر القرن 10هـ/16م نقطة بداية التحول البارز في تاريخ التصوف المغربي، فمنه كان التمهيد لظاهرة التنوع الصوفي والانشقاق الطرقي وانتشار الزوايا وتنامي المنافسة الذي سيشهده القرنان 17 و18 الميلاديان، وهذه المرحلة هي التي أسست فيما بعد لما تلاها، حيث مثلت مخاضا صوفيا أدى لظهور زوايا جديدة خلال القرنين 19م و20م (كالتيجانية، الدرقاوية، الكتانية...)، وقد احتلت مدينة فاس مكانة بارزة بين الحواضر التي شهد التصوف فيها تلك التحولات، فكانت أنموذجا لمركز صوفي علمي حضري يعبر عن تطور الحركة الصوفية وتحولها خلال القرنين 17 و18م.

ومن هذا المنطلق كان **الدافع لاختيار هذا الموضوع** ، هو التحول الذي عرفته الحركة الصوفية بمدينة فاس خلال الفترة التاريخية المذكورة، فاختيار مرحلة القرنين 17 و18م لدراسة موضوع "**الحركة الصوفية وتراثها**" ، يرجع للتحول الذي عرفه التصوف خلال هذه المرحلة ، من التصوف "**العلمي أو السني**" إلى التصوف "**الشعبي أو البدعي**"، حيث شكل حدث وفاة السلطان السعدي أحمد المنصور مع مطلع القرن 17م بداية دخول المغرب مرحلة جديدة من التحولات التي مست التيار الصوفي .

وأما اختيار مدينة فاس كمجال للدراسة فيعود إلى الخصوصية الصوفية التي تميزت بها، وإلى حضورها البارز في الحركة الصوفية المغربية، حيث فرضت وجودها في مجال التصوف منذ العصر الوسيط، إلى أن أصبحت خلال العصر الحديث مركزا صوفيا ذائع الصيت، له مكانته كموئل للعلم ، ومستقر لعدد كبير من أعلام التصوف والصلاح، فقد عكست مدينة فاس تطور الحركة الصوفية في المغرب عبر مراحله التاريخية، كما عكست حضور التراث الصوفي لمختلف الزوايا المغربية المنتشرة داخلها، كالزاوية الناصرية

[1] - انظر، أحمد بوكاري، **الإحياء والتجديد الصوفي في المغرب (1204-1330هـ/1790-1912م)**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب ، ط1 سنة 2006 ، ج1 ص6

والوزانية والشرقاوية والعيساوية... وغيرها، فضلا عن وجود مئات من الأولياء والصلحاء والصوفية الذين أضفوا على المدينة الطابع الروحي المميز .

يشمل موضوع بحثنا القرنين 11- 12هـ / 17- 18م؛ من بداية القرن السابع عشر الميلادي، إلى وفاة السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي، وهي فترة عرفت أربع مراحل تاريخية: **المرحلة الأولى،** من وفاة السلطان أحمد المنصور الذهبي سنة 1603م، إلى هزيمة الدلائيين سنة 1668م؛ والمرحلة **الثانية،** من هزيمة الدلائيين إلى نهاية عهد السلطان مولاي إسماعيل عام 1727م؛ **والمرحلة الثالثة،** من نهاية عهد مولاي إسماعيل إلى نهاية عهد الاضطرابات أو عهد "**الفترة**" الذي أعقب وفاته ودام ثلاثين سنة؛ أما **المرحلة الرابعة**، فتبدأ من تولي السلطان سيدي محمد بن عبد الله مقاليد الحكم سنة 1757م وتنتهي بوفاته ونهاية عهده سنة 1790م .

تهدف هذه الأطروحة إلى البحث في جذور الحركة الصوفية وتراثها في مدينة فاس خلال مرحلة القرنين 17 و18م، واستقصاء العوامل التي أسهمت في تطور تلك الحركة وأثرت في مسارها وتحولها من الطابع العلمي إلى الطابع الشعبي، وذلك عبر رصد مظاهر الحركة الصوفية في مدينة فاس وتتبع تراثها خلال الفترة المذكورة، كما تهدف إلى دراسة الزوايا الصوفية العلمية البارزة وأعلامها وإسهاماتهم في تنشيط الحركة الفكرية والروحية في فاس، وذلك بإبراز الأدوار الحيوية التي اضطلعت بها الزوايا الفاسية لصالح المجتمع، فضلا عن إبراز تراثها الصوفي المادي واللامادي، بدراسة الانتاجات الفكرية والصوفية والمعالم العمرانية المتصلة بمجال التصوف في المدينة المذكورة، وبدراسة هذا التراث وتصنيفه وتوثيقه وإحصائه، وإبراز أهميته وقيمته، وأبعاده العمرانية والثقافية والأدبية والجمالية، ودلالته الرمزية والتاريخية والحضارية والروحية، والتأكيد على حيويته واستمراره، محاولة منا لربط الماضي بالحاضر والحاضر بالمستقبل .

إن البحث في مضامين هذه الأهداف يجرنا إلى **طرح مجموعة من الأسئلة** تخص مدينة فاس، والحركة الصوفية ، والتراث الصوفي ، وهي ستندرج ضمن ثلاثة جوانب:

أولها الجانب التاريخي: والمتمثل في مرحلة الأزمات التي أعقبت وفاة أحمد المنصور الذهبي واستمرت مع العلويين خلال المرحلة المدروسة، فطرحنا الأسئلة التالية :

- كيف كان رد الفعل الصوفي والنخب الدينية إزاء الأوضاع السياسية المتأزمة التي عاشها المغرب خلال القرنين 17 و18م؟ وكيف أسهمت في ازدهار الزوايا وانتعاش الطرقية؟ وكيف انعكس ذلك على علاقة المخزن بالزوايا؟ ثم كيف كان حال مدينة فاس في خضم الأزمات المذكورة؟

وثانيها **الجانب الفكري:** والمتمثل في النسق الداخلي للتيارات الصوفية، فكان لابد من الإحاطة الشاملة بكل حيثيات الحركة الصوفية وفكرها، فطرحنا الأسئلة التالية :

- كيف تمكن علماء المغرب وفقهائه من أن يحققوا مغربة الفكر، برسم نهج منفصل عن نظرائهم المشارقة؟ وكيف تمكن تيار الصوفية من أن يحقق الانفصال عن تيار الفقهاء؟ وماهي تيارات التصوف ومنابعه داخل المغرب وكيف انعكست على منظومة التصوف داخل مدينة فاس خلال القرنين 17 و18م؟ وما خصائص الحركة الصوفية بمدينة فاس خلال القرنين 17-18م؟ وكيف قامت نظم الزوايا بمدينة فاس؟وما مدى إسهامها في صناعة "الحركة" الصوفية داخلها؟ وما أهم المؤلفات التي أثرت في الفكر الصوفي داخل مدينة فاس؟ وما دور حركة التأليف في صناعة "الحركة" الصوفية؟ ومن هم أبرز أعلام التصوف الذين أثروا في الفكر الصوفي في مدينة فاس؟ وكيف تمكنت مدينة فاس من أن تصبح مركزا للحركة الصوفية خلال مرحلة القرن 18م ؟

وثالثها الجانب التراثي: حيث تبادرت إلى دهننا الأسئلة التالية:

- ماهي أبرز الزوايا والأضرحة التي عكست الحركة الصوفية في مدينة فاس خلال القرنين 17 و18م؟ وإلى أي حد أمكن اعتبار التراث الصوفي شاهدا على التحول الذي مس التصوف في فاس خلال الفترة المدروسة؟ وما علاقة "التصوف الشعبي" بصناعة الأسطورة والميتولوجيا الجماعية المرتبطة بتصوف مجتمع فاس خلال القرنين 17 و18م ؟

إن طبيعة هذا الموضوع الذي يجمع بين ماهو تاريخي وفكري وتراثي، تطلب منا البحث في الحدث التاريخي والمضمون الفكري كخطوة أولى، ثم العمل على تحليل وبناء النسق الداخلي لتلك الأحداث والمضامين كخطوة ثانية، ثم حصر التراث الصوفي وتتبعه في المكان كخطوة ثالثة ، وذلك عبر مضامين **معرفية تأريخية**، تخص البحث ضمن النظم والبنى الصوفية لمدينة فاس خلال المرحلة المدروسة، من الناحية العلمية والدينية والاجتماعية والسياسية، وتتبع تطورها، والبحث في تأثيراتها في التصوف المغرب المغربي؛ **ومضامين تراثية** ، وذلك بتأريخ التراث الصوفي (المادي واللامادي) المنتمي لمدينة فاس ، وتتبع تطوره في الزمان وصولا إلى الوقت الحالي .

وقد اعتمدنا في الشق التاريخي والفكري **المنهج التاريخي التحليلي**، بتقصي المعلومة عبر المادة المصدرية التي أرخت لهذه المرحلة، والعمل على مقارنتها وتحليلها؛ أما ما يتصل بالشق التراثي فقد اعتمدنا **المنهج الوصفي الإحصائي التحليلي**، وذلك بإحصاء ووصف التراث الصوفي، ثم البحث في جذوره، ولاشك أن مقاربة الموضوع من الناحية التاريخية والتراثية سيكون له دور في فهم الكثير من الظواهر الاجتماعية والمعرفية الصوفية لمدينة فاس، كما سيكون له دور في فهم العلاقة بين الحركة الصوفية والتراث الصوفي، فبقدر ما كانت الحركة الصوفية سببا في إنتاج تراث صوفي مهم في فاس، بقدر ما كان هذا التراث نفسه سببا في انتعاش حركة صوفية في المدينة نفسها.

إن التعمق في دراسة هذين العنصرين سيفرض علينا الإحاطة الشاملة بكل ما له علاقة بالأطروحة، من حيث دراسة العوامل الثقافية والدينية والسياسية والاقتصادية المذكورة، مركزين أساسا على العوامل

الدينية والثقافية باعتبارها أعمدة بنى التصوف عليها بنيانه المعرفي، وهذا سيفرض علينا استدعاء مجمل الفكر الصوفي الذي كان سائدا وقتئذ في المغرب، وتعميق البحث فيما يخص مدينة فاس، فضلا عن تكثيف الزيارات الميدانية لهذا التراث، وذلك بهدف توثيقه ورصد تطوره في الزمان، ذلك أن الهدف من وراء ذلك هو الوقوف على وجوه تأثر الفكر الصوفي بفاس بالفكر الصوفي المغربي عموما، وإيضاح مواطن تماثله معه واختلافه عنه، حتى يتسنى لنا فهم تطور التصوف في مدينة فاس ورصد حركة تحوله من "العلمي" إلى "الشعبي". ذلك إن هذا الاستدعاء سيكون عبر التعاطي مع مختلف المؤلفات المتصلة بهذا الفكر، باعتبارها مادة أولية لدراسته، من الآداب الصوفية، ومن مصنفات المناقب والفهارس والنصوص والأقوال المروية والرسائل وأخبار المتصوفة والأولياء والأشعار والأجوبة، والبحث في مضامينها .

كما أن تحليلنا للواقع الصوفي خلال الفترة المدروسة، يفرض علينا الالتزام بالحيادية وتقصّي الحقيقة ما أمكننا ذلك، فمن الضرورة المنهجية دراسة الدين كظاهرة اجتماعية بما تقتضيه من اقتصار الباحث على تفسير الظاهرة الاجتماعية بما هي اجتماعية، والامتناع عن إقحام التفسيرات الميتافيزيقية في العمل العلمي، وضرورة عزل الذات عن الموضوع المدروس .

لقد اطلعنا على جملة من **الدراسات السابقة** التي قاربت الموضوع، غير أنه بالرغم من وفرة المادة المصدرية التي اهتمت برجال مدينة فاس وصلحائها، فإننا نحد ندرة في الدراسات والأبحاث الأكاديمية التي تناولت مدينة فاس ، فحجم الدراسات لم يكن بحجم حركتها الصوفية، ذلك أن تراث هذه المدينة الصوفي المرتبط بالمرحلة الحديثة بشكل خاص لم يأخذ حقه من البحث والدراسة، كما لم تتم دراسة نصوص الفكر الصوفي المرتبطة بزواياها دراسة علمية دقيقة، إذ إن أغلب الدراسات تناولت دراسة الحركة الصوفية من ناحية وصف الظاهرة دون البحث في أسس تشكلها خاصة الجوانب الفكرية التي تشكل أس المنظومة الصوفية في المغرب عموما وفي مدينة فاس خصوصا؛ باستثناء دراسة **نفيسة الذهبي** التي تناولت "الزاوية الفاسية" موضوعا لأطروحتها الجامعية، حيث درسة هذه الزاوية في محيطها الفاسي، فعمقت البحث في جذور الزاوية الفاسية وأدوارها وامتداد فروعها، كما نجد أبحاثا جامعية تطرقت إلى الحركة الصوفية في مدينة فاس في خضم تناولها زوايا معينة، كدراسة **محمد حجي** عن "الزاوية الدلائية" ، ودراسة **أحمد بوكاري** عن "الزاوية الشرقاوية"، فضلا عن أطاريح جامعية أخرى تناولت الحركة الصوفية خلال العصر الحديث، كأطروحة عبد اللطيف الشاذلي "التصوف والمجتمع نماذج من العاشر الهجري"، وأطروحة أحمد الوارث عن "الأولياء والمتصوفة ودورهم الاجتماعي والسياسي في المغرب خلال القرنين 17 و18م" .

لقد اعتمدنا في انجاز هذا العمل على مصادر ومراجع متنوعة توزعت بين كتب التراجم والمناقب والفهارس والرحلات وبين كتب التاريخ، التي تناولت مدينة فاس وتراثها الصوفي؛ ففيما يخص كتب التراجم، اعتمدنا على: **"نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني" لمحمد** القادري، و**"الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر"،** لعبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الفاسي الفهري(ت1131هـ)، و**"الروض**

العطر الأنفاس باخبار الصالحين من أهل فاس" لمحمد ابن عيشون الشراط (ت1109هـ/1697م)، و"**عناية أولي المجد بذكر آل الفاسي ابن الجد"** للسلطان المولى سليمان، و"**صفوة ما انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر"** لمحمد الصغير الإفراني (ت1156هـ/1743م)،، و"**ممتع الأسماع في ذكر الجزولي والتباع وما لهما من الأتباع" ، لمحمد** المهدي الفاسي(ت 1109هـ/ 1697م)، فضلا عن كتاب "**سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس بمن أقبر من العلماء والصلحاء بمدينة فاس"** لمحمد بن جعفر بن إدريس الكتاني، وهي كتب أفردت لأولياء فاس وصلحائها وعلمائها تراجم وافية، فاحتفظت بمعطيات مهمة عن أحداث ووقائع تاريخية شهدتها هذه المدينة خلال المرحلة المدروسة .

ومن كتب الفهارس ، اعتمدنا على "**فهرسة اليوسي" لأبي علي اليوسي** ، و"**فهرسة عبد القادر الفاسي"**، حيث ضمتا عددا من علماء فاس وفقهائها الكبار .

أما كتب **المناقب فقد رجعنا إلى عدد منها ، مثل على رأسها** مؤلف "**مرآة المحاسن أخبار الشيخ أبي المحاسن" ،** للشيخ أبي حامد محمد العربي بن يوسف الفاسي، و**"المقصد الأحمد بأخبار في التعريف بسيدنا ابن عبد الله أحمد"،** لعبد السلام القادري، و**"تحفة الأكابر في مناقب الشيخ عبد القادر"** لأبي زيد عبد الرحمن الفاسي، وكتاب **"تحفة الإخوان ببعض مناقب شرفاء وزان"** لحمدون بن محمد الطاهري الجوطي (1191هـ/1777م)، و"**معتمد الراوي بمناقب سيدي أحمد الشاوي"** لعبد السلام بن الطيب القادري (ت1110هـ/1698م)، و**"الكوكب الضاوي في إكمال معتمد الراوي بمنقب سيدي أحمد الشاوي" لمحمد** بن الطيب القادري(ت1773/1187م)، وهي كتب أُلّفت في بعض مشايخ التصوف وأرباب الزوايا والطرق الصوفية في فاس.

وفصلا عما تقدم ، اعتمدنا على بعض الأبحاث الأكاديمية المتصلة بموضوع البحث ، مثل كتاب **"الزاوية الفاسية – التطور والأدوار حتى نهاية العهد العلوي الأول"** لنفيسة الذهبي، وكتاب "**الأولياء والمتصوفة ودورهم الاجتماعي والسياسي في المغرب خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر"** لأحمد الوارث ، حسبما سبقت الإشارة إلى ذلك آنفا .

قسمنا أطروحتنا إلى مدخل عام وبابين، وكل باب قسمناه إلى ثلاثة فصول، وأدرجنا تحت كل فصل مباحث :

تناولنا في **المدخل العام** أصول الحركة الصوفية وتجلياتها في المغرب خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر، الميلاديين، فحاولنا فيه وضع الحركة الصوفية ضمن سياقها التاريخي، مستحضرين العوامل التي أسهمت في بلورة هذه الحركة ، وقد جعلناه في ثلاثة محاور:

أفردنا المحور الأول لدراسة الأوضاع السياسية والثقافية وتأثيرها في الحركة الصوفية في المغرب خلال القرنين 17 و18م، فخصصناه للبحث في التحولات السياسية التي شهدها المغرب خلال المرحلة ودورها في تطور التيار الصوفي ؛ كما تطرقنا للتحولات الفكرية والثقافية خلال الفترة المذكورة .

وأفردنا المحور الثاني لدراسة أسس الحركة الصوفية في المغرب خلال هذه المرحلة ، فتطرقنا من خلاله إلى جذور الحركة الصوفية وأسسها في المغرب ومسار تطورها إلى غاية القرن الثامن عشر، كما تطرقنا إلى أهمية الشرف وقضية التشرف ودورهما في تطور الحركة الصوفية .

أما المحور الثالث، فقد خصصناه لتطور الحركة الصوفية في المغرب خلال القرنين المذكورين، فتطرقنا من خلاله إلى الطرق الصوفية وانتشار الزوايا، كما حاولنا إبراز دور الطرق الصوفية في انتعاش الثقافة الصوفية زمن الفترة المذكورة .

وأفردنا **الباب الأول**: لدراسة الحركة الصوفية في مدينة فاس خلال القرنين 17 و18 الميلاديين، فحاولنا من خلاله التطرق لأسس هذه الحركة، وعلاقتها بالحركة الصوفية المغربية، وقد قسمناه إلى ثلاثة فصول أساسية:

أفردنا الفصل الأول لدراسة مظاهر التصوف في مدينة فاس خلال القرنين 17 و18م ، وجلعناه في مبحث تمهيدي وثلاثة مباحث : خصصنا المبحث التمهدي للحديث عن مكانة وأهمية مدينة فاس ضمن المجال المغربي؛ بينما تحدثنا في المبحث الأول عن أسس ازدهار مدينة فاس علميا وصوفيا ، من خلال التطرق لأبرز العوامل والمؤثرات التي أسهمت في إغناء حركة التصوف في هذه المدينة؛ والمبحث الثاني أفردناه لدراسة العوامل التي أثرت في تراجع وتقهقر مدينة فاس سياسيا واقتصاديا واجتماعيا، وكيف انعكس على حركتها الصوفية ؛ بينما خصصنا المبحث الثالث لدراسة الطرق والطوائف الصوفية في مدينة فاس .

وأفردنا الفصل الثاني لدراسة التأثير المتبادل بين التصوف المغربي والتصوف في مدينة فاس خلال الفترة المذكورة، وجعلناه في ثلاثة مباحث: تناولنا في المبحث الأول تأثير مدينة فاس على الحركة الصوفية في المغرب، وذلك من خلال الحديث عن دور المؤسسات الدينية والعلمية ودور رجال فاس؛ والمبحث الثاني أفردناه للحديث عن تاثير التصوف المغربي على التصوف في مدينة فاس، من خلال الحديث عن دور صوفية وعلماء المغرب في إثراء التصوف الفاسي ، في حين تطرقنا في المبحث الثالث إلى دراسة التأثير المتبادل بين التصوف الفاسي والتصوف المغربي .

أما الفصل الثالث، فقد أفردناه للبحث في طبقات العلماء والصوفية بمدينة فاس ، وجعلناه أيضا في ثلاثة مباحث: تناولنا في المبحث الأول دراسة الطبقة الأولى من مطلع القرن 17م (1009هـ)، الى غاية حادث معركة بطن الرمان (سنة 1079هـ/1668م)؛ بينما خصصنا المبحث الثاني للحديث عن الطبقة الثانية من سنة 1079هـ/1668م، إلى غاية 1171هـ/1757م؛ في حين تطرقنا في المبحث الثالث دراسة الطبقة الثالثة من علماء فاس، وذلك من سنة تولية سيدي محمد بن أبي عبد الله 1171هـ/1757م الحكم إلى غاية وفاته سنة 1790م .

أما **الباب الثاني** من الدراسة ، أفردناه لدراسة التراث الصوفي لمدينة فاس والذي ينتمي للفترة المذكورة، من خلال دراسة التراث المادي واللامادي في مدينة فاس، والمرتبط بالزوايا والأضرحة والأولياء، وذلك من خلال البحث في المعتقدات الشعبية الصوفية والكرامات والمناقب لبعض أولياء فاس؛ وقد قسمناه إلى فصل نظري وثلاثة فصول دراسية :

أفردنا الفصل النظري للحديث عن قضايا التراث الصوفي في مدينة فاس واشكالية دراسته من حيث المنهج .

وأفردنا الفصل الأول لدراسة تراث زوايا مدينة فاس –من خلال نماذج- ، وجعلناه في مبحث تمهيدي وثلاثة مباحث: خصصنا المبحث التمهيدي في عرض تعاريف ومفاهيم ترتبط بتراث الزوايا، وخصصنا المبحث الأول لدراسة تراث الزوايا العلمية، وخصصنا المبحث الثاني لدراسة تراث الطرق الشعبية ، في حين خصصنا المبحث الثالث لدراسة تراث زوايا الجدب .

كما أفردنا الفصل الثاني لدراسة تراث أضرحة مدينة فاس – من خلال نماذج - ، وجعلناه في مبحثين اثنين : تناولنا في المبحث الأول في دراسة نماذج من الأضرحة والروضات الموجودة خارج أسوار فاس ، أما المبحث الثاني فقد خصصناه لدراسة نماذج من الأضرحة والمقابر داخل أسوار مدينة فاس .

أما الفصل الثالث، فقد أفردناه لدراسة التراث الصوفي اللامادي في مدينة فاس- نموذج الكرامات وقداسة الزوايا والأضرحة- ، فقسمناه لمبحث تمهيدي ومبحثين دراسيين: خصصنا المبحث التمهيدي لتعريف بعض المفاهيم المرتبطة بالتراث الصوفي اللامادي ؛ وخصصنا المبحث الأول لدراسة الكرامات والبركات والخوارق وقداسة الولي ، وذلك من خلال صور ونماذج من كرامات ومناقب وخوارق الأولياء من مدينة فاس خلال المرحلة المدروسة، أما المبحث الثاني فقد خصصناه لدراسة مكانة المقدس الصوفي المرتبط بالأضرحة والزوايا ضمن المجتمع الفاسي، وذلك من خلال الذهنية الجماعية في الاستعانة بهذه الأمكنة لقضاء الحاجات .

وفي ختام هذه المقدمة، أتوجه بخالص الشكر وعظيم الامتنان إلى أستاذي الفاضل **محمد العمراني** على رعايته لهذا العمل، وعلى ما أمدني به من نصائح جعلتني أتجاوز صعوبات البحث وتحدياته، كما أشكر السادة الأساتذة الأفاضل القائمين على مختبر "**التراث : دراسة صيانة وإنقاذ**" بكلية الآداب والعلوم الإنسانية(سايس- فاس) على مجوداتهم القيمة في سبيل خدمة البحث العلمي.

مدخل عام

أصول الحركة الصوفية وتجلياتها في المغرب خلال القرنين 17-18م

عرف المغرب خلال القرنين 11-12هـ/17-18م تطورات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية، كان لها دور في خلق حركة دينية صوفية مغربية، هذه التطورات كان منها ما ارتبط بأزمات أسهمت في بلورة تلك الحركة؛ إذ لا يمكن عزل التطور في مسار الحركة الصوفية عن الأزمات الداخلية التي عرفها المغرب، من صعود السعديين وانهيار دولتهم، ومن الغزو المسيحي للمغرب، والتي كان له دور في انتشار الطريقة الجزولية وشهرتها، فالظروف السياسية حكمت مسار التصوف في العديد من المنعطفات فكانت وراء تطوره وأحيانا وراء تحوله، وذلك بتكييف التيار الفكري وتقويته أو إضعافه لدى الأمة، بما يوفر له النظام القائم من وسائل النمو والإنتشار، أو يضع في طريقه من عراقيل ومضايقات[1]؛ كما لا يمكن عزله عن المؤثرات الثقافية المشرقية التي كانت تصل المغرب وتؤثر في المجال الديني والفقهي، كما لا يمكن عزله عن عوامل مرتبطة بالبنية الداخلية للتصوف، والتي تعتبر بمثابة جذور تاريخية ومعرفية لتطور الفكر الصوفي .

من هذا المنطلق خصصنا محور هذا المدخل بالبحث في الحركة الصوفية المغربية، وما ارتبط بما من قضايا تأريخية سياسية ومعرفية وثقافية ودينية، تلك التي أسهمت في تبلور الفكر الصوفي في عموم المغرب، فكان لها أثر في نشأة التصوف بمدينة فاس وطبع منزعه الفكري . لذلك سنحاول ضمن هذا المدخل التطرق إلى ثلاثة محاور:

- **الأول**: سيخص الأوضاع السياسية والثقافية التي شهدها المغرب، ودورها في تطور الحركة الصوفية خلال القرنين 17 و18م .
- **والثاني**: سيخص أسس الحركة الصوفية في المغرب خلال القرنين 17-18م .
- أما **الثالث**: سيخص مظاهر الحركة الصوفية وتطورها في المغرب خلال نفس المرحلة .

أولا: الأوضاع السياسية والثقافية في المغرب خلال القرنين 17- 18م، ودورها في تطور في الحركة الصوفية

1- الأوضاع السياسية ودورها في تنامي التيار الديني

شهد المغرب منذ القرن 16م، تحولات سياسية هامة، أثرت على التيار الديني بشكل عام والصوفي بشكل خاص طيلة القرنين 17 و18م، فخلال القرن 16م ستتمكن أسرة شريفة وهي الأسرة السعدية من الوصول إلى سدة الحكم، هذا الصعود المحمول بإديولوجية النسب الشريف وبعقيدة الشيخ أحمد الجزولي، كان نتيجة لأحداث جوهرية وأزمات شهدها المغرب ارتبطت بما هو داخلي وماهو خارجي، تمثلت في الغزو الايبيري والصراع والمنافسة حول السلطة؛ حيث مثل الغزو الإيبيري منعطفا كبيرا في تاريخ

[1] - محمد حجي: **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين**، منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، سلسلة التاريخ (2)، مطبعة فضالة، المحمدية، 1977م، ج1، ص 6

المغرب وذلك منذ القرن 15م، فأثر تأثيرا عميقا على مجمل الأحداث التي شهدها المغرب بعد ذلك[1]، فإبان حكم الوطاسيين، نجح الإيبيريون في احتلال مجموعة من الشواطئ المغربية، الأمر الذي أفقد الوطاسيين ثقة السكان والقبائل، خصوصا بعد أن جدد هؤلاء هجومهم عند مطلع القرن 16م، وأقدموا على احتلال عدد آخر من الثغور، التي بدأت تسقط تباعا في يد البرتغال وإسبانيا، ولم يقتصر الأمر على المدن الساحلية، بل ما لبثت أن توسعت الحركة الإستعمارية الإيبيرية إلى الداخل لتضم مجموع القرى والبوادي القريبة من الموانئ، كمدينة آسفي التي غدت عاصمة لإقليم برتغالي يشمل قسما مهما من عبدة[2].

هذه الوضعية السياسية زادت من عزلة الوطاسيين وضعفهم، كما أدت إلى نشوء حركات جهادية تقوم بمهمة دفع الايبيريين وتحرير الثغور والمدن المحتلة، قادتها نخبة دينية من شيوخ وفقهاء ومتصوفة، تمكنت من أن تكون قوة حيوية أطرت المغاربة وملأت الفراغ السياسي فتحملت الصعاب وقادت الجهاد[3]؛ وقد نتج عن دعوات الجهاد هذه تعدد الزوايا والرباطات في أغلب مناطق المغرب، وتشكل فئة جديدة من المريدين الذين جمعوا بين الجهاد والتبعية للشيوخ والعلماء، الذين كان لهم كامل السلطة الروحية والسياسية على كافة أطياف المجتمع، بفضل التحكم في تدبير وتنظيم المجال، مثل ما كان الحال بمنطقة سوس معقل السعديين، حيث لا يخفى دور الشيخ محمد بن المبارك الأقاوي والذي يعتبر من مريدي القطب محمد الجزولي، تمكنه من تدبير مجال سوس، ونجاحه في التدخل لكف القتال بين القبائل والوساطة في الصلح بينها وتهديد الرافضين والمعاندين بالعقاب[4]، وإن قدرة الشيخ على تحقيق هذا الصلح، كانت مستمدة من عقيدة الناس تجاهه، فهو الرجل العالم الصوفي، الذي تتناقل الرواية السوسية أخبارا عن سيرته وكراماته منها أخبار عن "**عكازه**" الذي **"من تعداه تضربه مصيبة"**[5] .

وقد احتلت الزوايا مكانة بارزة ضمن دعوات الجهاد فازداد نشاطها وكثر أتباع شيوخها فباتت تتمتع بنفوذ كبير خاصة بالجنوب البعيد عن مركز الحكم الوطاسي، هذا الوضع كان لصالح الحركة الجزولية تلك التي انطلقت من الجنوب في تحالف مع الشريف السعدي محمد بن عبد الرحمان الملقب ب"القائم بأمر الله" للقيام بإمارة الجهاد[6]، والمدعوم من طرف الصوفية والفقهاء والعلماء[1] ، مما مكن

---

[1] - انظر، تفاصيل مراحل الاحتلال الايبيري وتبعاته، مجموعة مؤلفين، **تاريخ المغرب تحيين وتركيب**، إشراف وتقديم محمد القبلي، **منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب** ، مطبعة عكاظ الجديدة، ط1 الرباط ، ص ص 323-332

[2] - انظر، عبد اللطيف الشاذلي، **المجاهد السلاوي محمد بن أحمد العياشي – من تاريخ المغرب في القرن السابع عشر**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 65، ط2 سنة 2012، ص21 .

[3]- عبد المجيد قدوري: عودة إلى ظاهرة الزوايا في مغرب العصر الحديث، ضمن عدد خاص "**وقفات في تاريخ المغرب**"، دراسات مهداة للأستاذ ابراهيم بوطالب، تنسيق عبد المجيد القدوري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة بحوث ودراسات رقم 27، ط1، سنة 2001 ، ص399

[4]- لطفي بوشنتوف، **العالم والسلطان- دراسة في انتقال الحكم ومقومات المشروعية - العهد السعدي الأول**، منشورات جامعة الحسن الثاني، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، عين الشق الدار البيضاء، 2004 ، ص50

[5]- لطفي بوشنتوف، **العالم والسلطان**، م.س. ص50

[6]- عن جذور وامتداد العلاقة بين الحركة الجزولية والأسرة السعدية، انظر، محمد القبلي ، مساهمة في تاريخ التمهيد لظهور دولة السعديين، مجلة **كلية الآداب والعلوم الإنسانية** – الرباط، عدد مزدوج3-4 ، سنة 1978، ص ص 7– 59 .

الأسرة السعدية من أن تشكّل ثقلا مركزيا للسلطة ستتبوؤه فيما بعد، حيث إن نجاح السعديين في طرد المحتل الإيبيري عن شواطئ المغرب ومدنه، أدى إلى انهيار الوطاسيين ووصولهم إلى السلطة، فجسد ذلك لحظة تحول في تاريخ المغرب، ومثل لمغرب القرنين 15 و16م، فرصة الإنتقال نحو العالم الحديث، ومناسبة لتغيير شكل المجتمع[2]، حيث تمكنت الأسرة السعدية من إعادة تنظيم الدولة التي غذت أكثر متانة وقوة، الشيء الذي قوى نفوذها في جميع مناطق المغرب بل وأجزاء من افريقيا الغربية، إلا أن هذا النجاح سيتوقف مع وفاة هذا السلطان سنة 1012هـ/1603م، ليكون بداية ضعف السعديين ونهاية دولتهم، ابتداءا من الصراع السياسي الذي انطلق بين أبناء المنصور حول حكم دولتهم، وانتهاءا بظهور قوى أخرى دينية وسياسية تنافست على حكم المجال المغربي، فكان من تبعاته عودة الأطماع الإيبيرية وبداية الهجوم على الشواطئ المغربية، الأمر الذي أدى إلى عودة تيار الفقهاء والصوفية للظهور مجددا على الساحة السياسية، فقام كحركة وطنية من أجل القيام بما عجز عنه السعديون[3] في قيادة الجهاد وتولي مهمة الدفاع عن حدود المغرب .

وفي خضم هذه التطورات تمكنت الزوايا من تبوء مركز سلطة في المجال المغربي، وذلك بفضل ما بلغه الصوفية من مكانة لدى عامة الناس، فكما كان لهم دور في بلوغ السعديين إلى الحكم، سيكون لهم دور في انهيار حركتهم، فالعامل الذي حمل الأسرة الشريفة إلى سدة الحكم، سيكون هو نفسه عامل انهيارها، إذ إنه بالرغم من محاولات الأشراف السعديين التخلص من وصاية شيوخ الزوايا، فإنهم لم يستطيعوا ذلك نظرا لتجذر نفوذ هؤلاء ليس في البلاد كلها فقط، بل لأنهم كانوا يتحكمون في ذهنية العامة ويوجهونهم كما شاءوا[4]، إذ إن التيار الصوفي كان متناميا وممتدا، مما أتاح الفرصة لنشوء حركات صوفية مركزية جمعت بين الأدوار الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وهو ما فتح الباب على مرحلة جديدة من صراع سياسي بين هذه الكيانات، فالزوايا كانت تنوب عن دور الدولة في تدبير وتسيير المجال، والدفاع عن حرمته، وإن هذا الصراع السياسي حول المجال، ناظره صراع على المجال الرمزي الاعتقادي[5]، وهو ما تجسد في المنافسة بين الزوايا وامتدادها في المجال .

ويمكن إجمال تمظهرات الصراع على حكم المجال والزعامات السياسية من خلال قيام عدد من الإمارات المستقلة؛ أبرزها :

---

[1] - انظر، أطروحة الأستاذ لطفي بوشنتوف "**العالم والسلطان**" م.س. والتي قامت على أساس فكرة أن دور الفقهاء والعلماء كان أقوى من دور الصوفية في بلوغ السعديين إلى الحكم وتدعيم سلطتهم .

[2] - لطفي بوشنتوف ، **العالم والسلطان** ، م.س. ص18

[3] - عبد الجواد السقاط، **اشارات من ادب الزوايا بالمغرب** ، مطبعة فضالة ـ المحمدية ، ط1 سنة 2006 ، ص25

[4] - عبد المجيد قدوري، عودة إلى ظاهرة الزوايا في مغرب العصر الحديث ، **وقفات في تاريخ المغرب** ، م.س. ص404

[5] - أحمد التوفيق، صلحاء وسلاطين ، دينامية السلطة في المغرب قبل الحماية ، وقفات في تاريخ المغرب، **دراسات مهداة للأستاذ ابراهيم بوطالب ـ مجلة كلية الآداب ـ الرباط** ، ص 420 .

➢ حركة محمد بن أحمد العياشي

ظهر محمد العياشي[1] في البداية كأحد المشاركين في عمليات الجهاد في منطقة دكالة حوالي سنة 1022هـ/ 1613م، حيث عين من طرف شيخه عبد الله بن حسون السملالي، لقيادة حركة الجهاد ضد الايبيريين، وقد انطلقت أولى حملاته للبريجة، فأصبحت أخبار بطولاته ونجاحاته حديث المغاربة وحتى البرتغاليين، مما جعل شهرته تتسع، حتى وصلت أنباء انتصاراته إلى سلطان مراكش (زيدان)، فولاه هذا الأخير ثغر البريجة، ليكتسب العياشي الصفة الرسمية في الجهاد، ورغم ما كان بينه وبين السلطان زيدان من سوء فهم حول النوايا الحقيقية للعياشي، إلا أنه تمكن من النجاح والإستمرار في عملياته التي امتدت بالمنطقة الشمالية الغربية، فبات العياشي مسموع الكلمة بهذه النواحي، خاصة وأنها كانت تعاني من انعدام الأمن والإضطراب السياسي، مما مكنه من الإستفراد بتدبير أمورها، كما تمكن من بسط سلطانه على مدينة سلا[2]، ونظرا لقوته ومكانته التي بلغها، أصبح محط أنظار القوى الأجنبية التي بدأت تبرم معه الإتفاقيات مع بعض الدول الأوروبية، مثلما كان الحال مع ابريطانيا[3] .

لكن ورغم هذا النجاح من طرف العياشي، إلا أنه لم يتمكن من الإستمرار بسبب ضعف إمكانياته المادية، ودخوله في صراع مع عدة أطراف، منهم الدلائيون ، فتم التآمر عليه من طرف عدة منافسين ومناوئين ، ليتم اغتياله سنة 1062هـ/1651م ، من دون أن تعرف الجهة التي قامت بهذه الإغتيال[4] .

وعن علاقة العياشي بالتيار الديني عامة والصوفي خاصة، فهو تلميذ ومريد الشيخ عبد الله بن أحمد السلاسي، الشهير بابن أبي حسون (ت 1013هـ/1604م)[5]، الذي اعتبر من رجال التصوف والصلاح والعلم، والذي كانت له مكانة خاصة بين رجال التصوف في وقته، حيث تربطه بسلسلة التصوف المغربية روابط متينة، إذ أخذ عن عبد الله الهبطي، عن الغزواني، عن التباع، عن الجزولي[6]؛ وبهذا الشيخ ارتبطت شهرة وسمعة المجاهد العياشي، الذي لقب بدوره بألقاب العلم والمعرفة والصلاح، حيث أورد الإفراني شهادات العديد من رجال العلم في حقه، فهذا أبو عبد الله محمد بن أحمد ميارة وصفه ب : "**الولي الصالح العامل السائح قطب الزمان وكهف الأمان، المجاهد في سبيل رب العالمين، المرابط في الثغور...، ذو الكرامات الشهيرة العديدة والفتوحات العظيمة الحميدة... البركة القدوة المجاب الدعوة ...**"[7] ، كما يزكي الإفراني هذه الشهادة بقول علماء علماء آخرين فيه، فيقول ب"**أن الشيخ العربي وصفه بمثل ذلك، وكذا الشيخ**

---

[1] - قدم عبد اللطيف الشاذلي تعريفا شاملا لأصول العياشي ومراحل تكوينه العلمي، انظر، **المجاهد السلاوي – محمد بن أحمد العياشي** -، م.س. ص ص 98- 108 .

[2] - من أجل الإطلاع على تفاصيل هذه الأحداث، انظر، **المرجع نفسه،** ص ص 87- 96 .

[3] - **المرجع نفسه** ، ص198 .

[4] - عما روي في خبر اغتياله، انظر، محمد الصغير الإفراني ، **نزهة الحادي...،** م.س. ص ص 320-321 .

[5] - انظر ترجمته ، محمد القادري ، **نشر المثاني لاهل القرن الحادي عشر والثاني**، تحقيق محمد حجي واحمد التوفيق، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مكتبة الطالب الرباط الطبعة الأولى، 1982م، ج1 ، صص 129- 131 .

[6] - عبد اللطيف الشاذلي ، **المجاهد السلاوي** ..م.س. ص 106 .

[7] - انظر، محمد الصغير الإفراني ، **نزهة الحادي** ، م.س. ص 377 .

محمد بن أبي بكر المجاطي الدلائي يذيع محاسنه ويطيل الثناء عليه ...."[1]، كما وصفه الشيخ العالم محمد بن ناصر الدرعي في رسالة (يقول الإفراني أنه وقف عليها وهي بخط يده) ب "**أمير المؤمنين وسيد المسلمين**"[2] .

➢ الحركة الدلائية

شكلت الزاوية الدلائية[3] منطلقا للحركة الدلائية، والتي اعتبرت نموذجا مثاليا لتنامي التيار الصوفي وبسط نفوذه على المجتمع خلال القرن 17م؛ وينتسب الدلائيون إلى قبائل صنهاجة، وموطنهم الأصلي ملوية، وخلال القرن 8هـ/14م انتقلوا إلى منطقة الدلاء الواقعة غرب الأطلس المتوسط، حيث أقام أحد أحفادهم وهو "أبو بكر المجاطي الدلائي" الزاوية الدلائية سنة 974هـ/ 1566م، لتعرف بعد ذلك تطورا بلغ مداه في عهد ابنه "محمد بن أبي بكر" الذي تولى زعامتها سنة 1021هـ/ 1612م[4]؛ وقد اقتصر الدلائيون في بداية الأمر على الاهتمام بالجانب العلمي والديني وحافظوا على ولائهم للسعديين رغم تدهور سلطتهم، ولن يبتدئ تطلعهم إلى القيادة السياسية إلا بعد الفوضى والإضطراب الذي عم سائر مجال المغرب، وعجز السعديين عن حفظ أمن البلاد، وقد كان ذلك خلال عهد محمد بن أبي بكر الدلائي، حيث جهز قوة عسكرية واجه بها السعديين وانتصر عليهم، واقتطع منهم منطقة ملوية وتادلا، فامتد سلطانه إلى وسط المغرب وبعض شماله وغربه، كما استطاع محمد الحاج أن يقيم علاقات سياسية واقتصادية مع بعض دول أوروبا[5]، كما تمكن الدلائيون من بسط سلطانهم على مدينة فاس وتسيير شؤونها، فأصدروا عملة تحمل شعار الدلائيين تداولتها الأسواق لمدة من الزمن، لكن مواجهاتهم مع العلويين، إلى جانب فتحهم عدة جبهات صراع، فضلا عن هشاشة بنية حكمهم وضعف تدبيرهم لمركز حضري مهم كمدينة فاس، أدى بهم إلى التراجع سياسيا حتى عن مركز حكمهم – الدلاء – وذلك بعدما منوا بالهزيمة في معركة الرمان، فانعكست الهزيمة السياسية على وظيفة الزاوية علميا وصوفيا، بل وحتى على وجودها، وذلك مع تهديم مقرها على يد المولى الرشيد ونفي كل رجالها خارج الدلاء[6]؛ ليحُسم - بذلك – الصراع السياسي والمنافسة لصالح الحركة العلوية سنة 1075هـ/ 1664م .

---

[1] - محمد الصغير الإفراني ، **نزهة الحادي** ، م.س ص 378 .

[2] - **المصدر نفسه** ، ص 379 .

[3] - للإطلاع على مراحل بداية الزاوية وأدوارها، انظر، محمد حجي، **الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي**، طبع ونشر مطبعة النجاح الجديدة ط2 سنة 1988م .

[4] - محمد حجي ، **الزاوية الدلائية** ، م.س. ص 30

[5] - عبد الله بنصر العلوي، **أبو سالم العياشي- المتصوف الأديب، من أعلام الفكر والأدب في فجر الدولة العلوية**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ،الرباط ، ط1 سنة 1998م ، ص 19 .

[6] - انظر، محمد حجي ، **الزاوية الدلائية** ، م.س. ص 65

➢ الحركة السملالية:

شكلت الزاوية السملالية – كنظيرتها الدلائية – منطلقا للحركة السملالية، وتعود الزاوية في أصل ابتداءها إلى الشيخ أحمد بن موسى السوسي السملالي (ت971هـ/1564م)[1]، من قبيلة سملالة بسوس، عرف بالتصوف، وذاع أمره في تربية المريدين مما كان سببا في تأسيس زاوية بلغت أوجها في بداية القرن 11هـ/17م، وقد ابتدأت الزاوية بالمشروع العلمي الطرقي، فعرفت ازدهارا علميا، جعل لها صيتا كبيرا بمنطقة سوس[2]، ومع الإضطرابات التي كان يعيشها المغرب، ستتاح لخليفة الشيخ أحمد بن موسى على الزاوية السملالية وهو علي بن محمد بن محمد بن الشيخ الملقب بأبي حسون السملالي و"**بودميعة**" تأسيس إمارة مستقلة، امتد اتساعها حدود سوس ودرعة وصولا إلى سجلماسة وذلك سنة 1045هـ /1635م، فاستطاع أن يوطد نفوذه ويحكم مجالا واسعا في الجنوب المغربي خلال عدة عقود حتى طبقت شهرته الآفاق، باعتماد أسس وطيدة مكنته من بناء دولة مركزية، حتى لقب بالسلطان[3]، إذ أسس مدينة "**إليغ**" التي اتخذها عاصمة لإمارته، وأقام علاقات دولية، حيث اعترفت بعض الدول الأجنبية بحكمه وغذت تفاوضه وتعقد معه المعاهدات التجارية، وهو ما مكنه من جني أرباح طائلة من الصفقات التجارية ومن الحصول على العدة والعتاد فأهله كل ذلك للدفاع عن المجالات الشاسعة التي كان يسيطر عليها[4]، وهذه القوة التي أصبح عليها زعيم السملاليين - أبي حسون -، هي ما جعلت سلطان الدولة السعدية محمد الشيخ بن زيدان، يصفه ب "**رئيس إليغ السوس**"[5] .

ويلخص الإفراني قيام أبي حسون ونهاية إمارته، بالقول: **"لما ضعف زيدان عن القيام بالأمر بالصقع السوسي وفشل ريحه فيه، نبغ هو فدعا لنفسه وجر نار الرياسة لقرصه وتآلفت عليه البرابر من بسائط جزولة وحرسا واجتمعت عليه القبائل السوسية واستولى على تارودانت عمالتها إلى أن أخرجه عنها الفقيه المرابط أبو زكرياء يحيى بن عبد الله ، وصفى لأبي الحسن القطر السوسي ونفذ به أمره وسمعت كلمته ومد يده لدرعة فاستولى عليها ثم مد يده لسجلماسة فاستولى عليها وعلى نواحيها واستحكم أمره وتقوى عضده ولم يزل أمره بسجلماسة إلى أن ثار عليه عقاب الشائف الأسد الهصور مولانا محمد بن الشريف فأخرجه من سجلماسة بعد معارك وزلازل يشيب لها الرضيع ثم أخرجه من درعة أيضا ووقع بينهما بدرعة حروب عظيمة، ولم يزل أبو الحسن قائما بالسوس إلى أن توفي سنة**

---

[1] - انظر، خديجة الراجي، **الزاوية السملالية في مرحلة التأسيس**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة ابن زهر، أكادير، ضمن سلسلة الكتب الرقمية للكلية رقم 1، إصدار سنة 2020م .

[2] - خديجة الراجي، **الزاوية السملالية في مرحلة التأسيس**، م.س.، ص ص 36- 37 .

[3] - مجموعة مؤلفين ، **تاريخ المغرب – تحيين وتركيب** ، م.س. ص 394

[4] - **المرجع نفسه** ، ص 394

[5] - جاء ذلك في رسالة وجهها السلطان محمد الشيخ إلى أهل الدلاء يصف من خلالها ما آلت إليه أوضاع المغرب؛ انظر، محمد الصغير الإفراني ، **نزهة الحادي** ...، م.س. ص 358

1070هـ.. ولما مات خلفه ولده أبو عبد الله محمد بن علي ولم يزل قائما مقام والده إلى أن اقتحم عليه السلطان مولانا الرشيد رحمه الله فبلغ صقر أبي الحسن ايليغ السوس ...والملك لله وحده"[1] .

- **الحركة العلوية**

يعود وجود العلويين بمنطقة تافيلالت إلى القرن 13م، بعد قدوم جدهم-الحسن الداخل- من بلاد الحجاز، لتتجذر الأسرة داخل المنطقة وتعلن عن قيام حركتها خلال القرن 17م، وهذه الحركة وإن لم تقم على عامل التصوف والجهاد، إلا أنها استغلت عامل الشرف في الإعلان عن حركتها، حيث وظفت الإرث السعدي في مخططاتها الرامية إلى الإستيلاء على الحكم[2]، مستغلة الظروف التي عرفها المغرب .

وقد تمكنت الأسرة العلوية -عند ضعف السعديين- من تدبير منطقة تافيلالت والإستقلال بتسييرها، ومن هناك كانت انطلاق حركتهم في قيادة صراع متعدد الأطراف على الاستفراد بحكم المغرب، وذلك مع المولى امحمد بن الشريف ثم أخيه المولى الرشيد الذي تمكن في ظرف خمس سنوات(1666-1671م)، بعد معارك وحروب من توحيد البلاد من الشمال الشرقي حتى الجنوب الغربي، مستفيدا من تآكل الإمارات المنافسة للحركة العلوية الفتية من الداخل[3]، وقد شكلت معارك هذه الحركة مع الزاوية الدلائية محطة حاسمة في تزايد قوة ونفوذ العلويين، وذلك باستيلائهم على فاس، لتتمهد لهم أمور الحكم والسلطة لصالحهم فيما بعد .

2- الأوضاع الفكرية والثقافية

❖ مظاهر الحركة الفكرية خلال المرحلة الحديثة

تميزت الحركة الفكرية بالمغرب خلال المرحلة الحديثة بالجمود والتقليد عما تركه علماء المرحلة الوسيطة، التي تعود جذورها إلى عهد الموحدين والمرينيين الذين أحدثوا مدارس علمية تهتم بتراث الفكر المالكي ونشره وترويجه، إلى جانب الاهتمام بالفكر الصوفي والعقيدة الأشعرية، ومع حلول السعديين ازداد الاهتمام بهذه الحركة التي تميزت باضفاء الطابع المغربي عليها، حيث قام السعديون بالحفاظ على الموروث الفكري عن المرينيين، والتقيد بالأفكار والآراء التي وصلت إليهم من الفقهاء والعلماء ورجال الدين، يقلدون ما وصلهم من انتاج، متأثرين في ذلك بأفكار سابقيهم لتقليد المذهب المالكي والوقوف عنده[4] .

---

[1] - محمد الصغير الإفراني ، **صفوة ما انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر**، تقديم وتحقيق عبد المجيد خيالي، طبع ونشر مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء المغرب، ط1 سنة 2004م، ص 407

[2] - مجموعة مؤلفين : **تاريخ المغرب – تحيين وتركيب** ، م.س. ص393

[3] - عبد الله العروي ، **مجمل تاريخ المغرب** ، نشر المركز الثقافي العربي ، ط5 سنة 1996، ج3 ص 495

[4] - محمد مزين، **فاس وباديتها – مساهمة في تاريخ المغرب السعدي (1549- 1637م)**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس الرباط ، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 12 ، ط1 سنة 1986م ، ج2 ص586

لكن وبالرغم من ذلك، يمكن القول، أن ملامح الحركة الفكرية شهدت نوعا من التطور ابتداءا من منتصف القرن 16م، وذلك نتيجة التلاقح الذي عرفه علم الفقه والتصوف بعلم اللسانيات وعلم الأصوات، مما جعل القيم الفكرية والروحية تأخذ اتجاها علميا حقيقيا، تجسدت في الدراسات القرآنية، والفقهية، والتصوف، والعقائد[1] ، كما بدأ التحول يظهر في هذه الأنماط بعد أن بدأ التعاطي للعلوم العقلية التي بدأت تجد طريقها إلى حلقات التدريس، وإن ظل متعترا كون ثقافة المغرب السعدي لم تستطع التخلص من صبغتي الدين والأدب[2] .

وعموما، فقد خضعت الحركة الفكرية والأدبية والدينية التي عرفها المغرب منذ المرحلة الوسيطة وإلى غاية المرحلة الحديثة، لعنصرين:

أولهما: هيمنة التيار أو الإتجاه الديني - في قالبيه الفقهي والصوفي- على مسار الفكر والثقافة المغربية، وعلى العامة والخاصة من الناس، وتمكنه من التغلغل في كل مناحي الحياة؛ فالفقهاء بآليات المذهب المالكي هم أول من وضع أسس هذا الفكر منذ القرن9هـ/15م، فظل الفقه المالكي يفرض نفسه بشكل عميق على المعاملات الإنسانية والعلاقات بين المجتمع والسلطة[3]، ولم تكن فئة المتصوفة ببعيدة عن ممارسة تأثيراتها على مسار الفكر المغربي، خصوصا خلال القرن 16م حيث سارت إلى جانب الفقهاء حتى تمكنت من السيطرة على العامة من الناس، بل بلغ أن سحب هذا التيار ذيله حتى على بعض الفقهاء والرؤساء[4]، مما منح التيار الفقهي طابعا صوفيا، بل تعداه إلى أن أصبح صوته الذي يعْبُر من خلاله، فكل المصادر والدراسات تشير بأن التصوف أصبح من سمات الفكر في هذا العصر؛ وقد انعكس هذا التمازج الفقهي الصوفي على حركة التأليف – كما وكيفا-، حيث يمكن القول أن معظم المؤلفات كانت تتعلق بالتوحيد، والفقه، والتصوف، لطغيان الروح الدينية أنذاك، وانتشار التصوف على الخصوص[5].

وثانيهما: هو **تبعية الفكر والثقافة المغربية لنظيرتها المشرقية**، فبالرغم من الخصوصية التي تميز بها الفكر والثقافة المغربية، إلا أنها ظلت ترتبط بالفكر والثقافة المشرقية، سواء في جانب المؤلفات التي اعتمدت كمناهج للتدريس والدراسة، أو في جانب حركة التأليف، وذلك بالرغم من انتشار التصوف في المغرب والذي أصبح جزءا من الثقافة الدينية المغربية، إلا أن جانب التأليف ظل تابعا لنظيره المشرقي، مقلدا لأنماطه عبر نماذج محددة سلفا؛ وهذه التبعية طبعت الحركة التأليفية بطابع الجمود، خاصة تلك التي اعتمدت على أمهات الكتب من الفقه المالكي، لإنشاء "المختصرات"، و"المدونات"، و"الشروح"، إلى جانب كتب "الفهارس"، التي أبرزت السيطرة الفقهية على الفكرالمغربي[6]، وقد فرض نفسه هذا النهج من

---

[1] - ابراهيم حركات، **السياسة والمجتمع في العصر السعدي** ، دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء ، بدون طبعة سنة 1987م ص 321

[2] - محمد حجي ، **الحركة الفكرية** ، ج1، م.س. ص65

[3] - ابراهيم حركات ، **السياسة والمجتمع في العصر السعدي** ، م.س. ص 320 .

[4] - محمد مزين، **فاس وباديتها** ، م.س. ج2 ص586

[5] - محمد حجي ، **الحركة الفكرية** ، م.س. ج1 ص 143

[6] - محمد مزين، **فاس وباديتها..،م.س.** ج2 ص586

التأليف على الجانب التعليمي الذي كان يعتمد النمط التقليدي في التلقين، والحفظ، والتلقي، وهو ما تجسد في نظام "الإجازة"، المعتمد على حفظ أمهات الكتب الفقهية واللغوية وشروحها .

❖ المؤثرات الثقافية وانعكاسها على الفكر المغربي

تطبعت الثقافة الفكرية المغربية خلال المرحلة الحديثة بطابع التصوف والفقه، وقد جاءت مؤلفات تلك المرحلة لتعبر عن ذلك، حيث كثرت كتب الفهارس والشروح والتعليقات والحواشي والمناقب؛ وقد تميز المجال الفكري والعلمي لمغرب المرحلة الحديثة بالتنوع والاختلاف، رغم طابع الجمود الذي ساده، سواء في القضايا الدينية أو الفكرية، وإن هذا التنوع الفكري وإن كان ذا صبغة مغربية، إلا أنه كان ممزوجا بعناصر هجينة من الثقافات الأخرى؛ إذ يمكن القول، أنه بقدر ماكان النشاط الفكري خلال العهد السعدي استمرارا للحركة الفكرية التي سبقته، بقدر ما كان مخاضا لحركة فكرية جديدة، وذلك نتيجة عدة عوامل، أبرزها :

- **رحلات الحج ورحلات طلب العلم**: حيث كان الحج مناسبة لطلب العلم ولقاء علماء الشرق الإسلامي، وذلك من أجل اتمام المعارف وتبادل الإجازات، كما أن رحلة الحج كانت لا تتوقف عند الحجاز فحسب بل تشمل الدول المجاورة من مصر والشام، وقد تطورت هذه الرحلات بالخصوص أيام الحكم العلوي، فكان العديد من رجال العلم سفراء لمثل هذه الرحلات: كالعياشي[1]، واليوسي[2]، وأحمد بن ناصر[3]، وأحمد القادري[4]، ومحمد (فتحاً) الفاسي، ومحمد بن الطيب العلمي الذي توفي بالقاهرة، وأحمد بن الخياط الذي مكث طويلاً في القاهرة أيضا، وأحمد الهلالي الذي ترك وصفاً شائقاً لرحلته العلمية[5] .

وإن هذا التواصل العلمي بين المغرب والمشرق، أسهم في نشاط وتطور الحركة العلمية والفكرية في المغرب، ويمكن أن نذكر في هذا الصدد الاهتمام بالتدوين بشكل عام، وب "**مؤلفات الأسانيد**" بشكل خاص، حيث أن المغاربة لم يعرفوا هذا النوع من التآليف إلا نقلا عن المشارقة الذين كان لهم اعتناء بسلسلة السند، فالمغاربة حسب الشيخ اليوسي "**غلب عليهم في باب العلم الاعتناء بالدراية دون الرواية**"[6] ، كما روى على لسان شيخه، قائلا: "**سألت شيخنا الأستاذ ابا عبد الله ابن ناصر يوما عن السند في بعض ما كنت آخذ عنه، فقال لي: إنا لم تكن لنا رواية في هذا وما كنا نعتني بذلك، قال: وقد قضيت العجب من**

---

[1] - انظر، عبد الله بن محمد العياشي، **ماء الموائد، الرحلة العياشية**، تحقيق وتقديم سعيد الفاضلي، سليمان القرشي، دار السويدي، أبو ظبي،ط1، سنة 2006م .

[2] - انظر، محمد العياشي بن الحسن اليوسي، **رحلة اليوسي(1690-1691م)**، تحقيق وتقديم أحمد الباهي، طبع المجتع التونسي للعلوم والآداب والفنون، تونس، ط1 سنة 2018 .

[3] - انظر، أحمد بن بن ناصر الدرعي، **الرحلة الناصرية(1709-1710م)**، تحقيق وتقديم عبد الحفيظ ملوكي، دار السويدي، أبو ظبي، ط1 سنة 2011

[4] - انظر، أحمد بن عبد القادر القادري، **نسمة الآس في حجة سيدنا أبي العباس**، تقديم وتحقيق المصطفى مدوحي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب ، سنة 2020م .

[5] - انظر، عبد العزيز بن عبد الله ، تواكب الفكرين الأدبي والصوفي بالمغرب، **مجلة التاريخ العربي**، جمعية المؤرخين المغاربة ، ع 25، 2003، ص 35

[6] - الحسن اليوسي ، **المحاضرات في الأدب واللغة** ، تحقيق وشرح محمد حجي وأحمد الشرقاوي إقبال ، دار الغرب الإسلامي ، ط3 سنة 2014م، ج1،ص 174 .

المشارقة واعتنائهم بأمثال هذا ، حتى إني لما دخلت مصر، كان كل من يأخذ عني عهد الشاذلية يكتب الورد والرواية والزمان والمكان الذي وقع فيه ذلك"[1] .

- **وفود علماء وفقهاء إلى المغرب**: حيث أسهمت مجموعة من العوامل في قدوم علماء وفقهاء مشارقة وأجانب للمغرب، منها ما ارتبط بالإضطرابات التي عمت تلك البلدان، ومنها ما كان رغبة في الاستزادة من علم المغاربة الذين بلغت شهرتهم الآفاق، فقصد بذلك العديد من علماء الأندلس والمشرق والمغارب المغرب الأقصى (خاصة الحاضرتين فاس ومراكش)، فاستقر بعضهم في المغرب مدة طويلة، ومنهم من جعل البلد موطنه الأخير، كالشيخ القصار؛ ويضاف إلى العاملين السالفين الجهود التي بدلها حكام الأسرة السعدية، بحرصهم على استقطاب علماء من الداخل والخارج، فوفد علماء كثر من تلمسان ووهران والجزائر، ومن قسنطينة وعنابة وتونس، واستقر معظمهم في فاس، وسكن بعضهم مراكز علمية أخرى في تطوان ومكناس ومراكش وتكَمدارت[2]، فكان لهذه الوفود تأثير على الحركة الفكرية والثقافة المغربية، بانفتاح الفكر المغربي على علوم جديدة: كعلم القراءات، والطب، والصيدلة، والترجمة، والموسيقى، وعلم المناظرة بين الأديان، والفلسفة .

- **دور النساخة في التلاقح الفكري بين المشرق والمغرب**: وخاصة بعد انتشار الطباعة بتركيا ومصر ولبنان، حيث كثرت المؤلفات، فتم استقدام كتب من المشرق الإسلامي ونسخها في المغرب، إذ حرص مجموعة من العلماء خلال رحلاتهم نحو المشرق بشراء العدد الكبير من الكتب وإغناء المكتبات المغربية، على رأسهم الشيخ محمد بن عبد السلام بن ناصر الدرعي والذي سعى لشراء كل ما استطاعه من الكتب الفقهية والعقدية، فعمر بها مكتبته بالزاوية الناصرية ، وتذكر المصادر أنه كان يبذل في ذلك كل ما يستطيع مهما كلفه ذلك ، فباسطمبول – مثلا - عرض على بائع كتب مائة وأربعين دينارا في نسخة من صحيح البخاري في مجلد واحد فأبى ، وفي مقابل ذلك اشترى مجموعة كتب قيمة أخرى[3] . فراجت بذلك مؤلفات العالم الإسلامي في المكتبات المغربية وبين صفوف طلبة العلم، وفي مجالس التدريس، وإن ما زاد من الإنتشار الكبير للنساخة في المغرب، هو الدعم الرسمي من طرف الدولة، الذي أسهم في انتشار وانتعاش النساخة خاصة خلال مرحلة السلطان المنصور السعدي، والسلطانيين إسماعيل وسيدي محمد بن عبد الله، وذلك من خلال منح الأعطيات والدعم المادي .

- **الدعم السلطاني في رواج التلاقح المشرقي والمغربي**، وهذا تقليد موروث من زمن الموحدين والمرينيين ثم السعديين فالعلويين، فقد قام السعديون بتشييد صروح علمية في فاس ومراكش وتارودانت خاصة، إذ خلص "محمد حجي" عند حديثه عن مدينة تارودانت، بأنها مثلت الجانب الحضري من الحياة العلمية في الجنوب المغربي أيام السعديين، لدرجة أن أصبحت تباري حاضرتي مراكش وفاس في ميدان

[1] - الحسن اليوسي ، **المحاضرات في الأدب واللغة** ، ج1، ص 175

[2] - محمد حجي، **الحركة الفكرية...** ، م.س. ج1 ص68

[3] - انظر، ابراهيم حركات ، **التيارات السياسية...** ، م.س. ص41

العلوم الشرعية واللغوية والأدبية[1] ، كما كانت مدينة مراكش مركز اهتمام السلطان المنصور السعدي، التي أولاها عناية خاصة في حضور مجالس العلم والعلماء بنفسه، كما أسهم سلاطين الدولة العلوية خلال القرنين 17 و18م في التلاقح الفكري المشرقي والمغربي، فبرز ذلك بالخصوص زمن الاستقرار السياسي خاصة مرحلة حكم السلطانين مولاي إسماعيل وسيدي محمد بن عبد الله، فالسلطان إسماعيل حرص على جلب العلماء ودعم حركة النسخ، أما السلطان سيدي محمد بن عبد الله فقد كان حريصا على تتبع نهج السلطان السعدي، في حرصه على دعم المجالس العلمية بقصره[2]، كما قام بدعم مناهج الدراسات الحديثية، حيث استفاد بشكل خاص من المساند التي استجلبها من المشرق، وكان مسند أبي حنيفة من هذه الكتب[3]، ويشير صاحب الإتحاف إلى أن هذا السلطان عمل على جلب مجموعة من المساند الأخرى من المشرق كمسند الإمام أحمد ومسندي الشافعي، كما أمر بشرح كتاب المعاني[4] .

❖ علماء الحركة الفكرية ودورهم ضمن حركة التأليف

عكست المؤثرات الثقافية والفكرية بآثارها وخاصة المشرقية على حركة التأليف في عموم المغرب، مما أدى إلى ظهور اتجاهات جديدة في التأليف، امتزج من خلالها النزوع الفقهي والتوجه الصوفي، فحملت حركة التأليف مسارات جديدة، حيث انتعشت الكتابة الشعرية، وألفت الدواوين إلى جانب انتشار التأليف في الحساب والفلك والطب والتاريخ والتراجم والأنساب والآداب، وغيرها من العلوم، وذلك بالرغم من الظروف الصعبة التي كان يعرفها المغرب، ويمكن القول أن هذا العامل بحد ذاته ساهم في نشاط حركة التأليف، فحسب تعبير محمد مزين "**يوافق الإنتاج الغزير فترات تشتت السلطة ومحاولات إعادة تشييدها، بينما يوافق الإنتاج القليل مراحل استقرار السلطة وتمركزها**"[5] .

وعموما، فنشاط حركة التأليف كان أهم ما ميز مرحلة القرنين 17 و18م، وبالرغم من طابع التقليد الذي ظل مهيمنا عليها، إلا أنها تطبعت بمظهر "المغربة" وذلك بالإنفصال عن المشرق، بالإعتماد على مؤلفات مغربية في تدارس العلوم وترك نظيراتها المشرقية، فعرفت المؤلفات نمطا جديدا في الكتابة والتأليف، تميزت بخصائص ثقافية جديدة، بالإعتماد على وحدة الموضوعات وعلى خصائص التصنيف، حيث بدأت تلوح ظاهرة التخصص في التأليف[6]، فتم إخراج مؤلفات في الشروح، والتعاليق، والفهارس، وكتب المناقب، والرحلات، والتاريخ، والفلك، والجغرافيا...، كما برز رجال في الشعر، وفي الفقه، وفي التصوف، وآخرون في الأنساب...، كما عرفت هذه الحركة ثورة من حيث الكم، حيث بلغت تآليف بعض

---

[1] - محمد حجي ، **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين** ، ج 2 ، ص413

[2] - انظر ، أحمد الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق وتعليق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، طبع ونشر دار الكتاب – الدار البيضاء ، سنة 1997م ، ج8 ، ص 67 .

[3] - أحمد الناصري، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى** ، م.س. ص43

[4] - عبد الرحمن ابن زيدان ، **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس** ، ج3، ص 150

[5] - محمد مزين ، الأدب الفقهي والأزمة (ق17) ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 34 ، **ضمن يوم دراسي "الأسطوغرافيا والأزمة – دراسات في الكتابة التاريخية والثقافة" (يوم 25 فبراير 1989)**، انجاز الجمعية المغربية للبحث التاريخي ، تنسيق عبد الأحد السبتي ، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء ط1 سنة 1994 ، ص 67

[6] - انظر ، عبد العزيز بن عبد الله ، تواكب الفكرين الصوفي والأدبي بالمغرب، **مجلة التاريخ العربي** م.س. ص 33

الكتاب العشرات، فمثلا بلغت مؤلفات "**أبي زيد عبد الرحمن الفاسي**"[1] مائة وسبعين مصنَّفا، شملت كل العلوم والمعارف بما فيها الطب والفلك، زيادة على التاريخ والتنجيم والكيمياء[2] .

وقد استجابت الحركة التأليفية من حيث المضامين لواقع المغرب الأقصى خلال المرحلة، فعبرت عن رؤية العامة إزاء واقعها[3] .

وقد حاز **مجال التصوف** قصب السبق في التأليف والوفرة في الإنتاج، وذلك راجع لما ناله من مكانة وانتشار، حتى أن المؤلفات واكبت التحول الذي شهده من "**التصوف العلمي**" إلى "**التصوف الشعبي**"، ونميز في ذلك بين مرحلة السعديين ومرحلة العلويين؛ فخلال العهد السعدي نجد مؤلفات علماء المغرب السعدي لا تقل في التصوف عنها في الفقه والتوحيد، إذ درسوا وشرحوا "صلاة الأنوار" لابن مشيش العلمي، و"أحزاب الشاذلي"، و"دلائل الخيرات" للجزولي، و"حكم" ابن عطاء الله الإسكندري، و"قصائد عبد الله الشقراطي التونسي"، و"أدبيات ابن الفارض المصري"، كما ألفوا كتباً مستقلة في مباحث متنوعة من التصوف، تمحورت حول مفاهيم وقضايا ترتبط بمراتب الأولياء، وحقيقة القطبانيَّة ، وآداب المريد، وأسرار العبادات، وحكم الجهر بالذكر، والسماع، والرقص عند التواجد، وما إلى ذلك من أدعية وأوراد[4] . أما مرحلة العلويين، والتي واكبت مرحلة "التصوف الشعبي"، فقد انتشرت بشكل كبير مؤلفات المناقب والتراجم والأنساب، والمؤلفات التي تحارب البدع والطوائف البدعية، بسبب انتشار طقوس جديدة بعيدة عن حقيقة التصوف، كما يمكن القول، أن ما عرفه المغرب من أزمات على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي حرك مجال الإسطوغرافيا[5]، فنشط التأريخ لتلك الأحداث .

كما نشط **مجال الشعر والأدب**، واللذان شهدا بدورهما تحولا في المواضيع من حيث المضمون ارتباطا بالأوضاع العامة التي شهدها المغرب أنذاك، فعبرا عن قضايا الذات والمجتمع، كالحماس السياسي في المعارك والحروب، والدفاع عن مجال الانتماء، والتحسر على ضياع المدن وخرابها، فشمل التحسر مدنا صارت تحت الاحتلال المسيحي (كسبتة ومليلية)؛ وفي الشق الديني من الشعر انتشر شعر المديح النبوي في رحاب المساجد والزوايا، وأبرز نموذج عبر عن هذا المدح: أشعار "المرابط الدلائي"، وأبي سالم العياشي" و"عبد الرحمن الفاسي"، كما انتشر مدح الأقطاب والأولياء والعلماء، كما شمل المدح السلاطين وذكر إنجازاتهم، والملاحظ في هذا الشأن أن شعر المولديات ساد بشكل بارز طيلة القرن 17م والعقود الأولى من القرن 18م، بينما ساد المديح السياسي في العقود الموالية[6]؛ كما انتشر شعر التوسل، الذي سار جنبا إلى جنب مع شعر المدح، نذكر نموذج منظومة أبي سالم العياشي" **وسيلة العريق بأئمة الطريق**" قصيدة يتوسل

---

[1] - من أبناء الشيخ عبد القادر الفاسي (ت1036هـ) .

[2] - انظر، عبد العزيز بن عبد الله ، تواكب الفكرين الصوفي والأدبي بالمغرب ، **مجلة التاريخ العربي** ، م.س. ص 35

[3] - انظر، عبد الله بنصر العلوي ، **الواقع الفكري في فجر الدولة العلوية** ، م.س.، ص198

[4] - محمد حجي، **الحركة الفكرية في المغرب على عهد السعديين**، ج 1، م.س. ص. 146.

[5] - انظر ، محمد مزين، الأدب الفقهي والأزمة (ق17) ، **م.س**. صص 61-74

[6] - أحمد العراقي، من قضايا الفكر لدى المؤلفين المغاربة زمان محمد الثالث وابنه سليمان (1757- 1823)، **ندوة الحركة العلمية العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن 19م** ، م.س. ص86

فيها بشيوخه في التصوف ويذكر أسماؤهم وأسانيدهم وعلومهم، أيضا "**هالة البدر في التوسل بأهل بدر**" يتوسل فيها بالصحابة من أهل بدر المهاجرين منهم والأنصار[1] .

كما برز **أدب الرسالة**، كنوع جديد من التأليف، فعبرت عن القضايا الاجتماعية والدينية والسياسية المستحدثة، نموذج رسائل اليوسي والعياشي، وغيرها، كما ساهم هذا الأدب في تطور المخاطبات الإخوانية بين علماء المرحلة .

كما ظهرت **تآليف الأنساب**، فبرز مختصون في علمها لهم دراية كبيرة بشجرة الأنساب المختلفة ، خاصة وإن هذه المسألة وان كانت مرتبطة بتحديد الأنساب، إلا أنها اتخذت بعدا سياسيا، خاصة مع بروز مسألة "التشرف" أي إدعاء النسب الشريف، فتدخل سلاطين الدولة العلوية بأنفسهم لأجل تحديد الأنساب، وعلى العموم فتآليف الأنساب كثرت وتعددت في أسر شريفة بالذات وخاصة تلك التي كانت الأكثر شهرة، والتي كان أصحابها من بيوت علم .

وأما ما خص **تآليف النوازل**، فالفقهاء بثوا من خلال نوازلهم قضايا المجتمع للبحث عن الحلول، فجاءت حركة التأليف النوازلي لإضفاء صفة الشرعية، سواء في جانبها الديني لبعض المستجدات، أو في الشق السياسي استجابة لضغط السلطة السياسية مستفيدة من دعم تحركها في اتجاه معين، باعتبار النازلة هي فقهية والفقه سلطة لا يمكن أن يعلو عنها المجتمع أو يتجاوزها[2]، فظهرت عدة نوازل نسبت لأصحابها الذين بثوا فيها رأيهم الفقهي، نموذج نوازل القصار، وأجوبة عبد القادر الفاسي، ونوازل عيسى السكتاني، وغيرها؛ ولقد كان لعامل الأزمة خلال القرن 17م دور في غزارة الإنتاج النوازلي، إذ ارتبطت ارتباطا وثيقا بما تفرزه الجدلية القائمة بين الجانب الممارس للسلطة والجانب المدعم لها ولمشروعيتها[3] .

إن هذه الحركة التأليفية جعلت الحركة الفكرية بالمغرب خلال القرنين 17 و18م أمام تنوع يشمل الاهتمامات الدينية والأدبية والسياسية والتاريخية، وهذا التنوع عكس التطور الثقافي الذي عرفه المغرب، كما أبرزت العديد من الأعلام العلماء والصوفية والفقهاء الذين أثروْا الحركة الفكرية بالمغرب خلال المرحلة .

❖ مناهج التدريس ودورها في تطور الفكر الديني

إن دور مناهج التدريس، عنصر لا يقل عن غيره فيما تركه من تأثير على الثقافة والفكر الصوفي والفقهي والأدبي بمغرب القرنين 17و18م، فإذا علمنا الكتب التي كانت تتداول والعلوم التي تدرس، سنفهم المسار الفكري العام الذي صارت ضمنه الحركة الفكرية والثقافية في المغرب أثناء المرحلة؛ فالقرن 16م كان امتدادا لما أسسته دولة المرينين وما أقرته من التدريس في مدارسها، رجوعا لكبار الفقهاء

---

[1]- عبد الله بنصر العلوي، أبو سالم العياشي- المتصوف الأديب، مجلة **دعوة الحق**، العدد 308 مارس 1995م، ص 139

[2] - محمد مزين ، الأدب الفقهي والأزمة (ق17) ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 34، **ضمن يوم دراسي الأسطوغرافيا والأزمة** ، م.س. ص ص 61-74

[3] - **المرجع نفسه**، ص 66

والعلماء أنذاك؛ ولمعرفة مناهج التدريس التي كانت سائدة خلال المرحلة، يكفي تتبع أيام الدراسة بالقرويين[1]، لأن الأمر كان يسري على باقي المؤسسات التعليمية والمساجد والزوايا بالمغرب[2] .

ويمكن تحديد أهم العلوم وأبرز المؤلفات التي كانت تدرس، وهي:

- **علم التفسير:** حيث كان يدرس من خلال مجموعة من المؤلفات التي اتخذت مرجعا ودليلا، على رأسها "المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز" لابن عطية (المتوفى سنة 542 هـ)، وتفسير الفخر الرازي (ت606هـ) ، وتفسير السيوطي (ت 911هـ)[3] .

- **الفقه:** ويدرس من خلال مجموعة من المصادر على رأسها: "**مختصر الشيخ خليل**"[4] (ت 776هـ)، والذي يعتبر عمدة مذهب المالكية، حيث أسهم فقهاء المغرب في بيان مسائله وتحرير أصوله وأقواله وفي مقدمتهم ابن غازي وابن عاشر وابن قاسم جسوس والتاودي ابن سودة وابن الحسن بناني ...[5]، وقد اشتهر مختصر خليل لدى عامة الشيوخ والطلاب، حيث تبرز الأهمية الكبرى لهذا المؤلف باعتماده ضمن الإجازات الشرعية التي تخول لكل متخرج من المدارس ضرورة حفظه وفهمه[6]؛ إظافة لمؤلفات "**لامية الزقاق**" (ت912هـ)، و"**رسالة إبن أبي زيد القيرواني**" (ت 389هـ)، و"**المرشد المعين**" لابن عاشر الأندلسي الفاسي (ت1040 هـ) .

- **علم الحديث:** ويدرس من خلال "**صحيح البخاري**"، "**صحيح مسلم**"، "**شمائل الترمذي**"، ثم "**الأربعين النووية**"، إظافة لكتاب "**الشفا**" للقاضي عياض (ت 544 هـ) .

- **التوحيد:** ويدرس من خلال كتاب "**العقيدة الكبرى**" للسنوسي (ت895هـ)، و"**الوسطى**"، و"**الصغرى**" .

---

[1]- انظر، عبد الهادي التازي، **جامع القرويين- المسجد والجامعة بمدينة فاس** ، موسوعة لتاريخها المعماري والفكري، دار نشر المعرفة ، الرباط ، ط 2 سنة 2000، ج2 ، ص ص 421- 427 .

[2]- فقد ألفت كتب أثناء المرحلة تصف بعض أحوال الدراسة والمدرسين بالمغرب، وأنواع الكتب والعلوم المدروسة وقيمة المدارس ودور العلم، من خلال الترجمة لأساتذتها ومن خلال استقراء بعض نصوص الكتاب بالتاريخ الفكري والتي تتعلق أساسا بمدينة فاس في نهاية القرن السابع عشر وطيلة القرن الثامن عشر، نموذج كتاب "**الإكليل والتاج**" لمحمد بن الطيب القادري .

[3]- عبد الهادي التازي، **جامع القرويين** ...، م.س. ج2 ص 422 .

[4] - هو "**مختصر العلامة خليل في فقه الإمام مالك**"، للشيخ خليل بن اسحاق بن موسى بن شعيب المالكي المصري المعروف بالجندي، توفي سنة 776هـ ويعتبر المؤلف من أشهر المختصرات الفقهية على مذهب المالكية .

[5]- عبد الهادي التازي، **جامع القرويين** ج 2 ، هامش رقم 41 ، م.س. ص 466 .

[6]- فمن خلال سيرة كل علماء المغرب خلال القرنين 17 و18م يتضح مدى أهمية ومكانة هذا المؤلف ضمن العلوم الدينية، بحيث أن كل طالب متخرج لمراحل تكوينه العلمي، فلابد له من إجازة تتبث حفظه وفهمه لهذا الكتاب، وسنقف في بيان هذا الجانب عند التطرق لسيرة علماء وصلحاء مدينة فاس ضمن أبواب فصول لاحقة .

- **السيرة النبوية:** وتدرس من خلال كتاب "**الشفا**"، وكتاب "**الاكتفا بسيرة المصطفى**" لأبي الربيع الكلاعي[1] (المتوفى سنة 634 هـ)[2] .

- **الأصول:** ويدرس من خلال كتاب "جمع الجوامع" للسبكي (ت771هـ) .

- **النحو:** وعلى رأس الكتب التي كانت تدرس، كتب ابن مالك (ت672هـ)، وهي : "**ألفية ابن مالك**" و"**تسهيل الفؤائد وتكميل المقاصد**"، والذي كان من أعظم الكتب في النحو[3] ، إظافة إلى كتاب "**لامية الأفعال**" .

- **البلاغة :** وتدرس من خلال "**التلخيص**" للقزويني (ف 626 هـ)، و"**المطول**" للسعد التفتزاني .

- **علم الكلام أو المنطق:** تم الاهتمام بهذا العلم بالرغم من جانب التحفظ الذي كان يبديه بعض الفقهاء، إلا أنه انتشر وألفت فيه المناظرات والمساجلات ويدرس من خلال كتاب "**السلم المرونق**" للأخضري (ت 983 هـ)، و"**مختصر السنوسي**" (ت895هـ) الذي كان عمدة العلماء والطلاب[4] .

- **التصوف:** احتل مكانة الصدارة خصوصا في مدارس وجامعة فاس، التي كان ومنذ منذ القرن 15م يشكل جزءا مهما من مناهج الدراسة بين أسوارها، وذلك من خلال عدة مؤلفات في مقدمتها "**النصيحة الزروقية**" للشيخ زروق (ت 899 هـ)، و"**الحكم العطائية**" لابن عطاء الله الإسكندري الشادلي (709هـ) .

- **علم التوقيت:** وذلك للحاجة إليه في الصلاة والصيام، وقد اعتمد العلماء على أقدم ما عرف من الكتب في الموضوع، على رأسها: منظومة في التوقيت لأبي محمد عبد الله البطيوي السوسي، المعروف "**بأبي مقرع البطيوي**" (ت 731هـ)، والتي تقع في 242 بيتا، وقد اهتم العلماء بهذه المنظومة وكتب لها الانتشار في الحواضر العلمية، فأصبحت المحور في علم المواقيت، دراسة وتدريسا وشرحا واختصارا؛ فهذا العلامة السوسي محمد بن سعيد المرغيتي (توفي1089هـ) اختصرها في 99 بيتا باسم "**المقنع في اختصار نظم أبي مقرع**"، ثم شرح اختصاره في "**المطلع على**

---

[1]- هو سليمان بن موسى بن سالم بن حسان الكلاعي الحميري، أبو الربيع(توفي 634هـ/1237م) محدث الأندلس وبليغها في عصره ، من أهل بلنسية التي تولى قضاءها؛ انظر، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، تحقيق آلتي قولاج طيار، طبع ونشر مركز البحوث الإسلامية التابع لوقف الديانة التركي، استانبول تركية،سنة 1995م، المجلد 3 ص ص 1238 – 1239 .

[2]- محمد الصغير الإفراني، **صفوة ما انتشر ...**، م.س. (قسم الدراسة)، ص12

[3]- انظر، حسن جلاب، تسهيل الفزائد (لابن مالك الأندلسي وشروحه العلمية) ، **مجلة دعوة الحق**، عدد 323، نونبر 1996م، النسخة الالكترونية ، ص 83- 84

[4]- انظر، عبد الهادي التازي ، **جامع القرويين...** ، م.س. ج2 ، ص422 .

مسائل المقنع"[1]، إظافة إلى مؤلفات الفقيه الفلكي "**أبو زيد عبد الرحمن الجادري**" (ت818هـ)، على رأسها "**روضة الأزهار في علم وقت الليل والنهار**"[2] .

- **العروض:** ويدرس من خلال كتاب "**الخزرجية**" لأحمد بن مسعود الخزرجي (ت 601هـ) .

وحول هذه المناهج التي اعتمدت في تدريس طلبة العلوم الدينية خلال القرنين 17 و18م والتي تضرب بجذورها ضمن المرحلة الوسيطة، لا بد من ذكر **بعض الملاحظات**، وهي:

- أن هذه المناهج ارتبطت بشكل كبير بمسار التدريس بالمشرق الإسلامي الذي أسس لنظام التعليم الشرعي، وهوما نلمسه من ناحية الكتب والمؤلفات التي تدرج ضمن المناهج، بل حتى جانب المختصرات والشروحات فقد قلد المغاربة المشارقة في ذلك، إذ يعتبر الفقيه عبد الله بن عبد الحكم بن أعين المصري(ت 214هـ/829م) أول من تصدر لاختصار المؤلفات الفقهية، بمؤلف جمعه من شيوخ مصر الثلاثة، وهم: ابن وهب وابن القاسم وأشهب[3]، ومن هذا التاريخ بدأت مسألة المختصرات تغزو مجال الفقه الإسلامي، مما جعل التعليم بالمغرب تابعا للمشرق إلى حدود القرن 18م .

- أن التدريس بالمغرب خلال المرحلة الحديثة، كان استمرارا لمرحلة العصر الوسيط، دون أي تغيير يذكر، خصوصا أن الموحدين والمرينيين كانوا هم من بنوا المدارس الأولى بالمغرب، ووضعوا أسس التدريس وفق تنظيم محكم ومشروط، كما حددوا المناهج، التي عرفت جمودا استمر إلى غاية مرحلة القرنين 17 و18م، حيث غلب عليها جانب الحفظ والاستظهار، سواء الكتب الفقهية أو العقدية أو غيرها .

- اعتماد المختصرات ومختصرات المختصرات ضمن المناهج، إلى أن صارت أساس ما قامت عليه طرق التدريس[4]، وقد كان الاعتماد عليها هو الأصل حتى صارت بديلا عن أمهات الكتب الفقهية والعقدية، الشئ الذي أضر بالفقه ضررا بليغا، كان من أثره أن الناظر في هذه المختصرات لا يستطيع إدراك سر ما قصده المختصر[5] .

---

[1] - طبع هذا الشرح باسم "**الممتع في شرح المقنع في علم أبي مقرع**"، عن المطبعة العصرية، لبنان ، ط1 سنة 2009م .

[2] - وهي أرجوزة طبعت بشرح "**قطف الأنوار من روضة الأزهار**" للعلامة عبد الرحمن السوسي البعقيلي، قام بشرحها العلامة أحمد بن حميدة المطرفي سماه "**لباب الفضة في شرح روضة الأزهار في علم وقت الليل والنهار**"، كما شرحها شيخ الفلكيين الحبّاك الجزائري سماه "**تفجير الأنهار خِلل روضة الأزهار**".

[3] - انظر ، عياض بن موسى السبتي (الملقب بالقاضي عياض ت544هـ)، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك، تحقيق** عبد القادر الصحراوي، مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب الطبعة: الأولى سنة 1966 ج3 ص 365 .

[4] - عبد الله بنصر العلوي ، الواقع الفكري في فجر الدولة العلوية ، **ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن 19م** ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الأول، وجدة رقم 8 ، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 3 ص192 .

[5] - انظر، عمر الجيدي، دعوة إلى نبذ المختصرات الفقهية في عهد الدولة العلوية ، **مجلة دعوة الحق**، تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب، عدد 227 ، سنة 1983 ص 261 .

- التحفظ عن تدريس العلوم العقلية المحضة من قبيل الفلسفة والمنطق، وإن كان المنطق ضمن مواد التدريس فقد كان يقتصر في تدريسه عند المبادئ الأولية، أما الفلسفة فقد كان علما محضورا ومن برع فيه لا يلقى استحسانا من أساتذته وزملائه، ونضرب مثالا عن هذا، ما ذكره "القادري" في ترجمة "محمد بن سليمان الروداني" (ت1095) الذي لقي شيخه "محمد بن عبد الله معن"، بعد أن مهر في علم الحكمة (أي الفلسفة)، وغيرها: كالهيئة والتنجيم والحساب والمنطق، فزجره عن تعاطي هذه العلوم وما أشبهها، أشد الزجر[1]

ثانيا: أسس الحركة الصوفية في المغرب خلال القرنين 17-18م

1- مسار تطور التصوف بالمغرب خلال المرحلة الحديثة

شهد التصوف المغربي منذ بداياته محطات أساسية، يمكن تقسيمها إلى مرحلتين أساسيتين، يفصل بينهما الشيخين أحمد زروق ومحمد بن سليمان الجزولي[2]، إذ يمكن الحديث عن مرحلة ما قبل الشيخين ومرحلة ما بعدهما، وذلك للطابع المغربي الذي بصم الحركة بعدهما، إذ يجمع معظم الدارسين على وصف هذه المرحلة ب"**مغربة التصوف**"، وإن كان جذور ذلك تعود إلى الشيخ عبد السلام ابن مشيش، إلا أن جانب "المغربة" برز مع الشيخين الجزولي وزروق، فعبر كل منهما عن شقي التصوف: "التصوف الشعبي" في مقابل "التصوف العلمي" .

ويمكن القول عن بدايات التصوف ك "**منهج**" و"**طريقة**"، فتجمع الدراسات على أنه انطلق من الحواضر، من خلال "الجزولية والزروقية" والتي كانت من مدينتي فاس ومراكش، بحكم احتكارهما للزعامة السياسية والعلمية والتعليمية، لكن هذا الإحتكار لم يستمر طويلا، إذ إن التصوف الحضري رغم قوته لم تكتب له السيرورة، وذلك راجع للأزمات التي عرفتها المجالات الحضرية، وهذا الانتقال المجالي كان عاملا رئيسيا في تحول التصوف، سواء على مستوى الفكر أوالممارسة، فعرف هزات أدت في العديد من مراحل تطوره إلى إنحراف عن مساره العلمي والسني، فأدى ذلك إلى بروز تيارات صوفية شعبية نافست نظيراتها العلمية بل ودخلت معها في صراع كانت الغلبة في كثير من محطاته للتصوف الشعبي، مما دفع بالتصوف العلمي إلى الاعتراف بالتصوف الشعبي وقبوله ضمن دائرة التصوف، وذلك بإحداث نوع من المزاوجة من خلال تأطير التصوف الشعبي ليسيرا جنبا إلى جنب؛ وهذه المزاوجة هي ما جعلت "الفرد بيل BEL" يفترض أن التصوف بدأ حضريا ثم توقف عن التطور، مما فسح المجال لظهور ثم لتطور التصوف الشعبي، بحيث نزل الشيوخ بالتصوف إلى المستوى الشعبي الذي يسميه التصوف المرابطي (أي

[1]- ماربة دادي، ملاحظات حول مناهج الدراسة والتدريس في القرن (12هـ-18م) من خلال كتاب الإكليل والتاج لمحمد بن الطيب القادري، **ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن 19م**، م.س. ص216 .

[2]- اتخذنا هذا التقسيم والذي تم اعتماده من قبل معظم الباحثين، باعتبار أن الشيخين زروق والجزولي أحدثا تغيرا جذريا ضمن منظومة التصوف المغربي .

المرتبط بالرباطات)[1]، وقد رد "الشاذلي" على هذا الرأي بالقول بأن الفرد بيل فصل بين المرحلتين فصلا اعتباطيا ولم ينتبه إلى أن التصوف المدني (الحضري) لم يفقد في مرحلة من مراحله شيوخا وموجهين، ذلك أن تأثير الشيوخ الحضريين لم ينقطع، إلا أن التصوف عرف مستوى جديدا من التطور تمثل في تكيفه مع متطلبات المجتمع، بل مع بنيات المجتمع وحاجاته[2] .

وعموما، يمكن تقسيم مرحلة ما بعد الشيخين زروق والجزولي إلى ثلاثة مراحل :

- **المرحلة الأولى** (القرن 16م)، وهي مرحلة ما سماه أحمد بوكاري "**تصوف الكمون**" أو "**الخمول**"[3]، حيث اقتصر الجانب الصوفي خلال هذه المرحلة بالجانب التعبدي دون الحركي، فتميز التصوف بالإثراء أكثر من التجديد، وارتبط بالبحث في سير المتصوفة، وقد انعكس ذلك على حركة التأليف التي تميزت بانتشار مؤلفات التراجم والأنساب .

- **المرحلة الثانية** (القرن 17م)، وهي مرحلة تطور التصوف لحركة صوفية، فبرغم كل الظروف التي كان يمر منها المغرب أنذاك، إلا أن عطاء التصوف استمر، فتطورت مؤسسات الزوايا وتفرعت لزوايا علمية وزوايا شعبية، مع غلبة الكفة للزوايا العلمية، كما تمايزت في فروعها عن الجزولية والزروقية، فتعددت الطرق والطوائف، كما استمر تصوف الكمون، وتواصلت عملية إنمائه وإغنائه وإحيائه سواء على مستوى أفراد أو جماعات محدودة، أو في إطار حلقات التعليم داخل بعض الزوايا وفي رحاب بعض المساجد الكبرى[4]، وهو ما غذى المناخ في تنامي الطرق الشعبية، والتي أسهمت في تكاثر وظهور زوايا جديدة؛ وما ساعد في تطور الحركة الصوفية بما صارت عليه كان عامل الإضطرابات التي سادت طيلة القرن خاصة في المدن الكبرى كمدينة فاس ومراكش، وهذا بدوره أسهم في توسع مجال التصوف عن طريق هجرة العلماء والصوفية، كما أسهم في بروز ونشاط مراكز تصوف خارج المجال الحضري، كالزاوية الدلائية والسملالية والوزانية وغيرها من الزوايا، مما أدى إلى بروز ظاهرة "**المدن الزوايا**[5]" .

- **المرحلة الثالثة** (القرن 18م)، وهي مرحلة نشاط وتفرع الزوايا وتكاثرها، خصوصا الزوايا الشعبية، وخاصة خلال النصف الثاني من القرن 18م، والتي مثلت مرحلة الاستقرار السياسي، وذلك راجع إلى تمام نضج التيار الصوفي، حيث عرف الفكر الصوفي طفرة نوعية، فبلغ العطاء الصوفي قمته آنذاك، سواء من حيث النوع أو من حيث الكم، كما تميز بالتجديد والإبتكار والتنوع في المواضيع.

---

[1] - A. . Bel *: la religion musulmane en Berberie*, Esquisse d'histoire et de sociologie religieuse; du VIIe au xxe siècl ; Paris, Geuthner, 1938; p346

[2] - انظر، عبد اللطيف الشاذلي ، **التصوف والمجتمع** ...، م.س ،ص74

[3] - انظر، أحمد بوكاري ، **الإحياء والتجديد ...**م.س. ج1، ص45

[4] - **المرجع نفسه** ، الصفحة نفسها .

[5] - لأجل فهم الترابط الذي يجمع بين الزاوية والمدينة ، في إطار الوجود والتكامل ، انظر جمال بامي، العمران الصوفي بين الأسطورة والتاريخ، مجلة أمل العدد 41، ضمن ندوة **التصوف في المغرب : قراءة وتأويلات** ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، سنة 2013م .

2- جذور التصوف المغربي: القادرية والشاذلية والتصوف المغربي خلال القرنين 17 و18م

تعتبر كل من الطريقتين الشاذلية والقادرية رحما الطرقية بالمغرب، إلا أن حظ الطريقة الشاذلية من الإنتشار بربوع المغرب كان أوفر من نظيرتها الطريقة القادرية، فإذا استحضرنا التراث القادري أمام التراث الشاذلي – خاصة عند المرحلة المخصصة بالدراسة القرنين 17 و18م، فالأول لا يكاد يذكر أمام الثاني، لذلك اعتبرها البعض أنها والدة الطرق الصوفية المغربية[1]، بسبب ما نالته من إقبال من طرف صوفية المغرب؛ وإن هذا الحضور للشاذلية لم يكن لينحي حضور القادرية، إلا أن الملاحظ هو أن شهرة الشيخ القادري بالمغرب والاعتراف بقطبانيته فاق طريقته، وهو ما جعل العديد من الباحثين يعتبر حضورها في المغرب كطريقة للتبرك أكثر من حضورها كطريقة سلوكية، مما جعلها تنتشر في الأوساط الشعبية أكثر منه في الأوساط العلمية[2] .

وعموما، فقد تباينت الطوائف والطرق الصوفية في الإنتشار خاصة فيما بين فرعي الشاذلية الزروقية والجزولية، أما ما خص الطريقة القادرية، فحضورها لم يكن بثقل الشاذلية، بالرغم من قدم وجودها والذي يعود للمرحلة الوسيطة، فكتب التراجم المغربية الخاصة بالأولياء، لا تحوي في طياتها سوى اشارات ضئيلة جدا عن رجالات القادرية[3]، وذلك بالرغم من وجود زوايا قادرية تأسست منذ العهد المريني، إلا أنها ظلت مجرد مؤسسات لاجتماع أحفاد القطب الجيلاني الذين وفدوا على المغرب منذ القرن 14م، فبالرغم من محاولة القادريين تأسيس زوايا كمؤسسات صوفية إلا أنها كانت قاصرة عن تحقيق أساسها الطرقي، ففي مدينة فاس ومع تأسيس الزاوية القادرية الثانية[4] كزاوية قائمة الذات خلال القرن 17م، إلا أنها لم تبرز بعطائها الصوفي المستقل أنذاك، وذلك راجع إلى إقبال القادريين في الإنتماء لطرق صوفية شاذلية على رأسها الطريقة الفاسية والمعنية[5]، ويظهر أن ما حققته القادرية طيلة المرحلة الحديثة لم يكن سوى في بروز معالم قادرية في نهج الزاوية الفاسية أثناء تطورها، وذلك من خلال المزج بين تعاليم الشاذلية والقادرية كسلوك صوفي عن طريق الأوراد والأذكار، ولن يتحقق لها البروز كطريقة مستقلة إلا عند نهاية القرن الثامن عشر، حيث ستتفجر مبادئ القادرية من أكبر ثورة صوفية وهي الطائفة الدرقاوية، وهذا الظهور المتأخر للطريقة القادرية بالمغرب، هو ما جعل "ابراهيم حركات" يرى أن الطريقة القادرية هي طريقة متجدرة بالمجال المغربي وغيابها لم يكن سوى كمونا مرت منه، وذلك

---

[1] - محمد العربي بن يوسف الفاسي الفهري، **مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن (ونبذة عن نشأة التصوف والطريقة الشاذلية بالمغرب)**، دراسة وتحقيق محمد حمزة الكتاني ، منشورات رابطة أبي المحاسن ابن الجد (3) ط1 سنة 2003 ، ص20 .

[2] - انظر، أحمد بوكاري ، **الإحياء والتجديد** ، م.س. ج2، صص 108-109 ، حيث استعرض مظاهر التأثير القادري في التصوف الشعبي، وما ارتبط من استحضار شخصية القطب واسقاطها على عدة أماكن تحولت لأضرحة وتبرك ، بدعوة أن الشيخ قد حضرها .

[3] - أحمد الوارث، **الأولياء ودورهم الاجتماعي والسياسي خلال ق16م**، رسالة جامعية لنيل دبلوم الدراسات العليا ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس سنة 1988، ج1 ص219 .

[4] - والكلام عن الزاوية الثانية التي أسسها محمد بن علي القادري (1085-1162/1674-1749) في حي رأس الجنان من عدوة فاس القرويين، وهي غير الزاوية الأولى التي ينسب تأسيسها إلى السلطان المريني المستعين بالله عند سنة 762هـ .

[5] - انظر ، أحمد بوكاري ، **الإحياء والتجديد الصوفي في المغرب** ، م.س.ج2 ص 102.

بدليل تمثلها في الزوايا المتفرعة عنها والناشئة خلال المرحلة الحديثة، تلك التي أنشأ كل منها أوراده وطقوسه واختط لنفسه اتجاها سياسيا معينا[1] .

➢ الطريقة الشاذلية بالمغرب وإمتدادها الطرقي إلى غاية القرن 18م

تنسب الطريقة الشاذلية للشيخ أبي الحسن الشاذلي تلميذ الشيخ عبد السلام ابن مشيش، ولم يخلف الشاذلي كتبا بل ترك العديد من التلاميذ الذين قاموا بجمع ما آثر عنه من كلام، وما علمهم من أذكار وأدعية، والتي كانت عبارة عن أحزاب شكلت فيما بعد بنيان الطريقة الشاذلية[2]؛ وأهم هذه الأحزاب:حزب الفتح (ويسمى أيضا حزب الأنوار)، حزب الآيات، حزب البحر، حزب البر(المعروف بالحزب الكبير)، حزب الشيخ الشاذلي المعروف بحزب النصر، حزب الطمس على عيون الأعداء، حزب اللطيف، وحزب صلاة الفتح .

وقد اعتمدت الشاذلية على منهاج الكتاب والسنة ولم تنحرف عنهما، وهو ما يشرح قوة بنيانها؛ فالشيخ الشاذلي كان باستمرار يأمر ويحث أتباعه على إتباع الكتاب والسنة، مخاطبا اياهم بخطابات صريحة، منها: "**ما ثم كرامة أعظم من كرامة الإيمان ومتابعة السنة**"[3]، وأيضا له العبارة المشهورة والتي تحث على التمسك بالسنة مهما بدا للمريد من أمور غيبية :"**إذا عارض كشفك الكتاب والسنة فتمسك بالكتاب والسنة ودع الكشف، وقل لنفسك إن الله قد ضمن لي العصمة في الكتاب والسنة، ولم يضمنها لي في جانب الكشف ولا الإلهام ولا المشاهدة**"[4] .

ولأجل استكمال نسق الطريقة الشاذلية في شقيها الفكري والعملي، فقد اتخذ الشيخ الشاذلي مجموعة من المؤلفات التي اعتبرت كتبا خطت معالم الطريق الصوفي، وهي كتب تجمع بين الفقه والعقيدة والتوحيد والإيمان، على رأسها: **"قوت القلوب"** لأبي طالب المكي، و**"إحياء علوم الدين"** للغزالي(ت505هـ)، حيث كان يوصي الشيخ مريديه وتلاميذته بقراءتهما، قائلا لهم : "**عليكم بالقوت فإنه قوت**"، و"**كتاب القوت يورثك النور**"، و"**كتاب الإحياء يورثك العلم**"، كما كان يقرأ "**الرسالة القشيرية**" لأبي القاسم عبد الكريم القشيري (ت465هـ) ويشرحها، وكان ينصح بقراءة "**الشفاء**" للقاضي عياض(ت544هـ)، وقد كان كتاب**"المحرر الوجيز"** لابن عطية (ت541هـ) المفضل لديه في التفسير[5] .

وإن هذا الجمع بين العلم والسلوك هو ما جعل الطريقة الشاذلية جامعة بين الحقيقة والشريعة، وهو ما كتب لها الإستمرار وقوة الإنتشار، بحيث لم تنافسها أي طريقة جاءت بعدها في المغرب، فجل الطرق الصوفية التي سادت وانتشرت في المغرب كانت تتفرع عن الشاذلية إما جزولية أو زروقية، مشكلة شبكة طرقية تغطي الساحة الصوفية بالمغرب خلال القرنين 17-18م، فكانت بذلك الشاذلية هي الأساس

---

[1]- انظر، ابراهيم حركات ، **التيارات السياسية والفكرية بالمغرب** ... ، م.س. ص57

[2] - للاطلاع على هذه الاحزاب ، انظر، عبد الحليم محمود " **النفحة العلية في أوراد الشاذلية**" ط مكتبة المتنبي القاهرة ، ط1 دون سنة الطبع .

[3]- عبد الحليم محمد ، **النفحة العلية...** ، م.س. ص 74

[4]- **المرجع نفسه**، ص 75

[5]- عبد الحليم محمد ، **النفحة العلية...** ، م.س ، ص 49

الذي شيد التصوف المغربي عليها بنيانه؛ وقد امتدت الشاذلية عن طريق الشيخين زروق والجزولي اللذان عاشا خلال القرن 15م، فبذرا من جديد أرض التصوف في مغرب القرن16م، وحفاظا منهما على نمو هذه البذرة خلف كل منهما وارثا لحاله، فكان الوارث بالنسبة للشيخ للجزولي هو الشيخ عبد العزيز التباع (ت914هـ -1509م)، وبالنسبة للشيخ زروق كان الشيخ أحمد بن يوسف الملياني (ت1521م)، وهما بدورهما خلفا وارثين آخرين وعشرات المشايخ ومئات الأتباع غطوا مختلف أرجاء المغرب[1]، وبذلك يكون التصوف المغربي شهد مرحلة جديدة مع فروع الجزولية والزروقية، حيث أسس المريدون والأتباع زوايا تخرجت منها طوائف عدة، حملت أسماءهم حتى كادت تطغى على اسم الشيخين- الجزولي وزروق - .

ويمكن القول، أن نهج الشيخ الجزولي عرف استقطابا وجذبا أقوى من نظيره الشيخ زروق، وذلك بالرغم من شهرة هذا الأخير في بلاد الإسلام شرقا وغربا، ولهذا التباين بين الشيخين، أسباب جوهرية ونتائج متباينة، فالأسباب تمحورت حول طبيعة وخصوصية النهج الصوفي لكل منهما، فالشيخ زروق كان نهجه الصوفي حكرا على الخاصة من أهل العلم، مما جعل أفكاره لا تجد سبيلا إلى التأثير على عامة الناس الذين اكتفوا بفكرة غائمة عن الشيخ زروق وتعاليمه الصوفية، وهذا ما قصر مذهبه على الدائرة الضيقة من الطبقة الأولى من أتباعه في حياته، ولم يقدّر الذيوع والانتشار بعد وفاته إلا لوظيفته[2]، بينما نهج الشيخ الجزولي كان يقوم على البساطة، مما جعله أقرب للعوام التي انسابت وانساقت للخطاب الجازولي، فكتب بذلك لهذا التيار التوسع والانتشار السريع، فكان من نتائج ذلك اضمحلال الزروقية وانتشار الجزولية، وإن حاولت الزروقية أن تجد لها موطئ قدم ضمن التيار الصوفي العلمي إلا أن حضور الجزولية كان أقوى .

ولابد هنا من أن نشير إلى أن الشهرة التي نالها الشيخ الجزولي هي التي ستكون سببا في ارتباط البدع والخوارق بالتيار الجزولي دون الزروقي، وهي ما دفعت الشيخ زروق إلى تبني حركة إصلاحية في التيار الصوفي[3]، عبر عنها من خلال مجموعة من مؤلفاته على رأسها، كتابي: "**قواعد التصوف**"، و"**عدة المريد الصادق**" .

وعموما، فمهما بدا من اختلاف منهج السلوك للجزولية والزروقية، فإن ذلك لم يتبدى إلا بعد وفاتهما، وذلك نتيجة تعدد الطرق الصوفية وتكاثر فروعها، وإن هذا التعدد هو ما جعل التصوف المغربي يشهد انحرافا في جانب "السلوك" سارت به إلى نزعة الشهرة أو التفرد بالطريق، وذلك بسبب تباعد الفرع عن الأصل، فبدأت معالم الطريق الشاذلي تضيع بين هذا الفرع وذاك، ومن هنا بدأ الحديث عن تصوفيين "تصوف شعبي" و"تصوف علمي"، إذ شهد المغرب إقبال العامة من الناس على تيار الصوفية

[1] - انظر، أحمد الوارث ، **الأولياء ودورهم الاجتماعي والسياسي خلال ق16م** ، م.س. ج1 ، صص211- 212 .

[2] - انظر ، عبد الله نجمي ، **أبحاث في تاريخ التصوف المغربي – في مراجعة الحقبة الجازولية**، سلسلة مسارات في البحث رقم 1، منشورات دار أبي رقراق للطباعة والنشر ، الرباط المغرب ، ط1 سنة 2017 ، ص 87

[3] - انظر، عبد الله نجمي ، **أبحاث في تاريخ التصوف المغربي** ، صص 31- 82 ، حيث خص الباحث دراسة الجانب الإصلاحي عند الشيخ زروق .

بشكل كبير، مما أدى إلى نزول التصوف إلى هذه الفئات، بما وصفه بعض الدارسين بظاهرة انحطاط الفكر الصوفي بالمغرب[1]، وهو ما أسهم بشكل كبير في انتشار التصوف الشعبي .

3- تلاقح التصوف والفقه والأدب ودور ذلك في تطور الحركة الصوفية

ساهمت مجموعة من العوامل في بلورة الحركة الأدبية والثقافية والفكرية في المغرب، والتي لم تستطع الخروج من عباءة الدين، ففي مجال الأدب ورغم الانتعاش والتطور الذي عرفه، إلا أنه ظل مصبوغا بصبغة دينية، والتي جسدها كل من الفقيه والصوفي؛ فخلال الحقبة الوسيطة، كانت الهيمنة لرجال الفقه الذين مثلوا التيار الديني، فبرزت شخصية الأديب منزوية خلف شخصية الفقيه الذي يهتم بالعلم قبل الفن، وبالحقيقة قبل الجمال، فلم يستطيع الأديب أن ينال حظوة في مجتمعه إلا إذا كان له مع أدبه إلمام معرفي كبير بعلوم الكتاب والسنة[2]، لكن ومع مطلع الحقبة الحديثة، بدأت قوة التأثير تذهب لتيار المتصوفة، فبرزت شخصية الأديب منزوية خلف شخصية الصوفي، فأصبح الأديب لا ينال حضوة إلا إذا كان مع أدبه الماما بالفقه وبالتصوف[3]، فشكل بذلك الفقه والأدب والتصوف أركان وأسس الحركة الثقافية المغربية وبنيانها، وقد انعكس هذا التداخل على مجالي التأليف والتعليم خلال المرحلة الحديثة، ففي مجال التأليف تداخلت المستندات الأدبية في كتب الفقه والعقيدة والفتاوي والتراجم وكتب الأنساب والتصوف، وفي مجال التعليم صارت مؤلفات الفقهه والتصوف والأدب مناهج تدرس جنبا إلى جنب في المدارس والجامعات والزوايا .

ويمكن أن نميز في عملية التلاقح الثقافي، بين :

- **تلاقح الفقه والتصوف:** حيث ارتبط التصوف المغربي في مسار تشكله بطريقة الجنيد والمذهب المالكي والعقيدة الأشعرية، فمثل ذلك انصهار التصوف بالفقه والعقيدة، هذا التمازج جعل الحديث عن التصوف لا يتم إلا في ارتباطه بالعلوم الدينية، ويكفي دليلا على ذلك أن التصوف كان علما يدرس في مجالس العلماء وبالمقابل كان العلم ثقافة متوفرة عند العديد من المتصوفة[4]، فخلال القرن التاسع الهجري (15م) راجت بقوة مقولة **"من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تصوف وتفقه فقد تحقق"**[5]؛ لكن وبالرغم من هذه العلاقة التفاعلية بين الفقه والتصوف، إلا أنها

---

[1] - A. bel, *la religion*… p 355

[2] - انظر، محمد الأخضر، **الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية: (1075-1311/1664-1894)**، دار الرشاد، البيضاء، ط1، سنة 1977م، ص 5 .

[3] - عبد الله بنصر العلوي، الواقع الفكري في فجر الدولة العلوية ، **ندوة الحركة العلمية** ، م.س. ص191

[4]- لطفي بوشنتوف، صورة عالم من القرن 9هـ/16م ـ رضوان الجنوي من خلال "تحفة الإخوان ومواهب الامتنان في مناقب سيدي رضوان"، **محطات في تاريخ المغرب الفكري والديني** ، م.س. ص55 .

[5] - وردت هذه المقولة في مؤلف الشيخ أحمد زروق "**قواعد التصوف**"، تقديم وتحقيق عبد المجيد خيالي ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، الطبعة الأولى 2003م قاعدة 4 ص 22 ، وهناك من ينسبها للإمام مالك حيث وردت في كتاب حاشية العلامة العدوي على شرح الإمام الزرقاني على متن العزية في الفقه المالكي ج3 ص 195 .

عرفت العديد من المنعطفات والتي ابتدأت منذ القرن 15م، تمثلت في محاولات التصوف الانفصال عن الفقه والتعبير عن ذاته ككيان مستقل، هذه المحاولات لم تكن لترضي تيار الفقهاء الذين ما انفكوا يحاربونه في مجرى الإنفصال[1]، خاصة وأن التصوف أصبح ملتصقا بالمجتمع أكثر من الفقه يؤدي فيه ما يؤدي من الوظائف على مستوى الفرد والجماعة، في المقابل سعى رجال التصوف إلى اكتساب شرعية دينية فقهية، فعملوا على التأليف في التصوف فكرا وممارسة، كما سعوا من خلال كتاباتهم إلى مواجهة عدد من الخصوم الذين رأوا في التصوف رأيا خاصا وصل إلى حد إنكار الولاية، وما تبدأ به المؤلفات الصوفية من الوقوف عند إثبات صحة وجود الصلاح والولاية لدليل على وجود تيار مناوئ[2]، وقد استمر الأمر على ذلك حتى صار إنكار الفقهاء على الصوفية أمرا معهودا في القرن 16م؛ وقد اتخذ الإنكار عدة أوجه، فمن النقاش الحاد والجدال إلى المحاربة، خاصة مع ظهور البدع التي كانت مبررا واضحا للفقهاء على صحة وسلامة تيارهم على تيار الصوفية، فهم يرون أن الاقتصار على "الظاهر" أولى وأسلم بخلاف تيار التصوف الذي يأخذ ب "الباطن" قبل الظاهر، وقد نتج عن هذا الصراع والمنافسة إنتاج نظري هام تناول مسائل عدة أبرزها مسألة الشيخ ووجوهها، والولاية والبركة[3] .

إلا أنه وخلال القرن 17م بدأ هذا العداء في التراجع، وذلك نتيجة تطور التصوف والذي لم يعد يقترن بالفقر والجذب، ولم يعد يرادف فقط الزهد والعبادة والورع، بل الأمر امتد بتعريف التصوف بما كان عليه حال العلماء الصوفية[4]، فاحتل بذلك التصوف مكانة مهمة، تغيرت معه مواقع كل من الفقهاء والمتصوفة، إذ أصبح التصوف يطبع المسار الديني وأعطى للمذهب المالكي سمة صوفية، فأصبح له ثقلا فاق ثقل الفقه فتقدمه؛ حتى إن العديد من الفقهاء لبسوا جبة التصوف فنسبوا لتيار التصوف؛ وقد شكلت مدينة فاس في داخل هذا التزاوج بين الفقه والتصوف نموذجا مثاليا من خلال مؤساساتها الدينية المختلفة، فالعلم الديني كانت تحتكره بداية المساجد والجوامع خاصة جامعي القرويين والأندلس، قبل أن ينتقل إلى مدارس المرينين، ومن هناك إلى الزوايا الصوفية، حتى أنه خلال المرحلة الحديثة كان من النادر أن تجد فقيها لا يتعاطى التصوف، أو متصوفا ليس بفقيه .

- **تلاقح الأدب والتصوف: حيث** شكل الأدب حيزا كبيرا من الحركة الفكرية التي عرفها المغرب أثناء المرحلة الحديثة، كما شكل جزءا من الحركة الدينية والصوفية، فالتطور الذي عرفته الحركة الصوفية بالمغرب جعل التصوف والأدب وجهان لعملة واحدة، فالحركة الصوفية لم تكن لتعبر عن نفسها إلا من خلال الآداب، فهو لسانها وصوتها، وهو ما جعل الموضوعات التي بات يعالجها الأدب المغربي تأتي في نطاق التصوف، ويعتبر النثر والشعر من أكثر ما اكتسيا طابع التصوف كما تشهد بذلك المؤلفات العديدة،

---

[1] - وخير مثال على ذلك ما وقع للشيخ زروق خلال القرن 15م مع فقهاء القرويين ومحاربتهم له، حتى أجبره ذلك على الرحيل عن مدينة فاس

[2] - عبد اللطيف الشاذلي ، **التصوف المجتمع،** م.س. ص95

[3] - انظر، عبد اللطيف الشاذلي ، **التصوف المجتمع ،** ص95 -96 ، حيث أورد عبد اللطيف الشاذلي آراء عدد من الفقهاء والصوفية في الموضوع وحلل مختلف جوانبها كما وقدم نماذج عن ذلك .

[4]- انظر، لطفي بوشنتوف، **صورة عالم من القرن 9هـ/16م** ، م.س. ص ص55 - 56

مما أدى إلى أن تكاثر الإنتاج الأدبي الصوفي الذي طغى على الإنتاج الفكري، بل امتد التأثير فشمل حتى تآليف الرحلات والمراسلات التي اتخذت طابع الأدب الصوفي، نموذج رسائل الشيخ اليوسي ، والتستاوتي ، ورحلة أبي سالم العياشي "ماء الموائد"....

ومن أهم نتائج تلاقح كل من التصوف والأدب كان هو التطور الذي عرفه الشعر الصوفي الذي صار تعبيرا عن حالات المقامات والأحوال الصوفية، وقد كان للزاوية المغربية دور هام في تلاقح الأدب والتصوف وتجانسهما ، وخاصة الزوايا الكبرى ذات التيار العلمي والسني أنذاك ، كالزاوية السملالية والناصرية والدلائية والفاسية، فدراسة متون اللغة وقواعدها أثر بشكل كبير على العطاء الأدبي الصوفي، وأصبح يشكل جزءا لا ينفصل عنه، وهذا ما أسهم في تبادل التأثير والتأثر بين التصوف والأدب، فشاعت قصائد ما يمكن تسميته ب"**المديح المقدس**"، والذي كان أساس بنيانه مدح الذات الالهية والمحمدية وآل بيته الكرام، ليشمل الخلفاء الأربعة والأقطاب والأولياء والشيوخ والعلماء، وهذا ما طور عدد من الأجناس الأدبية فامتدت إلى ربط الأدب بالموسيقى، فظهرت المقامات وفن الزجل وفن الملحون، حيث ازدهر هذا الأخير خلال عصر الدولة العلوية خاصة على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله الذي كان هو نفسه من شعرائه[1] .

4- أهمية الشرف وقضية التشرف ودورهما في تطور الحركة الصوفية

احتلت قضية الشرف أو النسب الشريف (أي الانتساب لآل البيت النبوي) مكانة هامة في تاريخ المغرب الديني وحتى السياسي، وإن كان للقضية ارتباطها بتاريخ المشرق والمتمثلة في المنافسة على السلطة وشرعية آل البيت في توليها، فقد لاحت بضلالها على أرض المغرب، إذ لم تخلو دعوة سياسية - منذ تأسيس الدولة الإدريسية - من التأكيد على عنصر الشرف، والتأكيد على جذور زعمائها كأشراف قرشيين يتصل نسبهم بآل البيت النبوي، وهذا ما يعرف بالشرف الطيني[2]، ويكفي أن نعلم أن الدولتين السعدية والعلوية، قامتا على أساس الشرف الطيني، لندرك مدى القيمة التي حملتها الشرفاوية أثناء الفترة المخصصة للدراسة (القرنان 17-18م)؛ وإذا أردنا العودة إلى جذور الشرافة في المغرب، فهي ارتبطت مع حلول إدريس الأكبر بالبلد، ليكون تكريمه لا لشيء إلا لإرتباطه السلالي بالرسول ﷺ ، لتعرف بعد ذلك هذه القضية عدة منعطفات، **فالمنعطف الأول** كان مع وصول المرينيين للسلطة، الذين قاموا خلال حكمهم بالرفع من شأن الشرفاء، فبدأ – بذلك - حضورهم الاجتماعي ونفوذهم الرمزي ينمو، خاصة مع الدعم الذي قدمته لهم حركة التصوف، حيث حاول المرينيون الاعتناء بالشرفاء، إلا أن هذا الاهتمام ورد الإعتبار لم يتجاوز رفع الظلم عنهم بدون أن يتخذوا وضع فئة خاصة لها مكانتها، خاصة بعدما عاشوه من محنة أيام حكم الزناتيين بسبب الإضطهاد الذي تعرضوا له، فكان الشرفاء يحضون بالمكانة على أساس

[1] - انظر ، محمد الفاسي، الأدب الشعبي المغربي الملحون ، **مجلة البحث العلمي**، العدد الأول، سنة 1964، ص 58 .
[2] - انظر ، أحمد بوكاري ، **الإحياء والتجديد** ، م.س. ج1 ص94

نفوذهم أكثر من نسبهم، فهاهو معاصر للمرينيين وهو ابن السكاك في مؤلفه "النصح"[1]، يستنكر بأن أهل العصر لا يحيطون الشرفاء بما يستحقونه من توقير يتسامى على المصلحة، بل يعاملونهم حسب المواقع التي يحتلونها في سلم الثروة والنفوذ، بحيث أصبح جاه الشرفاء أهم من مكانتهم الدينية[2]؛ وهذا التقرير من معاصر للمرينيين يظهر أن ظاهرة النسب الشريف لها مكانة، لكن لن يكون بالحجم الذي ستعرفه فيما بعد خاصة مع السعديين، إذ إن المرينيين قد تعاملوا مع هذه القضية بشكل حذر وذلك للحد من نفوذ المتصوفة المتصاعد، بعكس السعديين الذين دعموا هذا الجانب (أي النسب الشريف)، ومعهم ستعرف قضية الشرف **المنعطف الثاني**، حيث اتخذت أبعادا أخرى مع حكمهم تجاوز البعد الديني، فحضور الشرف كظاهرة ارتبط بالجانب السياسي أكثر منه الديني أو حتى الاجتماعي أو الاقتصادي، فعامل الشرف كان أساس صعود السعديين للسلطة، وعليه أسسوا عماد دولتهم وبنوا شرعية حكمهم، فالسعديون اعتمدوا في وصولهم للحكم على دعامتين: الشرف الطيني وشرف الانتماء الصوفي، فبدؤوا بالتقرب من المتصوفة الجزوليين[3]، وهؤلاء لولا العامل الأول (أي الشرف الطيني) لما قدموا دعمهم للسعديين الذين يسروا لهم دخول باب السلطنة والحكم، فأبو عبد الله محمد القائم إنما كان نهوضه بإشارة من الصالحين[4]، وقد مثل حصول السعديين على الحكم بداية الجمع بين السلطتين الدينية والسياسية، فأصبح بالتالي القرب من السلطة أو البعد عنها مرتبطا بمسألة الشرف، وبنجاح وصول السعديين للحكم كان لابد من اظهار عنايتهم ودعمهم المعنوي والمادي للشرفاء، الذين سيصبحون بدءا من هذه المرحلة كفئة خاصة، لها وضعيتها ومكتساباتها، فأصبح الترقي سلما بالمجتمع يرتبط بالشرف الطيني، بدل سلم العلم والصلاح الذي كان سابقا؛ وهو الأمر الذي ستستغله الدولة العلوية فيما بعد، لإكتساب الشرعية السياسية، حيث أثارت قضية النسب السعدي نقاشات أمام مثقفي العصر العلوي وذلك من أجل ضرب بقايا السعديين من جهة، ومن جهة أخرى التأكيد على أحقية العلويين في السلطة والحكم، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى الاهتمام الذي اولته الدولة العلوية لهذه القضية – أي الشرف- واعتمادها عليه لإكتساب الشرعية السياسية والدينية[5] .

وعموما، فإن قضية الشرف ستعرف **منعطفا ثالثا** خلال وصول العلويين إلى الحكم، حيث عرفت هذه الظاهرة خروجا عن سياقها ، فتحولت قضية الشرف إلى ظاهرة التشرف – أي ادعاء الشرف -[6] ، والتي استفحلت حتى أصبح تزوير الشرف مسألة رائجة، وإن كانت هذه الظاهرة قد برزت قبل هذا

---

[1] - "**نصح ملوك الإسلام بالتعريف بما يجب عليهم من حقوق أهل البيت الكرام**" ، لمحمد ابن السكاك (ت1415م) ، وهو فقيه مشارك ، وإمام وخطيب وقاضي فاس، كما أنه متصوف شاذلي ، وهو معاصر للمؤرخ ابن خلدون .

[2] - عبد الأحد السبتي ، **النفوذ وصراعاته في مجتمع فاس _ من القرن السابع عشر حتى بداية القرن العشرين**، الناشر دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، ط1 سنة 2007، ص17-18

[3] - أحمد بوكاري ، **الإحياء والتجديد** ، م.س. ج1 ص94

[4] - محمد الصغير الافراني، **نزهة الحادي** ، م.س . ص 44

[5] - أحمد بوكاري ، **الإحياء والتجديد**... م.س. ج1 ص94

[6] - خص الباحث عبد الأحد السبتي دراسة هذه الظاهرة ، وما ارتبط بها من أسباب، وانعكاس ذلك على مسار تأليف الأنساب ، انظر، **النفوذ وصراعاته في مجتمع فاس** م.س. من ص 15 إلى ص 40 .

التاريخ، وذلك بعد وفاة أحمد المنصور بسبب ما كان من أزمات، إلا أنها تجلت بقوة خلال العهد العلوي، وذلك راجع لعوامل متعددة أسهمت في نمو الظاهرة وانتشارها، حيث وجدت البيئة الخصبة لذلك، من عوامل تاريخية ودينية واجتماعية وثقافية واقتصادية وسياسية، بعضها مرتبط براهنية الظروف التي كانت تمر منها الدولة المغربية، والبعض الآخر كان رهينا بدوافع شخصية من مدعي التشرف، وجميعها تندرج في سياق واحد .

ففي الجانب المرتبط براهنية الظروف التي تمر منها الدولة، نجد ثلاث عناصر مرتبطة ببعضها البعض، والتي أسهمت في انتشار وامتداد الظاهرة، هما الأزمات وفساد أجهزة الدولة، وفساد العلماء والنقباء :

فبخصوص **عامل الأزمات**، يقدم لنا أحد المعاصرين صورة عن هذه الظاهرة وهو النسابة أبو القاسم الزياني[1]، وذلك وقت فترة جفاف عرفها المغرب خلال عهد سيدي محمد بن عبد الله، قائلا:**"إن كل أهل الزوايا صاروا أشرافا، وكذلك أهل الدعاوي ، والسبب في ذلك أن السلطان سيدي محمد ، لما كانت أيام المسبغة (أي سنوات المجاعة والتي دامت سبع سنين من 1190 إلى 1196هـ/1771-7782م)، رتب الخبز في المدن يفرق في كل حومة على ضعفائها ، فاجتمع أشراف فاس، وطلبوا من السلطان أن يخصهم بنصيبهم ولا يدخلون مع العامة، فقال لهم: هذا شيء تافه ، سأخصكم بما هو أكثر منه، فانعم عليهم بمال إراثة فاس يقتسمونه على الأشراف في كل شهر، فزاحمهم فيه المتشرفة ودفعوهم بالمناكب، فرفعوا أمرهم إلى السلطان، فوجه الفقهاء والأشراف والقضاة، وأمرهم أن لا يقبض مال الإراثة إلا صرحاء النسب، ولا يقبض منه أهل الدعاوي والمتشرفة، ولما بلغوا لفاس، وجدوا المتشرفة أكثر من الأشراف، فوقعت المحاباة والحيف والمداهنة"[2] ؛** هذه الرواية تبرز عمق الظاهرة التي عرفها المغرب، وكذا صعوبة **إيجاد حلول جذرية لها.**

أما بخصوص **عاملي فساد أجهزة الدولة وفساد العلماء والنقباء**، فإليهما ترجع المسؤولية المباشرة عن انتشار ظاهرة التشرف، فحين تشتد الأزمات تضعف السلطنة فتنتج "فترات فوضوية"، حيث يفقد الحكم المركزي قدرته عن التحكم ومراقبة أجهزة الدولة التي تظهر عليها معالم الفساد، فيكثر التدليس والتزوير، بينما حينما تستعيد الدولة قوتها وتبرز سلطتها تسود ظرفيات الضبط والمراقبة، وينقلب المشهد رأسا على عقب، فتغمر الاستقامة كافة رجال الجهاز الإداري[3] .

وإن هذا الضعف والفساد في أجهزة الدولة، امتد وبلغ حتى الأجهزة الدينية التي كانت وسائل في نجاح تزوير شجرات الأنساب، وهنا نخص الحديث عن العلماء والنقباء والعدول، وهولاء وعند الأزمات

---

[1] - أبو القاسم الزياني : وزير ومؤرخ الدولة العلوية ، ولد بفاس سنة 1147هـ/1734م وتوفي سنة 1249هـ/1833م ، تقلد عدة وظائف خلال عهد حكم سيدي محمد بن عبد الله، له عدة مؤلفات من أشهرها "الترجمانة الكبرى" الذي تطرق فيه لسيرته الذاتية ولرحلاته في الأمصار.

[2] - أبو القاسم الزياني، **تحفة الحادي المطرب في رفع نسل شرفاء المغرب**، تقديم وتحقيق رشيد الزاوية ، كتاب دعوة الحق رقم 19 ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون العسلامية – المغرب ، مطبعة الأمنية الرباط ط1 سنة 2008 ص ص 94- 95

[3] - انظر، عبد الأحد السبتي ، **النفوذ وصراعاته ...**م.س. ص 34

يضعف لديهم الوازع الديني، فينتج بذلك حيث يرتشي العدول، ويضع العلماء إمضاءاتهم على رسوم شرف مزورة[1]، فتصبح تلك الرسوم طريقا للحصول على الظهائر السلطانية التي تعتبر وثيقة رسمية تثبت بها العائلات صدق ادعائها، وبذلك لا يكون هذا الادعاء دون مساعدة العلماء والنقباء الذين توكل لهم مهمة تدقيق الأنساب، فهم الوسيلة التي ينال عبرهم المدلسون غاياتهم، فتكون النتيجة تكاثر المتشرفة .

وعموما، فهذه العلاقة بين الأزمات وضعف السلطة وانتشار ظاهرة التشرف، تتطابق مع مرحلتين منفصلتين من القرنين 17 و18م، وهي مرحلة تمتد ما بين ضعف الدولة السعدية إلى مبايعة السلطان إسماعيل، ثم المرحلة التي تلت وفاة هذا السلطان وهي مرحلة "الفترة"، حيث دخل المغرب في دائرة من الأزمات السياسية والاقتصادية، من كثرة الفتن وتشتت السلطة والمجاعات وانتشار الأوبئة والوفيات، فامتدت الأزمة إلى المجتمع، الذي شهد تغيرات مست جانب تدينه، خصوصا بعد حركة الهجرة والهروب من مناطق الأزمات، والتي كانت عاملا ساعد في انتشار الكذب والتزوير، فأصبح من السهل ادعاء الشرف والنسب لآل البيت النبوي .

فحين أخذ السلطان إسماعيل بزمام حكم المغرب وجد أمر الأشراف مختلا، لدرجة – وحسب تعبير المؤرخ أبو القاسم الزياني- أن كادت الرعايا أن تصير كلها أشرافا[2]، وبعد سياسة قام بها السلطان إسماعيل في ضبط الأنساب، تراجعت حدة هذه الظاهرة، لكن بعد وفاته وخلال مرحلة "الفترة"، ما فتئ أن عاد الوضع إلى سابق عهده.

أما على **المستوى المرتبط بالدوافع الشخصية**، والذي أسهم بدوره في انتشار ظاهرة التشرف، فقد تمثل على مستويين :

المستوى السياسي: وهو المرتبط بالجانب الاقتصادي والاجتماعي، حيث أن الشرفاء كانوا يحضون بامتيازات مادية ومعنوية، والتي كان يخولها لهم الظهير السلطاني، ففي جهاز اثبات النسب الشريف يحتل الظهير السلطاني مكانة هامة، لأنه يحدد الامتياز المادي[3] ، إذ إن الظهير السلطاني هو اعتراف السلطان بالنسب الشريف لعائلة معينة، فحين يعترف السلطان لعائلة معينة بانتمائها إلى النسب الشريف، فإنه يمنحها عددا من الامتيازات والإعفاءات، ويأمر ممثليه المحليين بالتنفيذ[4] .

والمستوى التاريخي المرتبط بالديني: حيث نجد أن الولي يلجأ إلى النسب الشريف ليؤكد مساره الاستثنائي، كنوع من التميز الأسري داخل الجماعة، وأحيانا ولإضفاء طابع السيادة أو الولاية، وهكذا تتحكم نفس البنية في التصورات الشائعة حول سيرة الولي وتاريخ السلالة الشريفة[5] .

---

[1] - عبد الأحد السبتي ، **النفوذ وصراعاته ...**م.س. ص 34

[2] - أبو القاسم الزياني، **تحفة الحادي المطرب في رفع نسل شرفاء المغرب** ، م.س.ص 90

[3] - عبد الأحد السبتي ، **النفوذ وصراعاته** ، م.س. ص 40

[4] - **المرجع نفسه.** ص 32

[5] - **المرجع نفسه.** ، ص 37

وقد ارتبطت قضية الشرف بالتصوف المغربي ارتباطا وثيقا المغربي منذ بداياته، مع اشتداد الإرتباط به خلال مرحلة السعديين، ليبلغ هذا الإرتباط مداه خلال عهد العلويين مع بروز ظاهرة تبجيل الأشراف وتقديس النسب الشريف، فمثلوا قمة الهرم الاجتماعي[1]، وقد كان للمتصوفة - ولاعتبارات عقدية- دور في تقوية الشرفاء وإعلاء مكانتهم الاجتماعية والسياسية[2]، فأصبح الشرف والتصوف مترابطان أكثر من أي وقت مضى، حيث ارتبطت أنذاك عملية الإحياء الصوفي الجزولي الشاذلي بمسألة "**الشرف السلالي"[3]**، وقد تطورت هذه العلاقة أواخر القرن 18م، حيث ظهرت بوضوح هيمنة الشرفاء والإيديولوجية الشريفية على أكبر الطرق الصوفية تأثيرا في المجتمع وأكثرها اتباعا كالوزانية والدرقاوية[4] .

ولأجل فهم خصوصية وعمق الإرتباط بين التصوف والشرف في ارتباط الاجتماعي بالديني، يكفي معرفة أن مراتب التصوف العليا من قطبانية وولاية وغيرها، لا يبلغها من المتصوفة إلا من كان نسبه شريفا، فمهما كبر علمه وعلا شأنه، فإنه يظل بمرتبة العالم والفقيه والعلامة والصوفي، لايتجاوز بذلك لمراتب الاختصاص مع أهل النسب الشريف، بدعوى أن أمر الولاية تقتصر على أحفاد الرسول ﷺ بحكم النصوص الدينية، فيكون بذلك الصوفي الشريف أكثر قيمة من الصوفي الغير الشريف بدون اعتبار لمكانة هذا الأخير العلمية، وهو ما تجسد واقعا خلال مرحلة القرنين 17 و18م، فمن خلال كتب تراجم بعض الأسر الصوفية الشهيرة مثل آل وزان العلميين ، نلاحظ مدى التركيز على الشرف من طرف هؤلاء الكتاب حتى أصبح تقديس الشرف الطيني يتجاوز بكثير تقديس الشرف الصوفي والعلمي[5] .

ثالثا: تطور الحركة الصوفية في المغرب خلال القرنين 17-18م

1- انتشار الزوايا وتعدد الطرقية بالمغرب

إن الترابط والاِنصهار بين العلوم الدينية والتصوف الذي طبع مرحلة القرنين 17 و18م، خلق حركة فكرية مندمجة غلب عليها طابع التصوف، وبفضل هذا الاِندماج أصبح لا يمكن الفصل بين مراكز الفكر ومراكز التصوف في المغرب طيلة المرحلة، حيث لعبت الزوايا دورا في احتضان الحركة الفكرية فكان لها تأثير في نشاطها وازدهارها، كما كان لها دور في رعايتها وحمايتها من الضياع، إذ قادت الزوايا الحركة الفكرية خاصة أثناء الأزمات، فحملت مسؤولية الاضطلاع بالدور العلمي والتربوي، وما كانت مقولة "**لولا ثلاثة لاِنقطع العلم من المغرب في القرن الحادي عشر لكثرة الفتن التي ظهرت فيه، وهم سيدي محمد بن**

---

[1] - محمد العمراني، **المغرب زمن العلويين الأوائل** ، مطابع الرباط نت الطبعة الأولى سنة 2013م. ص209

[2]- أحمد توفيق ، صلحاء وسلاطين ، دينامية السلطة في المغرب قبل الحماية ، **وقفات في تاريخ المغرب** ، م.س.، ص415

[3] - أحمد بوكاري ، **الإحياء والتجديد** ، م.س. ج1 ص94

[4] - محمد المنصور ، **المغرب قبل الاستعمار – المجتمع والدولة والدين (1792-1822)** ، ترجمه عن الإنجليزية محمد حبيدة ، الناشر : المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء المغرب ط1 سنة 2006 ، ص 259

[5] - أحمد بوكاري ، **الإحياء والتجديد** ،م.س. ج2 ص95

ناصر في درعة، وسيدي محمد بن أبي بكر الدلائي في الدلاء، وسيدي عبد القادر الفاسي"[1] - وبغض النظر عن مطلَقها أو نسبيتها- إلا لتظهر أن لولا الزوايا لِانقطع العلم أثناء المرحلة، ففي الوقت الذي فرغت المساجد والمدارس بسبب انعدام الأمن، لجأ الطلبة والأساتذة والفقهاء إلى الزوايا التي أصبح لها دورين صوفي وعلمي؛ وقد تعددت مراكز الحركة الصوفية الفكرية بالمغرب أثناء المرحلة المدروسة، وتنوعت ما بين حضرية وقروية، إلا أن تلك التي كان لها شأن كبير ضمن الحركة الصوفية ، هي: الزاوية الدلائية والناصرية والوزانية والشرقاوية والعياشية، فضلا عن الزاوية الفاسية[2] .

أ- الزاوية الدلائية :

يأتي مركز الزاوية الدلائية في مقدمة الزوايا التي حققت نهضة علمية خلال المرحلة الحديثة، إذ جسدت أبرز نموذج عن انتقال مراكز العلم والثقافة من الحاضرة إلى البادية، ويرجع ظهور الزاوية خلال العهد السعدي، وإن كان يجهل بالضبط متى تأسست، إلا أنه يمكن القول أن ذلك كان في الثلث الأخير من القرن 10هـ/16م، حوالي عام 974هـ/1566م، أسسها أبو بكر بن محمد بن سعيد الدلائي بإشارة من شيخه أبي عمر القسطلي[3]، وسط جبال آيت إسحاق (ما بين خنيفرة وقصبة تادلا)، كما تعرف أيضا بالزاوية البكرية نسبة لمؤسسها أبي بكر الدلائي المتوفى عام 1021هـ/1612م، وقد حاول هذا المؤسس تغيير نمط ومفهوم الزاوية التقليدية وتطويرها، فبلغت شهرتها ما بلغت إلى حد أن تناقلت الركبان حديثها في الآفاق وقصدها الناس من كل جهة على الإطلاق[4]، خاصة وأنها باتت ملاذا آمنا من كل الصراعات، فهذا صاحب "النزهة" يشهد للشيخ الدلائي بذلك، قائلا: "**وحسبك أن المغرب لما تداعت قواعده وانهدت أركان الملك به فاختل النظام وماج الناس، كان مأوى لأهل العلم والدين وموردا للضيوف والمساكين ...**"[5] .

وقد حرص رجال الزاوية بعد وفاة الشيخ أبي بكر الدلائي بالحفاظ على مكانتها بين كل المراكز الصوفية الأخرى، وذلك عن طريق الإستمرار في خطها العلمي، حيث نجح الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي والذي تسلم أمور الزاوية بعد وفاة والده، في استقطاب العلماء من كل صوب وحدب، حتى "**بات مقصد الركبان، فكانت له الرحلة في المغرب لا يعدوها طالب ولا يأمل غيرها راغب**"[6]، خاصة مع فترة الإضطرابات التي كان يشهدها المغرب، وتحديدا بالحواضر الكبرى، فقصد الناس الزاوية الدلائية، كما قصدها العلماء والفقهاء، فنهلوا من علمها كما أسهموا في إثراء مكانتها، فأصبحت مركز استقطاب صوفي

---

[1] - راجت هذه المقولة خلال القرن 18م وما بعده، أوردها : محمد بن الطيب القادري ، **نشر المثاني ..**، م.س.ج2 صص 274- 275؛ كما أوردها أحمد بن خالد الناصري في "**طلعة المشتري في النسب الجعفري**"، الناشر المؤسسة الناصرية للثقافة والعلم، طبعة حجرية، فاس، سنة 1986، ج1 ص152 .

[2] - لدور الزاوية الفاسية في الحركة الصوفية بمدينة فاس، خصصنا لها بحثا مستقلا ضمن الباب الأول من هذا البحث .

[3] - محمد حجي، **الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي** ، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، الطبعة الثانية 1988م، ص 30؛ والشيخ القسطلي أصله اندلسي نسبة لقسطلة بالأندلس ، ت 1566 ودفن برياض العروس بمراكش .

[4] - محمد الصغير الإفراني ، **نزهة الحادي**....م.س. ص 394

[5] - **المصدر نفسه** ، ص 396

[6] - **المصدر نفسه** ، ص 399

وعلمي لكل طالب وراغب، وغدت من أحسن البقاع التي يلتجأ إليها العلماء، حيث يجدون صفاء العيش وأمنه، فيتفرغون للعلم وتدارسه، إذ كان يتم الإعتناء بالعلم وتكوين العلماء، وذلك عن طريق تنويع تدريس العلوم التي تراوحت بين النقلية والعقلية، وهي القراءات القرآنية، والتفسير والحديث والتوحيد والفقه والأصول والتصوف والمنطق والتوقيت واللغة والبلاغة والأدب[1]، فكان بها من معطاة العلوم والدؤوب على التدريس والإقراء ليلا ونهارا، حتى تخرج بها جماعة من صدور العلماء وأعيانهم، الذين بصموا تاريخ الفكر والتصوف المغربي أثناء المرحلة، سواء من ينتمون إلى منطقة الدلاء، أو الذين قصدوها من جميع أنحاء المغرب خاصة القادمون من الحواضر الكبرى من مراكش وفاس[2]. هذه العوامل زادت من شهرة الزاوية حتى أصبح لها صيت وإشعاع ثقافي وعلمي عظيم، حيث أجمع كل من تحدث عن الناحية العلمية للزاوية الدلائية خلال القرن 11هـ/17م وما كانت عليها مدينة فاس، على "**أنها بلغت في هذا المضمار شأوا بعيدا، وبدت فاس في تلك الفترة وفاقتها**"[3]، إلا أن هذا الإشعاع سرعان ما انطفأ مع نهاية سلطان الدلائيين ونفوذهم السياسي، وذلك بعد هزيمة الدلائيين سنة 1079هـ في معركة بطن الرمان أمام المولى الرشيد، وبالتالي توقف مجد الزاوية الدلائية، بتخريب مؤسستها والقضاء عليها، وتهجير أغلب رجالها إلى فاس[4] .

ويمكن القول، إن هذا الحدث، وإن شكل نهاية للزاوية الدلائية على المستوى السياسي، إلا أنه لم يشكل نهايتها ثقافيا وعلميا وصوفيا، بل منحها روحا جديدة امتزجت بظروف المرحلة، فكانت دافعا لنشاط أعلام الزاوية الدلائية العلمي والأدبي، وهو ما عبر عنه "أحمد الطريبق أحمد"، بالقول: إن غياب الدلائيين من سماء التاريخ والسياسة لايطال تلك البذور الساطعة في دنيا الشعر[5]، ونحن نقول... ليس فقط في دنيا الشعر، بل وفي دنيا العلم والفكر والثقافة عامة، فبالنظر لأبعاد ذلك الحدث الذي منحها مسارا تطوريا جديدا، فقد خرجت الزاوية الدلائية من ضيق المجال إلى سعته، وذلك من خلال رجالها وعلمائها الذين تفرقوا في المدن والقرى، خصوصا مدينة فاس التي استقبلت العديد من أفذاذها، مما أدى إلى انعاش الحياة العلمية بالمراكز الحضرية، وأسهم بالتالي في ازدهار الحياة الثقافية بالمغرب عامة وبفاس خاصة .

---

[1] - محمد حجي ، **الزاوية الدلائية** ، م.س. ص72-75 .

[2] - انظر، **المصدر نفسه،** ص ص 75 – ص127 ؛ حيث تعرض المؤلف لهذه الطبقة من العلماء بالتفصيل، فذكر أبرز مؤلفاتهم .

[3] - : محمد بن عبد الرحمن ابن عبد القادر الفاسي (ت 1134هـ)، **المنح البادية في الأسانيد العالية والمرويات الزاهية والطرق الهادية الكافية،** دراسة وتحقيق محمد الصقلي الحسيني، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المملكة المغربية ، طبع دار أبي رقراق – الرباط، سنة 2005 ط 1، ج1، ص 36 .

[4] - انظر، محمد الصغير الإفراني، **نزهة الحادي ..،** م.س. ص ص 405-406؛ محمد حجي، **الزاوية الدلائية** ، م.س. ص 65 .

[5] - أحمد طريبق أحمد ، **الكتابة الصوفية في أدب التستاوتي (1045هـ/1127م)**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب ، بدون مطبعة ، بدون طبعة 1، سنة 2003 ، ج3 ص 659 .

ب- الزاوية الناصرية :

يرجع تاريخ تأسيس الزاوية الناصرية إلى سنة 983هـ/1575م بتامكروت، على يد أبو حفص عمر بن أحمد الأنصاري (ت1010هـ/1602م)، على ضفاف وادي درعة وراء الأطلس الكبير، وأصل الزاوية هي زاوية "**سيد الناس**"، فكانت مركز إيواء للمقيم والعابر، قبل أن تتطور إلى مستوى زاوية صوفية خلال مرحلة حكم السعديين[1] .

وقد مرت الزاوية الناصرية منذ نشأتها بثلاث مراحل أساسية :

- **المرحلة الأولى،** وهي **مرحلة النشأة والتأسيس:** حيث اتخذت كمركز إيواء وذلك ابتداءا من 1575م، بتطور استجاب لمتطلبات مجالية تطابقت مع تقاليد المنطقة الدينية وبارتباط مع الظرفية الزمانية والمكانية لمنطقة درعة، وما ارتبط بها من وظائف وأدوار اجتماعية استمرت إلى حوالي منتصف القرن11هـ/17م[2] .

- **المرحلة الثانية،** وهي **مرحلة التطور والتوسع والإنتشار، وذلك ابتداءا من منتصف القرن 11هـ/17م**، حيث مرت الزاوية بمرحلة فاصلة وحاسمة، ابتدأت مع تاريخ تامكروت "كزاوية ناصرية" هيأ لها شيوخها كل شروط التوسع والإنتشار[3]، فشهدت تطورات استجابت فيها لمتغيرات المرحلة والتي ارتبطت خاصة بالظرفية السياسية المتمثلة في الإضطرابات التي شهدتها المدن الكبرى خاصة، فضلا عن الإستجابة الاجتماعية والاقتصادية والتي أعطت لها صدى وإشعاعا قويا محليا، فنابت عن سلطة المخزن في تدبير المجال البعيد عن مراكز الصراع؛ وهذه المرحلة سُجل فيها للزاوية حفاظها على النهج العلمي الذي اتخذته منذ البداية دون أن تشهد الإنحراف عن مسارها، خاصة مع مرحلة مشيخة محمد بن ناصر الدرعي[4] (1011-1085هـ/1603-1674م)، الذي نفخ في الزاوية روح العلم والثقافة، حتى أصبحت أهم زاوية في الجنوب بدون منازع، كما اتُخذت كمدرسة وجامعة علمية، فكان يُدرس بها العلوم النقلية والعقلية لطلابها، من الفقه والتفسير والحديث والتصوف والنحو والمنطق...، فبخصوص تدريس الحديث فإن الشيخ ابن ناصر كان يتكلف بتلك المهمة، إذ كان له كرسي يشغله ما بين الظهرين بقراءة الكتب الستة دراية، كلما ختم واحدا ابتدأ بآخر، وفي رمضان يعود لسرد البخاري على عادة ابن غازي بفاس[5]؛ وهذه العوامل جعلت من الزاوية الناصرية قبلة لعدد كبير من طلبة العلم، حيث شدت لها الرحال من مختلف مناطق المغرب، فالشيخ اليوسي كان من بين طلبتها، حيث يذكر ذلك بنفسه، قائلا: "**حتى جعلت**

---

[1] - انظر، محمد الناصري، **المزايا فيما أحدث من البدع بأم الزوايا (الزاوية الناصرية)** دراسة وتحقيق عبد المجيد خيالي ، طبع دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1 سنة 2003 ، ص 31 -32 ؛ أحمد بن خالد الناصري، **طلعة المشتري في النسب الجعفري** ، ج1، ص ص 129- 130

[2] - بوكاري ، **الإحياء والتجديد** ، م.س. ج1، ص 32

[3] - **المرجع نفسه**، ص34

[4] - تسلم مشيخة الزاوية الناصرية سنة 1052هـ/1642م، مدحه الحسن اليوسي في المنظومة الدالية "نيل الأماني في شرح التهاني" ، وهو أحد الثلاثة الذين ذكروا من أصحاب الفضل في حفظ العلم في مقولة "لولا ثلاثة لانقطع العلم من المغرب ....." .

[5] - محمد الصغير الفاسي، **المنح البادية ...** م.س. ج1، (قسم الدراسة) ، ص 36

أطلب والدي –رحمه الله- أن يغربني إلى الأمصار طلبا للقراءة فغربني لناحية القبلة (يقصد الزاوية الناصرية) بعد أن قرأت حزبين من القرآن"[1] .

- أما **المرحلة الثالثة**، وهي **مرحلة بداية التراجع ، وذلك ابتداءا من مطلع القرن 18/12م**، وهي مرحلة تشتت وتوسع فروع الزاوية؛ وقد كان ذلك في إطار السياق العام الذي عرفه التيار الصوفي- بشكل عام- في المغرب والمتمثل في ظاهرة توالد الزوايا والانشقاقات في مسار الزوايا الأم، حيث لم تكن الزاوية الناصرية بمعزل عن ذلك، ويمكن ربط هذا السياق العام بسياق خاص سارت فيه الزاوية الناصرية، حيث عرفت حركة انفصال زوايا فرعية عن الزاوية الأم، فاتخذت مسارا منحرفا عن الناصرية ، وقد كان لذلك مجموعة من العوامل ، من بينها : تنامي سلطة وثروة بعض المقدمين عن تلك الفروع، وبروز بدع نسبت للطريقة الناصرية فيما بعد، حيث يروي صاحب طلعة المشتري عن ما لاقاه الشيخ سيد محمد المكي بن موسى من أذى بسبب محاربته للبدع[2]، وسفره من أجل تنبيه وتحذير المقدمين على فروع الزوايا الناصرية الذين استولوا على أحباس الزاوية الناصرية ومنعها عن الزاوية الناصرية الأم بتمكروت، لدرجة أنه وصف بعض مقدمي فروع الزوايا الناصرية ب "الفجرة"، حيث يقول صاحب النص: "**ولما دخلت سنة اثنين وأربعين ومائة وألف سافر الشيخ سيد موسى رحمه الله إلى بلاد السوس الأقصى لتفقد ما بهما من أحباس الزاوية من زرع وزيت وحرير ونحاس وغير ذلك، لعدم وصول شيء منه إلى الزاوية لاستيلاء بعض الفجرة من المقدمين عليه، فسار حتى انتهى إلى زاوية سيد حسين ابن شرحبيل المعروفة بزاوية الأمان خليفة بها، وكلمه فيما جاء إليه، وكان المقدم المذكور من أتباعه المنوبين باسمه الزاعمين أنه الوصي بعد الخليفة (رضي الله عنه) فوعزه أن يكتب إليه ويأمره برد ما أخذ فلم تظهر لذلك ثمرة، فعاد سيد موسى رحمه الله وبقلبه نار تستعر**"[3].

هذه العوامل أضعفت مكانة الزاوية الناصرية، بسبب كثرة الفروع التي انتشرت في جل مناطق المغرب[4]، والتي بدأت تخرج عن مسارها العلمي الذي قامت على أساسه، إذ أنه إلى جانب تطور ثروة الزاوية، بدأت تظهر دعة وترف وأبهة شيوخها، بهذا بلغت الزاوية الناصرية أقصى التناقض بين أسسها الدينية السنية وواقعها المادي الذي آلت إليه زمن الشيخ يوسف بن محمد الكبير (المتوفى عام 1197هـ/1783م) ومن جاء بعده من الأشياخ الذين عاصرهم مؤلف "المزايا"[5] محمد بن عبد السلام الناصري[6] .

---

[1] - الحسن بن مسعود اليوسي ، **فهرسة اليوسي** ، تقديم وتحقيق حميد حماني اليوسي ، عن سلسلة الأعمال الكاملة للإمام الحسن بن مسعود اليوسي في الفكر الإسلامي (4) ، مطبعة دار الفرقان للنشر الحديث الدار البيضاء ، ط1 سنة 2004 ، ص 113

[2] - انظر، خالد بن أحمد الناصري، **طلعة المشتري** ، م.س. ج2 ص 126

[3] - **المصدر نفسه ،** ج2 ص ص 127 - 128

[4] - عبد العزيز **الخمليشي ، زاوية تمجروت (1642-1914)** ، ضمن **ندوة الرباطات والزوايا...**م.س. ص 123

[5] - ألف محمد بن عبد السلام الناصري (المتوفى 1239هـ/1823م) ، كتابه "**المزايا فيما أحدث من البدع بام الزوايا**" ، بغرض تبيان انواع البدع والمخالفات المتناقضة مع أسس الزاوية ، والتذكير بنهج الزاوية العلمي .

[6] - بوكاري ، **الإحياء...** م.س.، ج1 ص37

وتجدر الإشارة، إلى أن هذا التحول الذي عرفته الزاوية الناصرية كان منذ أيام الشيخ أحمد الخليفة ابن محمد بن ناصر (ت 1129 هـ/ 1717 م)، حيث أن النفوذ والشهرة التي بلغته الزاوية خلال المرحلة الثانية هدد فيما بعد وحدة الطريقة الناصرية وأصالتها، إذ جعل الطائفة الناصرية طائفتين، وليس واحدة ، حيث ظهر تيار نحا رجاله منحا جديداً في ناصريتهم، أكثر تحرراً من قيود طريقتهم الأم، وأكثر قرباً من تيار الحضرة، وأهل الأحوال، فيما سماها أحمد الوارث "**الناصرية الجديدة**" تمييزاً لها عن الناصرية القديمة أو الأصلية[1] ، وكان أهم ما أخذ به الناصريون الجدد استعمال الحضرة واعتماد السماع، وغير ذلك من الأساليب الروحانية في التربية الصوفية، كما صار الاهتمام لديهم بالخوارق والكرامات والبركات ملحوظا أكثر من العناية بالعلم والتعليم، وقس على ذلك من الأساليب والسلوكات الصوفية التي جعلت لكثير من شيوخ الزاوية الناصرية خداماً ومحبين ينشدون حضور حلقات الجذبة، وينشدون الاستفادة من الخارقة، أكثر من أي شيء آخر[2].

وعلى العموم، فقد تأسست الطريقة والزاوية الناصرية على أسس سنية علمية تجسدت في السلوك الصوفي الذي تبنته؛ ومن أجل فهم سلوك الطريقة الناصرية فلابد من وضعها ضمن إطارها المجالي، حيث تأثرت الطريقة بالجو الصوفي الذي ساد منطقة تادلا خلال مرحلة القرنين 10-11هـ/ 16-17م، إذ شهدت هذه المنطقة تعايشا واضحا للطريقتين الشاذليتين - الجزولية والزروقية – ، فناحت الناصرية للتيار الزروقي[3] ، والتي يرجع إليها سند الشيخ محمد بن ناصر الدرعي، حيث أخذ الطريقة عن الشيخ عبد الله بن حسين الرقي الدرعي، عن أبي العباس أحمد بن حسين الخزرجي، عن أبي القاسم الغازي السجلماسي، عن أبي الحسن علي بن عبد الله الفيلالي عن أبي العباس أحمد بن يوسف الملياني عن الشيخ زروق بسنده.

ولابد من القول، أن قوة هذا الأساس العلمي يرجع إلى الإرتباط بالسند الصوفي الشاذلي وهو الملياني الزروقية، وإلى بساطة تصوفها، فقد شبه "جورج سبيلمان" نسق الناصرية بنسق "المسيحية الأرثوذكسية" في دعوتها الدينية ، وهو تبليغ الأرثودكسية السنية الأكثر صفاءا[4] ، إذ تشير كل المصادر والأبحاث، على أن الزاوية الناصرية تبنت مبادئ سنية واضحة وثابتة تخدم الشرع والشريعة، دون الالتصاق بالتصوف وشكلانياته أو نظرياته وتأويلاته[5] ، كما اتخذت من حيث النهج الصوفي أذكارا وأورادا بسيطة جدا في مبناها ومحتواها وظروف التذكر بها[6] .

---

[1] - انظر، أحمد الوارث ، **الأولياء ودورهم الاجتماعي والسياسي..** ج1 ، م.س. ص 162 وما بعدها .

[2] - أحمد الوارث، من تاريخ التصوف المغربي: الزاوية التوزينية بالريف الشرقي،**مجلة التاريخ العربي** عدد49، طبع ونشر جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط سنة 2009 ، ص 88

[3] - انظر، لطيفة شراس، **الحركة الصوفية في منطقة تادلا خلال القرنين 10-11/16-17** ، أطروحة جامعية لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، طبعة مرقونة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية – الرباط، السنة الجامعية2003 - 2004م، ص130

[4] - Georges SPILLMANN *; Esquisse d'histoire religieuse du Maroc : Confréries et Zaouias*, présentation :jillali El Adnani , université Mohammaed 5 – agdal , publication de la faculté des lettres et des sciences humaines de rabat , série :les trésors de la bibliothèque, n 7, 1ere édition 2011, p185

[5] - أحمد بوكاري ، **الإحياء والتجديد** ، م.س. ج1 ، ص34

[6] - **المرجع نفسه ،** الصفحة نفسها

ت - الزاوية الشرقاوية[1] :

تأسست الزاوية الشرقاوية على يد الشيخ محمد الشرقي (ت1010هـ /1601م) بمنطقة أبي الجعد ، وهي ذات انتماء سعدي زمانيا وظرفيا، وكذلك كتجربة سياسية، أما مكانيا فقد نشأت في منطقة جد غنية بماضيها وتجربتها الصوفية في نفس غناها الطبيعي والبشري (إقليم تادلا)[2]، مما جعل امتدادها أو اتساع نفوذها الروحي والمادي محفوفا بالمخاطر، خاصة وأنها تتقاسم هذا النفوذ أو تتنافس من أجله مع زوايا أخرى لها أهميتها وخصوصياتها، مثل زاوية الصومعة[3] والزاوية الدلائية[4].

وقد جاء حدث تأسيس الزاوية الشرقاوية ضمن مرحلة زمنية هامة في تاريخ المغرب، والتي تعتبر مرحلة الإنتعاش الصوفي، كما جاء موقعها الجغرافي ليتمم خريطة التوزع الصوفي والتوزع المكاني للزوايا الصوفية خلال القرن 12هـ/17م، مما جعلها تساهم في توسيع القاعدة المذهبية والعقائدية والصوفية للمدرسة الشاذلية الجازولية، فالزاوية تنتمي إلى التيار الجزولي سندا وطريقة، حيث يعد مؤسسها الشيخ محمد الشرقي من كبار تلامذة المدرسة الجزولية بمراكش.

شهدت الزاوية الشرقاوية في تاريخها التأسيسي ثلاث مراحل، ويرجع ذلك لعدة عوامل واكراهات، على رأسها تنقل الشيخ المؤسس **امحمد الشرقي** من منطقة لأخرى، ف**الزاوية الأولى**[5]- والتي مثلت أساسا للزاوية الثانية - تأسست في دير تادلة في منطقة "ازرارق" الغنية بامكاناتها الطبيعية من أنهار وعيون وأشجار[6] ؛ أما **الزاوية الثانية** – والتي تعتبر زاوية بمفهومها الأوسع – فقد أسسها بمنطقة أبي الجعد، وقد اختلف حول تاريخ تأسيسها –تحديدا- والذي يعود إلى بداية النصف الثاني من القرن 10هـ/16م[7]، وقد شهدت هذه الزاوية أخصب فترات حياة الشيخ علما وصلاحا وثروة وشهرة[8] ؛ أما **الزاوية الثالثة** - وهي المعروفة حاليا- ، فقد تأسست عند مطلع القرن 11هـ/17م، وبالضبط ما بين (1008-1009هـ/1599-1600م)[9] ، ويعود سبب ذلك إلى ظرفية تاريخية ارتبطت بالوباء الذي ضرب البلاد حينذاك (من 1007 إلى 1016هـ) ، فتسببت في افناء العديد من سكان أبي الجعد وخربها من أقصاها إلى أقصاها ، كما إن

---

[1] - من أجل الإطلاع على تاريخ الزاوية الشرقاوية وأدوارها ، نحيل على دراستي الأستاذ أحمد بوكاري ، **الزاوية الشرقاوية – زاوية أبي الجعد ، إشعاعها الديني والعلمي** ، ضمن سلسلة مساهمة في دراسة الزوايا والتصوف بالمغرب (1) ، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء ، الطبعة الأولى، 1985 ، **والزاوية الشرقاوية – زاوية أبي الجعد ، دورها الاجتماعي والسياسي** ، ضمن سلسلة مساهمة في دراسة الزوايا والتصوف بالمغرب (2) ، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء ،،الطبعة الأولى ، 1989

[2] - بوكاري ، **الإحياء والتجديد** ، م.س. ج1 ص18

[3] - يعود تاريخ تأسيس هذه الزاوية إلى النصف الأول من القرن 10هـ/16م، إذ إن مؤسسها سعيد أمسنا والصومعي توفي في سنة940هـ/1533م ، إلا أن شهرتها ومكانتها بين الزوايا لم تترسخ إلا مع تلميذه وخلفه أحمد بن أبي القاسم الصومعي .

[4] - بوكاري ، **الإحياء والتجديد** ، م.س. ج1 ص18

[5] - هذه الزاوية قد اختلف بشأنها سواء مكانيا أو زمانيا ، وذلك راجع لاندثار آثارها ولضعف المادة المصدرية حولها .

[6] - عن حيثيات وأسباب وأثار هذا التأسيس ، انظر، أحمد بوكاري ، **الزاوية الشرقاوية** ، ج1 ، صص69- 75

[7] - لم يتبقى منها سوى أثار جزء من الأسوار ومقبرة رجال الميعاد ، انظر، المرجع نفسه، ص ص 83-84-88

[8] - أحمد بوكاري، **الزاوية الشرقاوية والمخزن – تأطير المجتمع واكراهات الوساطة** - ، المطبعة والوراقة الوطنية – مراكش ، ط1 سنة 2017م ، ص33

[9] - فيما يخص حيثيات تأسيس الزاوية الشرقاوية الأولى والثانية ، انظر، أحمد بوكاري، **الزاوية الشرقاوية – إشعاعها الديني والعلمي**، ج1، م.س. ، صص 75-86

هذا الوباء تسبب في وفود عدد كبير من المرضى إلى الزاوية ملتجئين إليها التماسا للعافية ودفعا للضرر، مما زاد من حدة المرض ووطأته[1]، وهو ما اجبر الشيخ المؤسس الإبتعاد عن موقع الزاوية الأول بمسافة غير بعيدة (حوالي 1,5 كلم) فأسس زاوية جديدة وهو المكان الذي يقع في أبو الجعد الحالي حيث يوجد ضريحه واضرحة جملة من أبنائه وحفدته، في حين أن أبا الجعد القديم أصبح يحمل اسم "رجال الميعاد" نسبة إلى أبنائه الخمسة المدفونين هناك وسط مقبرة قديمة تحتوي عشرات القبور[2] .

وتجدر الإشارة، إلى أن نفوذ الزاوية الروحي والصوفي للزاوية الشرقاوية تركز في مجالات قبلية قروية موغلة في البداوة مثل الشاوية ودكالة ، وهذا سيكون له تأثير على الأسلوب الصوفي لشيوخ هذه الزاوية حتى يكون في انسجام مع طبيعة هذا المحيط القبلي البدوي ، وذلك بالرغم من أن مدينة أبي الجعد – مقر الزاوية الشرقاوية – كانت تعد من المراكز الحضرية البارزة في الفترة الحديثة من تاريخ المغرب[3] .

وقد مرت الزاوية الشرقاوية بمراحل عكست تذبذبها على المستوى العلمي والعملي (سواء من حيث التنظير أو الممارسة) حيث شهدت تحولا وانتقالا من زاوية علم وتصوف إلى زاوية شهرة ، فقد كان أساسها علميا عند التأسيس ، لكن مع موجة اختراق منظومة التصوف من الداخل أو من الخارج، سواء بالتصوف الشعبي أو بالسياسة، فقد بدأت الزاوية تميل إلى الدعة والخمول، فأستنكر عليها رجال العلم والمتصوفة خروجها عن خط العلم ، والاهتمام بجمع المال والحصول على أكبر عدد من الأتباع .

إلا أنه وخلال القرن 12هـ/18م ستشهد الزاوية الشرقاوية مرحلة تجديد، وذلك في عهد الشيخ أبي عبد الله محمد الصالح ت1727م/1139هـ ، وخليفته أبي عبد الله محمد المعطي ت1180هـ/1766م ، لتشهد انطلاقة صوفية جديدة أكثر إرتباطا بالعلم والعمل[4]، فانعكس ذلك على تطور الزاوية من خلال تنشيط حلقات العلم والدرس وجلب كبار العلماء والمتصوفة، مما خلق إنتاجا على مستوى التأليف ، من قبيل "ذخيرة المحتاج"، وفي نفس الفترة برزت كتب تراجم الزاوية[5]؛ وما يمكن أن يقال عن هذه المرحلة التجديدية (ابتداءا من الربع الأول من القرن18) – والتي لم تكن الزاوية الشرقاوية بمفردها تشهده ، بل كانت هذه الموجة كردة فعل من طرف العلماء للبدع التي بدأت تنتشر- أنها ستنتهي خلال الربع الأخير من القرن 18م لتعود الزاوية وتدخل في موجة زوايا الشهرة، حيث بلغت أوج قوتها المادية من الثروات ، والعددية من الأتباع الكثيرين بالشاوية وتادلا[6] .

---

[1] - انظر، أحمد بوكاري، **الزاوية الشرقاوية – إشعاعها الديني والعلمي**، ،ج1، م.س. ص85 .

[2] - المرجع نفسه ، ص 82

[3] - لطيفة شراس ، **الحركة الصوفية في منطقة تادلا خلال القرنين 10-16/11-17** ، م.س. ، ص236

[4] - انظر، أحمد بوكاري ، **الإحياء والتجديد**، ج1 ، ص 19

[5] - **المرجع نفسه** ص 20

[6] - انظر ، **المرجع نفسه** ، ج1، ص18 ، إذ تكلم عن تصوف الشهرة وتصوف الأخلاق وتصوف الحقائق .

وقد تفرعت عن الزاوية الشرقاوية عدة طوائف، خاصة تلك التي نحت منحى تصوف العوام، نموذج الطائفة الحمدوشية الشهيرة، وأسماء رفاقها في الطريقة - أتباع الطائفة القاسمية وأتباع زاوية علي بن محمد الشاوي[1] ، وهذه طوائف قامت على أساس تصوف أهل الأحوال والغيبة إلى حد البهللة وإثارة الملامة، وتلك أهم خصائص الشرقاوية- حسب الباحث أحمد الوارث[2] .

ج - الزاوية الوزانية :

هي واحدة من الطرق الصوفية التي ظهرت في المغرب منتصف القرن11هـ/17م، ضمن مرحلة سياسية حرجة ما بين أفول الدولة السعدية وبدايات الدولة العلوية، فكانت أول أمرها ك"خلوة" بوزان قبل أن تتحول إلى زاوية ثم مدينة[3]؛ وقد تأسست الزاوية الوزانية على يد "**عبد الله الشريف الحسني اليملحي العلمي**" (ت1089هـ/1678م)، الذي تلقى تعليمه بتطوان قبل أن يشد الرحلة إلى مدينة فاس فقضى بها مدة من الزمن امتدت من 1028هـ/1619م إلى 1034هـ/1623م، تتلمذ خلالها على ثلة من علمائها، ليتخرج منها عالما متبحرا في العلوم الدينية، سواء في علوم الظاهر أو الباطن[4] .

وقد ورث الشيخ عبد الله الشريف مقام القطبانية عند عودته لقبيلة مصمودة، فأعلن عن نفسه ليقصده الناس من كل البقاع والمداشر، يقول في ذلك صاحب تحفة الإخوان **"فانتصب للناس ، فورد عليه الركبان من كل النواحي والبلدان، وجعل يعطي الأوراد ، يطعم الطعام للوراد"**[5]، وحين اشتهر أمره انتقل إلى وزان حيث أسس بها زاويته، فكانت النواة الأولى لانطلاق توسع عمراني حولها، واستمر في الاتساع طول حياة الشيخ وبعدها[6]، وقد جعل من زاويته مقرا لنشر التصوف والعلوم ، كما عزز مرفقها بالمسجد دلالة على المنهج السني الذي اتخذه الشيخ، فكان برنامجه اليومي بالزاوية دليلا على هذا النهج، والذي تضمن الصلاة اليومية، وقراءة الخطبة، وإقراء القرآن، وترديد الأذكار، وتداول كتب الحديث والتصوف[7]، ولما توفي الشيخ عبد الله الوزاني، ورث سره ولده سيدي محمد وذلك سنة 1089هـ/1678م، الذي أخذ عن والده في قائم حياته، فكان يشير إليه، ويدل أصحابه عليه[8]، وقد سهر الشيخ سيدي محمد على تربية

---

[1] - أحمد الوارث ، تصوف العوام خلال القرنين 17 و18م – التيارالشرقاوي نموذجا ، ضمن **ندوة الرباطات والزوايا في تاريخ المغرب** ، م.، ص237

[2] - **المرجع نفسه** ، ص240

[3] - للتوسع في دور الزاوية الوزانية في تأسيس مدينة وزان ، انظر،

Hassan Elboudrari, *Quand les saints font les villes; lecture anthropologique de la pratique sociale d'un saint marocain du XVII SIECLE* ,*Annales ESC*, mai-juin 1985 , N 3, p p 489-508

[4]- انظر، محمد القادري، **نشر المثاني...**،ج2 ، م.س. ص ص 233-236؛ **التقاط الدرر...** م.س. ص208؛ عبد السلام ابن سوده،، **إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع** :تحقيق محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1997 م .ج1 ص 27 ؛ حمدون الطاهري الجوطي ، **تحفة الإخوان** ، م.س. ص ص 126-146

[5] - حمدوون الطاهري الجوطي ، **تحفة الإخوان...** ، م.س. ص 132

[6] - حمدون الطاهري الجوطي، **تحفة الإخوان...** م.س. هامش رقم 4 ، (قسم التحقيق)، ص 126

[7] - Hassan Elboudrari , *Quand les saints font les villes…*p 497

[8] - انظر، حمدون الطاهري الجوطي، **تحفة الإخوان...** م.س. ص 147

المريدين وتلقين الأوراد والأحزاب والأذكار، وانكب على تدريس الحديث الذي كان له فيه صيت بعيد ، كما عمل على تقوية الزاوية ، وأنشأ لها فروعا خصوصا في مدينة فاس[1] .

وعند وفاة الشيخ محمد ابن عبد الله الشريف سنة 1120هـ/1708م، ورثه ولده الشيخ مولاي التهامي "**الذي قام مقامه، وغذت له بين الأولياء مقامة**"[2]، فعرفت في عهده الزاوية الوزانية تطورا، وبفضله انتشرت الطريقة الوزانية في كل بقاع المغرب، ووصلت لبعض البقاع الإسلامية كمصر والشام والعراق، يقول عن ذلك حمدون الجوطي "**فهو ممن تشد إليه الرحال ...مع تراكم الناس عليه ..وشد الرحال إليه من أقاصي البلاد وأقطار الأرض، حتى لقد رأيت الناس وفدوا برسم الزيارة من البلاد المشرقية، وقرأت أنا غير ما مرة رسائل وفدت عليه من الديار المصرية والشامية والعراقية**"[3] .

وعند وفاة الشيخ مولاي التهامي سنة 1127هـ/1715م، ورثه أخاه مولاي الطيب الذي تولى أمور الزاوية والطريقة الوزانية[4] ، فعرفت في عهده تطورا ملحوظا على المستويين السياسي والروحي والمادي ، إذ تمكن من تأسيس زوايا جديدة بعدة مناطق مغربية ، وقد تتلمذ له في التصوف ثلة من كبار علماء المغرب كالتاودي بن سودة ، ومحمد بن زكري، وسليمان الحوات، ومحمد بن الحسن بناني، وحمدون الطاهري الجوطي[5] .

وبذلك تكون الزاوية الوانية رغم حداثة تأسيسها مقارنة بالزوايا الكبرى كالفاسية والناصرية والدلائية والشرقاوية ، قد تمكنت من أن تأخذ لها مكانة بارزة ضمن زوايا المغرب وطرقه الصوفية، ففي فاس والتي تعتبر معقل الزاوية الفاسية، تمكنت الطريقة الوزانية من استقطاب العدد الكبير من الأتباع؛ ويمكن القول أن هذه المكانة التي بلغتها جاءت نتيجة المنهج السني الذي الذي سطر مسار الزاوية الوزانية والذي قام على التــزام السنة في جميع الأقوال والأفعال ومجانبة البدع، وإطعام الطعام، والتبري من الدعوى، وكثرة الاستغفار والذكر والصلاة على النبي ﷺ، إلى جانب الزهد في الدنيا[6]، حيث لعب هذا العامل دورا في علو شأنها، فكان لها ذلك الزخم الكبير والشهرة الواسعة، كما جاءت استجابة لمتطلبات المرحلة الصوفية، بالنزول بالتصوف في معراجه إلى فئات المجتمع العامة، وهذه الخاصية لم تعني الزاوية الوزانية بشكل خاص بقدر ما عنت كل زوايا المرحلة تقريبا، حتى تلك الزوايا التي بنيت على أساس علمي كالزاوية الفاسية والناصرية، ولعل هذا الوضع لخصه الشيخ حمدون الطاهري الجوطي بحديثه حول تربية الشيخ الطيب للمريدين، بقوله "**وكان الشيخ الطيب جل تربيته للمريدين**

---

[1] - انظر، حمدون الطاهري الجوطي، **تحفة الإخوان...**، م.س. هامش رقم 2 ، (قسم التحقيق) ص 147

[2] - **المصدر نفسه** ، ص 161

[3] - **المصدر نفسه** ، ص 161

[4] - انظر ، **المصدر نفسه**، 182

[5] - **المصدر نفسه**، هامش رقم 3 ، (قسم التحقيق)، ص 182

[6] - **المصدر نفسه** ، ص 57

بالنظر والهمة لأن التربية بالاصطلاح اندثرت لضعف حال المريدين وقلة الرغبة في الدين، وكثرة الإقبال على الدنيا، وإعراض الناس عن الآخرة"[1] .

د- الزاوية العياشية :

أسست الزاوية العياشية بالأطلس الكبير الشرقي على ضفاف أحد روافد نهر زيز جنوبي مدينة ميدلت، وهي تعرف الآن ب"زاوية سيدي حمزة"، يرجع تأسيسها للشيخ محمد بن أبي بكر العياشي خلال 1044هـ/34-1635م، الذي يعتبر من كبار مريدي زاوية الدلاء، وقد عمل مؤسسها على تقويتها علميا ودينيا وصوفيا، حيث سعى إلى إتمام مرافقها الدينية، فبنى بها مسجدا خاصا ودورا للطلبة، كما سعى لها في تأمين مصادر مادية من أجل ذلك، كأوقاف لصالح الطلبة ومشرفيها من الأساتذة والفقهاء، فعمرها بتلاوة القرآن وقراءة أحزاب الشاذلي وتدريس مبادئ العلوم، ولأجل إثراء الزاوية وإتمام مرافقها (إلى جانب الزاوية والمسجد ودور الطلبة)، قام الشيخ محمد بن أبي بكر العياشي برفقة أخيه عبد الجبار بن أبي بكر العياشي (ت1082هـ) ، بتأسيس مكتبة نفيسة، هذه المكتبة ستزداد غنى مع ابن محمد بن أبي بكر، وهو الشيخ عبد الله (أبي سالم)[2]، الذي كان له دور بارز وكبير في إغناء هذه المكتبة كما وكيفا، إذ عرف أبي سالم العياشي بولوعه الكبير باقتناء الكتب سواء عن طريق الإنتساخ أوالشراء من المغرب ومن المشرق، بادلا جهدا جبارا وكبيرا في الوصول إلى العديد من المؤلفات، ومستعينا في ذلك بالعديد من أصحابه الذين قدموا له يد المساعدة في ذلك[3] .

وقد كان للزاوية الدلائية دور كبير في وجود الزاوية العياشية وفي مسيرتها العلمية والصوفية، فأصل تأسيسها كان بإشارة من الدلائيين[4]، حيث أسس محمد بن أبي بكر العياشي زاويته على صورة زاوية الدلاء، فكانت امتدادا لإشعاع الزاوية الدلائية وتعاليمها وأدوارها الصوفية[5]، كما أن أورادها الملقنة كانت قريبة مما يتلقاه مريدو الزاوية الدلائية[6]، ولا تتوقف هذه التبعية والارتباط بالجانب الديني والعلمي فحسب، بل شمل معظم الأدوار السياسية والاجتماعية، ويتجلى ذلك في تقارب الأهداف بينهما، كما أن بعض الأحداث التاريخية توضح هذا الارتباط، حيث تعرضت الزاوية العياشية لمحن الاختبار من قبل سلاطين الدولة العلوية، وبالخصوص من قبل المولى الرشيد والمولى إسماعيل، وأبرزها نوع المضايقات التي واجهتها من طرف السلطان العلوي المولى رشيد بعد تحطيم الزاوية الدلائية وانهزام قادتها[7] ، فقد كادت أن

---

[1] - حمدون الطاهري الجوطي، **تحفة الإخوان...**، م.س ص 190

[2] - محمد الصغير الفاسي، **المنح البادية ...**، م.س.ج1، (قسم الدراسة) ص37

[3] - انظر، محمد المنوني ، مكتبة الزاوية الحمزاوية – صفحة من تاريخها ، **مجلة تطوان** عدد 8 السنة 1963 ، ص ص 98 – 99 ، أبو سالم العياشي ، **اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر** ، م.س. (قسم الدراسة). ص ص 64 – 65

[4] - انظر، أبو سالم العياشي، **اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر** ، دراسة وتحقيق نفيسة الذهبي ، مطبوعات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط ، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 33 ، ط مطبعة النجاح الجديدة الرباط ، ط1 سنة 1996م ، (قسم الدراسة) ص 21 ؛ انظر كذلك : محمد الصغير الفاسي، **المنح البادية ...**، م.س.ج1، (قسم الدراسة)، ص37

[5] - انظر، أبو سالم العياشي ، **اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر** ، م.س. (قسم الدراسة) ص 23

[6] - **المصدر نفسه** ، ص ص 24 -25

[7] - **المصدر نفسه**، ص25

تتعرض لما تعرضت له الزاوية الدلائية، ولكن بفضل عدة عوامل تمكنت من تجاوز هذه المحنة، حيث يعزو مؤلف "**الإحياء والإنتعاش**" موقف السلطان الذي عزم في البداية على محاربتهم ونهبهم، بسبب ما بلغه عنهم من أخبار تفيد بأنهم يطمعون في الملك والسلطة، إلى كونه انتصح وقبل استشارة رؤساء وأكابر دولته فاكتفى بترحيلهم إلى مدينة فاس عام 1082هـ/1641م[1] .

وفي مدينة فاس سيعرف أهل وعلماء الزاوية العياشية محنة عسيرة أقرب إلى محنة أهل الزاوية الدلائية من ضيق العيش واحساس بالغربة، بحيث لم يستطع أهل الزاوية العياشية ضمان العيش الذي تعودته فضاقت سبلها وسكن أكثر أفرادها أخصاصا فوق الفخارين، كما اختلفوا في طريقة كسب الرزق ما بين مشتغل بالعلم، وبائس غلب عليه الضعف وفشا فيه الموت[2]، ولم تنته هذه المحنة إلا بقرار المولى إسماعيل الذي سمح لهم بالرجوع إلى مواطنهم في شهر محرم سنة 1083هـ/أبريل 1672م[3]؛ وقد عبر الشيخ أبي سالم بن أبي بكر العياشي (ت1090هـ/1679م) عن هذه المعاناة والآلام، وذكر بالعبرة التي تستخلص من المحن، وأكثر من الثناء والحمد على العناية الالهية بهم في أول خطبة خطبها بعد رجوعهم في مسجد الزاوية يوم الجمعة الأخيرة من شهر محرم من السنة نفسها مستفتحا القول "**الحمد لله الذي أحيانا بعد أن أماتنا وإليه النشور**"[4] .

وبالرغم من المحنة التي تعرضت لها الزاوية العياشية فقد استمر إشعاعها وامتد لنحو قرن من الزمن، حيث ظلت تمارس نشاطها الصوفي والعلمي – وان لم يكن كالسابق بسبب ما تعرضت له-[5] .

2- الطرق الصوفية في المغرب ودورها في انتعاش الثقافة الصوفية

شهد المغرب خلال مرحلة القرنين 17 و18م انتعاشا صوفيا، كان نتيجة التواصل بين الطرق الصوفية، والذي بلغ درجة التبادل والتعايش والتلاقح العلمي والصوفي بين مجمل الطوائف الصوفية خصوصا ذات التوجه العلمي، لدرجة أن المشارب الصوفية المختلفة بين زوايا المرحلة توارث خلف هذا التلاقح، كما أن التقارب بين ثقافة التصوف الحضري والبدوي خلال القرن 17م ساهم في توسيع دائرة التواصل والتبادل الصوفي، وقد كان لعامل الأزمات دور هام في تقليص الهوة بين الطرق الصوفية، لدرجة أن أصبح رجال التصوف يتلقون الطريقة من شيوخ طرق آخرين ويقومون بتلقينها لمريدين متعددي المشارب، فبات يصعب خلال القرن 18م – بالخصوص- الحديث عن وجود فوارق وحواجز بين زوايا وجدت بمجال بدوي أو بمراكز حضرية بسيطة، وبين زوايا المدن والعواصم الكبرى، رغم أن هذا لا يعني –

---

[1] - ذكر ذلك على لسان الشيخ أبي سالم في مؤلفه "الإحياء والانتعاش" حين قال: فأرسل إليهم من حشرهم وعيالهم، وأخلا بلادهم وديارهم ، وساروا إلى مدينة فاس راجلين" ، انظر، أبو سالم العياشي ، **اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر** ، م.س. (قسم الدراسة). ص 26

[2] - **المصدر نفسه**، ص 27

[3] - **المصدر نفسه** ، الصفحة نفسها

[4] - أورد أبو سالم العياشي نص الخطبة كاملا في مؤلفه "**الإحياء والانتعاش في تراجم سادات زاوية آيت عياش**"؛ انظر، أبو سالم العياشي ، **اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر** ، م.س. (قسم الدراسة) ص 27

[5] - انظر، محمد حجي ، **الزاوية الدلائية** ، م.س. ص 65

على وجه الإطلاق- تشابه المناهج والسلوكيات الصوفية للمجالين، حيث ظل يطبع كل مجال نوع من التميز والاختلاف، والذي يحيل على تباين الخصوصيات الثقافية والاجتماعية السائدة في بيئة كل منهما، وهذا يعكس في نفس الوقت صورة عن ميولات ورغبات اتباع ومريدي كل مجال، وبصيغة أخرى فإن ظاهرة التصوف يمكن أن تنطبع بخصوصيات البيئة التي أفرزتها لكن ليس إلى حد القطيعة مع مثيلاتها في بيئات مختلفة[1]، فمثلا، زوايا المراكز البدوية – خاصة منطقة تادلا- كانت مستقطبة حين كانت حواضر فاس ومراكش تعاني من الاضطرابات، وعلى العكس من ذلك، وجد أبناء زوايا تادلا صعوبة في الانصهار والاندماج داخل مجتمع حضري كفاس، رغم منافسة ومضاهات علمائها، والمقصود بهم على وجه التحديد، أبناء الزاوية الدلائية الذين تم ترحيلهم إلى مدينة فاس بعد تخريب زاويتهم .

وعموما، فإن هذا التلاقح الطرقي بين رجال العلم والتصوف، كان له أسباب وعوامل متعددة، أبرزها :

- **الظروف السياسية**: حيث شهد المغرب خلال المرحلة أزمات حادة خصوصا منذ النصف الأول من القرن 11هـ/17م، أسهمت في هروب وانزواء مجموعة من رجال التصوف والعلم من مناطق الصراع إلى الزوايا الآمنة – لاسيما القروية منها-، تلك التي حضيت بشهرة واسعة والتي ظلت بعيدة عن قلب الصراعات التي عصفت بالحواضر أنذاك، مما جعلها تستقطب أبناء تلك الحواضر، مثلما كان الشأن بزوايا منطقة تادلا كالزاوية الشرقاوية والدلائية والصومعية، في الوقت الذي كانت تعرف فيه المراكز العلمية التقليدية كفاس ومراكش نوعا من التراجع .

- **الترحيل القسري**: والذي مس بالخصوص رجال الزاويتين الدلائية والعياشية في عهد السلطانين المولى الرشيد والمولى إسماعيل، فكان لذلك دوره في دخول علماء هاتين الزوايتين لمدينة فاس، وما تبع ذلك من اندماجهم في حلقات العلم والتدريس والطوائف الصوفية .

- **حلقات العلم المفتوحة:** حيث أتاحت لكل مريد وكل طالب علم، النهل من النبع الذي يريد ويشاء دون قيد أو شرط، فأسهمت بذلك بشكل كبير في ذلك التلاقح، إذ تجمع العديد من المريدين مختلفي المشارب الصوفية والطرقية ضمن المراكز التعليمية والتي اتخذت إشعاعا أثناء مرحلة القرني 17 و18م ، فاعتبرت مشربا علميا بامتياز فشهدت التلاقح والتعايش الصوفي بين جنباتها، إذ إن شهرة العديد منها فضلا عن الظروف التي عرفها المغرب، جعلها متميزة فنالت شرف أن تصبح محجا ومقصدا لكل راغب في العلم، سواء بالمراكز القروية كالزاوية الدلائية الناصرية والعياشية، ومن المراكز الحضرية الزاوية الفاسية ومساجد فاس الكبرى، مما جعل العلاقة تتطبع وتصبح نموذجية سواء بين المريدين فيما بينهم، أو بين الشيخ والطالب أو المريد،

[1] - لطيفة شراس، **الحركة الصوفية في منطقة تادلا خلال القرنين 10-16/11-17م**، م.س.، ص 240

بعيدة عن حسابات المنافسة بين الزوايا أو التصدر أو الأفضلية، كعلاقة ابن ناصر الدرعي باليوسي وعلاقة هذا الأخير بالشيخ عبد القادر الفاسي .

وعموما، فإن المصادر التاريخية تزخر بصور التلاقح والتعايش الصوفي التي ميزت مرحلة القرنين17 و18م[1]، حيث مثلت كل من الزاوية الناصرية والدلائية والفاسية نموذجا لامعا من مظاهر هذا التعايش والتلاقح، فمثلا نجد الزاوية الناصرية والتي بلغت شهرة علمية كبيرة خصوصا على عهد محمد بن ناصر الدرعي، قصدها رجال من مختلف ربوع المغرب، مثل الشيخ اليوسي الذي أخذ مبادئ الطريقة الناصرية عن شيخها، فكان يقوم بتلقينها لطلابه ومريديه المختلفي الإنتماءات الطرقية والثقافية من الزاوية الدلائية والعياشية والفاسية...، فمن الزاوية العياشية أبي سالم العياشي، ومن مدينة فاس عبد السلام بن الطيب القادري(ت1110هـ/1698م)[2]، وابن زاكور (ت1120هـ/1708م) الذي كان مطمحه ومراده طيلة رفقته للشيخ اليوسي أن يأذن له بأخذ الورد الناصري عنه[3] ، ولا يقتصر الأمر على هاته الأسماء، سواء من مدينة فاس أو خارجها، فالشيخ اليوسي حين كان مقامه بمدينة فاس كانت مجالسه العلمية تضج عن آخرها بالطلبة والمريدين[4] ، كما كان لا ينأى بنفسه عن التعاهد بالزيارات لكبار المشايخ والزوايا في وقته، والأخذ عنهم على سبيل الانتفاع، إذ يذكر ذلك اليوسي بنفسه عند تعداد شيوخه الذين أجازوه[5] ، كما كان كثير الزيارة للشيخ عبد القادر الفاسي الذي كان يزوره في زاويته بالقليقليين .

وبدورها الزاوية الفاسية لم تغب عن لائحة الزوايا المستقطبة، خاصة في مراحل استقرار حال مدينة فاس، حيث استقطبت خلال القرن 17م مجموعة من المريدين مختلفي المشارب، من بينهم: رجال الزاوية العياشية، خاصة عالمها – أبي سالم العياشي – الذي هاجر هو وبعض أهله إلى فاس، فدرس في مساجد ومدارس وزوايا مدينة فاس[6] ، كما استقطبت مجموعة من رجال الزاوية الدلائية ، فبعد تخريبها تم ترحيل بعض أبنائها إلى مدينة فاس الذين قصدوا الزاوية الفاسية[7] .

كما أن جل طلاب العلم آنذاك كانوا يعرجون في تعلمهم على عموم رجال العلم مهما كان انتمائهم الطرقي، ولا أبلغ من هذه العبارة التي أوردها القادري في مؤلفه نشر المثاني حين عرج على سيرة عالم تطوان علي الحاج بركة، قوله: "**قرأ العلم بفاس على مشايخها، منهم سيدي عبد القادر الفاسي، وأخذ الطريق عن أبي عبد الله بن ناصر وكانت له مواصلة مع سيدي أحمد بن عبد الله...**"[8] .

---

[1] - سيكون لنا في أبواب وفصول لاحقة شذرات متفرقة من هذا التلاقح والتعايش الصوفي، وذلك من خلال زوايا مدينة فاس وسير رجالها .

[2]- انظر، امحمد بن أحمد الفاسي، **المورد الهني بأخبار الإمام عبد السلام القادري الحسني،** تقديم وتحقيق خالد بن أحمد الصقلي، منشورات دار الأمان الرباط ط1 سنة 2008م ، م.س. ص ص 54-59

[3] - أحمد الطريبق أحمد، **الخطاب الصوفي في الأدب المغربي على عهد السلطان المولى إسماعيل** (الرسائل والشعر) ، مطبعة سيليكي إخوان – طنجة، ط 2008 ، ج1 ص 116 .

[4] - سنأتي على ذكر جانب من تاريخ إقامته في فاس من خلال نبذة عن سيرته، ضمن الباب الأول من هذه الدراسة .

[5] - انظر، الحسن اليوسي ، **المحاضرات** ، م.س. ، ج2 ص ص 671- 676 ، حيث يورد الشيخ اليوسي كل شيوخه الذين أجازوه وانتفع بهم .

[6]- انظر، القادري، **التقاط الدرر** ، م.س. ص ص 212 -213 .

[7] - سنأتي على تفاصيل تأثيرات مدينة فاس وزواياها ضمن الباب الأول من الدراسة .

[8] - القادري ، **نشر المثاني ...،** ج3، م.س. ص195 .

وفي هذا السياق وما يثمن هذا التلاقح الصوفي، هو ما ألفه رجال التصوف من القصائد والمنظومات في حق رجال الزاوايا، من ناظم ينتمي لزاوية معينة لرجل ينتمي لزاوية أخرى، مثل قصائد المدح التي خصها ابن زاكور الفاسي للشيخ اليوسي[1]، أو في شروحات القصائد، كمثال: شرح الشيخ امحمد الفاسي القصري (ت1750م) لأرجوزة محمد البكري الدلائي (ت1720م) بمؤلف "**درة التيجان ولقطة اللؤلؤ والمرجان**"[2]، فالأول ينتمي للزاوية الفاسية، والثاني للزاوية الدلائية، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على تلك اللحمة الصوفية التي جمعت رجال الطريقة الشاذلية وإن فرقت بينهم المسميات؛ كما نجد العديد من الرسائل المتبادلة بين رجال التصوف المختلفين، والتي تضمنت نصائح واستفسارات وأجوبة عن مسائل شرعية وغير ذلك، وإن ما بقي من هذا التبادل التأليفي ما لا يعد ولا يحصى[3] .

3- التطور الصوفي وبروز ظاهرة البدع

اكتسحت ظاهرة البدع تصوف مرحلة القرنين 17 و18م، والتي لم تكن إلا انعكاسا للتحولات التي شهدها المغرب، وهذه الظاهرة وإن كانت انبثقت بقوة خلال هذه المرحلة، إلا أنها تضرب بجذورها منذ القرن 14م، وذلك مع تقدير العامة وتعظيمهم للصوفية، هذا التعظيم سيعرف تفاقما مع صعود السعديين الذين حظوا بدعم الزوايا والصوفية لهم قبل وأثناء حكمهم، مما جعل السعديين يخضعون لأرباب الزوايا، كما أن التصوف لما بلغ مرحلة من النضج والكمال العلمي، لم يكن ذلك ليمر دون بروز سلبيات تنم عن الخروج عن جادة الطريق، خاصة وأن الأمر لم يتوقف عند العامة من الناس، بل شمل خاصتهم من أهل العلم والفقه، فاختلط الجاهل بالعالم، وبالتالي كان من الصعب التحكم في مسار حركة التصوف؛ وهذا ما حصل لهذا التيار الذي ظهر فيه دجالون يدعون العلم، مستغلين الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي مر منها المغرب أنذاك، هذه الظروف مثلت وسطا ملائما لتكاثر زوايا البدع والدجل، وظهور متصوفة وأرباب زوايا معروفين بالتدليس والكذب والشعوذة، وما لازم ذلك في ظهور العديد من التيارات الصوفية المنحرفة؛ لهذا فمرحلة القرنين 17-18م، كانت مهيأة لنمو هذه الظاهرة وانتشارها، خاصة أنه وجد ما يغذيها من الأزمات التي عرفها المغرب على كافة المستويات.

وقد أسهمت عوامل أخرى في ظهور المبتدعة، وهي مرتبطة بمنظومة الزوايا والتصوف؛ على رأسها:

- **عوامل مرتبطة بتسيير وإدارة الزوايا**، حيث بدأ الجانب المادي يغلب على الجانب الديني والعلمي للزوايا، خصوصا مع كثرة المداخيل التي كانت تحصل عليها، مما أدى إلى تعدد الزوايا المنبثقة عن الزاوية الأم، هذا الأمر وخلال مرحلة القرن 18م – بالخصوص- خرج عن السيطرة من قبل أرباب الزوايا، فلم تكن تلك الفروع تخضع للمراقبة من طرف الزاوية المركز أو "الزاوية الأم"، خاصة وإن كان

[1] -انظر، أحمد الطريبق أحمد، **الخطاب الصوفي ... م.س.** ج1 ص 116 .

[2] - قام بتحقيقه والتعليق عليه خالد الصقلي ، ضمن سلسلة تحقيقات رقم 12-13، طبع دار الأمان – الرباط ط1 سنة 2012م .

[3] - لمزيد من التفاصيل بخصوص التبادل الثقافي والعلمي بين علماء الزاوية الفاسية وغيرها من الزوايا المغربية، انظر الفصل الثاني من الباب الأول.

هناك طول أمد يفصل بين تأسيس الزاوية الأم وبناء فروعها، وذلك راجع بدوره إما لظروف المغرب المتأزمة أو لكثرة الفروع .

- **عوامل مرتبطة بالمنظومة الداخلية للتصوف**، حيث أن الفكر الصوفي يحمل داخله عناصر مغذية للبدع، أبرزها الكرامة أو البركة، هذا العنصر وإن كان لا غبار عليه، إلا أنه حين يخرج عن أهل العلم يتحول لخروقات، وهذا كان من أكثر عناصر التصوف التي انقلبت إلى سلبيات باستغلالها من طرف أهل الشهرة، حيث تزخر كتب المناقب والفهارس الصوفية على العديد من صور الكرامات المبالغ فيها، والتي نسبت حتى للمتصوفة من العلماء .

- **جوانب عقائدية مرتبطة بالفكر الصوفي**، وذلك من خلال المزج بين مختلف الأفكار والمبادئ الصوفية، حيث راج خلال القرن 18م – بالخصوص- أفكار صوفية دخيلة من التصوف القديم مما أدى إلى الخلط بينها وبين مبادئ التصوف الشاذلي، فشاع بذلك بين أتباع الطرقيين الترف والكسل[1] .

ويمكن القول عن ظاهرة البدع، أنها برزت ضمن المشهد الصوفي المغربي من خلال ثلاث مستويات:

- **المستوى الأول: ظهور انحرافات في بعض الزوايا العلمية،** وذلك من خلال سلوك شيوخها وأتباعها، بسبب الجهل الذي بات يسيطر على ذهنية العامة من الناس، نموذج ما صارت عليه الزاوية الشرقاوية ، وهو جعل الشيخ أبي المحاسن يراسل شيخها "امحمد الشرقي"، مع تقديم النصح له[2] .

- **المستوى الثاني: ظهور طرق وطوائف بدعية** من وسط الأزمة، فتبنت البدعة كسلوك ضمن منظومتها وبنيتها الداخلية، حيث يمكن القول أن هذه الطرق ليست طرقا مستها البدعة، بل هي بدع قامت كطرق صوفية، وقد بلغت تلك الطرق خلال القرن 17م شهرة كبيرة، وكأبرز مثال عن ذلك طائفة العكاكزة[3]، التي وصفت من علماء الوقت بأنها تعيث في الأرض فسادا، خصوصا مع النفوذ والقوة التي باتت تملكهما خلال القرن 17م، والذي يرجع لشهرتها وكثرة أتباعها، فهذا الشيخ أبو بكر الدلائي – وبالرغم من مكانته وعلمه- ، كان يداريهم تجنبا لشرهم، وهو ما يذكره الشيخ اليوسي في محاضراته، إذ يقول "**حدثني الأستاذ أبو عبد الله الشرقي بن أبي بكر عن والده سيدي أبي بكر أنه ذات مرة هربت العكاكزة (أولاد عبد الحق بن المنزول) من بلادهم فنزلوا بساحته (يقصد الشيخ أبي بكر) وهم جياع، ووجدوا زرع زاويته محصودا مجموعا ، فقال لهم : ادرسوا وكلوا ، فقام إليه ولده الكبير أبو عبد الله محمد ابن أبي بكر فأنكر ذلك، وقال: إن هؤلاء فساق أو كفار، ثم هم ظلام محاربون فكيف تعينهم**

[1] - عبد المجيد الصغير، **اشكالية إصلاح الفكر الصوفي في القرنين 18-19م** ، دار الأفاق الجديدة، الرباط ط1 سنة 1994، ص94.

[2] - انظر نص الرسالة : عبد الخالق العروسي، **المرقي في بعض مناقب القطب سيدي محمد الشرقي**، دراسة وتحقيق محمد البقالي، منشورات دار الأمان، مطبعة الأمنية، الرباط، ط1، دون سنة الطبع، ص 203

[3] - انظر دراسة، عبد الله نجمي، **التصوف والبدعة بالمغرب – طائفة العكاكزة ق16-17م**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط 2001م.

وتبيح لهم زرع المساكين؟ فقال أبوه : إني أريد أن اتخذ عندهم يدا، فإذا استلبوا مسكينا يوما، وجاء إلي يشتكي كتبت إليهم كتابا فلا بد أن يراعوا هذا الخير فيردون عليه متاعه، فأنا فعلت هذا لحق المساكين"[1].

- **المستوى الثالث: ظهور صلحاء الشهرة والفتنة،** الذين عرفوا تكاثرا ملحوظا خصوصا خلال القرن 18م، والمقصود بهذه الفئة من الناس هم أولئك الذين استغلوا اعتقاد العامة بالخوارق وربطها في تصورهم بالتصوف، فيتبعون من يظهر لهم من كراماته وخوارقه حتى لو كانت سحرا؛ فهاهو الشيخ العالم اليوسي يروي عن حادث وقع بسجلماسة وكان شاهدا عليه، حيث يقول "**ذات ليلة أنه قد ظهر رجل في المدينة الخالية ، فأصبح الناس يهرولون إليه أفواجا، وخرجنا مع الناس فقائل يقول: ولي من أولياء الله، وآخر يقول صاحب الوقت، فلما بلغنا المدينة وجدنا الخلق قد اجتمعوا من كل ناحية على ذلك الرجل حتى أن أمير البلد وهو محمد بن الشريف خرج في موكبه حتى رآه، فلما كثر الناس اشتد الزحام عليه وتعذرت رؤيته، فدخل في قبة هناك في المقابر، فأخرج كفه من طاق القبة فجعل الناس يقبلون الكف وينصرفون، وكان كل من قبل الكف اكتفى ورأى أنه قضى الحاجة، فقبلناه وانصرفنا، ثم بعد أيام سمعنا أنه ذهب إلى ناحية الغرفة، وأنه سقط في بئر هنالك ومات، فظهر أنه رجل مصاب، وكأنه يشتغل باستخدام الجان ونحو ذلك فهلك"**[2]، وحكاية الشيخ اليوسي هاته إن دلت على شيء فإنما تدل على عمق أزمة التصوف التي بلغها خلال هذه المرحلة، بحيث أصبحت الولاية صفة يدعيها كل مجنون أو معتوه أو مسوس أو ملبس، فيقع به الاغترار للجهلة الأغمار[3]، وقد فاقت شهرة هؤلاء المدعون للولاية والصلاح كلا من العلماء والصلحاء حقا، فبدأت الناس تزيغ عن التصوف السني ويغريها تصوف الشهرة[4] والكرامات، فما قول اليوسي "**أن الناس يهرولون إليه أفواجا**" إلا ليدل على هذه الشهرة والمكانة التي بدأ يحضى بها هؤلاء المدعون، بل والأكثر من هذا فعالم ك"اليوسي"، وأمير ك"محمد بن الشريف" أيضا تتبعوا ظل هذا الرجل من أجل رؤيته والتبرك به، وإن كان الشيخ اليوسي على الأغلب ما دفعه لتتبع الرجل هو جانب الفضول، لكن جوابه من ناحية تقبيل اليد من طاق لهو يدل على الانسياق الأعمى لهؤلاء خصوصا من قبل عامة الناس، كما يدل على قوة نفوذهم في المجتمع حينذاك.

هذه التطورات لم تكن لتمر دون ردود فعل من شيوخ العلم والتصوف العلمي، والذين عملوا على درجة من الحيطة والحذر من كل مدع وطالب رياسة صوفية، كما عملوا على الرفع من درجة نشاط زواياهم، ونخص بالذكر الزاوية الدلائية والناصرية والفاسية والعياشية، فسعوا بكل الوسائل في محاربة هذه البدع .

---

[1] - الحسن اليوسي، **المحاضرات...** ، م.س. ج2 ، ص 398- 399

[2] - **المصدر نفسه**.. ج1 ص 105

[3] - **المصدر نفسه** ، الصفحة نفسها

[4] - انظر ، أحمد بوكاري، **الإحياء والتجديد** ،م.س. ج1 ص18، إذ تكلم عن تصوف الشهرة وتصوف الأخلاق وتصوف الحقائق.

الباب الأول

الحركة الصوفية في مدينة فاس خلال القرنين 17-18م

تقديم :

أسهمت مجموعة من العوامل في رسم ملامح الحركة الصوفية في مدينة فاس خلال القرنين 17 و18م، منها ما كان مرتبطا بعموم المغرب من أحداث سياسية وتطورات ثقافية واجتماعية، ومنها ما كان مرتبطا بخصوصية المدينة من عناصر تاريخية وحضارية وثقافية ومجالية إلى غير ذلك، إذ يمكن القول أن ما عرفته مدينة فاس خلال القرنين 17و18م من أحداث وتطورات، لم يكن بمعزل عن التطورات الشاملة والمؤثرات المختلفة في عموم المغرب كما لم يكن وليد المرحلة، وهذا ما جعلنا نخصص له جزءا من الدراسة، وذلك لأجل وضع مدينة فاس والحركة الصوفية في السياق العام لمختلف هذه التحولات، فرغم أن الهدف من دراستنا هو الشأن الصوفي، إلا أن الشأن السياسي والاقتصادي ومعه الاجتماعي والثقافي كلها كانت عوامل مؤثرة في التطور الفكري والديني بشكل عام والصوفي بشكل خاص، وهو ما تمثل واقعا في مراحل التطور الصوفي في مدينة فاس؛ وهو ما لخصه صاحب محقق "مرآة المحاسن" حول الظروف التي جاء فيها المؤلّف، بالقول:"**أن فترة كتابة الكتاب كانت من الناحية السياسية فترة اضطراب وقلاقل، ومن الناحية العلمية كانت فترة ركود علمي وانزواء، وهو ما دام لفترة قرن ونصف تقريبا**"[1] .

وبالتالي، فإن البحث في مجال الحركة الصوفية في مدينة فاس خلال القرنين17و18م، يتطلب تحديد كل العوامل الداخلية التي كان لها دور في إغناء أو تراجع هذه الحركة بدءا بالعوامل التاريخية التي لعبت دورا في إبراز مدينة فاس كمركز حضري، مرورا بالعوامل السياسية فالثقافية، كما يتطلب دراسة دور رجال الفقه والتصوف في بلورة الحركة الصوفية وتطورها .

ولأن مرحلة القرنيين 17 و18م عرفت حكم أسرتين هما: السعديون والعلويون، فقد كان لزاما ربط تاريخ حكمهما بتطور الحركة الصوفية بفاس؛ ويمكن القول، إنه بالرغم من المفارقات السياسية التي ميزتهما، إلا أنهما التقتا في عدة خصائص مشتركة، الأمر الذي فرض نفسه في التعاطي مع مجموعة من القضايا البحثية تشمل كلا الدولتين .

وقبل الدخول في دراسة هذا الجزء من الدراسة، لابد من الإشارة إلى مفهوم سأقوم بتوظيفه، وله استعمال في حدود السياق، كمفهوم نسبي وليس مطلقا، بحكم القضية المدروسة، هذا المفهوم هو "**التصوف الفاسي**"، وأعني به التصوف المرتبط بمدينة فاس، وهذا قد لا يكون دقيقا من حيث المفهوم الديني المرتبط بالتصوف، لكن بحكم أن التصوف في مدينة فاس – خصوصا مرحلة الأزمات – خرج من ضيق المكان إلى اتساع المجال عن طريق صوفيي هذه المدينة، فإن القصد هو ربط هذا المفهوم بهم، حيث إن التصوف في فاس تمثل عبر معارف وعلوم علمائها وصوفييها، سواء كانوا موجودين داخل مدينة فاس أو خارجها .

[1] - محمد العربي الفاسي، **مرآة المحاسن...**، م.س. (قسم الدراسة)، ص11

كما تجدر الإشارة إلى أنه- وفي إطار الاهتمام برجال التصوف في مدينة فاس- يصعب فصل رجال التصوف عن رجال العلم والفقه، بحكم التداخل الذي كان بين هذه العلوم، مما جعلنا نضع رجال التصوف والعلوم الدينية في خانة المؤثرين في حركة التصوف الفاسي ، ونجعلهم ضمن رجال الفكر الصوفي.

فما هي أبرز المؤثرات التي أسهمت في تطور الحركة الصوفية في مدينة فاس خلال القرنين 17 و18م؟

وما هي نتائج هذه المؤثرات على مسار الحركة الصوفية في مدينة فاس خلال الفترة المدروسة؟

الفصل الأول : الحركة الصوفية في مدينة فاس خلال القرنين 17- 18م

مبحث تمهيدي : مكانة وأهمية مدينة فاس ومراحلها التاريخية

1- مكانة مدينة فاس :

ارتبطت مكانة فاس العلمية والصوفية بمجموعة من الخصائص عكست بآثارها على مسار الحركة الصوفية والتصوف في فاس، فمنحتها مكانتها الصوفية الخاصة وجعلتها في مصاف المدن الكبرى؛ وهذا التميز مرده لمجموعة من العوامل، أبرزها :

- **الموقع الاستراتيجي** :

والمتمثل في موقع مدينة فاس الجغرافي، والذي لعب دورا هاما في مكانتها الاقتصادية، باعتبار مدينة فاس كانت ملتقى الطرق التجارية العابرة شمال وغرب المغرب الأقصى، مما جعلها مركزا تجاريا وسط المغرب، ويمكن القول أن هذه المكانة التجارية بدورها ترجع للخصوصية الصناعية التي عرفت بها.

- **العامل التاريخي** :

حيث كانت مدينة فاس عاصمة سياسية للعديد من الأسر الحاكمة، وذلك منذ تأسيسها على يد إدريس الثاني، ثم ما عرفته هذه المدينة فيما بعد من عناية خاصة مع المرابطين والموحدين ثم المرينيين، الذين جعلوا منها حاضرة علمية ودينية وصوفية، من خلال تأسيس العدد الكبير من المؤسسات العلمية والدينية، إذ يشهد "**علي الجزنائي**" على عناية المرابطين والموحدين بالمدينة ، قائلا "**وانتهت مدينة فاس في أيام المرابطين والموحدين من بعدهم من الغبطة والعمارة والرفاهية والدعة والأمن والعافية ما لم تبلغه مدينة من مدن المغرب، لاسيما في أيام المنصور الموحدي وولده الناصر ...**"[1]، ليعدد بعد ذلك ما شملته مدينة فاس أيام المرينين من المساجد والذي بلغ 785 مسجدا، ودور الوضوء والساقايات والحمامات إلى غير ذلك من المنشآت[2]؛ وإن هذه العناية الكبيرة التي عرفتها فاس لن تتوقف مع نهاية المرينيين بل استمرت مع الوطاسيين وحتى مع السعدين .

وقد كان للمرينيين - خاصة – دور هام في الإنطلاقة الفعلية للتصوف في مدينة فاس، حيث شكل حدث اكتشاف جثمان إدريس الثاني خلال سنة (841هـ/1437-1438م)، محطة فاصلة ضمن الإديولوجية الدينية لدولتهم والمتعلقة بالسلطة والشرف، فكان ذلك منطلقا لبناء زاوية الأدراسة بفاس، وقد جاء هذا الحدث ليتوج تقاربا جديدا بين الدولة والشرفاء، تقارب اتخذ صبغة صوفية[3]، كما كان عاملا في نشر التصوف والرفع من مكانة المتصوفة .

---

[1] -علي الجزنائي، **جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس**، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور، الطبعة الملكية الرباط، ط2 سنة 1991م، ص ص 43-44

[2] - انظر، **المصدر نفسه** ص 44

[3]- انظر، محمد القبلي، مساهمة في تاريخ التمهيد لظهور دولة السعديين، مجلة **كلية الآداب والعلوم الإنسانية** ، م.س.ص47

■ **العامل الديموغرافي**

يمكن اعتبار التركز الديموغرافي بهذه المدينة نتيجة طبيعية للعاملين السالفين الذكر، كون مدينة فاس عاصمة فهي استقطبت العنصر البشري[1]، خاصة أنها قبل المرحلة الحديثة كانت تتمتع باستقرار هام، فقصدتها أفواج من الهجرات الداخلية والخارجية، خصوصا الهجرات الأندلسية التي توافدت بشكل كبير بعد سقوط الأندلس وطيلة المرحلة الحديثة، إظافة لتلك الهجرات القادمة من المشرق وعلى رأسهم التلمسانيين؛ وقد أسهمت هذه الهجرات في رفع تعداد سكان فاس، حيث بلغ في بداية القرن 10هـ/16م حوالي 120 ألفا من السكان، أي حوالي 18،50 في المائة من مجموع سكان المدن المغربية[2] .

هذه الهجرات كان لها دور كذلك في خلق بنية سكانية جديدة بهذه المدينة، فأثرت العناصر الجديدة على نمط حياة وفكر سكان فاس خلال العهد السعدي، حيث مزجت العناصر الجديدة بالعناصر القديمة وأعطت خليطا هائلا من الثقافات[3]، هذا التغير الثقافي كان نتيجة هجرة الأندلسيين – بالخصوص- بمختلف أفكارهم ونزعاتهم وثقافتهم، حيث ورد على المغرب جملة من علمائها بتلامذتهم، مما كان له أثر على الثقافة المغربية والسلوك العلمي[4] ، وفي فاس لم يقتصر الأمر على هذا، بل بلغ أن تغيرت بنية الأسر الفاسية، حيث يوعز محقق مرآة المحاسن إلى انتقال الحكم في المغرب من البيوتات البربرية إلى بيوتات الأشراف، مما كان له تأثير في انقراض جل البيوتات العلمية الفاسية التي اشتهرت قبل القرن الحادي عشر الهجري؛ كآل المكودي ، والونشريسي ، والسراج ، والمواق والزقاق ... وظهور أخرى ذات جذور أندلسية أو منتمية لبعض الأقليات كالفاسي الفهري، وابن سودة ، وجسوس وميارة ... وغيرهم[5]، فارتبط التصوف بهذه البنية الثقافية الجديدة، والتي كان لها دور أساسي في بلورة التصوف الفاسي خصوصا عند مرحلة القرن 17م ، وبصم مسار أبرز طرقها وهي الطريقة الفاسية .

ولأن مدينة فاس كانت حاضرة هامة في سياسة الدول المتعاقبة على حكم المغرب، خصوصا الدولة المرينية، فقد عمل سلاطينها على استقطاب أفضل العلماء والمتصوفة والأدباء لها، كما عملوا على الاهتمام بالمتصوفة وإعلاء مكانتهم الاجتماعية؛ ويمكن القول أن مسألة استقطاب أفضل العلماء كانت هامة جدا، كون أن العالم أينما حل تتبعه وفود وأفواج من طلبة العلم للتعلم والتربية على يديه، وفي نفس دائرة استقطاب العنصر البشري تدخل عناية السلطة المركزية، من حيث القيام بمشاريع بناء المدارس ودور العلم والمساجد، وتوفير الأوقاف لصالح أولئك الوفود من الطلبة لأجل توفير الظروف الملائمة لإقامتهم؛ وقد أسهم هذا العامل بشكل كبير في بروز ظاهرة التركز الصوفي في مدينة فاس، فكانت بذلك نموذجا مثاليا لهذه الظاهرة بين حواضر المغرب .

---

[1] - انظر، عبد الأحد السبتي، فاس بين زمن الأصل وزمن التاريخ ، **مجلة مقدمات**، عدد 38 مطبعة أبو رقراق ، سلا ، سنة 2009، ص 5 .

[2] - عبد اللطيف الشاذلي ، **التصوف والمجتمع** – م.س.، ص66

[3] - محمد مزين ،**فاس وباديتها** ، م.س. ج2 ص577

[4] - انظر، محمد العربي الفاسي، **مرآة المحاسن ...** ، م.س. (قسم الدراسة) ص11

[5] - **المصدر نفسه** ، الصفحة نفسها

2- أهمية مدينة فاس ضمن الحركة الصوفية المغربية

تعد مدينة فاس مدينة الصلحاء والأولياء، حيث أن شهرتها الصوفية منذ المرحلة الوسيطة وحتى الحديثة، تعدت شهرتها السياسية، وللتأكد من ذلك يكفي معرفة أن مدينة فاس بنواحيها خلال القرن 16م، كانت تحتكر نسبة 34,63 في المائة من مجموع الصلحاء بالمغرب[1]، وهي نسبة كبيرة مقارنة مع المساحة الإجمالية للبلد، ومرد ذلك أن فاس حضيت بعدة مميزات لم تكن لغيرها، أما خلال القرنين 17 و18م، فإن نظرة على كتب التراجم التي اهتمت بتراجم أعلام المرحلة ، تُظهر الأهمية التي كانت لفاس على المستوى الصوفي والعلمي، فمن خلال قيامنا بجرد لأعلام التصوف والعلم[2] التي جاء بهم كل من: عبد الله بن محمد الفاسي في كتابه "**الإعلام بمن غبر**"، والإفراني في كتابه "**صفوة ما انتشر**"، فضلا عن محمد القادري في كتابه "**نشر المثاني**" ، ومحمد بن جعفر الكتاني في مؤلفه "**سلوة الأنفاس**"، نجد أن نسبة أعلام فاس خلال القرنين 17 و18م، كانت الأبرز من بين أعلام المغرب؛ وهنا نأخذ مثالا من خلال كتاب "**نشر المثاني**"، حيث وجدنا أن أعلام فاس شكلت نسبة مئوية بلغت % 27,5، من مجموع أعلام الأجزاء الأربعة، وهي نسبة لو قورنت بما مرت منه مدينة فاس من أزمات، لوجدنا أنها نسبة مهمة وكبيرة؛ وقد جاءت حسب الأجزاء الأربعة، كالتالي:

- **الجزء الأول، والذي بدأه من سنة 1001هـ إلى سنة 1050هـ** : حيث دون القادري ل 473 علما، واذا استثنينا منهم من ليسوا من وفيات هذه الحقبة، ومن لا علاقة لهم بالتصوف والعلم والدين، فضلا عن عدد من النساء، والذين جعلهم القادري في 60 علما، يتبقى منهم **413** ، كانت حصة الفاسيين **79** علما، مثلت نسبة مئوية قدرت ب **19 %**.

- **الجزء الثاني، والذي بدأه من سنة 1051هـ إلى سنة 1100هـ** : فضم 338 علما، واذا استثنينا منهم من ليسوا من وفيات هذه الحقبة، ومن لا علاقة لهم بالتصوف والعلم والدين، فضلا عن عدد من النساء، جعلهم القادري في 79 علما، يتبقى منهم **259**، كانت حصة الفاسيين **60** علما، مثلت نسبة مئوية قدرت ب **23 % .**

- **الجزء الثالث، والذي بدأه من سنة 1101هـ إلى سنة 1150هـ:** ضم 147 علما، واذا استثنينا منهم من ليسوا من وفيات هذه الحقبة، ومن لا علاقة لهم بالتصوف والدين والعلم، فضلا عن عدد من النساء، جعلهم القادري في 13 علما ، يتبقى منهم **134**، كانت حصة الفاسيين **67علما**، مثلت نسبة مئوية قدرت ب **50% .**

- **الجزء الرابع، والذي بدأه من سنة 1151هـ إلى سنة 1200هـ:** ضم 370 علما، واذا استثنينا منهم من ليسوا من وفيات هذه الحقبة، ومن لا علاقة لهم بالتصوف، فضلا عن عدد النساء،

[1] - عبد اللطيف الشاذلي ، **التصوف والمجتمع** ، م.س. ص65

[2] - انظر، الجدول رقم 1 ضمن قسم الملحق

جعلهم القادري في 17 علما، يتبقى منهم 353 ، كانت حصة الفاسيين **65** علما ، مثلت نسبة مئوية قدرت ب **18 %** .

كما حازت مدينة فاس من ناحية الطرق الصوفية على حصة كبيرة من مجموع الطرق الصوفية بالمغرب، فمن خلال جرد أعلام متصوفة القرنين 17 و18، من أطروحة "أحمد الوارث"[1]، "**الأولياء والمتصوفة ودورهم الاجتماعي والسياسي في المغرب خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر**"، وجدنا أعلام مجموع الطرق الصوفية بالمغرب بلغ 2387 علما[2]، كانت حصة مدينة فاس منها 448، أي ما يعادل **19 %** .

ومن خلال هذه النسب يتضح أهمية الدور الذي لعبته مدينة فاس في التأثير العلمي والديني خلال القرنين 17 و18م .

3- المراحل التاريخية لمدينة فاس من القرن 16م إلى القرن 18م

بالرغم من أن مرحلة القرن 16م لا تدخل ضمن الإطار الزمني للموضوع المدروس، إلا أنها تعتبر الأساس الذي خلق معالم القرن 17م، والذي اعتمدت عليه مدينة فاس في بناء حضارتها، إذ يمكن القول أن مقومات فاس التأثيرية خلال القرنين 17 و18م لم تكن سوى امتدادا تاريخيا للمرحلة الوسيطة بشكل عام، وللقرن 16م بشكل خاص، فكانت أساسا لنهضة فاس، تعتمد عليها في كل تقهقر أوتراجع لتعيد انتعاشها ونهضتها .

وقد مرت مدينة فاس خلال المرحلة الحديثة - وإلى غاية نهاية القرن 18م- بستة مراحل :

- **المرحلة الأولى، ما بين 915هـ/1509م و984هـ/1578م**، وهي **مرحلة القوة والتطور** ، احتلت فاس خلالها مكان الصدارة في الميدان العلمي بالمغرب، سواء عندما كانت خاضعة للمتأخرين من الوطاسيين، أو بعد أن دخلت تحت سلطة السعديين منذ عام 956هـ/1549م، وهذه المرحلة كانت فاس خلالها مدينة مؤثرة ومستقطبة للعنصر البشري .

- **المرحلة الثانية، ما بين 986هـ/1578م و1012هـ/1603م**، وهي **مرحلة بداية تراجع مدينة فاس**، فإن كانت هذه المرحلة هي ألمع المراحل التاريخية للدولة السعدية وأوج عظمتها، فهي لم تكن بالنسبة لفاس كذلك، وذلك نتيجة تحول العاصمة لمدينة مراكش، فانعكس ذلك على مدينة فاس التي بدأت تفقد مركزيتها العلمية لصالح مراكش التي أضحت مقصد العلماء والأدباء، ويظهر ذلك في قلة عدد المدرسين

[1] - انظر، أطروحة دكتوراه الدولة تحت إشراف أحمد بوشرب، كلية الآداب جامعة الحسن الثاني، عين الشق الدار البيضاء، سنة 1998م ؛ القسم الثالث، ص ص 747 - 815

[2] - انظر، جدول رقم 2 ضمن قسم الملحق

بفاس بالنسبة لما كانوا عليه في المرحلة السابقة، فطائفة منهم هجروا مدينتهم نهائيا للتدريس في مساجد مراكش[1] .

- **المرحلة الثالثة، وذلك من وفاة أحمد المنصور (1012هـ/1603م) إلى غاية سنة 1668م (تاريخ وصول العلويين للحكم)،** وهي **مرحلة التقهقر** ، حيث استمر تراجع مدينة فاس، وفقدانها لمكانتها العلمية بشكل خاص، وذلك نتيجة الأزمة السياسية التي تلت سقوط السعديين وما كان من الصراع حول الحكم ، ولو وضعنا هذا التراجع في إطار السياق العام ، فإن كل حواضر المغرب أنذاك كانت تشهد تراجعا كبيرا صب في صالح البوادي .

- **المرحلة الرابعة، أواخر القرن السابع عشر وبدايات الثامن عشر (من 1079هـ/1668م إلى 1727م)، وهي مرحلة انتعاش مدينة فاس،** هذه المرحلة وجب الفصل خلالها بين مرحلة حكم المولى الرشيد الذي اتخذ من فاس عاصمة، مما أعاد لها عنصر الاستقطاب الذي فقدته، فحصلت بذلك على فرصة إعادة الإنتعاش عن طريق استقدام رجال الزاوية الدلائية إلى المدينة، وذلك بعد تخريب زاويتهم ، فضلا عن عودة علماء وصلحاء فاس إلى موطنهم، وبين مرحلة حكم مولاي إسماعيل والذي قام بتحويل العاصمة إلى مكناس، وما رافق ذلك من ترتيبات إدارية أضعفت مدينة فاس ، لكن يمكن القول إن هذا الأمر بالرغم من آثاره على المدينة إلا أنها ضلت تحتفظ بقيمتها العلمية ومكانتها الريادية ، فمدينة مكناس لم تستطع أن تتقدم على مدينة فاس بسبب تفضيل العلماء والطلبة لهذه الأخيرة ، إذ نجد الأفواج من القاصدين والواردين عليها خلال هذه المرحلة من مختلف جهات المغرب حضرها وبدوها، من تطوان وغياثة ودرعة وغيرها، وهذا ما أقره الإفراني خلال إقامته في فاس، ودونها في مؤلفاته خاصة مؤلفه "الإفادات والإنشادات"[2] .

- **المرحلة الخامسة، مرحلة الثلاثين سنة بعد وفاة مولاي إسماعيل:** وهي **مرحلة تقهقر**، حيث شهدت مدينة فاس أسوأ مراحلها، نتيجة تردي أوضاعها العامة، فعرفت أزمات اقتصادية وانتشار الأوبئة تسببت في موت وفرار علمائها وإغلاق المساجد وفراغ الزوايا من شيوخها ومريديها، وتفرق الطلبة عنها، الأمر الذي أدى إلى شلل تام لكل مظاهر الحياة العلمية والثقافية بهذه المدينة .

- **المرحلة السادسة، مرحلة حكم سيدي محمد بن عبد الله من 1757م إلى 1790م ،** وهي **مرحلة الانتعاش والتطور** الذي عرفته مدينة فاس مرة أخرى، نتيجة استقرار الأوضاع ورجوع العاصمة لفاس .

---

[1] - محمد حجي ، **الحركة الفكرية** ، م.س. ج2 ص 358

[2] - انظر،عبد الله نجمي، الإفادات والإنشادات لمحمد الصغير الإفراني، ضمن **متنوعات محمد حجي**، نشر دار الغرب الاسلامي بيروت، ط1 سنة 1998م، ص74

المبحث الأول: أسس ازدهار مدينة فاس علميا وصوفيا

1- المكانة العلمية لمدينة فاس

تميزت مدينة فاس منذ المرحلة الوسيطة بريادتها العلمية، مما جعلها مقصد كل طالب ومريد، فشهرة جامعتها ومدارسها تجاوزت حدود المغرب، حتى باتت قبلة لطلاب من تلمسان والقيروان والأندلس ومصر وغيرها من الأمصار، حيث احتضنت جوامع فاس ومدارسها بذور العلوم الدينية، وقد استمرت لها هذه الشهرة العلمية حتى القرنين 17-18م، وذلك بالرغم مما شهدته من اضطرابات طيلة القرن 17م والنصف الأول من القرن 18م، فقد ظلت المدينة تتميز عن باقي حواضر المغرب بكونها مركزا صوفيا تدور في فلكها باقي الحواضر الأخرى، وذلك بحكم ما كانت تتوفر عليه من مقومات تاريخية وأسس علمية، فتمكنت من أن تكون مركز استقطاب صوفي؛ ولا ننكر القول أن المدينة خلال فترات من تاريخها كانت طاردة لعلمائها وصوفييها ، لكنها ما تلبث أن أن تعود لتمثيل دور المستقطب، وذلك للأسس والمقومات التي كانت لها .

ولرصد هذه المكانة، يمكن النظر إلى مظاهر العلم التي عمت فاس وانتشرت في عموم المغرب، حيث تظل المصادر التي تروي بعض تفاصيل التعليم والتدريس داخل زوايا ومدارس فاس ومساجدها ، وصدى هذه المجالس في عموم المغرب هي أفضل من يرصد لنا هذا الجانب، إذ تحتفظ المكتبات بالعديد من المؤلفات التي تؤرخ لهذه المرحلة، فتظهر مكانة المدينة علميا وصوفيا، وهنا نشير إلى أهمية مؤلف "**الإكليل والتاج في تذييل كفاية المحتاج** " لمحمد بن الطيب القادري، كونه من الكتب التي رصدت أحوال الدراسة والمدرسين، وأنواع الكتب والعلوم المدروسة وقيمة المدارس ودور العلم بمدينة فاس في نهاية القرن السابع عشر وطيلة القرن الثامن عشر[1] .

كما نجد مؤلفات الإفراني "النزهة" و"الإفادات والإنشادات"[2] و"الصفوة"، والتي تعتبر ثلاثية مترابطة الحلقات، أرخ من خلالها الإفراني لمغرب القرنين 11-12هـ/17-18م بشكل عام ولفاس بشكل خاص، وقد تأليف بمدينة فاس، فمن خلال الإفادات يسجل الإفراني بعناية يومياته الدراسية العلمية حين كان طالبا في فاس، حيث نقل صورة عما كان يروج في مجالس العلم والذكر في المساجد والمدارس والزوايا فيها إبان هذه المرحلة، فقدم صورة حية من الحياة الثقافية التي كرع من حياضها، كما وصف مجالس العلم التي حضرها، وما كانت تمر به من نقاشات؛ هذه الكراسة وضعت الطالب الإفراني في مركز الحركة الفكرية بفاس على هذا العهد، وبسطت أبعاد اتصالاته الواسعة بأقطاب هذه الحركة من المشايخ والأصحاب، وسبل وقوفه على القضايا الفكرية الحيوية في وقته، في المجالس العلمية العامة والخاصة[3] .

---

[1]- ماربة دادي، ملاحظات حول مناهج الدراسة والتدريس في القرن (12هـ-18م) من خلال كتاب الاكليل والتاج لمحمد بن الطيب القادري . **ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية** ...، م.س. ص214

[2]- انظر، عبد الله نجمي، الإفادات والإنشادات لمحمد الصغير الإفراني ، **متنوعات محمد حجي** ، م.س.، صص72-115

[3] - **المرجع نفسه** ، ص72

وقد حافظت مدينة فاس على مكانتها العلمية بالرغم من الفترات الصعبة من تاريخها، وإن لم يكن بدرجة التوهج الذي كان لها قبل القرن 17م، ونضرب مثالا عن ذلك في مجال الإفتاء، فإن إجراء تحويل العاصمة إلى مكناس، واستقطاب أفضل العلماء إليها، كان يمكن أن يكون عاملا في سحب قضايا الإفتاء من مدينة فاس، إلا أن هذه المدينة بجامعها وجامعتها "القرويين" وفقهائها وعلمائها ظلت مصدر الفتوى ومقصد السائل، سواء من الجهات الرسمية والمتمثلة فيما استشكل على مولاي إسماعيل من قضايا فقهية أو ما أراد أن يأخذ به شرعية بعض الأعمال- نموذج قضية تمليك الحراطين- ، أو من الجهات الشعبية والمتمثلة في القضايا العامة والمستحدثة للمجتمع، فكل الفقهاء الذين كانوا يمارسون مهنة الخطابة والفتوى بمدينة مكناس خلال حكم مولاي إسماعيل، وبالرغم مما عرفوا به من اختصاص ومن مستوى لائق، فإنهم لم يصلوا إلى مستوى يسمح لهم بأن يكونوا أقطاب علم، وحتى إذا أحسوا في أنفسهم بهذه المقدرة فهم يهاجرون إلى فاس[1] ، من أجل الإستعانة بالعلماء الفاسيين وطلب مشورتهم .

وفي هذا الصدد، وكمقارنة بين مدينة فاس ومراكش كمركزين حضريين علميين وقت الأزمات التي ضربتهما معا، نجد أن فاس ظلت قائمة في مقابل نظيرتها مراكش التي تراجعت مكانتها من ناحية العلوم الدينية لا من حيث الكيف أو الكم؛ فالإفراني حين زار المدينتين في فترات متقاربة من رحلته العلمية، يذكر أنه لما ورد مراكش لقفلته من الرحلة إلى فاس، وشرع في إقراء بعض العلوم اللسانية التي فاوضه فيها بعض الطلبة لم يجدهم يتواصلون لفهم البحث فيها إلا بعد جهد جهيد فيحصل من الجواب اليأس الشديد[2]، هذه صورة مراكش في الإفادات والإنشادات، وهي صورة باهتة ماحلة، ويمكننا أن نعزو هذا البهت والمحل إلى اضمحلال الدور التعليمي لمراكش على عهد الدولة الإسماعيلية، وأنها لم تعد تزيد على كونها مجرد محطة في الطريق إلى فاس، ينزل بها طلبة الجنوب لاختبار بضاعتهم في اللغة العربية، ويغادرون بعدها إلى الحاضرة الإدريسية[3] .

وإن هذه المكانة العلمية التي عرفتها مدينة فاس تعود بالدرجة الأولى لمكانة علمائها، الذين ضربت سمعتهم الآفاق، داخل المغرب وخارجه فكانوا مقصد الطلاب أينما وجدوا، ويمكن القول أن دخول الدلائيين إلى حاضرة فاس بعد تخريب زاويتهم قد عاد بالنفع الكبير عليها، حيث شكل علماء الدلاء إلى جانب علماء فاس طبقة علماء استقطبت طلاب العلم والمعرفة من مختلف أنحاء المغرب، الذين جمعوا في تلمذتهم علماء فاس والدلاء، نموذج الإفراني الذي كان وافدا من مراكش، وأبو عبد الله المهدي التطواني، وأبو عبد الله المكناسي، أبو محمد الدرعي ، وأبو عبد الله الدرعي[4] .

---

[1]- انظر، محمد مزين، مساهمة علماء مكناس وفقهائها في حل مشاكل المجتمع المغربي عبر كتب النوازل الفقهية خلال بداية العصر الحديث ، ضمن **أعمال ندوة الحاضرة المكناسية** ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، مكناس ، سنة 1988 ، ص 256

[2]- عبد الله نجمي ، الإفادات والإنشادات ،**متنوعات محمد حجي، م.س**. ص73

[3] - **المرجع نفسه** ص74

[4] - عبد الله نجمي، الإفادات والإنشادات لمحمد الصغير الإفراني ، **متنوعات محمد حجي** ، م.س. ص93

كما لم يتوقف دور علماء فاس في شهرة مدينتهم ومدارسها، بل أسهموا كذلك في قيام ونشاط العديد من المراكز العلمية بالمغرب، مثلما كان الحال مع الزاوية الدلائية التي كانت ملجأ لعلماء وصلحاء فاس أثناء الأزمات، فبالرغم من مكانة علمائها إلا أن حضور رجال فاس كان له دور في نشاط مجالسها، كما أسهموا في نشاط الجو العلمي بمكناس، إذ إن السلطان إسماعيل كان يستدعي لمكناس أبرز علماء فاس، إما في إلقاء دروسهم أو في تقلد مناصب فقهية وقضائية وتعليمية، كما كان حال القاضي المجاصي (ت1103هـ) الذي استدعاه إلى مكناس فولاه قضاء حضرة مكناسة الزيتون[1]، كما كان يستدعيه لختم تفسير القرآن في قصره بمحضر علماء القرويين، وينصب له كرسيا في إحدى القباب[2].

- **فاس بين الفقه والتصوف**

شهدت مدينة فاس عبر تاريخها الإسلامي جدلية الصراع بين الفقه والتصوف، مثلما كان الحال بالمغرب ككل، وقد شهد هذا الصراع عدة محطات انتهت خلال المرحلة الحديثة بهيمنة التصوف على الفقه، وسيطرة التصوف على كافة شرائح المجتمع – من الخاصة والعامة – إلى درجة – حسب تعبير البعض - أن سحب هذا التيار ذيله حتى على بعض الفقهاء والرؤساء[3] ؛ إلا أنه وبالرغم من هذا التسليم بانتصار التصوف على الفقه، وجب القول أن المنافسة ظلت بين الفقهاء والصوفية سمة طبعت تاريخ مدينة فاس، حيث عرف الفقه والتصوف تكاملا في العديد من المحطات، خاصة عندما بدأ الصوفية يسيطرون في مجالس العلم والتدريس، فتم إطلاق عبارة "**من تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ومن تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تصوف وتفقه فقد تحقق**"، وقد مر في عناصر دراسية الصراع الذي طبع علاقة الصوفي والفقيه بعموم المغرب خلال المرحلة الحديثة، وهذا لم يكن الا انعكاسا للصراع الحاصل في مدينة فاس حينها، وعموما فقد طبع التصوف المسار الديني بتاريخ المغرب واعطى للمذهب المالكي سمة صوفية، ويكفي دليلا على ذلك ان التصوف كان علما يدرس في مجالس العلماء، وبالمقابل كان العلم ثقافة متوفرة عند العديد من المتصوفة بل إن التصوف ـ نفسه ـ أصبح من علامات الوقت، فكثير من علماء القرنين العاشر والحادي عشر الهجري (17/16م) كانوا أيضا متصوفة[4] ، وإن مراجعة الكتب والمؤلفات الدينية التي تعود للمرحلة كدوحة الناشر وغيرها من كتب التراجم والمناقب، لأكبر دليل على انتشار هذا التيار وسط العلماء نموذج رضوان الجنوي، وأبي المحاسن الفاسي، وعبد الرحمن العارف، والعلامة اليوسي، والشيخ عبد القادر الفاسي...، مما يدل على وجود علماء لبسوا والبسوا "خرقة التصوف" ؛ فالعلم الديني كانت تحتكره بداية المساجد والجوامع خاصة جامع القرويين، قبل أن ينتقل إلى مدارس

---

[1] - انظر، القادري، **نشر المثاني** ، ج3 ص55

[2]- عبد الحق ابن المجذوب الحسني، **الحالة الإجتماعية بفاس – في القرن الثاني عشر الهجري من خلال الحوالة الإسماعيلية** ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ، الرباط ، طبع دار أبي رقراق للطباعة والنشر ، سنة 2006 ، ج1 ص 287

[3] - محمد مزين ، **فاس وباديتها...**، ج2 ، م.س.ص586

[4]- انظر، لطفي بوشنتوف، صورة عالم من القرن 9هـ/16م ـ رضوان الجنوي من خلال "تحفة الإخوان ومواهب الامتنان في مناقب سيدي رضوان" ، **محطات في تاريخ المغرب الفكري والديني** ـ جامعة الحسن الثاني ، عين الشق الدار البيضاء ـ كلية الآداب والعلوم الإنسانية ـ سلسلة ندوات ومناظرات 8 ، ص ص 47-56

المرينين، ومن هناك إلى مؤسسات الزوايا، وإن نقل تلقي العلم هذا من المسجد إلى الزاوية ، جعل الصوفية يقتسمون مع الفقهاء العلوم الدينية ومرجعيتها، هذه الوضعية جعلت فقهاء فاس يعترفون بمكانة الصوفية كما سمحوا لهم بمشاركتهم المجال الديني العلمي بفاس .

ويمكن القول أن هذا التعاطي من طرف الفقهاء للتصوف ازداد انتشارا مع مطلع القرن 17م، ليصبح أمرا لابد منه خلال القرن 18م، خاصة أن ظروف المغرب أسهمت قدما في هذا الإتجاه (أي المزج بين الفقه والتصوف) .

2- المؤسسات العلمية والدينية في مدينة فاس

كان لمدينة فاس منذ القرن 16م مقومات استقطاب علمي صوفي كمركز حضري، تلك التي لم تكن تتوفر في مركز آخر، فلاحت بتأثيراتها على القرنين 17 و18م ، مما جعلها عاملا أساسيا في أن تعيد مدينة فاس انتعاشها من جديد ؛ ويمكن إجمال هذه المقومات من خلال المؤسسات الدينية والعلمية والتي وجب القول فيها بأنها بالرغم من كثرتها وتعددها إلا أنها لم تأخذ حقها من التأريخ، فكل المعلومات والأخبار حول مجمل هذه المؤسسات سواء ما كان من المساجد والجوامع والمدارس بالخصوص هي ضئيلة ولا تذكر إلا كأخبار متفرقة من خلال سير الأعلام من العلماء والفقهاء، أو إذا ارتبطت بحوادث سياسية .

أ- الجوامع والمساجد

اعتبرت مؤسسات دينية وعلمية، حيث لم تتوقف وظيفتها عند العبادة فقط بل تعدتها إلى إحتضان حلقات العلم ومجالس التدريس ، فقامت بوظيفة المدارس، فخصصت لها كراسي العلم والخطابة، وقد اعتبر جامع القرويين كجامعة لدراسة العلوم في مراحله العليا والمتقدمة، واعتبرت الجوامع الأخرى كمعاهد للدروس الإبتدائية والثانوية[1] ؛ ومن أبرز المساجد والجوامع التي احتضنت دروس العلم:

- **جامع وجامعة القرويين**

اعتبر جامع القرويين منذ تأسيسه مؤسسة علمية متكاملة ، فهو جامع وجامعة لكونه جمع بين المهام الدينية ومهام التعليم والتدريس لمراحل متقدمة ، حيث يقدم الحسن الوزان صورة عن هذا الجانب وبعض مهامه، قائلا"**وهو جامع في غاية الكبر، فحسب الوصف الذي قدمه الحسن الوزان خلال القرن 16م ، فقد كان يبلغ محيط دائرته نحو ميل ونصف ميل ، فكان له واحدا وثلاثين بابا كلها كبيرة عالية، وتبلغ المساحة المغطاة فيه نحو مائة وخمسين ذراعا...، والصومعة التي يؤذن عليها عالية جدا كذلك، ويحمل السقف ثمانية وثلاثون قوسا طولا وعشرون عرضا، وحول بناية الجامع في الواجهات الشرقية والغربية والشمالية أروقة، عرض كل واحد منها ثلاثون ذراعا وطوله أربعون ذراعا، وتوجد تحتها مخازن فيها الزيت وسائر الأشياء الأخرى التي يحتاج إليها الجامع، ويوقد في كل ليلة تسعمائة سراج ، غذ**

[1] - عبد الحق ابن المجذوب الحسني ، **الحالة الاجتماعية بفاس**، ج1 ، ص372

لكل قوس سراجه، وفي الصف المكون من أقواس الوسط، وبالأخص التي تؤدي إلى المحراب، فيه وحده مائة وخمسون مصباحا، وهناك ثريات عديدة من البرونز في كل واحدة منها ألف وخمسائة مصباح ....، وفي داخل الجامع على طول الجدران يشاهد المرء كراسي مختلفة الأشكال يدرس عليها العديد من العلماء الأساتذة، حيث يلقون على الشعب دروسا تتعلق بأمور دينه وشريعته، تبتدئ هذه الدروس بعد الفجر بقليل، وتنتهي بعد ساعة من شروق الشمس، ولا تلقى الدروس صيفا إلا من منتصف الليل إلى الساعة الواحدة والنصف صباحا، ويتعلق التعليم (حيثئذ) بالعلوم الأخلاقية والروحية المتصلة بالشريعة المحمدية، ولا يتولى إلقاءها إلا بعض الناس الخصوصيين، أما الدروس الأخرى ولا تسند إلا إلى رجال متضلعين من هذه المواد، يتقاضون عن دروسهم أجورا عالية حسنة"[1] .

وإن هذه الأهمية جعلت من جامع القرويين جامعة لا يضاهيها أي مركز علمي بالمغرب كله[2]، بل أكثر من ذلك فقد عد واحدا من بين جوامع العالم الإسلامي المعدودين والمقصودين للتزود من معين العلوم الدينية، أما في مدينة فاس فقد مثل هذا الجامع مركزا فكريا، وعليه تدور الحياة الدينية والفكرية، بحيث لا يمكن الحديث عن الحياة العلمية في فاس دون الوقوف طويلا عند هذا الجامع الذي ترك أثرا بليغا في الحياة الفكرية والثقافية لسكان المدينة والوافدين عليها[3]، فقد كان القرويين موطنا للعلوم الشرعية واللسانية والعقائدية والعقلية مع غلبة جانب الفقه، كما كان يعتبر مصدرا ومركزا للإفتاء بالمغرب ككل، حيث يقر "ابن أبي زرع": ب"**أن فقهاء فاس يقتدي بهم جميع فقهاء المغرب"[4].**

ولكون الأهمية الدينية والعلمية التي كانت للقرويين، فقد كان من يتأهل إلى مركز التدريس أو الخطابة أو الإمامة في هذه المؤسسة إلا وجب أن يكون ذو مؤهلات علمية من خلال الإجازات التي يحصل عليها من علماء وشيوخ مشهود لهم ، فضلا عن ضرورة مروره بالتدريس في حلقات العلم داخل المدارس والجوامع الصغرى، لأن التدريس في جامعة القرويين كان يشمل مراحل متقدمة في تحصيل العلوم ، والتي لا يستفيد منها إلا طلبة تدرجوا في تحصيل العلوم داخل الكتاتيب والمدارس والمساجد الصغرى؛ ولا تتوقف مهام جامعة القرويين عند التدريس، بل اعتبرت مركزا للفقه والإفتاء ، إذ ضم العديد من الكراسي العلمية[5] ، إظافة لكرسيي الإمامة والخطابة، حيث كانت ولاية الكرسي بالقرويين أمرا بالغ الأهمية، لأنه بمثابة ولاية حكومية لا تقل عن منصب القضاء والفتيا والوزارة، فتعيين خطيب وإمام

---

[1]- الحسن بن محمد الوزان الفاسي، **وصف افريقيا** ، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي ومحمد الأخضر ، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان سنة 1983 ، ج1 ص224 .

[2]- للوقوف على أهمية هذه المؤسسة العريقة، يمكن الرجوع الى دراسة عبد الهادي التازي "**جامع القرويين**" ، م.س.، الدراسة بالأساس اطروحة دكتوراه ناقشها الباحث بجامعة الإسكندرية بمصر سنة 1982م ، يقع الكتاب في ثلاث أجزاء ، حيث خص الجزء الأول في تاريخ القرويين منذ نشأتها حتى الموحدين، أما الجزء الثاني فقد خص تاريخ القرويين من الموحدين حتى السعديين ، بينما الجزء الثالث اختص بتاريخ الجامعة زمن العلويين .

[3]- عبد الحق ابن المجذوب الحسني ، **الحالة الاجتماعية بفاس** م.س.ج1 ص 371 .

[4]- انظر، علي بن أبي زرع ، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار موك المغرب وتاريخ مدينة فاس** ، ط دار المنصور الرباط سنة 1972م ص 20 .

[5] - ويعود وضع الكراسي العلمية إلى المراحل الأولى منذ تأسيس القرويين ، وهذا الأمر أصله من المشرق ، انظر، عبد الهادي التازي ، **جامع القرويين** ، م.س. ، ج1 ، ص ص 124 - 125

الجامع كان يتم بتنصيب من السلطان نفسه، مما يبرز الأهمية العظمى التي كانت لهذين المنصبين، ولذلك كان الحصول عليهما يستدعي عدة مؤهلات[1] .

وقد ضمت القرويين العشرات من الكراسي العلمية والفقهية، حيث أحصى عبد الهادي التازي بالقرويين ثلاثمائة وثلاثة وثلاثين كرسي للوعظ والإرشاد والتدريس والخطابة والإمامة وغيرها[2] ؛ وللتمييز بين مختلف الكراسي فقد اتخذت أسماءا محددة ، وذلك إما نسبة لمكانها ك "**كرسي المحراب**" ، أو نسبة للعلماء الذين كانوا يلقون عليها دروسا ك "**كرسي الإمام الورياكلي**" و"**كرسي الونشريسي**"، أو حسب مادة التدريس أو المؤلف المعني بالدراسة والشرح ك "كرسي البخاري" و "**كرسي النحو**"، أو حسب مكان وجود الكرسي حيث تعطى به الدروس، ك" **كرسي باب الرواح الأدنى**"، و"**كرسي باب الصالحين**"، و"**كرسي باب الشماعين**"، و"**كرسي ظهر الصومعة**"، إلى غير ذلك من الكراسي التي تستمر فيها الدروس على مدار العام وطول النهار من صلاة الصبح حتى ما بعد صلاة العشاء[3] .

وقد تجسدت أهمية هذه الكراسي من خلال مكانة العلماء والفقهاء الذين كانوا يشغلون تلك الكراسي على مر تاريخ القرويين وخلال مرحلة القرنين السابع عشر والثامن عشر الميلادي، باستثناء المراحل الكالحة التي مرت منها مدينة فاس خصوصا خلال النصف الأول من القرن 17م ، حيث كان هذا الجامع يتوقف عن أداء كل مهامه الدينية والتعليمية .

كما لم يتوقف جامع القرويين عند دور الإشراف على التعليم والتدريس في مراحله المتقدمة، بل اتخذ مدارس تابعة له، يشرف على مراقبتها وتدبيرها وتخصيص المواد الأساسية والمناهج الدراسية، حتى يكون القرويين جامعة تكميلية بعد الحصول على أساس العلوم والمعارف بهذه المدارس، كما اتخذت المدارس مؤسسات لإيواء طلبة القرويين أيضا.

➢ جامع الأندلس

يحتل جامع الأندلس مرتبة تلي جامع القرويين في أهمية أدواره الدينية والتعليمية، بل اعتبر توأمة جامع القرويين بعدوة الأندلس في مدينة فاس، فهو قلب عدوة الأندلس، تحيط به العديد من المدارس المرينية، كما أسست بالقرب منه العديد من زوايا القرن 17م، وكما القرويين فقد ضم جامع الاندلس العديد من الكراسي العلمية في العديد من العلوم، في الفقه والعقيدة واللغة.. ، ولكثرتها وتعددها لم تنسب للعلم بقدر ما نسبت لأماكن قيامها ، وهي : كرسي باب تسنيخن ، كرسي باب المحراب، كرسي باب مصرية الخطيب، كرسي المستودع ،كرسي العنزة، وعدد من المجالس الأرضية، كما ضم كراسيي الإمامة والخطابة ؛ ولأهمية هذا الجامع الفقهي والتعليمي فقد كان - كذلك - لا يرقى للتدريس بين جنباته إلا من ظهرت مقدرته العلمية وكفاءته في التلقين .

---

[1] - انظر، عبد الهادي التازي ، **جامع القرويين...** ، م.س. ج2 ، ص 371

[2] - انظر ، **المرجع نفسه، م.س.** ج2، ص 371

[3] - لمزيد من التفاصيل حول هاته الكراسي ، انظر، **المرجع نفسه،** ج2 ، ص ص 371- 382

➢ مسجد جامع الأبارين

يقع بعدوة القرويين، حيث نجده أقرب مسجد جامع إلى جامع القرويين، غير بعيد من مدرسة العطارين في اتجاه رحبة القيس وهو يعرف كذلك باسم مسجد جامع زنقة حجامة[1] ، كانت له مكانة هامة بعد مكانة جامعي القرويين والأندلس، وهذه الأهمية تسري حتى على من يتقلد مهام هذا الجامع، فتعيين إمام بهذا الجامع كان يخضع لشروط لا بد أن تتوفر في الأمام ليتقلد هذا المنصب الديني ، وهي العلم والذراية والأمانة ، واختيار هذا الإمام مهمة تقع على خيرة العلماء والفقهاء من جامع القرويين ، وقد يحدث أن يتدخل حتى السلطان في هذا التعيين ، مثلما حصل في تعيين عبد المجيد بن علي المنالي الحسني الزبادي الذي أصدره السلطان عبد المالك بن إسماعيل (1140هـ)[2] ؛ وقد جمع هذا الجامع بين الوظيفة الدينية والتعليمية كذلك ، إذ كان يدرس به صحيح البخاري، وهو ما ذكره المؤرخون من خلال سير الأعلام، من قبيل سيرة أحمد بن القاضي المكناسي الذي كانت له حلقة درس بهذا الجامع[3]، كما كان به كرسيان رسميان لتدريس التفسير والحديث وغيرهما من العلوم والفنون تعاقب عليهما أعيان العلماء عبر التاريخ ، ففي التفسير نذكر على سبيل المثال: أبا عبد الله محمد بن أحمد بن الكماد القسنطيني (ت1116هـ) ، وفي الحديث الرحالة السفير المؤرخ أبا العباس أحمد بن محمد بن القاضي المكناسي (ت1025هـ) والعلامة محمد بن أحمد ميارة الفاسي (ت1072هـ)[4] .

وعموما، لم تتوقف مهمة التدريس والخطابة والإمامة عند هذه المساجد الثلاث، سواء بعدوة القرويين أو الأندلس، بل ضمت مدينة فاس عند نهاية القرن 18م عددا كبيرا من المساجد والجوامع ذات الكراسي العلمية، حيث تضمنت كتب الأخبار والسير ومؤلفات المناقب أخبارا عن الأدوار العلمية والدينية حول عدد مهم من هذه الجوامع، نذكر منها: الجامع الكائن بحومة زقاق الرواح والذي كان به كرسيان للإمامة والتدريس، مسجد الأبازين بعين علو كان به كرسي للحديث، مسجد باب عجيسة ضم كرسيان للحديث والفقه، مسجد سوق الرصيف بعدوة القرويين، مسجد الشرفاء أوالمسجد المعلق بوادي الشرفاء بحي القلقليين، وهو الذي كان مجاورا لدار الشيخ عبد الرحمن الفاسي (العارف)، كان الأساس الذي انطلقت منه الزاوية الفاسية الثانية، حيث كان الشيخ يجتمع فيه مع تلاميذه لقراءة الأحزاب هناك قبل أن يبني زاويته بنفس الحي[5] ، مسجد رأس العقبة الزرقاء من عدوة القرويين، جامع الحمراء بفاس الجديدة، ومسجد الحفارين بعدوة الأندلس ، والذي كان يعتكف عنده الشيخ ابن عبد الله معن .

---

[1] - عبد الهادي التازي، **جامع القرويين...،** م.س. ج2 ، ص484

[2] - محمد اللبار، قراءة في وثائق جديدة حول مكانة العلماء في الحياة اليومية (نماذج من عصر الدولة العلوية)، **ندوة الحركة العلمية** ..، م.س. ص287

[3] - محمد حجي ، **الزاوية الدلائية** ، ص 88

[4] - محمد اللبار، قراءة في وثائق جديدة حول مكانة العلماء في الحياة اليومية ، **ندوة الحركة العلمية، م.س.** ص287

[5] - انظر، محمد المهدي الفاسي، **ممتع الأسماع في الجزولي والتباع وما لهما من الأتباع** ، تحقيق وتعليق عبد الحي العمري وعبد الكريم مراد، مطبعة النجاح ، الطبعة الأولى 1994 ، ص166.

ب- **المدارس**

تميزت مدينة فاس بوجود مدارس متعددة، حملت مهمة التدريس والتعليم وكذا الإيواء، فمنذ عهد المرينيين، -الذي تميز بتأسيس العدد الكبير منها، والتي كتب لها البقاء لحدود المرحلة الحديثة[1]-، شيدت أولى المدارس بفاس الجديد على مقربة من قصور بني مرين وهي مدرسة السلطان أبي سعيد، وشيدت أخرى في الطريق الذي يربط فاس العتيقة بفاس الجديدة وهي مدرسة السلطان أبي عنان[2] ، ثم تلاها تأسيس العدد الكبير من المدارس خاصة بمحيط مسجد القرويين والأندلس ، كمدارس تابعة لها، وقد استمرت هذه المدارس بأدوارها الدينية والتعليمية والاجتماعية إلى غاية المرحلة الحديثة، لتعرف تطورا، حيث أصبحت تضم - كما المساجد - كراسي للعلم[3] ، فباتت مدينة فاس عن طريق مدارسها مقصد السائل والمريد، خاصة مع توفيرها سبل تلقي العلم من خلال الأوقاف[4]، ومراكز ايواء الطلبة، وتوفير المنح الدراسية، بوجود جملة من الأساتذة والعلماء ضربت سمعتهم الآفاق داخل المغرب وخارجه، وتؤكد المصادر أن هذه المدارس كانت نشطة خلال مرحلة القرنين 17 و18م ، باستثناء مراحل الأزمات التي أدت إلى تراجع أو توقف التدريس بها، شأنها شأن باقي المؤسسات العلمية والدينية؛ ويمكن ذكر أبرز المدارس التي اكتسبت شهرة أكثر من غيرها خلال مرحلتنا المدروسة ، وهي :

- **مدرسة الحلفاويين** (أسست سنة 670هـ/1270م)، إلا أن بداية العمل بها كان سنة 675هـ/1275م، وتعرف باسم **مدرسة الصفارين**، ضمت خزانة كتب علمية هامة .
- **مدرسة المدينة البيضاء** – أو فاس الجديد (أسست سنة 720هـ) ، بدأ الإقراء بها سنة 721هـ.
- **مدرسة الصهريج** (أسست سنة 721هـ)، شيدت بجوار مسجد الأندلس .
- **مدرسة السبعين** و**مدرسة الوادي**، شيدتا سنة 721هـ بجوار مدرسة السبعين .
- **مدرسة العطارين** (أسست سنة 723هـ) .
- **المدرسة المصباحية** (أسست سنة 745هـ)، وتعرف أيضا بمدرسة الخصة، شيدت بالقرب من القرويين، خُصص لها كراسي العلم في النحو والفقه، تقلدها رموز علماء فاس، أمثال الشيخ عبد القادر الفاسي[5] ، مما جعلها قبلة للجم الغفير من العلماء والطلبة .

---

[1] - تجدر الإشارة أن مدينة فاس شهدت تأسيس أولى المدارس على عهد المرابطين، كما قام الموحدين بتأسيس عدد من المدارس، إلا أن كلا منها لم يكتب له الإستمرار ، حيث لم يعرف لها أي أثر مادي ، سوى ما ذكر ببعض المصادر ، انظر دراسة : عبد الهادي التازي، **جامعة القرويين...** ، م.س. ج1 ، ص ص 121-123

[2] - عبد الحق ابن المجذوب الحسني ، **الحالة الاجتماعية بفاس** ، م.س. ج1 ص378

[3] - انظر، عبد الهادي التازي ، **جامع القرويين** ، ج2 ، ص383 .

[4] - انظر، عبد الحق ابن المجذوب الحسني ، **الحالة الاجتماعية بفاس...** ، ج1 ص384

[5] - **المصدر نفسه** ، ج1،ص ص 379-380

- **المدرسة المتوكلية** وهي **المدرسة البوعنانية** (أسست سنة 755هـ)، وهي المشهورة بحي الطالعة بفاس، اعتبرت من أهم المدارس بفاس، حيث تعددت بها كراسي العلوم الدينية، إذ كان بها في عهد السلطان إسماعيل كرسي للخطابة والتفسير والحديث والفقه، التي تقلدها خيرة العلماء، منهم: "الحسن بن رحال المعداني" الذي كان يدعى بصاعقة العلوم والتدريس، والذي حضر دروسه الفقهية، وبالأخص درس المختصر خليل الذي كتب عليه شرحا في نحو خمسة عشر جزءا ضخما، الجم الغفير من الطلاب منهم الإفراني[1] .

- **مدرسة مولاي الرشيد أو المدرسة الرشدية،** أسست بفاس البالي في عهد السلطان الرشيد، ضمت جناحا لسكنى الطلبة، حيث سكن بها المؤرخ الإفراني وعبد الله بن ابراهيم التاسافتي(ت حوالي1150هـ/1739م) مؤلف رحلة الوافد ، فيذكر أنه كان بها مع الإفراني عام 1706/1118[2] .

ت- الزوايا :

تميزت مدينة فاس عبر تاريخها بظاهرة تأسيس الزوايا من طرف رجالها من الصلحاء والعلماء، هذه الظاهرة سترافقها طيلة المرحلة الحديثة، وقد شكلت الزوايا - إلى جانب أدوار مؤسسة المدارس والمساجد- طرفا ثالثا ضمن مراكز الاستقطاب التي حظيت بها مدينة فاس، والتي تعددت أدوارها، فهي لم تتوقف عند الإجتماع لترديد الأذكار، بل تعدتها إلى ممارسة دور المسجد والمدرسة ، فباتت الزاوية مؤسسة دينية تمارس فيها وظيفة العبادة والتعليم إلى جانب الأعمال الملازمة للتصوف، باعتبارها وظائف تنتمي لروح الزاوية، وما عرفته زاويا المغرب عند القرن السابع عشر نموذج الدلائية والناصرية لخير دليل بأن الزاوية عند هذا القرن عرفت تطورا على مستوى ممارسة أدوارها، وكما عموم المغرب فزوايا فاس لم تكن بعيدة عن هذا التطور، إذ لم يكن ممكنا للزاوية أن تؤدي هذه الأدوار إلا بتطوير مؤسستها وذلك ببناء مرافق ضمت مسجدا وقاعة للتدريس والإجتماع والذكر، إظافة لمكتبة تضم المؤلفات العلمية ومؤلفات رجال الزاوية وذلك لأجل استكمال الطابع العلمي للزاوية، كما كان الحال بالنسبة للزاوية الفاسية والمعنية ، فكانت هذه المرافق جزءا أساسيا من عناصر مبنى مؤسسة الزاوية .

وقد ارتبط تأسيس الزوايا بمجموعة من الشروط، من بينها: ضرورة تحديد المكان، وذلك من أجل الإجتماع مع المريدين، إذ اشترط الصوفية "مكانا وزمانا وإخوانا"[3]، فقبل تأسيس زاوية طريقة ما كانت تعقد مجالس التصوف في أماكن مختلفة، قد تكون منازل بعض الإخوان أو المساجد والتي اتخذت أيضا مكانا للنشاط الصوفي كالذكر والتربية وقراءة الأحزاب، فالشيخ عبد الرحمن الفاسي وقبل تأسيسه لزاويته بحي القلقليين كان يجتمع بمريديه بالجامع القريب من محل سكناه وهو الجامع المعلق بوادي الشرفاء

[1] - انظر، عبد الله نجمي، الإفادات والإنشادات لمحمد الصغير الإفراني، **متنوعات محمد حجي**، م.س. ص81

[2] - **المرجع نفسه** ، ص75

[3] - عبد اللطيف الشاذلي **التصوف والمجتمع** ،م.س. ص167

بذات الحي، كما كان عبد الله بن معن – صاحب الزاوية المعنية - في العديد من المرات يجتمع بتلاميذه ومريديه بجامع القرويين للذكر وقراءة الأحزاب .

وتجدر الإشارة، إلى قضية هامة أثارت جدلا بين العلماء والصوفية وهي حول إقامة الصلوات الخمس داخل الزوايا، حيث أن بعض رؤساء الطرق الصوفية تحفظوا بهذا الخصوص، فتعاملوا مع هذا الجانب بكثير من الحذر، ومرد ذلك هو الخشية من أن تتحول الزاوية إلى ضريح وهنا يكمن الإشكال الديني، والذي يقول بكراهة الصلاة في المقابر، أو قد تكون الخشية من أن يصير التوجه للزاوية من أجل الصلاة فتفرغ بذلك المساجد من المصلين، وقد أثيرت هذه القضية بين العلماء والفقهاء والصوفية، كما اثيرت مسألة أداء صلاة الجمعة في الزاوية ونوقشت مناقشة فقهية من خلال أجوبة اليوسي[1] .

وعلى العموم؛ فهذه المؤسسة – أي الزاوية - لم تكن وليدة المرحلة الحديثة بل عرفت تطورا عبر مراحل حتى صارت على ما هي عليه عند القرن السابع عشر والثامن عشر الميلادي، فالأصل في الزاوايا هي الرباطات، تلك التي شهدها المغرب عند المرحلة الوسيطة، والتي كانت معدة للجهاد ثم للعبادة، ومع مرور الوقت تغير استعمال اللفظ إلى الزاوية نظرا لتطور وظيفتها وهذا التطور مكن الزاوية - مع مجريات الأحداث التي عرفها المغرب- أن تعدد في وظائفها، حيث أصبحت ذلك المكان المعد للعبادة وإن تطلب الأمر للجهاد أيضا، كما أنها مأوى للواردين والمحتاجين وعابري السبيل، وهي الحكم في النزاعات والمنظم للمجال وهي الحرم للخائف والمستجير، وهي المكان الذي تتم فيه المشاورات والنقاشات في القضايا الكبرى، وغير هذا من الأمور الاجتماعية والدينية والسياسية ؛ ويمكن القول، أن الشيء الذي جعل من الرباط أساس الزاوية هو تلازم وظائف كل منهما .

وعن مراحل تطور الرباط إلى الزاوية، فالربطات ترجع كلها إلى العصر المرابطي والموحدي، بينما ظهرت الزوايا مع العصر المريني، وذلك حين برزت مظاهر التدين الإنعزالي على حساب تراجع الجهاد ، وهو ما أسهم في انتشار الزوايا خاصة مع دعم سلاطين بني مرين لها في اطار دعمهم للشرفاء وسعيهم للحصول على تأييدهم، فتأسست بذلك أولى الزوايا بمدينة فاس خلال هذه المرحلة، وهما : الزاوية المتوكلية التي أنشأها السلطان أبو عنان المريني سنة 754هـ، وزاوية جد الشرفاء القادريين التي أمر ببنائها الأمير أبو سالم ابراهيم المستعين بالله المريني سنة 762هـ؛ وهذه الخطوة في تأسيس الزوايا ستساهم بشكل كبير في انتشارها خلال المراحل المقبلة، فخلال العهد الوطاسي والسعدي انتشرت الزوايا سواء في المجال المغربي بشكل عام و الفاسي بشكل خاص، حيث بلغت درجة من التطور، فتعاظم شأنها وأصبحت أكثر عمقا ضمن منظومة التدين المغربي[2]؛ وقد انتشرت الزوايا ذات التيار الجزولي بشكل خاص، متفوقة على نظيرتها من الزوايا الزروقية .

[1] - عبد اللطيف الشاذلي **التصوف والمجتمع** ، ، ص 187 .

[2] - انظر ، **المرجع نفسه،** ص174 .

ومع مرحلة العلويين، ستطفو على السطح ظاهرة المنافسة بين الزوايا خصوصا حين كثرت تفرعاتها مع موجة "تصوف الشهرة"، حيث أسهمت سياسة العلويين تجاه الزوايا في الإكثار من عددها، خصوصا سياسة كل من السلطانين الرشيد ومولاي إسماعيل، فهذا الأخير أجبر كل زاوية في المغرب أن تفتح لها فرعا في فاس ويكون هو مقرها الرئيسي، حتى يتأتى للسلطة المركزية مراقبة نشاطها عن كثب[1]، وذلك بسبب تخوفه من نشاط الزوايا الثائرة ضد سلطته، كما أن مجموعة من الطرق الصوفية إختارت طوعا أن تفتح لها زوايا بمدينة فاس بسبب هجرة العديد من مريديها لهذه المدينة، فباتت حاجتهم للإجتماع من أجل تداول طريقتهم أمرا حتميا مما أدى إلى فتح فروع جديدة لتلك الزوايا، أو الإستعانة بزوايا وأضرحة فاسية في ذلك، حيث تسجل المصادر أن بعض الطوائف التي حلت بفاس والتي لم تتمكن من بناء زوايا خاصة لها تكون للإجتماع، ستقوم باتخاذ زوايا فاسية يكون الإجتماع عندها، مثلما حصل مع الرحمانيين من تادلا الذين حلوا بفاس، حيث اتخذوا من زاوية رضوان الجنوي مقرا صوفيا لهم، كما احتفظوا بنفس الأوراد التي كانت تتلى بها، بإصرار من شيخهم علي بن عبد الرحمن[2] نفسه على ذلك[3] .

وعموما، فكل هذه العوامل سيكون لها أثر على مستوى نشاط تأسيس الزوايا بفاس، والتي كثرت وتعددت في كل الأحياء، لدرجة أنه لم يخلو حي أو حومة من زاوية، بل أحيانا كان يؤسس أكثر من زاوية واحدة بالحي أو الحومة الواحدة .

وتجدر الإشارة إلى أنه وبالرغم من كثرة الزوايا وتعددها بمدينة فاس، فقد ظلت الرياسة والشهرة للبعض منها فقط، تلك التي ضربت سمعتها الآفاق داخل المغرب وخارجه، وذلك بفضل مكانتها العلمية أساسا، والتي قامت بفضل متصوفة اكتسبوا شهرتهم ومكانتهم بكفاءاتهم العلمية أولا وصلاحهم ثانيا، وهذه المكانة كانت الأساس الذي اكتسبت من خلاله هذه الزوايا قوة الاستقطاب، فكانت تجذب المريدين وطلاب العلم من مختلف المدن والقرى بالمغرب، مما أدى إلى شهرة طرقها الصوفية وسمعة رجالها، فلولا هذه المكانة العلمية ما كان لها أن تتوسع في فروعها، وماكان ليكون لها ذلك الكم الهائل من المريدين، فهذا القادري يعترف لهم بذلك خصوصا علماء الزاوية الفاسية، قائلا: "**ولهم الحق على جميع من يتعاطى العلم بفاس وكثير من غيرها من مدن المغرب ومداشره وقراه، لأنك تجد أكثرهم سمع من بعضهم أو بوسائط بينهم ، فحقهم لا يجهل، وقدرهم لا يغفل**"[4] ، وقد هذا كان بخلاف زوايا أخرى والتي لم يكن لها حظ من التصوف إلا للتبرك، وهو ما سنلمسه واقعا عند تطرقنا لزوايا مدينة فاس خلال هذه المرحلة.

---

[1] - عبد الله العروي ، **مجمل تاريخ المغرب** ، م.س.ج3 ص500

[2] - شيخ الزاوية الرحمانية بمنطقة تادلا (أوائل القرن 17م)

[3] - عن تفاصيل هذه العلاقة، انظر، لطيفة شراس ، **الحركة الصوفية في منطقة تادلا خلال القرنين 10-16/11-17** ،م.س.، ص231- 232

[4] - انظر ، محمد القادري ، **نشر المثاني، م.س.** ج3 ص 153

وعموما، ومع هذه التطورات ستزداد الزاوية ترسيخا وعمقا في المجتمع الفاسي، كما ستجعل من مدينة فاس مركزا لكل الطرق الصوفية المنتشرة في المغرب، سواء العلمية منها أو الشعبية ، مما جعلها خصوصا خلال القرن 18م عاصمة للتصوف المغربي .

المبحث الثاني : عوامل تراجع مدينة فاس

ساهمت مجموعة من العوامل في تراجع مدينة فاس، ولأجل الوقوف عليها لابد من ربط فاس بمجالها الواسع الذي تنتمي له – وهو المجال المغربي- ، فكل التطورات التي جرت بمدينة فاس لم تكن بمعزل عما يحدث خارجها، حيث تأثرت مدينة فاس بعوامل سلبية أدت إلى تدهورها على كافة المستويات مما انعكس على مجالها العلمي والديني، ولم توقف عجلة تقدمها – فحسب – بل أخرتها وجعلتها في مصاف مراكز ضعيفة لمدة قرن ونصف من الزمن ؛ وهذه العوامل تباينت بين السياسي والاقتصادي والاجتماعي .

1- الأزمات السياسية :

شهد المغرب طيلة تاريخه صراعات وانقسامات سياسية من أجل الظفر بالسلطة والحكم ، وهذه الصراعات غالبا ماكانت تنعكس على مدينة فاس وتأثر على سير الأحداث فيها ، ومرد ذلك لعدة اعتبارات من أهمها المكانة التاريخية لمدينة فاس والتي كانت القلب النابض لحكم المغرب ، إظافة إلى المكانة الدينية لعلماء القرويين وأهمية بيعتهم التي هي بيعة ضرورية لشرعنة الحكم ، فهم أهل الحل والعقد وبيعتهم هي بيعة الشرعية ؛ وبالتالي فإن هذا العامل سيجعل من مدينة فاس قلب النزاع السياسي طيلة تاريخها ، لكل سلطان محتمل أو طامع في الحكم، سواء إن اتخذها الظافر عاصمة لدولته أو نآى عنها، فعاشت بذلك مدينة فاس ما بين إلزام السلطة عليها ، وما بين انقسام العلماء والفقهاء في أحايين كثيرة بين مبايعتهم لهذا أو ذاك وما بين فك البيعة، فإن فاس لم تهدأ طيلة القرن 17م، والذي اعتبر قرن الصراع على حكم المغرب بامتياز .

ويمكن إجمال أبرز أحداث هذا الصراع من خلال الصراع السياسي حول السلطة منذ الأسرة السعدية حتى الأسرة العلوية :

- **مرحلة السعديين :**

عرفت الدولة السعدية بعد وفاة أحمد المنصور بداية مرحلة الضعف، فدخل المغرب بذلك مرحلة سياسية صعبة تمثلت في صراع أبناء المنصور على حكم المغرب، وقد آلت مدينة فاس بعد صراع مرير بين "أحمد الشيخ" وأخيه "زيدان" لحكم أحمد الشيخ الذي جعل على المدينة ابنه "عبد الله" سنة 1016هـ ، ولم تكن ولاية الأمير عبد الله بالولاية الحكيمة، إذ أدت سياسته إلى حدوث ثورة ، واجهها الأمير بأن أطلق

على المدينة جنده المكونين من عناصر قبائل شراكة، ترتب عن ذلك انتشار أعمال النهب والسلب وثورة أهل فاس عليهم وعلى الأمير عبد الله بن الشيخ بعد ذلك، حتى قامت معركة فيما بين الطرفين أسر على أثرها عبد الله بن الشيخ ثم عفي عنه بعد ذلك[1] .

وقد ظلت الأحوال في مدينة فاس على هذا الكيف سواء خلال مرحلة الصراع بين الأخوين أو بعد ذلك، حيث كانت المدينة ساحة لذلك الصراع قبل أن ييأس منها زيدان ويتركها لابن أخيه "عبد الله بن الشيخ" سنة1019هـ وبالرغم من ذلك لم تهدأ الأوضاع بل ازدادت تدهورا نتيجة عاملين، أولهما: أن هذا الصراع امتد إلى مجتمع فاس، حيث أصبح بين عبد الله بن الشيخ وأهل فاس لقبح سيرته وفساد طويته، ثم تطور الصراع بين أهل فاس فيما بينهم بسبب حكم هذا الأخير، حيث انقسمت المدينة إلى شيع وفرق بين الموالين لعبد الله بن الشيخ والمعارضين له، وقد امتد الأمر إلى قتل العلماء، ففي سنة 1032هـ تم قتل الفقيه القاضي أبو القاسم بن أبي النعيم بباب المدرسة العنانية بتهمة الميل لعبد الله بن الشيخ، فوقع بسبب ذلك فتنة بين أهل العدوتين بفاس[2] ؛ وثانيهما: هو سوء تدبير مدينة فاس من قبل عبد الله الذي لم يكن فعله في أهل فاس بأقل من فعل زيدان فيهم، حيث كان غير متوقف في الدماء ولا يبالي بالعظائم[3] ؛ وإن محاربة عبد الله لأهل فاس لم يكن أمرا مستحدثا، بل كان منذ أن عينه أباه على المدينة، إلى أن توفي عام 1033هـ بسبب مرض اعتراه من إسرافه في الخمر وإدمانه عليه، وكان لا يفارقه ليلا ولا نهارا ، ويتعاطاه إسرارا وجهارا[4] .

هذه الأزمات السياسية ستعكس بآثارها على الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية لمدينة فاس، حيث انتشرت المجاعة ووقع الغلاء، وسقط عدد كبير من الموتى، ففي سنة 1022هـ من عيد الأضحى أحصي عدد الموتى – حسب صاحب مارستان فاس - في أربعة آلاف وستمائة[5] ، فكثر النهب والسرقة على إثر هذه الأوضاع إلى غاية سنة 1027هـ وقد ارتبطت هذه الأوضاع بحصار فاس وتضييق الخناق على أهلها خلال حكم عبد الله بن الشيخ ، مما دفع بأهل فاس بعامتهم وخاصتهم إلى إظهار النصر والمحبة له ليعفو عنهم[6]، فتحقق شيء من الرخاء نتيجة ذلك ، لكن الأمر لم يدم طويلا ، إذ سرعان ما أثرت أحداث الصراع بين العدوتين على أوضاع فاس اقتصاديا واجتماعيا .

إن هذه التطورات أثرت على مدينة فاس التي أصبحت – حسب تعبير صاحب "النزهة" – **"من الفتن ما أظلم به جو فاس ونتن أفقها الذي كان عاطر الأنفاس، وخلا أكثر المدينة واستولى عليها الخراب**

---

[1] - انظر ، محمد الصغير الإفراني، **نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي**، طبع مكتبة الطالب، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي ، ط1 سنة 1998م، د.ط ، ص ص 338- 339

[2] - **المصدر نفسه**، ص 343

[3] - انظر، **المصدر نفسه**، ص ص 346- 348

[4] - **المصدر نفسه** ص ص 344 - 345

[5] - انظر، **المصدر نفسه**، ص340

[6] - انظر،**المصدر نفسه**، ص ص340 - 341

ودام الشر بين أهل العدوتين حتى كادت فاس أن تضمحل ويعفو رسمها"[1]، ويضيف: أن فاس كانت خلال هذه المرحلة وإلى غاية تملك المولى الرشيد بن الشريف "**مرتعا للصوص، الذين يسمونهم أهل فاس السياب**"[2] .

وقد ذكر جانبا من هذه الاضطرابات محمد بن الطيب القادري فأوردها من خلال مقامة محمد العربي بن أبي المحاسن الفاسي ، يقول فيها : "**....حضرة فاس التي ليس في حسنها اشتباه ....ثم مرت سنون وجاءت سنون ، وجالت خطوب وغالت منون ، فانتثر سلك الجماعة ، وخرج أمر الناس بلا أمانة ولا طاعة ، وعرضت فتن كقطع الليل المدلهم ، تقع مواقع القطر المنسجم ، وتموج موج البحر الملتطم ، فنكرنا الوطن ، وأزمعنا الفرار بديننا من الفتن ، فخرجنا نسابق البازي ونستشير الحادي ... وسحائب الفتنة تصيب حولنا لا علينا ، وأعينها عمي عنا ، وعين الله ناظرة إلينا .... إلى حيث لاحت لنا مطالع الفرج مسفرة الصباح ... فقد شارفنا بلاد الدلا (يقصد الزاوية الدلائية) ، حيث المورد العذب ..."**[3] .

وقد دفعت هذه الإضطرابات إلى هجرة العلماء والفقهاء وكل من استطاع لذلك سبيلا عن مدينة فاس ، هربا من فتنتها - كما أورد ذلك الشيخ محمد العربي في مقامته متحدثا عن نفسه - .

- **مرحلة الدلائيين :**

إن الأوضاع التي عرفتها مدينة فاس خلال ضعف السعديين، مهدت لدخول الدلائيين وتدبيرهم لشؤونها فيما بين (1051هـ- 1070هـ/1641م-1660م)[4]، حيث قاد نفوذ وقوة الزاوية إلى دخولها غمار السياسة ؛ وقد تمكن محمد الحاج من الإستيلاء على مدينة فاس (عام 1051هـ/1641م) عقب هزيمة ومقتل المجاهد العياشي وذلك بعد المعركة الثالثة بينه وبين الدلائيين، فبعد أن كان هذين الأخيرين على ود وتفاهم عميقين ، سينقلب بهما الحال إلى أقصى درجات الصراع، فقامت معارك كثيرة بينهما وذلك نتيجة عدة أسباب، حيث يذكر صاحب مؤلف "الزاوية الدلائية" أن أهم سبب في هذا الصراع هو طموح محمد الحاج من الاستيلاء على بلاد الغرب والتي تقع تحت نفوذ المجاهد العياشي، ولكي يتمكن محمد الحاج من ذلك فلابد من ازاحة وتحييد هذا الأخير ولاسبيل إلى ذلك إلا في قتاله، وقد اتخذ محمد الحاج ذريعة قضية الأندلسيين المحاصرين في سلا الجديدة (الرباط)، وكان العياشي قد أهدر دماءهم وأباح أموالهم، ففرت منهم طائفة إلى الدلاء فأجارهم محمد الحاج وشفع لهم عند العياشي فلم يقبل هذا الأخير الشفاعة فيهم ، وأبى إلا أن يستأصل شأفتهم، وهذا الموقف من العياشي كان بداية اعلان الحرب بينه وبين محمد الحاج الدلائي ، فوقعت الحرب بين الصديقين القديمين في أوائل 1050هـ/1640م ، وهي

---

[1] - محمد الصغير الإفراني، **نزهة الحادي..** ، م.س ، ص 343

[2] - **المصدر نفسه**، الصفحة نفسها

[3] - انظر، محمد بن الطيب القادري ، **نشر المثاني** ج2 ص ص 16- 17 ، ورد ضمن هذه المقامة ما كانت تمر منه مدينة فاس من أزمات، فكان ذلك سببا في التحاق الطيب الفاسي بالزاوية الدلائية التي كانت على نقيض فاس تعرف استقرار في أوضاعها .

[4] - لمعرفة حيثيات حكم الدلائيين لمدينة فاس؛ انظر، محمد حجي ، **الزاوية الدلائية** ، م.س. ص ص 226-230 .

أول معركة بين الطرفين ، تلتها معركتان حسم من خلالها الصراع لصالح محمد الحاج[1]، وانتهت باغتيال المجاهد العياشي بعد لجوءه إلى قبيلة الخلط بسوق اربعاء الغرب وذلك سنة 1050هـ/1641م[2] .

وبذلك تمكن الدلائيون من بسط نفوذهم على مدينة فاس بعد حصار دام ستة شهور ، ثم استولوا على سلا وتطوان وسائر بلاد الغرب .

ولم تخلوا ولاية الدلائيين لفاس من صراع ومنافسة، حيث واجه الدلائيين قائمين جدد، من أبرزهم: المقدم أبي العباس الخضر غيلان اللذي كان مواليا للمجاهد العياشي والذي كان تحركه استمرارا لحركة المجاهد العياشي، وقد لاقت ثورة غيلان قبولا وتأييدا من قبائل الشمال والغرب بل وحتى جماعة من أهل فاس أولئك الناقمين على الوضع القائم بمدينتهم، فاجتمع عليه أعراب الخلط وغمارة وسائر القبائل التي كانت ترغب في التخلص من سيطرة الدلائيين أو تسعى في الانتقام منهم على ما ألحقوه من أذى بمجاهدي الغرب ورئيسهم العياشي[3]، وقد بدأت كفة الصراع تميل لصالح طائفة غيلان وذلك عقب انتصارهم في معركة أبي حريرة (أو بوحريرة)[4] والتي جرت بين الفريقين خلال 1070هـ /1660م، فتمكن بذلك الخضر غيلان من بسط نفوذه على المدينة وذلك خلال الفترة الممتدة من 1070هـ/ 1660م إلى سنة 1073هـ/ 1663م حيث ستنفصل فاس عن الدلائيين[5] ، وقد ذاع صيت انهزام الدلائيين الأمر الذي أثر على هيبتهم ومكانتهم[6] ، وقد عبر عن ذلك صاحب نشر المثاني بأن هذه الهزيمة كانت نتيجة اختلال أمر أهل الزاوية الدلائية وأن هذه الهزيمة هي بداية انهزامهم[7]؛ حتى وإن كانت فاس وبعد سنتين على هذا الانفصال ستعود إلى حمى الدلائيين، إلا أن هذه العودة جاءت تلقائية خلال فترة (1073هـ - 1074هـ/ 1663م- 1664م) ، وذلك لم يكن راجع لقوة الدلائيين بقدر ما كان راجع – وحسب تحليل محمد حجي – لضعف الكفاءة والسياسة والحربية لولاة وأتباع الثائر غيلان على فاس - الدريدي ومن معه من الرؤساء - بحيث لم يكن لهم ما يؤهلهم للذوذ عن المدينة وأهلها[8] .

وقد حاول الدلائيون بالرغم من ذلك التمسك بالسلطة من أجل إعادة الهيبة لدولتهم ، فقاموا بمواجهة أبرز الخصوم وهم العلويين الذين انتهى إليهم أمر فاس وأمر كل المغرب فيما بعد، حيث كانوا سببا في القضاء نهائيا على الدلائيين، وذلك عبر مولاي علي الشريف الذي حيث دخل مدينة فاس في البداية استجابة وتلبية لدعوة من أهلها بعد وقوع خلاف بينهم وبين القائد أبي بكر التاملي المولَّى عليهم من قبل الدلائيين، فاستنجدوا بمحمد بن الشريف الذي أتى إلى فاس بجيشه فتمت له البيعة من أهلها ،

---

[1] - انظر،محمد القادري، **نشر المثاني...**ج1، م.س. ص 300

[2] - انظر، محمد حجي ، **الزاوية الدلائية** ، م.س. ، ص ص 168- 170

[3] - انظر، محمد بن الطيب القادري ، **نشر المثاني** ، م.س. ج2 ص 108 ، محمد حجي : **الزاوية الدلائية** ، م.س. ص 237

[4] - نسبة لضفة وادي بوحريرة أحد روافد المرجة الزرقاء .

[5] - محمد حجي، **الزاوية الدلائية**، ص 240

[6] - انظر تفاصيل ذلك ، **المرجع نفسه**. ص ص 237 - 238

[7] - انظر، محمد القادري، **نشر المثاني** ، م.س. ج2 ص108 .

[8] - انظر، محمد حجي ، **الزاوية الدلائية** ، ص 241.

لكن معارضة محمد الحاج الدلائي أرغمته على الإنسحاب من فاس إلى سجلماسة بعد هزيمته في معركة "ظهر الرمكة" التي قامت بينهما بضاحية فاس سنة 1059هـ(1648م)[1]، لكن هذه الانتصارات والطموحات السياسية للدلائيين ستعرف نهاياتها أمام المولى الرشيد، وذلك بعد نجاح هذا الأخير في الدخول إلى مدينة فاس سنة 1666م عن طريق المغرب الشرقي، حيث اهتم الرشيد بفتح مدينة تازا لتأمين الطريق إلى فاس، ليتمكن من دخولها بعد ممانعة شديدة في سنة 1076هـ/ 1666م[2] ، حيث أورد الإفراني بمؤلفه "النزهة" "**فلما بلغها – أي فاس – حاصره أهلها ، فأناخ عليهم بكلكله، وأوجف عليهم بخيله ورجله مدة إلى أن اقتحمها عليهم قهرا ، وفتك بأبطالها وأوقع بحماتها ..... وكان دخوله لفاس القديمة صبيحة يوم الاثنين الأول من ذي الحجة سنة ست وسبعين وألف ، وبويع له بها يومه ذاك**"[3] .

وقد كانت هذه الأحداث إشارة على نهاية الدلائيين وانكسار شوكتهم، وذلك بعد انهزانهم في معركة بطن الرمان في أوائل محرم عام 1079هـ (1668م)، ليقوم المولى الرشيد بتخريب معقل الدلائيين وهي الزاوية الدلائية والقضاء عليها ومحو آثارها وبتهجير أهلها إلى مدينة فاس[4] .

- **مرحلة العلويين :**

بعد الإنتصارات التي حققها المولى الرشيد على الدلائيين ودخوله مدينة فاس، سيتفرغ لمد نفوذه وبسط سيطرته على كل المغرب، محاولا إعادة السكينة لهذه المدينة، التي عانت لمدة طويلة من ويلات المنافسة السياسية على حكمها، فبعد أن تمت له البيعة سيحاول المولى الرشيد توليف قلوب أهل فاس عليه فقام بإفاضة المال على علمائها وغمرهم بجزيل العطايا، وبسط جناح الشفقة على أهلها، وإظهار إحياء السنة ونصرة الشريعة....[5]. وهذه التطورات الجديدة ستؤدي إلى أن تشهد كدينة فاس استقرارا ملموسا وإن كان نسبيا وذلك بسب انشغال المولى الرشيد بتوحيد المغرب تحت سلطته، لكن هذا

---

[1] - انظر، محمد الصغير الإفراني، **نزهة الحادي** ، م.س. ص ص 404 - 425 ؛ ذكر أحمد الناصري في مؤلفه "**الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**"، م.س. ج7 ص 19، ما تعلق بأحداث استيلاء محمد بن الشريف على فاس ، إلا أنه أورد سنتين مختلفتين حين وقوع هذه الأحداث، حيث ذكر أولا أن "المولى محمد أقبل مسرعا حتى اقتحم دار الإمارة بفاس الجديد منسلخ جمادى الثانية سنة ستين وألف (1060هـ) ، وقبض على أبي بكر الثاملي فسجنه وبايعه أهل البلدين فاس القديم وفاس الجديد معا ...." ، ثم يذكر بعد ذلك مسترسلا الأحداث "واتصل الخبر بمحمد الحاج فجهز إليه جيشا كثيفا فبرز إليهم المولى محمد ودافعهم يوما أو بعض يوم فضعف عنهم وانهزم بظهر الرمكة خارج فاس يوم عاشر شعبان سنة تسع وخمسين وألف (1059هـ) ، فأسلم فاسا وانكفأ راجعا إلى سجلماسة .." ، وهذا كله كان في صفحة 19 من نفس الجزء، وهذا خطأ وجب الانتباه إليه ، فتاريخ (1059هـ) هو الأصح وهو ما أورده صاحب النزهة (محمد الصغير الإفراني) الذي يعتبر مصدرا بخلاف كتاب الإستقصا (الناصري)الجزء السابع الذي يعتبر مرجعا .

[2] - انظر، الضعيف الرباطي، **تاريخ الضعيف(تاريخ الدولة السعيدة)**، دراسة وتحقيق أحمد العماري، نشر دار المأثورات الرباط، الطبعة الأولى، 1986م، ص 46 .

[3] - محمد الصغير الإفراني ، **نزهة الحادي** ، م.س. ص427

[4] - انظر ، **المصدر نفسه**، ص ص 404 – 405 ، محمد حجي، **الزاوية الدلائية** ، م.س. ص 65

[5] - محمد الصغير الإفراني، **نزهة الحادي..** م.س. ص 427

الاستقرار سرعان ما ستحده الوفاة المفاجئة لهذا السلطان سنة 1082هـ(1672-1673م) في حادث قيل عنه الكثير[1] .

وبعد وفاة السلطان الرشيد سيتولى السلطة أخاه المولى إسماعيل(1082-1139هـ/1672-1727م)، والذي ستعرف معه فاس وضعا أضعف من مكانتها بسبب عدة أحداث وعوامل، أولها تحويل مركز الحكم عن فاس إلى جارتها مكناس، وما لاقته فاس من حصار طويل الأمد، فضلا عن الأزمات الاقتصادية والاجتماعية التي ضربت المدينة، والتي استمرت بعد فاة السلطان إسماعيل مع مرحلة "الفترة" حيث ستعرف فاس أسوأ مراحلها على الإطلاق.

2- تحويل العاصمة لمدينة مكناس

شهدت مدينة فاس تراجعا كبيرا مع حكم السلطان المولى إسماعيل، فبالرغم من استقرار أوضاع المغرب حينذاك، غير أن فاس لم تأخذ حظها من هذا الاستقرار، وذلك نتيجة عدة عوامل كان لها أثر على أوضاع المدينة طيلة مرحلة حكم هذا السلطان وما بعده . حيث كانت بيعة المولى إسماعيل مباشرة بعد وفاة أخيه المولى الرشيد من قبل الأعيان والفقهاء والعلماء بمدينة فاس، وافق عليها أهل الحل والعقد من العلماء والأشراف كالشيخ أبو علي اليوسي، وأبو عبد الله محمد بن علي الفيلالي، وأبو العباس أحمد بن سعيد المكيلدي، وأبو عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي، وأخوه أبو زيد... والقاضي أبو مدين، وغيرهم من بقية الأعيان...[2] ؛ وقد ورد اختلاف حول مكان هذه البيعة، إذ يذكر الناصري أنها كانت بمدينة مكناس من خلال كتاب "**الاستقصا**"، إلا أن مصدرين يذكران أنها كانت بمدينة فاس: وهما "**النزهة**" للأفراني و"**نشر المثاني**" للقادري ، وبالتالي فالأرجح أن البيعة كانت بمدينة فاس[3] ، حيث أورد الإفراني الخبر بالقول"**أنه لما توفي مولانا الرشيد بمراكش، بلغت وفاته أبا النصر مولانا إسماعيل، وكان خليفته بفاس الجديد ليلة الأربعاء السادس من ذي الحجة سنة اثنين وثمانين وألف، فبويع رحمه الله ، وحضر بيعته أعيان المغرب وصلحاؤه بحيث لم ينازع في أنه أحق بها وأهلها أحد ممن يشار إليه ..."**[4]، وهو ما عززه القادري تحت عنوان "**وفاة الرشيد وانعقاد البيعة لأخيه**" ضمن حوادث السنة (1082هـ) بالقول "**فمكثوا به ينتظرون أمره إلى أن وصلهم خبر وفاته فرجعوا إلى فاس آخر ليلة الأربعاء خامس عشر من ذي الحجة....وانعقدت البيعة لأخيه الخليفة بعده... إسماعيل بن السلطان مولانا الشريف..."**[5]، أما الناصري فيذكر: أنه "**لما توفي المولى الرشيد في التاريخ المقدم كان المولى إسماعيل بمكناسة الزيتون خليفة على بلاد الغرب، فبلغه خبر**

[1] - كانت وفاته في حادث عرضي أثناء رحلة صيد، لكن هناك من ربط هذا الحادث بدعاء أحد الصلحاء عليه بسبب سلب المولى الرشيد لجارية كانت له ، انظر محمد الصغير الإفراني ، **نزهة الحادي...**،م.س. ص 428

[2] - الناصري ، **الاستقصا...، م.س.** ج7 ، ص 45

[3] - لأن كتابي "**النزهة**" و"**نشر المثاني**" مصدران أرخا لهذه المرحلة ، فكتاب النزهة للأفراني فرغ من تأليفه صاحبه سنة (1139هـ /1727م)، وأما كتاب نشر المثاني للقادري رغم عدم تحديد سنة تأليفه إلا أن صاحبه وافته المنية سنة 1187هـ/ 1773م ، وهو وإن كان لم يعاصر هذه الأحداث إلا أنه كان قريبا منها، بخلالف مؤلف الناصري "**الإستقصا**" بجزءه السابع الذي يعتبر مرجعا أخذ عن سابقيه، حيث فرغ منه صاحبه سنة (1314هـ/ 1894م .

[4] - محمد الصغير الإفراني ، **نزهة الحادي...**، ص 429

[5] - محمد بن الطيب القادري ، **نشر المثاني** ، ج 2 ، ص 197

موته فاجتمع الناس عليه وبايعوه واتفقت كلمتهم عليه، وقدم عليه أهل بلاد الغرب من الحواضر والبوادي كذلك بهداياهم وبيعاتهم إلا مراكش وأعمالها فإنه لم يأت منها أحد، فجلس للوفود إلى أن فرغ من شأنهم ورتب أموره بمكناسة "[1] ؛ وهنا يشير الناصري أن المولى إسماعيل لم يكتف بعقد البيعة له بمدينه مكناس، بل عقد العزم على اتخاذها عاصمة جديدة لدولته مباشرة بعد ذلك، حيث أورد معقبا على خبر بيعته "**على أنه عزم على السكنى بها (أي مكناسة)، إذ كان لا يبغي بها بدلا حيث أعجبه ماؤها وهواؤها...**"[2] .

وهنا أيضا لابد من البحث في هذه القضية ضمن المصادر، فهذه الرواية التي أوردها الناصري لم نجد لها ذكرا في أي مصدر من المصادر، فالمصادر التي ذكرت أن المولى إسماعيل تلقى البيعة بمدينة فاس لم تشر إلى نية السلطان في اتخاذ مدينة مكناس عاصمة له، بخلاف الناصري الذي أورد الخبر مباشرة بعد خبر "**عقد البيعة**"، كما أن عدة عوامل تذكرها المصادر هي التي كانت وراء هذا القرار، إذ إن السلطان إسماعيل لم يعزم على اتخاذ مكناسة عاصمة له إلا بعد الفتن التي وقعت سواء بفاس أو بغيرها من مدن ومناطق المغرب؛ وبالرغم من أن هناك من يرجع سبب تغيير السلطان لعاصمة دولته من فاس إلى مكناس هو رغبته (أي السلطان إسماعيل) في محاصرة بعض المجموعات القبلية القاطنة بجبال فزاز ولاسيما آيت أومالو[3]، إلا إن هذا العامل ليس هو السبب الوحيد أو الرئيسي لتحويل العاصمة إلى مكناس ، فحين نحاول أن نضع هذا الحدث في سياقه التاريخي وإطاره العام ، فإن الأمر يرجع أيضا لوقائع حدثت خلال سنوات تثبيت حكمه، إذ في الوقت الذي كان ينظم شؤون دولته، تفاجأ بانتفاضة أهل فاس وإعلان بيعتهم لأحمد بن محرز في ظروف غامضة و قتلهم لقائد جيشه زيدان بن عبيد العامري مما حتم عليه مواجهتهم ومحاصرتهم، فقطع عليهم كل مؤونة، ولم يتمكن من الدخول إلى مدينة فاس إلا بشكل قهري وذلك في رجب من سنة 1084هـ/1674م[4].

وبالتالي يمكن أن نقول، أن هذه الثورة وهذا الرفض من أهل فاس لحكم المولى إسماعيل، كانت سببا في نفوره من فاس وتحويل مركز الحكم عنها، فطبق على أهلها سياسة قهر وتذليل دامت لسنوات، حتى دفعت بخاصة أهل فاس من علمائها وفقائها إلى طلب الصفح عنهم ورفع الحصار عن مدينتهم.

ويمكن أن نلخص أبرز هذه التطورات وما رافقها من إجراءات وتدابير إسماعيلية مست بمكانة فاس المركزية، في التالي :

- **<u>تدابير إدارية :</u>** تتلخص في تحويل العاصمة لمكناس وما رافق ذلك من العناية الكبرى لها على حساب مدينة فاس، ففي المجال العلمي والديني تم تخصيص مكناس بأوقاف وكتب وبناء مدارس علمية

---

[1] - الناصري ، **الاستقصا**... ، ج7 ، ص 45

[2] - **المرجع نفسه** ، الصفحة نفسها .

[3] - انظر، عبد الأحد السبتي وحليمة فرحات ، **المجتمع الحضري والسلطة بالمغرب** ، هامش رقم 21 ص 131

[4] - انظر، الناصري، **الاستقصا...** ج7 ، ص 47 ، احمد بن عبد العزيز العلوي، **الأنوار الحسنية في نسبة من بسجلماسة من الأشراف المحمدية**، طبع وزارة الأنباء، مطبعة فضالة ، المحمدية ، ط1 سنة 1689م ، ص 84.

وتأسيس الخزانات ، حيث أسسالمولى اسماعيل الخزانة الإسماعيلية بقصره، كما قام بجلب النساخين والوراقين المهرة من فاس إلى مكناس لنسخ الكتب العلمية لتزويد خزانته[1]، إلى جانب استقطاب أفضل العلماء إليها؛ ويمكن القول إن هذا الإجراء إلى جانب العديد من الحوادث كان له أثره على مكانة فاس العلمية بالدرجة الأولى والتي شهدت تراجعا كبيرا على هذا المستوى .

- **ثقل الضرائب** : بسبب ما بدر من الثورة من أهل فاس، فقد فرض المولى إسماعيل على أهلها إتاوات ضخمة ومغارم ثقيلة، حيث أشار روجي لوتورنو إلى هذه القضية، إذ يرجع سبب حقد المولى إسماعيل على الفاسيين هو ثورتهم عليه بسبب نجهله، بعد أن تولى الحكم ببضعة أشهر، إذ استدعوا أحد العلويين الطامعين في العرش من أبناء أخي السلطان وبايعوه سلطانا عليهم، مما حذا بالسلطان إلى محاصرة فاس لمدة أربعة عشر شهرا، ففرض على المدينة إتاوة ضخمة، وأخذ لنفسه جميع عبيد الثوار، ومنذ ذلك العهد أصبحت فاس في نظره مدينة متمردة يعاملها بدون هوادة[2] .

- **قرارات سلطانية** : تتمثل أبرز القرارات التي اتخذها السلطان في قضية فتوى تمليك الحراطين، والتي أدت إلى فرار العديد من علماء ومتصوفة فاس بدينهم خارج المدينة، وقد ترتب عن هذا الحدث تكوين جيش عبيد البخاري ودوره الهام في فتنة الثلاثين سنة، والتي انعكست على مدينة فاس وعلمائها بتعريضهم للسجن والتنكيل والقتل، حيث تعرض الشيخ عبد السلام جسوس لأكبر محنة في هذه القضية، مما دفع بعدد كبير من العلماء بالفرار من فاس، كالشيخ محمد بن محمد المشاط الذي فر بأهله وولده إلى وزان؛ وقد أرخ لهذه الوقائع مجموعة من المؤرخين، منهم: "أحمد بن محمد ابن الحاج السلمي"، صاحب "**الدر المنتخب**" وهو وزير السلطان الحسن الأول (ت1316هـ/1898م)، إذ يقول :"**وفي ثاني عشر من ذي القعدة من عام 1707م، وقيل في العام قبله ....ورد كتاب من السلطان وقُرئ بفاس على المنبر بتمليك حراطين فاس، وطلب من العلماء أن يضعوا خطوط أيديهم على ذلك الدفتر، وبقي الأمر نحو أربعة أشهر وفر غير واحد من العلماء لرؤوس الجبال، وبها استقر، وتغيب بعض العلماء في موضع حيث لايطلع له على خبر ومن كان عاجزا قال : أمر الله ليس له مفر، ومنهم من التجأ إلى مولاه في السر والجهر، وطلب من الله الموت، بأن لا يحضر لهذا الأمر**"[3]؛ وقد انعكست هذه الحوادث – كما على العلماء والشيوخ- على المجتمع ومدينة فاس كذلك ، ففرار العلماء سيؤدي إلى خراب المدارس والمساجد والزوايا من عمارها، والتي ستعرف تدهورا أكبر طيلة مرحلة الفترة لدرجة أن انهارت الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والدينية، فتراجعت مدينة فاس تراجعا لم يسبق له مثيل .

---

[1] - انظر، أحمد ايشرخان، جهود السلطان مولاي إسماعيل في تأسيس الخزانات العلمية وازدهار الحياة الفكرية بالمغرب الحديث (1672-1727م)،مجلة **دعوة الحق** ، وزارة الأقاف والشؤون الإسلامية، عدد 404 يناير 2013م، ص 98- 99. (ص ص 95 – 110)

[2] - روجي لوطورنو ، **فاس قبل الحماية** ، ترجمه إلى العربية محمد حجي ومحمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ، نشر الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ، د.ط سنة 1992، ج1 ص 127

[3] - علال معكول، نماذج وصور من تصدي العلماء للفساد الاجتماعي والصوفي ، **ندوة الحركة العلمية** ، م.س. ص272 .

3- الأزمات الاقتصادية

عمقت الأزمات الاقتصادية من حدة الأزمات السياسية التي كان يعرفها المغرب بشكل عام ومدينة فاس بشكل خاص، بل كانت في أوقات كثيرة سببا مباشرا في وقوع أزمات سياسية، وقد تمثلت من خلال المجاعات والأوبئة التي نالت منها مدينة فاس حظا وافرا، إذ توالت عليها سنوات جفاف، مما أدى إلى حدوث مجاعات، وانتشار الأمراض[1]، هذه المجاعات زاد من تفاقمها سوء التدبير الاقتصادي والتي تزامنت مع فترة الاضطرابات السياسية، بحكم أن هذه المرحلة كانت فترة ضعف السلطة أو الفراغ السياسي الذي عرفه المغرب بعد وفاة المنصور، حيث ارتبط قلة الإنتاج الفلاحي مع اللامركزية السياسية[2] وسوء إدارة الاقتصاد، خاصة مع مضاربات التجار في تجارة الحبوب مما كان يؤدي إلى ارتفاع أسعارها[3]؛ وتؤرخ المصادر لبعض هذه المجاعات، كمجاعة سنة 1603م و1606م والتي استمرت لغاية سنة 1607م، حيث يذكر "المؤرخ المجهول" أنها: "**أدت إلى هلاك العدد الكبير من السكان، والغلاء الفاحش لثمن الزرع**"[4]، مما أدى لانتشار الأوبئة، وقد توالت سنوات الجفاف لغاية سنة 1613م، حتى بدأت تخلف ستين ميتا كل يوم[5]، كما عد في سنة 1614م من الموتى 7000 نسمة[6] نتيجة تفشى مرض الطاعون الذي أودى بأرواح الآلاف من الناس، حتى عجز الناس من دفن موتاهم[7]، وقد ازداد الأمر استفحالا في السنوات اللاحقة، ففي حوادث سنة 1063هـ(1653م)، تحدث القادري عن المجاعة، فقال بأنها "**كانت مجاعة كبيرة...وأُكلت الجيف، وكثر الموت بالأزقة دون ما في المرستان، وذكروا أن من دفن من المرستان بلغ أربعة وثمانين ألفا، زيادة على من دفن من غيره، وأكل الآدمي بوسط الصفارين جهرا، وخلت حومات**"[8]، ومثل هذا وقع أيضا في سنوات الجفاف من سنة 1072-1073هـ (1662- 1663م)، حتى أن بعض الحومات أصبحت خالية من أصحابها بفعل المجاعة وانتشار الطاعون، قال القادري "**وكان بحومة الدوح من فاس بالقرويين ما يزيد على ستمائة رجل، فلم يبق منهم إلا ثلاثون رجلا**"[9] .

وقد انعكست هذه الأزمات الاقتصادية على الأوضاع الاجتماعية على فاس، حيث كثر الفقر والمرض وانتشرت أعمال اللصوصية والفوضى وقطع الطريق، وانعدم الأمن، ومما زاد من حدتها استبداد بعض القواد بالمدينة ووقوع مواجهات دامية بين فاس الإدريسية وفاس الجديد، كما لم تكن تسلم فاس من

---

[1] - انظر، الناصري، **الإستقصا**...، م.س.، ج7، ص ص130-131؛ محمد القادري، **نشر المثاني...**، م.س.ص399-400؛ محمد الصغير الإفراني، **صفوة ما انتشر**...، م.س. ص 10؛ راجع كتاب: **تاريخ الأوبئة والمجاعات في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر**، لمحمد أمين البزاز، مطبعة النجاح الجديدة – البيضاء، السنة 1992م .

[2] - انظر، مزين محمد، **فاس وباديتها**، ج2 ، ص405-406

[3] - **المرجع نفسه**، ص412

[4] - المؤرخ المجهول، **تاريخ الدولة السعدية...، م.س.**، ص111 .

[5] - محمد مزين، **فاس وباديتها** ،ج2، ص 414 .

[6] - **المرجع نفسه**، الصفحة نفسها

[7] - الضعيف الرباطي، **تاريخ الضعيف...**، م.س. ج1، ص 220

[8] - محمد القادري، **نشر المثاني...، م.س.** ج2، ص 67

[9] - **المصدر نفسه**، ص 129 - 134

السلب والنهب من طرف القبائل المجاورة[1]، الأمر الذي أدخل مدينة فاس في حالة من الركود لم تكن بالقصيرة .

المبحث الثالث: المكانة الصوفية لمدينة فاس

1- طرق التصوف في مدينة فاس

كانت مدينة فاس خلال فترات استقرارها من القرنين 17 و18م، مقصدا للشيوخ والعلماء والمريدين والطلاب والعلماء، وقد انعكس ذلك على حركتها الصوفية، نتيجة تأسيس العدد الكبير من الزوايا، والذي يرجع بدوره للاستقطاب الكبير الذي شهدته الطرق والطوائف الصوفية من كل أنحاء المغرب .

وكما عموم المغرب، فقد كان حظ الطريقة الشاذلية أوفر من الطريقة القادرية في انتشار طرقها وفروعها في مدينة فاس، والتي امتدت عن طريق الشيخين زروق والجزولي، فالحركة الصوفية في فاس تحمل في كينونتها نفس الشيخيين الصوفيين، حيث نجد شيوخ المرحلة الحديثة قد أخذوا مباشرة عن شيوخ الدور الأول من اتباعهما إما عن الشيخ عبد العزيز التباع الذي يعتبر وارث حال شيخه الجزولي أو عن الشيخ عبد الله الغزواني الذي كون شبكة ثانية من الطائفة الجزولية، كما أخذت الطائفة الزروقية عن أتباع الشيخ أحمد بن يوسف الراشدي الملياني[2] .

وقد ضمت مدينة مدينة فاس العدد الكبير من الطرق الصوفية، منها ما كان ذا أصل زروقي ومنها ماكان ذا أصل جزولي، ومنها ما كان نتاج عن الطريقتين الجزولية والزروقية، وذلك من خلال الجمع بين وظيفة الشيخين وأدعيتهما، كما ضمت مدينة فاس بعض الطرق المشرقية الدخيلة على التصوف المغربية كالملامتية والخلوتية إلا أنهما لم تكونا بحجم صيت الجزولية والزروقية .

وقبل أن نعرج على أهم الطرق الصوفية التي انتشرت بمدينة فاس، لابد أن أشير إلى أن هذا المبحث اقتصرت فيه على دراسة أصول الطرق الصوفية التي انتشرت بفاس من القادرية والملامتية والخلوتية، مع تخصيص البحث عن الطريقة الفاسية، وتركنا البحث حول فروع الطرق الشاذلية لفصول لاحقة.

أ- تعريف الطريقة :

الطريقة لغة: تطلق على السيرة، والمذهب، والحال[3]؛ واصطلاحا: يعرفها الصوفية بأنها: السيرة المختصة بالسالكين إلى الله ـ تعالى ـ من قطع المنازل والترقي في المقامات[4]، ويعرفها الشيخ ابن عجيبة بأنها "**إصلاح الضمائر لتتهيأ لإشراق أنوار الحقائق عليها، فالشريعة لإصلاح الظواهر، والطريقة لإصلاح الضمائر،**

---

[1] - محمد الصغير الفاسي، **المنح البادية ...**، م.س.ج1، (قسم الدراسة)، ص 30

[2] - نفسية الذهبي ، **الزاوية الفاسية...**، م.س. ص43

[3] - محمد بن منظور: **لسان العرب**، مادة (طرق)، الناشر دار الفكر– دمشق، الطبعة الأولى1410هـ/1989م، الجـزء 10 ص221.

[4] - محمد الجرجاني: **التعريفات**، تحقيق ابراهيم الابياري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان. ط1، 1984م، ص 141

والحقيقة لتزيين السرائر"[1]، ويشرح ذلك بالقول أن "**الشريعة عين الحقيقة من حيث أنها وجبت بأمره، والحقيقة عين الشريعة من حيث أنها مكلف بها من قبل الشريعة، وقد تطلق عندهم الشريعة على كل ما يتوصل به إلى شيء، أو يكون سببا في إدراكه، فالأسباب كلها شرائع، والمقاصد كلها حقائق، فالحس شريعة المعنى إذ به قبضت، والمجاهدة شريعة المشاهدة، والذل شريعة العز والفقر شريعة الغنا**"[2].

وقد عرف هذا المفهوم تطورا مس أركانه، وإن احتفظ بماهيته التي قام عليها، فتم وصف الطريقة "بأنها أقرب ما تكون جملة مراسيم وتنظيمات لجماعات صوفية"[3]، حيث يعتبر القرن 6هـ/12م القرن الذي برزت فيه مظاهر الطرقية، وإن كان التلميح من طرف الباحثين إلى الطرقية قبل هذه الفترة، إلا أنها لم تكن تشكل مفهوم الإنتماء الطائفي بمعناه الاصطلاحي المستحدث، وإنما كان يقصد بها النهج الصوفي المبني على الزهد، فمع القطب عبد القادر الجيلاني(ت 561هـ) اتخذت الطريقة بعدا أكثر عمقا ودلالة، فأصبحت لها بيعة معينة وأورادا خاصة تدل عليها، وزاوية يجتمع فيها الأتباع، فكل شيخ طريقة لا بد له من مريدين وأتباع، وخليفة يتم اختياره بشكل روحاني، يأخذ ميراث الطريقة بعد وفاة صاحبها، إلى غير ذلك؛ وبالتالي، يمكن القول إن أقدم الطرق التي تأسست كانت بالمشرق- بالمعنى الاصطلاحي للطريقة- هي الطريقة القادرية، أما بالمغرب فقد كانت الشاذلية (نسبة لأبي الحسن الشاذلي، ت 656هـ)، وإن كان ولابد من القول أن المعتمد في وضع أسس الطريقة -نهجا وسلوكا- هو أبو القاسم الجنيد (ت298هـ/910م) الذي يعتبر المرجع النهجي والسلوكي للطرق الصوفية العلمية بالمغرب .

ولتحقق الطريقة أهدافها لا بد لها من أسس وآليات، إذ تعتبر الطائفة وكتب الأقطاب أو مقولاتهم، الأساس الذي تنشأ عليه الطريقة، وكذا رجال الطريق فهم أنفسهم آليات إنتشارها، فالطائفة صوت الطريقة، والكتب أو المؤلفات أو ما يحدده شيخ الطريقة من أذكار وسلوك هو نهجها، وبدون إحدى الآليتين، فالطريقة لن يكتب لها الدوام والإستمرار، فالطائفة تسعى إلى نشر الطريقة مرحليا ومجاليا، لكن نهج الطريقة يضمن لها الدوام والإنتشار زمانيا، كما أن للطريقة لها شروط ومقومات، فلابد أن تقوم على يد ولي قطب، هو من يحدد الأذكار وأوقات ذكرها وعددها؛ وقد انتشرت الطرق الصوفية في العالم الإسلامي بعدد الأقطاب، وإن الطريقتين اللتين انتشرتا في المغرب عند القرنين 17-18م هما القادرية والشاذلية، ولا تتوقف شبكة الطرقية عند الأقطاب الأوائل بل تمتد لورثتهم، فقد يرث قطب قطبا لتنسب الطريقة فيما بعد للوارث، وأبرز مثال على ذلك، هو: فرعي الشاذلية للشيخين زروق والجزولي، واللذان انتسبت جل الطرق الصوفية المغربية إليهما .

وعن أهم أصول الطرق التي انتشرت في مدينة فاس، نذكر :

---

[1]- أحمد بن عجيبة: **معراج التشوف الى حقائق التصوف**، تحقيق وتقديم عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، بدون سنة الطبع،ص 72

[2] - **المصدر نفسه**، الصفحة نفسها .

[3] - مجموعة من المستشرقين: **دائرة المعارف الإسلامية (البريطانية)**، ترجمها للعربية: أحمد الشنتناوي، وإبراهيم خورشيد وعبد الحميد، دار المعرفة بيروت، ج15، ص 172 .

ب- الطريقة القادرية:

تعتبر الطريقة القادرية من بين الطرق الصوفية التي عرفتها مدينة فاس، وهي وإن لم ترقى إلى مستوى انتشار الطريقة الشاذلية (سواء بالمغرب عامة أو بفاس خاصة)، لكنها شكلت جزءا من حركتها الصوفية؛ ويعود وجود القادرية بفاس إلى القرن 8هـ/14م، وذلك حين أسست زاوية، كانت هي نفسها الخلوة التي نسبت للشيخ عبد القادر الجيلاني بعد ذلك بالقرب من جامع القرويين[1]، ولا يعلم تحديدا متى صارت "خلوة"، إذ يورد القادري خبرا عنها بالقول: "**وهذه الزاوية التي يسمونها بفاس الخلوة، انما هي زاوية بنيت لقراءة حزب القرآن، أمر ببنائها الأمير أبو سالم إبراهيم المستعين بالله بن أبي الحسن المريني، وتم بناؤها في أواخر رمضان عام اثنين وستين بمثناة وسبعمائة (762هـ/1361م)، ورتب فيها طلبة يقرأون القرآن ويختمونه بطول سبعة أيام، وأجرى لهم جرايات في كل شهر ينتفعون بها**"[2].

بهذا الشكل دخلت الطريقة القادرية لمدينة فاس، وهو ما يظهر غياب مستوى التنظير الذي يميز أي طريقة تحاول أن تجد لها موطئ قدم، فتأسيس هذه الطريقة كان مختلفا في المبدأ والمنهج عن تأسيس الطرق الصوفية، والذي نستخلصه من مسألتين :

- **المسألة الأولى**: أن الزاوية والطريقة تؤسس من قبل شيخ أو ولي أو صوفي أو مندوب عن ولي، بينما هذه الزاوية التي خصصت للطريقة القادرية الجيلانية أسسها سلطان لايُعرف انتماؤه الطرقي أو سلوكه الصوفي .
- **المسألة الثانية**: أن الزاوية أسست بدون طريقة، بدليل أن السلطان المريني لم يحدد لها أورادا، ولا غير ذلك مما يخص تدبير أمر الزاوية من مشرف وقيم وشيخ طريق، بل اكتفى باضفاء طابع صوفي عليها من خلال إقراء القرآن، ومنح أجر لذلك .

هذا عدا إن أردنا الحديث عن تطور الزاوية، وجدنا أنها سرعان ما تحولت إلى "خلوة"، فلو كانت الزاوية بنيت على أسس طرقية لتطورت بدل أن تتراجع .

وعموما؛ فالحضور الصوفي للطريقة القادرية بفاس - وإن كان باهتا- لن يظهر إلا بعد أن بدأ نزوح القادريين بفاس، وذلك عند نهاية القرن 9هـ/15م بعد سقوط غرناطة عام 897هـ/1492م، وقد كان أول من وفد منهم هو الشيخ أبي عبد الله محمد الثاني حفيد القطب الجيلاني وجد الشرفاء القادريين بفاس[3]، الذي تصاهر مع الشيخ محمد بن قاسم القصار، وقد استقر الشيخ أبي عبد الله محمد بحومة الزنجفور

---

[1] - لم يحدد موقعها بالضبط، سوى ما ورد عند القادري ، أنها تقع شرق جامع القرويين ، فهل المقصود داخله أم خارجه ؛ انظر ، **التقاط الدرر**، م.س. ص 254

[2] - انظر، محمد بن الطيب القادري، **نشر المثاني..** ، م.س. ج 3 ، ص 63 ،**التقاط الدرر..** ، م.س. ص 264 – 265، الضعيف الرباطي، **تاريخ الضعيف..** ، م.س. ج1 ، ص 63 .

[3] - وأصل مقدمهم كان من الشرق ببغداد، الذين نزحوا إلى صقلية ثم إلى الأندلس ثم إلى سبتة وإلى فاس، انظر، محمد بن الطيب القادري، **التقاط الدرر...**، م.س. ، صص484 -485 .

من ناحية باب عجيسة[1]، فظل مقيما بها إلى توفي في حدود سنة 950هـ/1543م، فدفن خارج باب عجيسة، ليمثل المكان أولى مقابرهم بمدينة فاس[2]؛ وإلى هذا الجد ينتسب الفرع القادري بالمغرب عامة[3].

بهذا الحضور بدأ القادريون يحاولون إظهار التعبير عن بعض مظاهر الطريقة، كما عبروا عن أنفسهم من خلال تأسيس زاوية لهم خلال القرن 17م على يد محمد بن علي القادري (1085-1162/1674-1749)، بحومة رأس الجنان من عدوة القرويين، فصارت هي الزاوية الرسمية للطريقة القادرية[4]، فارتبطت الطريقة بهم، وحظيت ببعض الانتشار، وصار الفقراء يجتمعون فيها ويقرؤون بها أوراد القطب الجيلاني ويقيمون حلق الذكر[5]، إلا أنها لم تبرز بعطائها الصوفي المستقل آنذاك، حيث ظلت الطريقة محدودة الإنتشار، بالرغم من امتلاكها سبل نشر الطريقة وذلك عن طريق الشرفاء القادريين الذين كانت لهم مكانة في فاس .

ويمكن إرجاع هذا الأمر لعدة عوامل؛ أبرزها :

- غياب منظرين ومجددين للطريقة القادرية بالمغرب، بخلاف الطريقة الشاذلية والتي كان لها مجددين ومنظرين بارزين وهما الشيخين زروق والجزولي، وهذا ما نفح في الطريقة الشاذلية روحا جديدة افتقدته الطريقة القادرية .

- غياب تلاميذ ومريدين للشيخ في المغرب ينشرون طريقته مما أسهم في طمس معالم هذه الطريقة- إذ إن دخول الطريقة القادرية إلى المغرب عامة وفاس خاصة، لم يكن وفق آلية تسمح لها بالتوسع أو التطور، والذي يمكن وصفه بالإعتباطي، وذلك مع تأسيس الزاوية القادرية الأولى من طرف الأمير المريني، مع ما رافق هذا التأسيس من غياب لأي نهج طرقي، إذ لم يعلم السبب أو الغاية من ذلك، ثم مع الزاوية الثانية التي -أيضا- لم تكن تملك روح الطريقة، فقد كانت الزاوية عبارة عن مقر لتجمع أحفاد القطب الجيلاني إلى المغرب الذين نزحوا من غرناطة، وهؤلاء لم يكن لهم مشروع طرقي، والدليل هو تلك الطائفة التي تواجدت بفاس لم تشتغل على أي نهج عملي في نشر الطريقة، فلو قارناها بطائفة الفاسيين مع شيخهم أبي المحاسن، والذي كان يحمل مشروعا طرقيا حينما دخل فاس وقرر الاستقرار بها، فالشيخ أبي المحاسن اتخذ زاوية لطريقته محددا آليات عمل نشر الطريقة، بينما القادريون توقفوا عند تأسيس زاوية لهم، ليضيفوا لها بركة وجودهم بها؛ وشتان بين الأمرين .

- انغلاق الزاوية على ذاتها، حيث أن الزاوية القادرية كانت محدودة الاستقطاب، لم تنفتح على المحيط الصوفي العام على المريدين والأتباع من فئات المجتمع، فمنذ تأسيسها ولغاية القرن 18م

---

[1] - انظر، محمد القادري، **التقاط الدرر...**، م.س. ص491 .

[2] - انظر، محمد الكتاني، **سلوة الأنفاس...**، م.س. ج3، ص209 .

[3] - انظر، أحمد بوكاري، **الإحياء والتجديد الصوفي في المغرب**، م.س. ج2. ص 96 .

[4] - خصصنا دراسة للزاوية القادرية بالفصل الأول من الباب الثاني، ضمن التراث الصوفي المرتبط بالزوايا .

[5] - عبد السلام بن الطيب القادري، **أرجوزة الإشراف على نسب الأقطاب الأربعة الأشراف**، تقديم تحقيق خالد الصقلي، ضمن سلسلة تحقيقات (8-10)، طبع مطبعة الأمنية الرباط، نشر دار الأمان، بدون رقم طبعة سنة 2010،(قسم الدراسة)، ص60-61 .

كانت تخصص لأحفاد القطب الجيلاني فقط، ومريدي الطريقة القادرية حصرا[1]، وهؤلاء لم يستطيعوا توسيع دائرة هذه الزاوية أو تطويرها على مستوى الممارسة، رغم قدمها في التأسيس، بينما الزاوية الفاسية كانت تسمح لكل شخص بولوج مؤسستها مهما كان انتماءه الطرقي أو الطيني.

- افتقاد الزاوية لمشروع علمي، وذلك في غياب أو ضعف تدارس علوم الدين والطريقة القادرية داخل الزاوية، حيث توقفت الزاوية عند وظيفة الذكر وقراءة القرآن والأوراد، فالزاوية لم تؤسس منذ بناءها أي مرفق علمي يكون تابعا لها – رغم أسبقية وجودها عن باقي الزوايا بفاس، إذ كان يمكنها اقتناء أراضي أو دور إما لتوسعة الزاوية، أو تأسيس مراكز علمية تابعة لها، خصوصا مع حجم الموارد المالية التي كانت تتلقاها الزاوية والشرفاء القادريين، سواء من زاويتهم أو ضريح الشيخ الشاوي، حيث أن حجم الزاوية ظل كما هو دون أي زيادة منذ المرينين -باستثناء زاوية رأس الجنان والتي اتخذت روضة بعد ذلك-، ومرد ذلك أن أساس بناء الزاوية لم يكن علميا، ولم يتم عبر تاريخها أي محاولة في إضفاء الطابع العلمي، الأمر الذي أفقدها القدرة على استقطاب المريدين، فمع مرحلة القرن 17 و18م، نجد أن نشاط القادريون وتكوينهم العلمي كان يتم خارج أسوار هذه الزاوية، حيث كانوا يقصدون زوايا أخرى كالزاوية الفاسية والمعنية لأجل دراسة علوم الدين ومبادئ الطريق الصوفي، فمثلا، الشيخ أبو عبد الله محمد العربي بن الطيب بن محمد القادري الحسني كان تلميذا للشيخ عبد القادر الفاسي والشيخ اليوسي، كما سلك طريق التصوف على يد الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الله معن[2] ، وهذا الأمر إن دل على شيء فإنما يدل على غياب النهج العلمي داخل الزاوية القادرية، مما دفع بأبنائها إلى أخذ أصول العلوم بل وحتى أصول الطريق الصوفي من زوايا أخرى.

- انتماء رجال البيت القادري لطرق فاسية، إذ أن من كان أقرب إلى حمل الطريقة القادرية، وهم المنتمون إلى البيت القادري، كانوا من مريدي الزاوية الفاسية أو المعنية، وهوما يؤكده أحمد بوكاري، من أن اشتهار ذكر آل الشيخ عبد القادر كأشراف وعلماء ضمن النخبة الاجتماعية المغربية بفاس خصوصا في القرنين 17-18م، لم يمتد لإستغلال أو استعمال هذا الشرف الطيني والعلمي والصوفي لأهداف تتعلق بإحياء وتدعيم التصوف القادري السني[3].

- ضعف المنافسة، إذ إن الطريقة القادرية لأزيد من أربعة قرون عجزت أن تنتج فرعا واحدا لها، بينما نجد زوايا الشاذلية عن طريق فروعها تمكنت من إنتاج عدة فروع أخرى، فالعديد من الزوايا رغم حداثة وجودها، تمكنت من تفريخ العديد من الزوايا في مدينة فاس- نموذج الطريقة الوزانية والتي تمكنت في ظرف وجيز من إنتاج أكثر من فرع-، مما جعل القادرية في موقف ضعيف لم تقو من خلاله على منافسة الزوايا الأخرى .

[1] - عبد السلام القادري، **أرجوزة الأشراف....**، م.س. (قسم الدراسة) ص60-61

[2] - انظر، محمد بن الطيب القادري ، **التقاط الدرر** ، م.س. ص ص 267-268

[3] - أحمد بوكاري، **الإحياء والتجديد الصوفي في المغرب**، م.س.ج2 ص 102

وعموما، فهذه العوامل وبالرغم من أنها أسهمت في انحصار الطريقة القادرية والحد من إنتشارها، خاصة مع الامتداد الذي كانت تشهده الشاذلية والتي اكتسحت الشأن الصوفي بمدينة فاس، إلا أنها لم تكن كافية للقضاء على وجود القادرية -بفاس خاصة-، فالطريقة القادرية رغم هشاشة تأسيسها، وضعف آليات دعوتها، ومحدودية انتشارها وتطورها ظلت صامدة، وهذه قضية استوقفتنا لنطرح تساؤل عن السبب من وراء ذلك؛ وهو ما يمكن أن نرجعه لعاملين :

- **العامل الأول مرتبط بالتصوف العلمي الطرقي**: وذلك حين ستحاول القادرية أن تجد لها سقفا تحافظ من خلاله على وجودها وتعبر عن نفسها فكان هذا السقف في ظل الشاذلية، وذلك حين ابتدأ رجال الطريقة القادرية باتباع فروع الشاذلية، ليحدث تلاقح القادرية والشاذلية بمدينة فاس، وهو ما مثل تحولا في مسار تطور الطريقة، إذ ابتدأ القادريون بالتتلمذ على رجال الزاوية الدلائية والفاسية، خاصة الشيخ اليوسي والشيخ عبد القادر الفاسي والشيخ محمد بن عبد الله معن، وهذا الأخير اشترك في التتلمذ على يديه العديد من أفراد الأسرة القادرية، بل اتخذوه شيخ الطريق، كما تتلمذوا على يد أحمد بن محمد معن وهو شيخ الطريقة الفاسية المعنية، حيث أخذ عنه كل من أولاد الطيب بن محمد القادري، وهم عبد السلام ومحمد العربي، وكذا أحمد بن عبد القادر بن محمد القادري (ابن عم الإخوة عبد السلام ومحمد)، بل امتد التتلمذ عنه إلى ابن عبد السلام وهو أبو القاسم، فكان طريقهم الصوفي عبر هذا الشيخ، وإن هذا التلاقح سينتج عنه بروز معالم قادرية في نهج الطريقة الفاسية أثناء تطورها، وذلك من خلال المزج بين الشاذلية والقادرية كسلوك صوفي عن طريق الأوراد والأذكار، وهو ما ساعدها أواخر القرن 18م في تحقيق نهضة طرقية، وذلك حين وجدت تيارا خلق لها سبل البقاء والاستمرارية، وهو تيار الطريقة الدرقاوية فعبرت من خلاله عن روح الجيلانية، الذي عمل على تحديثها سواء على مستوى التنظير أوالممارسة .

- **العامل الثاني وهو مرتبط بالتصوف الشعبي**: وذلك حين بدأ التصوف بالتحول من أساسه العلمي والسني إلى نمط شعبي، حيث صار تقديس الأولياء أهم من مكانتهم، فالشيخ الجيلاني نال لدى العامة درجة تقديس فاقت مكانة طريقته، حيث نجد العديد من الأماكن بمدينة فاس تعتبر خلوات للشيخ القادري، تنسب له بحجة أنه شوهد يتعبد في تلك الأماكن، بالرغم من استحالة هذا الأمر، كون الشيخ القادري لم يزر المغرب قط، فكيف له أن يشاهد بمدينة فاس[1]، وفي هذا الصدد نذكر قصة السارية الموجودة بالخلوة المنسوبة للشيخ عبد القادر الجيلاني بجامع القرويين، التي أثير حولها شبهات دينية، ترتبط بمبالغة العامة في أشكال التبرك بالسارية، من قبيل تقديم النذور ووضع التمائم، الأمر الذي جعل بعض العلماء يستنكرون تلك الأعمال، فما كان إلا أن أمر القاضي "**محمد العربي بردلة**" بعد حكم شرعي بازالتها ونقل تلك السارية إلى مكان آخر خارج جامع القرويين، وهو مرحاض جامع الآبارين، إلا أن هذا الأمر جر على الشيخ بردلة معارضة من عامة الناس وحتى من خاصتهم من بعض العلماء، مما أدى إلى

[1] - انظر، القادري ، **نشر المثاني**.، م.س. ج3 ، ص ص 61- 63

تطور الأمر بأن رفعت القضية الى السلطان مولاي إسماعيل، فكان ذلك أحد أسباب عزل القاضي بردلة عن قضاء فاس[1]، وهذا الحدث -كما علق عليه "هاشم العلوي القاسمي"- بأنه يعبر في حد ذاته على مدى التغلغل الصوفي في نفوس الناس أنذاك[2]، المرتبط بالتيار الشعبي والبدعي، وإن هذا الاعتقاد في كرامات الشيخ الجيلاني، والتقديس لأماكن يعتقد أنها ترتبط به، سيكون هو أساس ديمومة واستمرار الطريقة القادرية بالمغرب[3]، وهو ما أبقاها صامدة إلى حدود القرن 18م .

ث- الطريقة الملامتية :

تعود هذه الطريقة لأصول مشرقية، وإن كانت المصادر المغربية تورد أنها نبعت في المغرب عن طريق الجذب، فمصادر القرن 10هـ/16م وما بعدها تلصق الجذب بالملامتية بكيفية واضحة، وهذا الربط بين الجذب والملامتية ساهم في انتشار هذه الأخيرة على صعيد واسع، لكن يبدو أن هذه الطريقة لا أساس صوفي لها في المغرب، إذ يؤكد عبد اللطيف الشاذلي[4] أنها طريقة غير واضحة المعالم بشيوخها وأسانيدها وتعاليمها وأذكارها، وهذا الغياب دليل على غياب هذه الطريقة في المغرب، فضلا عن أن أحوال المجذوب هي أحوال نفسية فردية لا إرادية، وبالتالي لا يمكن توريث وتلقين هذه الأحوال، وهذا ينافي أصول الطرق الصوفية التي تعتمد على التلقين، وإن التصوف المغربي إن كان عمل على احتواء الظاهرة وسعى إلى تقنينها، فذلك للدور الطبيعي الذي كانت تقوم به بالربط بين عالمي الشهود والغياب، فعمل على تطويق ظاهرة الجذب، وذلك من خلال: أولا ادخال الجذب ضمن البناء النظري الصوفي ، وثانيا بالحاق الجذب بتنظيم صوفي[5]، فكانت الطريقة الملامتية هي السبيل لذلك، لهذا فالكتب الصوفية حاولت دمج الملامتية في عمود نسب التصوف الشاذلي بربط رجاله بسند الشاذلية، ومنها انتقلت تلقائيا إلى فروعها الجزولية والزروقية معا، وإن كانت الكتابة الصوفية صرفت جهدا آخر لربط المجاذيب بالجزولية، وعلى رأس هذا الهرم محمد بن موسى الشاوي المعروف باسم أبي الشتاء، وهو من أصحاب عبد الله الغزواني[6]، وقد وصفه صاحب "الممتع" "**بأنه كثير التلاميذ، وخرج منه كثير من البهاليل**"[7]، ومنهم محمد بن علي الحاج الأغصاوي، وأحمد بن عبد الوارث الياصلوتي[8]؛ وقد شهدت مدينة فاس خلال القرن 16م انتشارا كبيرا للملامتيين المجاذيب، حيث لم تكن مجالس الأصحاب تخلو من أحاديث عنهم وعن أحوالهم، وحسب تعبير عبد الله نجمي"**فذلك لم يكن بغريب عن الحياة الصوفية بالحاضرة**

---

[1] - انظر، محمد القادري، **التقاط الدرر....**، م.س.ص 264

[2] - **المصدر نفسه،** هامش رقم 5 ، (قسم التحقيق) ، ص 264

[3] - انظر، أحمد بوكاري ، **الإحياء والتجديد** ، م.س. ج2 ، صص108-109

[4] - انظر، عبد اللطيف الشاذلي ، **التصوف والمجتمع** ، م.س. ، ص ص 93-95 ، اذ يقدم دلائل عقلية ونقلية عن مسألة أن طريقة الملامتية أو حتى الجذب لا أساس صوفي لهما ، بخلاف ما وجد في بعض المصادر ، وتم الترويج له من خلال العديد من المراجع .

[5] - انظر ، **المرجع نفسه** ، ص 89-92

[6] - **المرجع نفسه** ، ص91

[7] - انظر، محمد الفاسي ، **ممتع الأسماع...**، م.س. ص81

[8] - عبد اللطيف الشاذلي، **التصوف والمجتمع** ، م.س. ص92

الإدريسية التي كانت تمور بأرباب الأحوال والمجاذيب والبهاليل والملامتية"[1]، إذ بدأ يتكاثر عددهم مع انتشار التصوف وتطور حركته، لدرجة أن بدأ نسق الجذب يتخذ سمات التصوف العلمي، وهو ما تجسد مع الشيخ أبي المحاسن والذي أدمج الجذب كسلوك في طريقته، وهذا يعتبر تطورا على مستوى التنظير والممارسة لهذه الطريقة، فحينما نذهب إلى سير الأولياء والصلحاء، نجد للمجذوبين مساحة لا يستهان بها من هذه الترجمات، فقد أوردت المصادر ترجمات لعدد كبير من الأولياء الذين نسبوا للجذب والملامتية، وهو أمر ليس بحديث المرحلة، بل يضرب بجذوره منذ بدايات التصوف بالمغرب، مثلما ورد بكتاب التشوف عن الشيخ أمغار الصنهاجي من أزمور الذي قيل إنه من الأبدال من أقران أبي شعيب السارية وأبي عيسى الدكالي[2]، ومنهم أبو عبد الله الدقاق (ت أواخر ق6هـ/12م) من أهل سجلماسة، الذي يعتبر من كبار شيوخ التصوف وأول أشياخ أبي مدين الغوت في التصوف[3]، ومنهم أبو الحسن علي بن إسماعيل بن حرزهم (ت 559هـ/1163م) ، الذي قدم إلى مراكش، وكان فقيها حافظا للفقه زاهدا في الدنيا سالكا في تصوف أهل الملامتية[4]، وأيضا منهم أبي يعزى يلنور بن ميمون (ت572هـ/1176م) ، وقد قال عنه التليدي ، بأنه الإمام العارف الرباني الزاهد دو الأحوال العجيبة والآيات الغريبة ، صاحب السيرة والصيت أبو يعزى الهزميري الهسكوري، صحب الأكابر وبلغ المعالي في المعارف والمقامات مع أميته ولكنته وعجمة لسانه، وقد أخد عنه أيضا الشيخ أبو مدين التصوف، ووصف بالقطبانية انطلاقا ممن ترجم له، وهو معاصر للشيخ عبد القادر الجيلاني – قطب المشرق-، جاء في طبقات الشعراني انه انتهت إليه تربية المريدين بالمغرب وأخذ عنه أكابر مشايخها الأعلام[5] ، كما نجد أيضا الشيخ أبي العباس السبتي[6] وهو من أعلام القرن السادس (توفي سنة 601هـ) يقال أنه سلك في التصوف طريق الملامتية[7] ، كما يذكر الإفراني في كتابه "**صفوة ما انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر**" العديد من رجال التصوف الذين كانوا ملامتيين، ويروي بعض قصصهم وكراماتهم وهيبتهم، والتي نستنتج منها تغلغل تيار الملامتية والجذب ضمن التيار الصوفي الشاذلي - خصوصا- بمدينة فاس، مما ترك أثره العميق في سلوك العديد من رجال التصوف خلال القرن 17و18م، غير أنه خلال القرن 18م، بدا ينحى في إتجاه البدع والمنكرات، من خلال تكاثر طوائف خارجة عن نهج التصوف، من قبيل العكاكزة وعيساوة والحمادشة، وهو ما أثار ردات فعل من قبل العلماء وحتى رجال المخزن لأجل تطويق وحصر نشاطها .

---

[1] - عبد الله نجمي ، الإفادات والإنشادات لمحمد الصغير الإفراني ، **متنوعات محمد حجي** ، م.س.، ص90

[2]- **المرجع نفسه** ، ص 68

[3]- عبد الله بن عبد القادرالتليدي ، **المطرب بمشاهير أولياء المغرب** ، دار الأمان الرباط ، ص 66

[4]- جمال علال البختي، **الحضور الصوفي في الأندلس والمغرب** –إلى حدود القرن 7هـ- ، مطبعة القاهرة مصر ،الناشر مكتبة الثقافة الدينية ط1 سنة 2005 ، ص 67

[5]- عبد الله التليدي، **المطرب...، م.س.** ، ص 54- 55

[6]- انظر ترجمته ، المطرب...، م.س ، من ص 82 إلى ص 89 .

[7]- نور الهدى الكتاني، **الأدب الصوفي في الأندلس في عهد الموحدين**، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1 سنة 2008، ص160

د- الطريقة الخلوتية :

هي طريقة مشرقية تتصل بالإمام أبي القاسم الجنيد(المتوفى سنة 277هـ/890م)، يرجع تاريخ تأسيسها إلى بداية القرن 9 هـ/14م، وقد استمدت اسمها من الخلوة بمعنى الإنزواء والإنعزال عن الناس قصد التعبد[1]؛ دخلت هذه الطريقة للمغرب عبر الشيخ أحمد الصقلي (ت1177هـ)، الذي تلقى الطريقة أثناء رحلته العلمية بمصر حيث التقى هناك بالعلامة محمد فتحا ابن سالم الحفناوي المصري الشافعي (المتوفى سنة 1182هـ/1768م)، فمنحه الإذن بتبليغها، ولما عاد إلى فاس جمع الفقراء ولقنهم الأحزاب والأوراد، فكانوا يجتمعون في روضة سيدي بوعياد الورياكلي الشهير بابن جلون التي هي الصاغة.. إلى أن توفي[2]؛ وتقوم الخلوتية في سلوكها على الذكر بالكلمة الطيبة بكيفية مخصوصة، كما أنها لا تشترط الانتساب لشيخ معين، وهو ما أشار له الشيخ أبي سالم العياشي في رحلته إلى مصر، حيث التقى بشيخ الطريقة ، فقال له " **أما أنا فطريقتي محمدية، لا أنتسب لأحد** ..."[3] ؛ وتجدر الإشارة أن الطريقة الخلوتية وجدت لها امتدادا خلال القرن 19م مع شيخ الطريقة التيجانية (ت1230هـ/1817م)، الذي أشاد بالشيخ أحمد الصقلي ، فقال فيه "**لم يدفن قطب بداخل سور مدينة فاس سوى مولانا أحمد الصقلي**"[4]، فاعتبرت بذلك الطريقة التيجانية فرعا من فروع الطريقة الخلوتية التي لها تميزها فيما يخص العبادة والتقرب إلى الله[5] .

وعموما؛ فقد ظلت هذه الطريقة غير واضحة المعالم كما الملامتية، كما لم تلقى اهتماما كبيرا بالمغرب، خصوصا في ظل غياب تآليف تخصها بالدراسة، وتعتني بجانب التنظير في نهجها الصوفي، كما أنها من ناحية الأسانيد لا ترقى إلى أسانيد الطريقة الشاذلية أو القادرية .

2- الطوائف الصوفية في مدينة فاس

أ- تعريف الطائفة

مثلت الطائفة عنصر الإنتقال بالتصوف من المستوى الفردي، الذي كان يقوم على الزهد والتعبد الإنفرادي، إلى المستوى الجماعي الذي بدأت تتشكل على أثره حلق الذكر والإجتماع؛ ويذكر "محمد القبلي" في ذات الإطار أن ظهور مصطلح الطائفة أو التنظيم نفسه لم يكن قبل القرن السابع الهجري/13م، لأن كتاب التشوف الذي يعتبر من أقدم المصادر التي ترجمت للأولياء والصلحاء، لا يتضمن لفظ "الطائفة" على الإطلاق، لأنه لم يكن رائجا بعد في القاموس[6]، كما يحمل مفهوم الطائفة إزدواجية في

---

[1] - أحمد بوكاري ، **الإحياء والتجديد** ، م.س.ج1 ص 54

[2] - انظر، القادري ، **نشر المثاني..** ، م.س ج4 ص ص 156-157 ؛ الكتاني ، **سلوة الأنفاس** ، م.س. ج 1 ، ص ص 141- 145.

[3] - أحمد بوكاري ، **الإحياء والتجديد،** ج2 ، ص 14

[4] - انظر ، **المرجع نفسه** ، ج1 ، ص 54

[5] - انظر، أحمد بوكاري، **المرجع نفسه،** م.س. ج2 ، ص ص 13- 16، حيث تطرق الباحث إلى العلاقة والروابط التي تجمع التيجانية والخلوتية في طريق السلوك والتصوف .

[6]- محمد القبلي : مساهمة في تاريخ السعديين، **مجلة كلية الآداب**، الرباط، م.س. ص 25

ماهيته: الأول صوفي، والثاني قبلي، وذلك بسبب الإرتباط العفوي بين الطائفة والمجال الحيوي والبشري للرباطات، ومن ثمة يبرز حضور العصبية الدموية في التركيبة البشرية للطائفة[1]، فالطائفة غالبا ما تشتغل وفقا لطريقة عمل منظمة، حتى يصدق في حقها طائفة؛ وإن التعرف على طريقة عمل الطائفة يقتضي تحليل مكوناتها، وهي في هذا تلتقي مع مفهوم الطريقة[2]. حيث عرفت الطائفة تطورا بعد أن صارت تجتمع بالزوايا في إطار طريقة، من خلال من مجموعة من الأفراد الذين لاتربط بينهم بالضرورة علاقة دموية، واصطبغت بصبغة دينية، كما يمكن أن يحدث العكس، أي أن تتحول الطريقة إلى طائفة، غير أن هذا يحتاج لتوفر عنصرين أساسيين، وهما المدة الزمنية وكثرة الأتباع والمريدين، فالمدة الزمنية تسمح بانتشار الفروع للطريقة، وكثرة الأتباع تكون هي آلية حدوث هذا الانتشار، وهذا بدوره يشرح منطق تكوّن الطائفة، الذي يقوم في بداية الأمر على عمل فردي ذاتي، ثم يتحول إلى مقدس مؤسّس بعد مرحلة التنظيم والهيكلة[3] .

لهذا صارت العلاقة الترابطية بين الطائفة والطريقة، فالطرق الصوفية لابد لها من الإلتصاق بطوائف صوفية، مثلا: للجنيد أوالشاذلي أوالقادري أوالزروقي أوالجزولي وما إلى ذلك؛ ومن أقدم الإشارات إلى الطوائف بالمغرب، تلك التي ذكرها ابن قنفذ (ت810هـ/1407م)، فقال عنها أنها تتعدد بتعدد الأشياخ، وهي: طائفة الشعيبيين أصحاب أبي شعيب بازمور، وطائفة الصنهاجيين، وطائفة الماكريين، وطائفة الحاحيين، وطائفة الغماتيين، ويعتقد الكاتب أن هذه الطوائف لا تشكل سوى منطلق التنظيم الصوفي الذي سوف يشهد في القرون الموالية تعدد الطوائف[4] .

ونضرب في هذا الصدد مثالا عن أبرز طائفة انتشرت وسادت في مدينة فاس، وهي الطائفة الجزولية.

ب- الطائفة الجزولية

للتيار الصوفي الجزولي أتباعا ومريدين، شكلوا الطائفة الجزولية، وقد تطرق لتعريفها وطقوسها العديد من المصادر؛ فالطائفة الجزولية هي مجموعة متجانسة يربط بين أفرادها رابط مشترك هي الطريقة الجزولية، وكل عَلم من المترجم لهم ضمن هذه المجموعة، يشكل رأس هرم جديد قوامه مجموعة من المريدين والأصحاب والأُتباع والخدام، مما يمكن من تصور مدى انتشار هذه الطائفة، ومع ذلك فإن الطائفة تظهر بشكل مجموعة منغلقة لا يتأتى الانضمام إليها بكيفية بسيطة تلقائية، بل إن الالتحاق بها يخضع للطقوس معينة، جسدية وسلوكية[5]، فالجسدية تتمثل في حلق الشعر والإغتسال، وهذا النوع من الطقوس يحمل دلالات خاصة، فهو من جهة مفتاح الدخول في طائفة أي في جماعة

---

[1] - أحمد الوارث ، **الأولياء والمتصوفة ودورهم الاجتماعي والسياسي في المغرب خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر** ، م.س. ص13

[2] - **المرجع نفسه** ، ص151

[3] - انظر: عبد اللطيف الشاذلي ، **التصوف والمجتمع** . ص 161

[4] - انظر، **المرجع نفسه**.ص149

[5] - **المرجع نفسه** ، ص ص 158-159

معينة، ومن جهة أخرى مرتبط ارتباطا تاما بنزوع عميق إلى الالتصاق بالصفاء الروحي الذي تجسده الطريقة القائمة على السلوك الموصل إلى التخلص من بعض الأشياء الجسدية (كالشعر)، وكأنه تغيير للجسد القديم وذلك من أجل الترقي في مدارج السلوك .

أما السلوكية فتتمل في الإلتزام بالذكر، والذي يتنوع بين الذكر بالمناوبة والذكر الملحون، إذ ترك الجزولي لأتباعه تراثا سلوكيا دونه أصحابه من بعده، وقد كان هذا الذكر من شعارات أتباع الشيخ والمنتسبين إليه .

ناهيك عن ما ميز الطائفة من المظاهر الخارجية، والمتمثلة في ثياب الفقراء من مرقعات وعكاز أو عصا وسبحة، وهاته بالإظافة إلى دورها الوظيفي كلباس وسلاح ووسيلة، كان لها دور على مستوى تمييز المجموعة عن غيرها، حيث تعد وسيلة للتعارف بين أفراد تلك المجموعة ممثلة وسيلة للتعبير والتواصل، كما تلعب دورا رمزيا بما تثيره من خيال الحامل لها[1] .

وقد لعبت الكرامات دورا هاما في شهرة الطائفة والطريقة الجزولية على السواء، خاصة خلال القرنين 17م و18م، حيث استغلت كوسيلة لاستقطاب وجذب الأتباع والمريدين للإنضمام للطائفة، إذ كان يتم الترويج للكرامة للحد الذي يقربها من المعجزة، وفعلا كانت الكرامة تحقق جذب المزيد من الأتباع، وهو ما لم تكن تحققه العلوم الحقة، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على رسوخ التصوف الشعبي على حساب التصوف العلمي[2] .

ويمكن القول، أن الطريقة الجزولية من تحقيق انتشار واسع في جميع مناطق المغرب، واكتساح خريطة التصوف المغربي خلال مرحلة القرنين 17و18م، وذلك بفضل اعتمادها على تلاثة عناصر، وهي: الطائفة أولا ، والكرامة ثانيا ، ثم العلوم الصوفية ثالثا .

3- الزاوية والطريقة الفاسية ومكانتهما الصوفية

أ -الزاوية الفاسية[3]: التأسيس والتطور

تعتبر الزاوية الفاسية[4]، مركزا من مراكز التصوف المغربي، وقد بلغت هذه الزاوية شهرة واسعة ضمن زوايا المرحلة الحديثة، حيث جسدت واقع التعايش بين تيار الجذب الملامتي والمجتمع الحضري، كما جسدت واقع الحركة الصوفية والمتمثل في الصعود الملحوظ للصوفية التي ميزت مدينة فاس في

---

[1] - عبد اللطيف الشاذلي ، **التصوف والمجتمع** ، م.س ، ، ص160

[2] - **المرجع نفسه،** ص160-161

[3] - بخصوص ظروف تأسيسها وبعض أدوارها، انظر الفصل الأول من الباب الثاني

[4] - لابد لنا من التطرق لملاحظة هامة أشارت لها نفيسة الذهبي في كتابها "الزاوية الفاسية..."، وهي تسمية الزاوية الفاسية، اذ أوردت أن استعمالها للاسم هو تحقيقا لوحدة الموضوع، وليس لإسم الزاوية، حيث جرت العادة أن تنسب الزاويا لموسيسها قبل أن تأخذ نسبة محلية أو قبلية أو غير ذلك، ففي كتب التراجم وكذلك ضمن الحوالات الحبسية تنسب الزاوية الفاسية إلى أسماء مؤسيسيها، فزاوية المخفية هي زاوية سيدي يوسف الفاسي، كما أن زاوية القلقليين هي زاوية سيدي عبد الرحمن الفاسي قبل أن تشتهر باسم زاوية سيدي عبد القادر، وهو الإسم الذي تعرف به اليوم؛ انظر، نفيسة الذهبي، **الزاوية الفاسية...**، م.س. هامش دون رقم، ص 117

القرنين11-12هـ/17- 18م، وقد انتجت هذه الزاوية رجال تصوف وعلم وصلاح بارزين مثل محمد بن عبد الله معن وعبد القادر الفاسي، والشقيقان القادري(عبد السلام ومحمد الطيب)، وغيرهم ممن يعدون بالمئات، وهذا هو السبب في اعتبار أن تأسيس الزاوية الفاسية كان حدثًا جعل للمدينة حضورها المميز والخاص، الذي لم يكن يعبر فقط عن نمط صوفي، بقدر ما أدى إلى خلق نمط حضري من التصوف عبر عن كيان ديني وثقافي جزولي أندلسي، مما ميز هذه الطريقة عن باقي طرق التصوف بمدينة فاس، أو بباقي مناطق المغرب[1].

وقد مرت الزاوية الفاسية بعدة مراحل شهدت ضمنها الطريقة الفاسية تحولا في نهجها، كما شهدت انقساما على نفسها، نقلها من التصوف العلمي الخالص(وإن كان فيه شيء من الجذب)، إلى تصوف شعبي مكسو بغطاء علمي، فسار كل قسم يتبع خطا طرقيا مختلفا عن الثاني .

فما هي أبرز مراحل ومظاهر تأسيس وتطور الزاوية والطريقة الفاسية إلى نهاية القرن 18م؟

■ **المرحلة الأولى – وهي مرحلة التأسيس والتنظير:** والتي امتدت من 989هـ/1581م إلى 1013هـ/1604م وهي سنة وفاة الشيخ أبي المحاسن، حيث عرفت هذه المرحلة تأسيس الطريقة الفاسية، وما رافق ذلك من تأسيس وبناء الزاوية الفاسية الأولى وشراء دورها وتوسعتها، حيث تأسست الزاوية الأم بحومة المخفية من طرف الشيخ أبي المحاسن الفاسي، الذي أقامها بمنزله بأقصى الدرب الجديد بعدوة الأندلس عند سنة 989هـ/1581م[2]، فكانت الدار النواة الأولى للزاوية الفاسية عندما سكن الشيخ وأهله في الأعلى وبدأ الناس يجتمعون للذكر والصلاة في الأسفل، ثم توسع حواليها فاشترى دويرة مجاورة، فصار يجتمع فيها إلى أصحابه، وخلصت الدار الأولى للسكنى، ثم اشترى بعد ذلك دارا ثانية في جنوب الدويرة فكان هذا التوسع سنة 1003هـ/1595م، إيذانا باستكمال المجال الذي يبدو أن أبا المحاسن اقتنع به ليضيف مرفقا أساسيا لزاويته وهو المسجد الذي شرع في بنائه في عام 1004هـ/1596م[3]، فكان ذلك تتويجا لمؤسسة زاويته، كما قام بتعيين كرسي لتدريس كتاب العمدة في الحديث الشريف برئاسة ابنه أبي العباس أحمد (الحافظ) الذي اختص بهذا العلم، إذ كان أساس تأسيس الزاوية علميا منذ البداية، حيث روعيت فيه بالضرورة مكانة فاس وحاجة مجتمعها إلى المزيد من استثمار العلوم الدينية واللغوية والعناية بالأسانيد العالية والمرويات والإجازات التي كانت أساس إقبال الطلبة من أهل المدينة أو من

[1]-Ruggero Vimercati Sanseverino ;*FÈS ET SAINTETÉ, DE LA FONDATION À L'AVÈNEMENT DU PROTECTORAT (808-1912)-Hagiographie*, tradition spirituelle et héritage prophétique dans la ville de Mawlāy Idrīs- Description du Maghre ;Publisher : Centre Jacques-Berque ;Series : Description du Maghreb,Place of publication : Rabat,Year of publication : 2014,p 297

[2] - حل الشيخ أبي المحاسن بمدينة فاس في عام 988هـ/1580م، وافدا إليها من مدينة القصر الكبير، فسكن بداية بحومة العيون قبل أن ينتقل برفقة اسرته بعد حوالي سنة ونصف لحومة المخفية بعدوة الأندلس ؛ انظر، نفيسة الذهبي، **الزاوية الفاسية** ...،م.س. ص119 ؛ م.الفاسي، **مرآة المحاسن**، م.س. ص 160

[3] - نفيسة الذهبي ، **الزاوية الفاسية**، م.س. ص 119

الوافدين على الزاوية كغيرها من المسائل العلمية[1]، فضلا عن تحديد أسسها والتي جمعت بين الأسانيد الجزولية والزروقية، وبين مستويات مخاطبة النخبة وخدمة العوام[2]، وتحديد الوظائف الصوفية، وكان ذلك نتيجة التجارب الصوفية التي مر بها الشيخ أبو المحاسن، حيث كانت بداياته مريدا للطريقة المجذوبية لكنه عمل على تطويرها فابتعد عن كل ما يعتبر خادشا للعادة، وألح على تقديم صفاء الباطن وتطهير النفس على كل أشكال المجاهدة الظاهرة كالجوع والسهر، ولبس المرقعات والتظاهر بمظاهر الفقر والحاجة، حيث اعتمدت الطريقة الفاسية على نظرة الملائمة بين إصلاح الباطن، وعلى مراعاة ما يوافق الحياة اليومية والممارسة البسيطة[3] .

وقد كان للشيخ أبي المحاسن تمهيد في تأسيس زاويته بمدينة فاس من قبل الشيخ **محمد الرامي التواتي**[4]، إذ مُنح -من قبله- منذ اليوم الأول في قدومه قواعد المشروعية الروحية والتربوية، وأعطيت لطريقته وزاويته الأصداء والدعم، خاصة مع الطريقة التي تم بها ذلك التنازل[5]، فعندما استقبل الشيخ التواتي مبعوث أبي المحاسن وصديقه الشيخ ابراهيم الصياد، قال له: " **احملوني – وكان لايقوم على رجليه – فحمل على ظهر رجل وصار يطوف على الشهود ويردد قولته...اكتبوا أنا ملكنا فاسا لسيدي يوسف وضمنا له كل شيء حتى ملح العجين، وإلى جانب المشافهة والإشهاد، كتب رسما تضمن كل ذلك وطاف به على الشهود كلهم، وبعثه للشيخ أبي المحاسن"**[6]، ويضيف صاحب نشر المثاني: "**وسمعت من شيخنا الوالد أنه لما دخل الشيخ أبو المحاسن فاسا رحل هو إلى فاس الجديد وأسلم له المدينة، ولم يدخلها إلا متى احتاج لأمر.."**[7] .

وعن دور الزاوية الفاسية العلمي الذي قادته بفاس، وذلك حتى أثناء الفترات الكالحة من تاريخها، وحتى عندما عاكستها رياح الحظ وذهبت إلى مراكش، فإن الشيخ أبا المحاسن تحمل الصعاب فانتقل من مدينة القصر الكبير ليستقر بمدينة فاس، وبذلك يكون قد قدم خدمة كبيرة للتصوف بهذه المدينة، فلولا هذا الإنتقال لما تمكنت فاس من أن تحافظ على مكانتها خلال القرن 17م، ناهيك على أن انتقال الشيخ جعل العديد من أفراد أسرته –الذين تميزوا بالعلم- ينتقلون بدورهم إلى هذه المدينة فرفعوا من مكانة فاس علميا، كما استقطب جل العلماء الذين اشتهروا في الزاوية الدلائية مع جيلها الأول لفاس، حيث تلقوا تعليمهم على يد هذا الشيخ، ولم يتوقف الأمر عنده، بل استمر مع طبقة من تلاميذه وأقرباءه

---

[1] - نفسية الذهبي، مظاهر وتجليات القوة الرمزية في تجربة الزاوية الفاسية ، ضمن ندوة "**فاس والمجالات الحضرية بالمغرب – التاريخ والتراث والمجتمع**" أشغال الأيام الوطنية السادسة عشرة للجمعية المغربية للبحث التاريخي 29-30-31 اكتوبر و01 نونبر سنة 2008م ، مجلة الجمعية المغربية للبحث التاريخي ، مطابع الرباط نت ، ط1 ، ص 122

[2] - انظر، نفيسة الذهبي، **الزاوية الفاسية ، التطور والأدوار..**، ص ص 121-122

[3] - انظر، **المرجع نفسه**، ص ص 122-123

[4] - من أهل التصوف بمدينة فاس، كان بباب النقبة قبل دخول الشيخ أبي المحاسن لمدينة فاس، توفي أواخر القرن 10هـ/16م بفاس ودفن بباب الجيسة من فاس.، انظر محمد القادري، **نشر المثاني...**، م.س. ج1 ، ص 270 .

[5] - انظر، نفيسة الذهبي، مظاهر وتجليات ...، ضمن ندوة "**فاس والمجالات الحضرية بالمغرب**" ، م.س. ص110

[6] - نفسه ، ص 110 ، محمد القادري ، **نشر المثاني .. ،** م.س. ج 1 ، ص270

[7] - محمد القادري، **نشر المثاني...** ، م.س. ج1 ، ص 270

وأولاده، إذ أن أغلب رجال العلم والتصوف الذين عاصروا مرحلته كانوا قد تلقوا تعليمهم على يده أو على يد أحد تلاميذه أو أحد أفراد أسرته؛ ورغم الأزمات التي كانت تأثر على نشاط الزاوية ورجالها، إلا أنها تمكنت من تجاوز ذلك حتى تمكنت مع استقرار الأوضاع عند نهاية القرن 17م من ممارسة قوة تأثيرها العلمي والصوفي[1] .

ورغم ما ذكر من دور الشيخ أبي المحاسن في الزاوية الفاسية، فيمكن القول، أن ما بلغته الزاوية الفاسية من مكانة ونفوذ داخل مدينة فاس، كان بفضل عاملين أساسيين، وهما :

- **<u>الأساس المجتمعي والاقتصادي</u>**: فيما سمته الباحثة نفيسة الذهبي "قاعدة فاس القديم"[2]، إذ إن الشيخ أبي المحاسن أثناء استقراره بفاس، كانت له قاعدة مجتمعية متينة، جمعت روابط بين رجال الصلاح وخاصة الأندلسيين منهم، وبين الأسرة الفاسية منذ المرحلة السابقة لمجيء أبي المحاسن إلى فاس، فكان لأبي المحاسن في فاس أصحاب وشيوخ، جعلت له صيت شعبي رفع من مكانته، فكان له إقبال ضمن مجتمع فاس، فهاهم عدد من أصحاب رضوان الجنوي انتقلوا لصحبة أبي المحاسن وخدمته بعد وفاة شيخهم، إظافة إلى ما ناله الشيخ أبي المحاسن من وراء تنازل الشيخ محمد المرامي التواتي عندما انتقل لسكنى فاس الجديد، عن كل المنافع والمرافق والمريدين والاتباع داخل فاس[3] .

- **<u>الأساس العلمي والديني</u>**: إن تأسيس الزاوية الفاسية منذ البداية اقترن بالمشروع العلمي، فشهرة مكانة رجال الفاسية في جانب العلوم الدينية أمر لا يخفى، إذ كان لهم الرجوع في كل ما استشكل من القضايا الدينية والأحكام الشرعية كما لا يختلف إثنان عن حقيقة علم رجال الزاوية الفاسية ، كما اقترن بالمنهج الصوفي الموافق للشريعة، وهذا ما زاد من شدة الإقبال عليهم وعلى علومهم وطريقتهم .

■ **المرحلة الثانية: وهي مرحلة الاستقرار والتوسع:** والتي امتدت من 1015هـ/1606م إلى 1036هـ/1626م، وهي من تولية الشيخ عبد الرحمن بن محمد الفاسي الملقب ب **"العارف"** الطريقة الفاسية حتى وفاته، اذ تولى هذا الأخير مشيخة الطريقة الفاسية بعد سنتين من وفاة أخيه أبي المحاسن، فعمل على مد إشعاعها وتوسيع أدوارها والقيام بوظائفها[4]، كما عمل على نشر وتثبيت أركان الطريقة الفاسية من خلال تأسيس فرع ثان للزاوية الفاسية وهي زاوية القلقليين، فازداد نشاط الطريقة الفاسية من الناحيتين الصوفية والعلمية، غير أنه غلب عليها الطابع الصوفي من حيث إقراء كتب التصوف والأوراد والأذكار، والاعتناء بها شرحا وتدريسا، كما سعت الزاوية إلى الابتعاد عن المناصب وكل ما فيه

[1] - نفيسة الذهبي، مظاهر وتجليات ...، ضمن ندوة "**فاس والمجالات الحضرية بالمغرب**"، م.س. ص130

[2] - انظر، نفسية الذهبي ، **الزاوية الفاسية..**، م.س. ص44

[3] - انظر ، نفيسة الذهبي ، **الزاوية الفاسية** ، م.س. ، ص ص 109-113

[4] - انظر ، **المرجع نفسه** ، ص 181

رياسة دنيوية...، فكانت الزاوية عن المخزن والسياسة والفتن التي عرفت بها مدينة فاس خلال تلك الفترة إلا لمما[1].

ولأن هذه المرحلة شهدت تأسيس فرع ثان للزاوية الفاسية بعد إحدى عشرة سنة من تولي الشيخ العارف مشيخة الطريقة، وبعد ثلاثة عشر من وفاة أخيه وشيخه أبي المحاسن، وذلك سنة 1027هـ/ 1617م، فلابد من التمييز بين مرحلتين من حياة الشيخ العارف الصوفية، وهي مرحلة ما قبل تأسيس زاوية القلقليين ومرحلة زاوية القلقليين :

- **مرحلة ما قبل تأسيس زاوية القلقليين، وهي مرحلة مسجد الشرفاء (1606-1617م)**

هذه المرحلة تبدو معتمة من حياة الشيخ العارف، فخلالها كان العارف بعيدا عن أمور زاوية المخفية، وربما ذلك راجع لسببين: الأول أنه لم يكن قد حصل له الإذن بتولي مشيخة الطريقة الفاسية، والثاني أنه لم يكن هو القيُم عليها، إذ كان الشيخ الحافظ هو مدبر أمور الزاوية بعد وفاة أبيه الشيخ أبي المحاسن، والذي استمر فيها حتى خروجه من فاس بسبب فتنة العرائش[2] عند سنة 1020هـ(1611_ 1612م)[3]، ويبدو أن الزاوية أغلقت بعد ذلك، لأن الشيخ عبد الرحمن ومباشرة من وفاة الشيخ أبي المحاسن(ت1013هـ)، اختار المكوث بأحد أبواب القرويين حيث كان يجلس صحبة الشيخ محمد ابن معن ، وهناك تبعه طلاب زاوية أبيه، كما كان يمكث بالمسجد المجاور لداره بوادي الشرفاء وهو المسجد المعلق (مسجد الشرفاء) وبقي على ذلك لمدة سنتين، حيث يذكر صاحب "ممتع الأسماع" حين تطرق لسيرة الشيخ العارف وما كان من أمره بعد وفاة الشيخ أبي المحاسن، قائلا: "**في صبيحة تسعة وعشرين من رمضان سنة خمس عشرة وألف (1015هـ/ 1606م) ابتدأ قراءة الأحزاب المرتبة عنده مساءا وصباحا بالمسجد المعلق حول داره"[4]**؛ ويجهل تحديدا سبب ترك الشيخ العارف زاوية المخفية، إلا أن ذلك ارتبط بسبب ما، كما تؤكد نفيسة الذهبي، حيث جعل الناس من أصحاب أخيه وغيره يأتون إليه واحدا واحدا ويجتمعون عليه هنالك حتى كثروا ثم انتقل عنها لسبب اقتضى ذلك فجلس لأصحابه بالمسجد المجاور... بوادي الشرفاء...وابتدأ أصحابه قراءة الأحزاب هنالك[5]. كما تصرف الشيخ العارف في مضمون وظائف الصباح والمغرب بالحذف والتخفيف[6]، إذ أسقط وظيفة الشيخ أبي العباس زروق وحزب الشيخ أبي عبد الله الجزولي[7] .

---

[1] - انظر: محمد العربي الفاسي الفهري، **مرآة المحاسن...** ،م.س. ص26

[2] - وهي الفتنة التي كانت بسبب تخلي أحمد الشيخ عن العرائش للنصارى، وما ترتب عنها من إجبار علماء فاس على استصدار فتوى تبيح له ذلك؛ انظر،محمد الصغير الإفراني، **نزهة الحادي...، م.س.** ص ص291 – 292 .

[3] - انظر، محمد العربي الفاسي الفهري، **مرآة المحاسن...** ،م.س. ص 213

[4] - محمد المهدي الفاسي ، **ممتع الأسماع...** ، م.س. ص 193

[5] - نفيسة الذهبي ، **الزاوية الفاسية –التطور والأدوار** ، م.س. ص 184

[6] - انظر، **المرجع نفسه**، ص181

[7] - محمد العربي الفاسي ، **مرآة المحاسن** ، ص209 ؛ نفيسة الذهبي ، الزاوية الفاسية ... ، ص181

ولهذا التغيير في وظائف الطريقة الفاسية، له ما يفسره بالرغم من عدم ورود أي تصريح من الشيخ يبين سبب ذلك، وهي :

- الاضطرابات التي كانت تمر منها مدينة فاس بالخصوص، والتي وافقت ظرفية المعاناة التي كان عليها مجتمع المدينة خلال المرحلة الانتقالية وروعيت فيها أحوال المريدين، مما جعل الشيخ يرأف بأتباعه ويخفف عنهم وظائف الزاوية، وذلك من خلال تبسيط الأوراد على مريدي الزاوية الفاسية سواء بالحذف أو التخفيف، وقد تعلق الحذف بالوظائف التي كانت تتطلب الكثير من الحفظ والتركيز[1] .

- كثرة الأتباع والإقبال الكبير الذي أصبح للطريقة الفاسية، إذ إن الشيخ العارف فضلا عن استقطابه لأصحاب وأتباع أخيه أبي المحاسن فقد عرف استقطاب أعداد كبيرة من المريدين، خصوصا وأن هذا تزامن مع فرار عدد كبير من العلماء مدينة فاس خلال هذه المرحلة[2]، فبات الشيخ عبد الرحمن والزاوية الفاسية قبلة لطبقات مختلفة من المجتمع الفاسي، فضمت مريدين من العامة والخاصة، وبالتالي صعب على العامة استيعاب الوظائف التي تحتاج لمعرفة أوسع، بحكم محدودية مستواهم الديني والعلمي والفقهي.

ومهما كانت الأسباب التي جعلت الشيخ يدخل تغييرات على وظائف الطريقة، إلا أنه وجب القول أن هذا التغيير أبرز مرونة الطريقة والتي تماشت مع الظرفية التاريخية التي مرت منها مدينة فاس، والتحولات والتطورات التي عرفها المجتمع الفاسي، وهو ما يفسر هذا النهج الجديد للطريقة الفاسية، وهو نهج التيسير لا التعسير، خصوصا أن **"النهج الجمالي"** كان حاضرا بقوة وواضحا في طريقة الشيخ.

وقد عاش الشيخ عبد الرحمن مخاض المرحلة العسيرة التي مرت منها مدينة فاس، فكانت له مواقف، أبرزها: اتهامه بالبدعة من قبل أحد العلماء وهو **القاضي الفقيه أبو الحسن علي بن عمران السلاسي**(ت1018هـ/1609م) الذي تقدم بشكوى ضده إلى السلطان السعدي زيدان، والسبب في ذلك ما بلغه عنه من استغراقه في معاني الصوفية، فاتهمه بأنه يلقن البدع للناس، وإن هذا الأمر يبرز المنافسة التي كانت بين العلماء والصوفية، رغم أن الشيخ العارف كان ضمن فئة العلماء أيضا، وقد سئل الشيخ العارف مرة عن سبب ذلك فأجاب بقوله: "**لاشيء إلا الاستغناء عنهم**"[3].

وقد نجح الشيخ بفضل حنكته أن يجنب الزاوية الفاسية من فتن فاس التي عرفتها في عهده، فخرجت من المخاض السياسي العسير الذي عاشته آمنة، كما استغل مؤسسة الزاوية في حماية من استجار بها، إذ جعل زاويته حرما ومكان حماية لكل من لاذ بها، وقد صرح بذلك قائلا: "**ومن دخله كان آمنا وأشار إلى زاويته**"[4]، إذ ظلت الزاوية الفاسية محط احترام العامة والخاصة .

---

[1] - نفيسة الذهبي ، **الزاوية الفاسية..، م.س.** ، ص 181

[2] - منهم علماء الزاوية الفاسية كالشيخين أحمد بن يوسف الفاسي وأبي حامد العربي الفاسي

[3] - انظر، نفيسة الذهبي ، **الزاوية الفاسية – التطور والأدوار**، ص ص 189- 190

[4] - انظر، **المرجع نفسه** ، ص 192

- **مرحلة زاوية القلقليين (1617م-1626م)[1]**

إن الإشعاع الكبير الذي حضيت به زاوية المخفية داخل مدينة فاس، فضلا عن مكانة الشيخ العارف كانا عاملين في أن يكون للطريقة الفاسية موطئ قدم جديد، فأذن الشيخ العارف ببناء زاوية جديدة بمدخل حومة القلقليين أمام داره وحول المسجد المعلق سنة 1027هـ[2] ، والذي كان بجوار مسكنه، فكان له الاعتناء بالجانبين العلمي والصوفي، ففي الجانب العلمي اجتهد على أن تظل الزاوية مفتوحة لمجالس الدرس وخاصة في علمي التفسير والحديث ، كما كانت له في ذلك مشاركة حقيقية[3]، وفي الجانب الصوفي حرص على القيام بمجموعة من النوافل والذكر وترديد الأحزاب والوظائف الصوفية وإحياء المناسبات الدينية[4]، مما أدى لاشتهار أمره وبلوغ مكانته شأنا كبيرا حتى لقب "**بالعارف**"، ويلخص صاحب مؤلف "مرآة المحاسن" هذه المكانة بالقول: "**وانقادت إليه الرياسة بحضرة فاس فانفرد بها، واحتاج إليه السلطان وما دونه، ونفذت كلمته، فكان مرجوعا إليه في كل مهم، متبوعا في كل مقصد**"[5] .

وللاستمرار في هذه الأدوار العلمية والصوفية ، فقد اعتنى الشيخ العارف بتخصيص الأوقاف على زاويته ومنها الوقف الخاص بقراءة القرآن وقراءة الأحزاب والأوراد[6]، كما لجأ أحيانا إلى إطعام الطعام داخلها من خلال المناداة في الناس، فكان نداؤه يلقى الاستجابة فيهب المانحون ويأتي الفقراء ويتم الإطعام في الزاوية[7]، ويمكن القول إن هذا العامل زاد من شهرة أمر الزاوية والإقبال عليها خصوصا أن مدينة فاس كانت تمر بأزمات غذائية من حين لآخر خلال هذه المرحلة من حياة الشيخ العارف؛ كما كان يقدم يد المساعدة من خلال تدبير الهبات والصدقات التي تصل للزاوية، من خلال قيامه بدور الوساطة بين تحصيلها واعادة توزيعها على من هم في حاجة إليها[8] .

ويمكن القول، أن ما زاد من انتشار نفوذ الزاوية الفاسية على الساحة الصوفية خلال القرنين 17و18م، هو انفتاحها على المجتمع الفاسي بكل أطيافه وانتماءاته وأصوله وقبائله، فقد قصدها رجال العلم والدولة (المخزن)، ورجال البدو والحضر على السواء، حيث بلغت الزاوية تلك الشهرة بفضل مرونتها حتى مع المعارضين الذين كانوا ينتقدون بعض تعاملات الشيخ العارف مع رجال الدولة وقبوله الهبات والهدايا، بل تعدت مضاياقاتهم حد الإنتقاد إلى إذاية الطلبة، مما أدى في أوقات كثيرة إلى تعطيل

---

[1] - بخصوص ظروف تأسيسها وبنائها ، خصصنا لها بحثا منفصلا، ضمن الفصل الأول من الباب الثاني .

[2] - محمد المهدي الفاسي، **ممتع الأسماع**، ص 193م؛ محمد الصغير الفاسي، **المنح البادية ...**، م.س.ج1، (قسم الدراسة)، ص54

[3] - انظر، نفيسة الذهبي، **الزاوية الفاسية – التطور والأدوار**، ص ص182

[4] - **نفس المرجع** ، نفس الصفحة

[5] - محمد العربي الفاسي، **مرآة المحاسن** ، ص209

[6] - نفيسة الذهبي، **الزاوية الفاسية – التطور والأدوار**، ص183

[7] - انظر، **المرجع نفسه.** ص182- 183

[8] - **المرجع نفسه،** ص130

الدروس في الزاوية[1]، ورغم ذلك فالشيخ العارف كان له رأي في أن حضورهم لمجالسه هو سعيه في تهذيب خلقهم وطباعهم.

وعموما؛ فقد حرص الشيخ العارف على إدارة شؤون الزاوية والقيام بوظيفته العلمية والصوفية بداية من مسجد الشرفاء، وانتهاءا من داخل زاوية القلقليين، فنجحت بذلك في المحافظة على مكانتها الدينية والاجتماعية والفكرية لتنضاف إلى رأسمالها الرمزي[2]، وإن كانت الزاوية الفاسية في بداية أمرها حاولت تثبيت جذورها بين المجتمع الفاسي، فإنها في مرحلة لاحقة، بدأت في نشر طريقتها على أوسع نطاق، وهو ما مثل مرحلة تطور نفوذ الزاوية، فعرفت ازدهار العلوم بين أبناء الأسرة الفاسية، كما فتحت لدروس العلم المختلفة، وتصدر أبنائها لمشيخة الجماعة وغيرها من المراتب العلمية الهامة، لتتمكن بذلك من أن تصبح مدرسة علمية صوفية، فكانت امتدادا حقيقيا للطريقة الشاذلية في المغرب، ومدرسة كبيرة من المدارس التي انبثقت عن تلامذة الشيوخ الكبار لمحمد ابن سليمان الجزولي وأحمد زروق .

■ **المرحلة الثالثة – وهي مرحلة الانشقاق: وهي الممتدة من سنة (1036هـ/1626م) إلى سنة 1062هـ/1652م:** وهي سنة وفاة شيخ الزاوية والطريقة المعنية الفاسية (محمد ابن عبد الله معن)، وقد اخترنا هذا التاريخ باعتبار أن مرحلة ولاية الشيخ معن للطريقة الفاسية كانت مرحلة جامعة للطريقة الفاسية بين الزاوية الفاسية بالقليلقيين والزاوية المعنية بالمخفية، حيث عرفت الزاوية الفاسية انشقاقا وتولد فرع جديد وهي الزاوية المعنية، وقد كان هذا الفرع لا ينتمي لأسرة الفاسيين بل لأسرة آل معن العبدلاويين، حيث حصل الإذن بالتلقي لمحمد بن عبد الله معن، الذي استقل بزاويته الخاصة؛ وعن هذا الانشقاق والانفصال، وردت آراء مختلفة بخصوص حول تولي شأن الطريقة الفاسية بعد وفاة الشيخ العارف، وذلك بين كل من الشيخ عبد القادر الفاسي والشيخ محمد ابن معن، نذكرها كما وردت بالمصادر والمراجع المختلفة :

- **الرأي الأول: الذي يقول أن الشيخ ابن معن هو وراث الشيخ العارف**

يذكر صاحب "ممتع الأسماع ": "**لما توفي الشيخ أبو محمد(عبد الرحمن العارف) قعد الشيخ أبو محمد في داره ، فكان إخوان الشيخ العارف يترددون إليه فرادى، فكانوا يهابونه فيتلطفون له في قبوله إياهم، فيقول لهم: الحقيقة ورثتها أو أوردتها ولا إذن عندي؛ قال هذا لغير واحد تأنيسا لهم وإشفاقا عليهم، وقال لبعضهم زيادة على هذا : ولكن أحببني فإن المحبة تنفعك، وقال لبعضهم: عندما مات سيدي عبد الرحمن الأمانة حملها صاحبها (يشير إلى نفسه) ، .. كما كان يقول: كان سيدي عبد الرحمن يقول إذا مات الشيخ وخرجت روحه ذهب بحاله وحال وارثه وبقي الوارث بلا شيء، ثم إليه ما ذهب؛ وكنت لا أعرف ذلك، كان هو سلك ذلك بموت الشيخ (يعني سيدي يوسف) ثم سلكته وعرفته (يعني**

[1] - نفيسة الذهبي، **الزاوية الفاسية – التطور والأدوار**، ص130

[2] - **المرجع نفسه**، ص126

بموت شيخه عبد الرحمن)، فبقي كذلك ملازما لداره منفردا بنفسه نحو العامين، فلما أراد الله إظهاره وإخراجه للعباد للنفع به أزعجه إلى زيارة سيدي عبد السلام (بن مشيش) فوقع له الإذن هناك"[1].

كما جاء عن رواية صاحب "**الروض العطر**"، **"إذ بعد وفاة الشيخ العارف قصد اخوته، الشيخ ابن معن حتى يعلموا وارث الطريقة الفاسية، فلعله تركها لأحدهم يخبرهم لمن أورثها بحكم أن الشيخ معن كان بيت سر الشيخ العارف"**[2].

ومن خلال هذه الروايات نستنتج أن وراثة الطريقة الفاسية من الشيخ العارف لم تكن بشكل علني، إذ إن إخوان الشيخ العارف لم يكن لهم علم بمن هو الوارث لذا قصدوا الشيخ ابن معن كونه كان المرافق الدائم للشيخ العارف فإن ترك العارف وصيته فسيكون العلم بها عند الشيخ ابن معن، كما أن مسألة الوراثة كانت للشيخ ابن معن بنص إخباره بأنه هو الوارث لكن دون أن يكون له الإذن في الولاية، إذ أن الشيخ ابن معن لم يحدث له الفتح والإذن مباشرة بعد وفاة شيخه العارف بل تأخر لمدة سنتين .

- **الرأي الثاني: الذي يقول بوراثة الشيخ عبد القادر للشيخ العارف**

وحقيقة هذا الرأي والذي أقرته كل المصادر، هو أن الشيخ عبد القادر ورث المشيخة دون الولاية، فقد أورد صاحب كتاب "تحفة الأكابر" **فصل في أخذ الشيخ عبد القادر الإذن في المشيخة**، يقول فيه "**وذكر شيخنا**(يقصد الشيخ عبد القادر الفاسي) **في الإذن له أولا أن شيخه سيدي عبد الرحمن أتاه بعد موت سيدي محمد بن عبد الله بكتاب في الطب فقال له: يا عبد القادر اخرج تداوي الناس، قال : فثقل ذلك علي كثيرا فأخذ طرف الكتاب وقال ابدأ لهم بهذا ، ثم إن الشيخ سيدي محمد بن عبد الله حضر فدخل طعام له فكسر منه خبزا، فقال ابدأ بخبزنا هذا، فخرج الشيخ لحضور الحزب وكان لا يخرج إليه بعد المطالبة في الخروج إليه على يدي وامتنع وقال لي : لا اذن عندي، ثم إنه خرج بالقرب وذكر الحكاية. وحدث عنه تلميذه الرجل الصالح سيدي أحمد بن موسى الزرهوني من ذرية سيدي موسى بنعلي صاحب الصخرة ، أنه أخبره أنه وجد النبي (ﷺ) يقظة بين الدار والزاوية فأوصاه بالخلق وألزمه الصبر عليهم والقيام بحقهم هذا معنى ما ذكره، وبالجملة ظهر من دلائل التربية النبوية، والإذن مزيد قوة وتمكين واتساع مدد متزايد بتزايد السنين"**[3] .

كما قال في جزء أخر: **"وقد قال في موروثه الشيخ سيدي عبد الرحمن: أنا وارث علمه حقيقة، وقد لاح صدق ذلك بظهور طريقه على يديه وانتهى تفسير مجمل أحواله وتفصيلها إليه ، وكان إليه المرجع**

---

[1] - محمد المهدي ، **ممتع الأسماع**...، م.س. ص 197 ؛ انظر كذلك : ابن عيشون ، **الروض العطر**...، م.س. ، ص 120

[2] - ابن عيشون ، **المصدر نفسه** ،الصفحة نفسها

[3] - الحسن الويشمي ، دراسة وتحقيق لكتاب "**تحفة الأكابر بمناقب الشيخ سيدي عبد القادر**" ل "أبي زيد عبد الرحمن الفاسي"، رسالة جامعية لنيل شهادة الدكتوراه تحت إشراف محمد مزين، جامعة سيدي محمد بن عبد الله كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، سايس، الموسم الجامعي2001- 2002م . القسم الأول، ص81

في بيان ما يشكل من كلامه وهو الحقيق بالمقام بعده بمقامه والإقبال على لطيفة الإخلاص والتصديق والتحقيق وبث علومه وأسراره ونشر أنواره..."[1] .

وهذا يفيد أن الشيخ عبد القادر ورث زاوية الشيخ عبد الرحمن الفاسي بالقلقليين كما ورث نهجه وطريقته وعلمه، لكنه لم يتلق إذنا بالتلقين الصوفي ، فعندما **افترقت كلمة أتباع الزاوية والتمسوا مشيخة الشيخ محمد بن عبد الله معن نزل له الشيخ عبد القادر فخدمه ولازمه إلى وفاته، جمعا للآراء ودفعا للمراء**[2].

وعموما، فإن الشيخ عبد القادر الفاسي، لم يعارض موقف الشيخ ابن معن، بل تبعه وصار من مريديه باعتباره وارث الطريقة الفاسية، وهذا ما جعل نفيسة الذهبي تقول بأن هذا التنازل والتتلمذ للشيخ معن أبرز جانب التسامح في شخصية الشيخ عبد القادر خاصة وأن الأمر بلغ حد الشنآن وكانت فيه فرقتان، لكن ذلك لم يؤثر في سلوك الشيخ وفي ملازمته لشيخ زاوية المخفية طيلة حياته[3]، وقد التزم الشيخ عبد القادر أيضا بالأعراف الصوفية بلون متميز من الاعتدال فامتنع عن التصدر للمشيخة الصوفية ولم يقبل تلقين الأوراد والأذكار لأنه لم يتلق الإذن، لا من عم والده(أي الشيخ عبد الرحمن العارف) ولا من شيخه محمد بن عبد الله معن، ولذلك كان تلقينه لمن يشاء على سبيل الرواية، وكذلك كانت الغاية من قراءة الأوراد داخل الزاوية[4]، وقد سخر الشيخ عبد القادر الزاوية الفاسية بالقلقليين مركزا صوفيا لنشر العلم وخلق مدرسة حقيقية تنتج العلم والعلماء، فحافظ على النهج العلمي لها، إذ حرص على أن تظل مفتوحة في وجوه الطلبة والمريدين، حيث أجرى أوقافا على قراءة أحزاب القرآن وإقامة أحزاب الأوراد كما أقامهم بها عبد الرحمن بن محمد الفاسي[5] .

وخلاصة القول؛ فقد كانت الزاوية الفاسية مركزا من مراكز التصوف ضمن خريطة التصوف المغربي، فعرفت شهرة تجاوزت حدود مدينة فاس إلى العالم الإسلامي، وهذا راجع لمكانتها العلمية ولحكامة تدبير شؤونها، على رأسها الانفتاح الكبير على جميع الطوائف والأفراد، وعدم تعصبها القبلي الذي ميز بعض الطرق والزوايا الصوفية، حيث عرفت الطريقة الفاسية توارث مشيخة الزاوية والطريقة الفاسية إلى فرع خارج آل الفاسي، وهذا أمر لم يحدث من قبل، إذ لم يتوقف نشاط وتأثير الزاوية مع أسرة الفاسيين، بل تعداه إلى دخول علماء وصوفية من خارج هذه الأسرة، هؤلاء العلماء سيشكلون بنشاطهم الصوفي إمتدادا لنشاط الزاوية والطريقة الفاسية، وبهم سيصبح للزاوية فروعا متعددة، حيث توارثت المشيخة عدة أسر، فمن أبي المحاسن -المؤسس- وشقيقه العارف عبد الرحمن (ت1036هـ/1626م)، ستنتقل مشيخة الطريقة الفاسية إلى آل معن الأندلسيين، بل سيصل الأمر إلى أن تنقلب الأدوار حينما قام محمد بن عبد

---

[1] - الحسن الويشمي ، **تحفة الأكابر بمناقب الشيخ سيدي عبد القادر** ، م.س. ص 85 .

[2] - **المرجع نفسه** ، ص 80 .

[3] - نفيسة الذهبي ، **الزاوية الفاسية – التطور والأدوار** ،م .س. ص 206

[4] - انظر ، **المرجع نفسه** ، ص ص206- 207

[5] - انظر ، محمد القادري ، **نشر المثاني...، م.س.** ج3 ص 153

الله بن معن، بتلقين أصول التربية الصوفية لعبد القادر الفاسي ولرجال آخرين من بيت الفاسيين الفهريين[1]، ومن هنا ستتخذ وراثة الطريقة الفاسية فرعين، فرع يعود لآل الفاسي مع الشيخ عبد القادر الفاسي، والفرع الثاني سيتخذ مساره عبر تلميذ ومريد الشيخ محمد ابن معن وهو الشيخ قاسم الخصاصي (ت1673/1083)[2]، فانقسمت بذلك الطريقة الفاسية لفرعين: الطريقة الفاسية والطريقة المعنية الفاسية.

■ **المرحلة الرابعة – وهي مرحلة التحول والتطور: وهي الممتدة من سنة 1680م إلى سنة (1214هـ/1800م)،** حيث وفاة الشيخ محمد بن عبد السلام الفاسي، وهي مرحلة ازدهار العلوم سواء من خلال الزاوية الفاسية أو من خلال الزاوية المعنية: فالزاوية الفاسية بلغت شهرة واسعة من خلال نشاطها العلمي والصوفي اللذان لم ينقطعان حتى خلال أحلك الظروف التي كانت تمر منها فاس، مما أدى إلى تطور نفوذها، من خلال دعمها لدروس العلم المختلفة، وتصدر ابناءها لمشيخة الجماعة وغيرها من المراتب العلمية المهمة، فبدأت في نشر طريقتها على أوسع نطاق، وتعد هذه المرحلة مرحلة التأريخ للزاوية وكتابة الكتب العديدة في تاريخها وتاريخ رجالاتها[3]. وقد تخلل هذه المرحلة أدوار سياسية للزاوية، حيث كان لها دور مهم في استتباب دعوة مولاي إسماعيل، وبيعة سيدي محمد بن عبد الله، فالخطيب أبو مدين بن محمد الفاسي (ت1768/1182) هو من كتب وثيقة بيعة المولى محمد بن عبد الله عام 1171هـ/1756م[4]، فضلا عما مثلته الزاوية من دور الحرم والحماية لمن يلتجأ لها، والتدخل في بعض القضايا السياسية .

أما الزاوية المعنية، والتي حرصت على التمسك بالتصوف العلمي سواء مع شيخها ابن معن، أو مع ورثته من بعده وهم قاسم الخصاصي، وابن الشيخ محمد بن عبد الله وهو الشيخ أحمد، فقد نجحت الزاوية في الإحتفاظ بوظيفتها الصوفية والعلمية، إلا أنها شهدت فتورا بعد ذلك في نشاطها بسبب ضعف شيوخها وعدم قدرتهم على الاستمرار في النهج العلمي الذي خطته الطريقة المعنية والمستمد من روح الطريقة الفاسية، إذ بدأت الطريقة تعتمد النهج الصوفي الجمالي أكثر من النهج العلمي .

ب - الزاوية المعنية[5] – امتداد الطريقة الفاسية

تنسب الزاوية المعنية للشيخ محمد ابن معن(ت1652/1062)[6]، وهي تعتبر فرع من فروع الطريقة والزاوية الفاسية، وإن اتخذت نهجا صوفيا خاصا بها، إلا أنها ظلت مرتبطة بالطريقة والزاوية الفاسية، إذ يعتبر الشيخ محمد ابن عبد الله معن أحد أبرز رجال الطريقة الفاسية في وقته، وهو من دعم الزاوية الفاسية منذ تأسيسها الأول بحي المخفية مع الشيخ أبي المحاسن، وبعد وفاته حمل إلى جانب

---

[1] - انظر،عبد الأحد السبتي، **النفوذ وصراعاته في مجتمع فاس..،** م.س. ص65

[2] - محمد العربي الفاسي، **مرآة المحاسن..،** م.س. (قسم الدراسة)، ص ص 27-28

[3] - انظر ، **المصدر نفسه** ، ص26-27 .

[4] - **المصدر نفسه** ، ص26

[5] - بخصوص ظروف تأسيسها وبعض أدوارها، انظر الفصل الأول من الباب الثاني

[6] - انظر الفصل الثاني من هذا الباب، اذ خصصناه بدراسة وافية عن مكانته العلمية والصوفية، ومراحل تكوينه العلمي .

رفيقه الشيخ العارف الفاسي مسؤولية نشر الطريقة الفاسية، وقد ازداد الإقبال عليه وعلى علمه خاصة بعد وفاة الشيخ العارف وتوليه مشيخة الطريقة واستقلاله بزاويته "الزاوية المعنية" سنة (1038هـ/1628-1629م)، التي تعتبر خط امتداد للزاوية الفاسية، كما يعتبر الشيخ معن حلقة وصل بين الطريقة الفاسية والطريقة المعنية، فالطريقة الفاسية بعد وفاة العارف الفاسي انتقلت للشيخ معن ومنه للشيخ عبد القادر الفاسي وتلميذه قاسم الخصاصي .

وعموما، عرفت الطريقة المعنية عدة محطات في تاريخها، فبعد وفاة الشيخ محمد ابن معن تولى مشيخة الزاوية والطريقة، تلميذه الشيخ قاسم الخصاصي، ومن هذا الأخير ستعود الوراثة لآل معن مع ابن الشيخ محمد وهو أحمد بن محمد معن، ومنه ستنتقل للشيخ العربي بن أحمد معن (ت1166هـ/1754م)، وهنا سيظهر تيار جديد، سيكون له دور في حدوث انشقاق داخل الطريقة المعنية، إذ سيقوم الشيخ العربي بن أحمد معن بدمج مبادئ القادرية والشاذلية، وذلك بأخذه عن العارف الشيخ أحمد اليمني القادري(ت1113هـ/1702م)، وهنا ستمتد الطريقة المعنية لتنتج تيارا مستقلا، خصوصا عندما ستنتقل وراثة الطريقة من الشيخ العربي ابن أحمد معن إلى الشيخ علي بن عبد الرحمن العمراني الإدريسي الحسني المعروف بالجمل(ت1194هـ/1781م)[1]، وعنه سيأخذ الطريقة خليفته الشيخ العربي بن أحمد العلمي الإدريسي الحسني المعروف بالدرقاوي(ت1239هـ/1823م)، الذي انتشرت طريقته الدرقاوية وسادت خلال القرن 19م .

[1] - هو صاحب الزاوية الشهيرة بحومة الرميلة من فاس

الفصل الثاني: فاس والحركة الصوفية بالمغرب بين التأثير والتأثر خلال القرنين 17 و18م

عرفت مدينة فاس تبادل موجات من التأثيرات بينها وبين عموم المغرب، والمراد من التطرق لهذه الموجات التي تراوحت بين التأثير والتأثر، هو البحث عن مدى التأثر الذي كان بين مدينة فاس وعموم المغرب فيما يخص الحركة الصوفية، وتتبعها في هذه المدينة في ظل التبادل والتلاقح الصوفي، لنحدد فيها ما هو أصيل وما هو دخيل من جهة، ومن جهة أخرى حتى نحدد مدى التأثير الذي أحدثته مدينة فاس على التصوف المغربي أثناء المرحلة المدروسة، وذلك ليتسنى لنا تتبع تيارات التأثيرات الصوفية وتراث مدينة فاس الناتج عن حركتها الصوفية .

ولتحقيق هذه الأهداف، فإن العمل يفرض علينا البحث داخل عدة مكونات متداخلة، خاصة أن حركة التبادل الصوفي التي عرفها المغرب خلال القرنين 17 و18م كانت في قمة نشاطها؛ وفي محاولة منا لتحديد عناصر التأثر الصوفي الذي ارتبط بمدينة فاس، حاولنا وضع نهج يساعدنا على ذلك، فاعتمدنا جذور تلك التأثيرات، وتمظهراتها، ونتائجها. وقد ربطنا كل هذه العناصر بالمراحل التاريخية التي مرت منها هذه المدينة، إذ إنها فرضت نفسها بقوة على موجات التأثير والتأثر، فمن خلال دراسة العلاقة بين مراحل فاس التاريخية وهذه الموجات، سنرى أن التأثير الوحيد من فاس على التصوف المغربي - والذي يظهر جليا- سيكون خلال مرحلة القرن السادس عشر وبداية القرن السابع عشر، أما ما بعد ذلك فقد امتزجت التأثيرات بين فاس وعموم المغرب .

المبحث الأول: تأثير مدينة فاس في الحركة الصوفية بالمغرب

ساعدت عدة مقومات لتكون مدينة فاس مركز استقطاب صوفي خلال المرحلة الحديثة، وتتمثل هذه المقومات في المؤسسات الدينية والعلمية، التي كانت آلية لنشر الفكر والطريقة الصوفيين، هذه المؤسسات بدورها كانت تتحرك وتشتغل بأطر علمية ودينية، من علماء وفقهاء وصوفية والذين ساهموا في استقطاب العنصر البشري من كل أنحاء المغرب، بل ومن خارجه، وقد شكلت هذه الفئة طبقة متجانسة على مستوى التأثير الصوفي .

1- دور رجال فاس في الاستقطاب والتأثير الصوفيين

عرفت مدينة فاس نهاية القرن 16م وبداية القرن 17م، وجود طبقة من رجالها تميزوا في علوم الظاهر والباطن، فشكلوا فئة علماء ملأت مساجد المدينة وزواياها ومدارسها، كما شغلوا وظائف مركزية داخل هذه المؤسسات، مما مكنهم من جلب واستقطاب مريدين وتلاميذ وأتباعا من مختلف مناطق المغرب، وذلك لما بلغوه في مدارك العلوم، ولما بلغ من سمعتهم ضمن الأوساط العلمية، وهؤلاء كان لهم دور ضمن عملية الاستقطاب والتأثير الصوفيين .

إن هذا التأثير الصوفي في الحركة الصوفية بالمغرب ليس وليد المرحلة (أي القرنين 17 و18م)، بل يرجع للمرحلة الوسيطة من تاريخ المغرب، وتحديدا القرن 6هـ/12م، فمن خلال جل المصادر التي تؤرخ

لهذه المرحلة ، مثل: **"المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد"** لأبي عبد الله بن عبد الكريم التميمي الفاسي(ت 603 أو 604هـ/1200 أو 1201م) ، و**"التشوف لرجال التصوف"** لأبي يعقوب يوسف بن يحيى التادلي (ت627هـ/1224م)، و**"أنس الفقير وعز الحقير"** لابن قنفذ القسنطيني (ت810هـ/1407-1408)، يبرز اسم فاس كأحد المراكز العلمية المهمة، كما يبرز أشهر رجالها كأبرز المؤثرين في الحركة العلمية والصوفية حينذاك، ويمكن أن نختار أحد هذه المؤلفات القريبة من المرحلة الحديثة، وهو **"أنس الفقير وعز الحقير"** لابن قنفذ القسنطيني، والذي من خلاله تبرز الجاذبية الكبيرة لمدينة فاس، وقد خص صاحب الكتاب بالدراسة مجموعة من أعلام فاس التي تركت بصمتها على التصوف المغربي، بل والتصوف المشرقي، مثل الشيخ أبي الحسن ابن حرزهم الذي ولد ونشأ بفاس، وكان فيها من كبار الفقهاء، زاهدا في الدنيا سالكا سبيل أهل التصوف، ذا كرامات وفراسات[1]، فترك تأثيره على التصوف الفاسي، فكان مستقطبا لكل طالب علم وتصوف، حيث يذكر **"ابن قنفذ القسنطيني"** قصة مجيء الشيخ أبي مدين لمدينة فاس، بعد أن خرج من بلاده الأندلس طالبا للعلم، فلما بلغ مراكش قيل له **"عليك بفاس"**[2]، فيروي ابن قنفذ القصة بعد ذلك على لسان أبي مدين، فيقول:**"فسرت إليها ولازمت جامعها ورغبت من علمني أحكام الوضوء والصلاة، ثم سألت عن مجالس العلماء فسرت إليها مجلسا بعد مجلس، وأنا لا يثبت في قلبي شيء مما أسمعه من المدرسين إلى أن جلست إلى شيخ كلما تكلم بكلام ثبت في قلبي وحفظته، فقلت: من هذا الشيخ ؟ فقيل لي: أبو الحسن ابن حرزهم ، فلم فرغ دنوت منه وقلت له : حضرت مجالس كثيرة فلم أثبت على ما يقال، وأنت كل ما سمعت منك حفظته، فقال لي: هم يتكلمون بأطراف ألسنتهم فلا يجاوز كلامهم الآذان، وأنا قصدت الله بكلامي فخرج من القلب، فلازمته"**[3]، فأبو مدين الغوت، الذي انتقل من الأندلس إلى بجاية، كان قد قرأ بفاس وأقام بها مدة طويلة من أجل طلب العلم ولقاء مشايخها[4] .

وقد استمر هذا التأثير قرنا بعد قرن، حتى أنه يمكن القول إن بروز تأثير مدينة فاس على التصوف المغربي انطلق منذ القرن 8هـ/14م بحكم احتكار فاس -إلى جانب مراكش- الزعامة السياسية والاقتصادية والعلمية والتعلمية. وقد تطورت حركة التصوف في فاس بتطور المؤسسات وتزايد عدد الشيوخ وكثرة الوافدين[5]، ومن خلال ما قدمته " نفيسة الذهبي" من جرد لأبرز من قدموا من أعلام الصوفية[6] إلى مدينة فاس خلال المرحلة الوسيطة، يتضح مدى أهمية رجال فاس ودورهم في منح المدينة كل تلك الجاذبية

---

[1] - أبي العباس أحمد الخطيب (الشهير بابن قنفذ القسنطيني)، **أنس الفقير وعز الحقير**، اعتنى بنشره وتصحيحه، محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي جامعة محمد الخامس كلية الآداب الرباط، بدون طبعة سنة 1965م ، ص12

[2] - انظر، **المصدر نفسه** ، ص ص 11 - 12

[3] - **المصدر نفسه** ، ص 12

[4] - انظر ، **المصدر نفسه**، ص14

[5] - نفيسة الذهبي ، **الزاوية الفاسية – التطور والأدوار**، م.س. ص 44

[6] - انظر، **المرجع نفسه**، ص ص 44 - 48

التي ميزتها طيلة المرحلة الوسيطة بل والحديثة، كما خلصت لمجموعة من الاستنتاجات، نذكرها لأهميتها[1] :

- إن مدينة فاس عرفت إقبالا متزايدا من رجال التصوف نظرا لمكانتها العلمية ولظروف الاستقرار والطابع الحضاري .
- إن مدينة فاس استقبلت صلحاء من مختلف المناطق الحضرية والبدوية ، وكذلك من تلمسان والأندلس .
- إن مدينة فاس وجدت بها "رابطة" أو نواة صوفية لتقديم الخدمات الاجتماعية والتوعوية الدينية منذ وقت بعيد .
- إن مدينة فاس شهدت حركات متكاملة، فالصلحاء ينتقلون إلى المشرق والأندلس ، ويرجعون بعدد من المصنفات والأفكار والمؤثرات وإن كانوا في هذه المرحلة -كما يبدو- أكثر ميلا للانزواء والانقباض.
- إن مدينة فاس كانت في طليعة المراكز الصوفية التي احتك رجالها بأصحاب القرار السياسي وظهرت بها محاولات الصوفية لبذل النصح وتنظيم المجتمع والسهر على تبني دعوة إصلاحية خيرية .

وعموما، وخلال فترات من مرحلة القرنين 17 و18م ، وبسبب الظروف الغير المستقرة التي كانت تشهدها المدينة من وقت لآخر، فإن فاس ستعرف شكلين من التأثيرات :

الشكل الأول، التأثير من الداخل: حين كانت مدينة فاس أيام قوتها، فتميزت المرحلة باستقطاب العديد من التلاميذ والطلاب والمريدين، بل قصدها حتى رجال التصوف ذو المشارب الصوفية المختلفة، إذ كانت فاس قبلة للعديد من الأقطاب والعلماء إلى جانب طلاب العلم للتزود بالمعرفة وأصول الطريق الصوفي، فأعطي لها بذلك دور في ممارسة تأثيراتها من الداخل على يد علمائها وصوفييها. وقد شكلت حلقات العلم بالزوايا والمساجد والمدراس آلية لممارسة تلك التأثيرات، وسيكون لأولئك المتخرجين من فاس فيما بعد دور ضمن الحركة الصوفية المغربية، إذ إن منهم من أسس زاوية وطريقة خاصة به، سواء داخل فاس أم خارجها (مثلما كان الحال مع صاحبي الزاويتين الوزانية والدرقاوية). وعن أهمية العنصر البشري الممثل بنخبة مدينة فاس العلمية من علماء وفقهاء وصوفية، أشار عبد الأحد السبتي لملاحظة مهمة، وذلك في تتبعه لمسار عائلة أبي المحاسن من خلال كتاب **"عناية أولي المجد بذكر آل الفاسي ابن الجد"** للسلطان سليمان، فعندما ذكر تعدد مراكز الزاوية الفاسية وكذا مراكز تدريس العلم بفاس والقصر الكبير وتطوان، أكد أن مدينة فاس ظلت بمثابة المركز الموجّه، فمن خلال التراجم الواردة في كتاب "العناية"، هناك حوالي عشرون من أعضاء بيت الفاسيين ولدوا بالقصر الكبير، وبدأ تكوينهم العلمي هنالك، ثم التحقوا بفاس لإتمام دراستهم على يد شيوخ ذوي شهرة أكبر، والملاحظ أن نصف العدد

[1] - نفيسة الذهبي ، **الزاوية الفاسية – التطور والأدوار**، م.س ، ص 49

المذكور يعودون إلى مسقط رأسهم حيث يتعاطون للتدريس أو يتولون هذه الخطة أو تلك، وفي الاتجاه المعاكس، نادرا ما نجد أفرادا ولدوا بفاس ثم هاجروا إلى القصر الكبير في مرحلة حياتهم المهنية[1] .

وإن هذا الأمر إن دل على شيء، فإنما يدل على مكانة رجال فاس وأهليتهم في طريق العلم والتصوف، وما خلفته هذه المدينة في التصوف المغربي من آثار لخير دليل على تلك المكانة .

ويمكن القول، إن هذا الشكل من التأثير لم تشهده المدينة في مرحلة واحدة وإنما في مراحل متباينة، وهو ما يتطابق مع ما مرت منه من مراحل القوة والانتعاش، لذلك لابد من التمييز بين جيلين شغلا مرحلتين من الزمن، مرحلة أولى، حيث شغلها جيل كان وجودهم واستقرارهم تاريخي بفاس، ومرحلة ثانية من خلال عودة رجال فاس الذين فروا منها، وهم من الجيل الثاني .

أما الشكل الثاني، التأثير من الخارج: فهو المتمثل في التأثيرات التي مارستها مدينة فاس من خارج مجالها بعد أن كانت تمارسه من الداخل وذلك عن طريق رجالها الذين حلوا بمراكز صوفية مختلفة، فعوض أن تستقطب المدينة رجال التصوف المغربي أصبحت تُصدر رجالها إلى مراكز صوفية أخرى، وعن طريقهم ستمارس تأثيراتها الصوفية؛ ففاس حين عرفت تراجعا وتقهقرا، توقفت عن دور المستقطب، وبدأ رجالها يفرون منها، وكما سبق من خلال دراسة أوضاع وظروف مدينة فاس خلال مرحلة القرنين 17-18م، فقد كان هذا الفرار إما بالبحث عن مراكز صوفية أكثر ازداهارا ونشاطا، كما كان حال الزاوية الدلائية، أو فرارا من وضع مدينة فاس المتأزم والغير المستقر؛ وقد شغلت هذه الظرفية مرحلة مابين ضعف الدولة السعدية ومابين وصول العلويين للحكم أي مابين 1603 إلى حوالي 1668م، ويمكن القول إن بعض الأحداث الفاصلة كانت سببا مباشرا في هجرة علماء فاس مدينتهم ، فعدا الفتنة بين أولاد المنصور، نجد قضية تسليم مدينة العرائش للنصارى من قبل السلطان أحمد الشيخ المأمون والتي حدثت سنة 1020هـ/1611- 1612م، حيث احتاج هذا السلطان لفتوى من علماء فاس حتى يبرر موقفه، وكان مصير الرافضين لطلبه التنكيل بهم وقتلهم أوسجنهم وتعذيبهم، مما جعل العديد من رجال فاس البارزين يغادرونها ويختفون ببوادي المغرب، كالشيخين الحافظ وأبي حامد العربي أبناء الشيخ يوسف الفاسي، بحكم أن المراكز الحضرية كلها أصبحت سواء في انعدام الأمن، فأضحت المراكز القروية هي المقصودة، ولأن أشهر المراكز القروية التي حظيت بشهرة علمية كانت هي الزاوية الدلائية، فإن معظم رجال فاس فضلها على غيرها، إذ إن طبقة من الفاسيين قصدت هذه الزاوية وشكلت فئة مميزة داخلها، فمارست تأثيرات مدينة فاس عبرها، حيث كان لهم مجالس العلم والتدريس وعدد كبير من الطلاب والمريدين والأتباع لدرجة أنهم نالوا فيها مكانة متميزة أهلتهم لتصدر مجالس العلم والفقه، فأصبحوا جزءا من طبقة علمائها، كما نالوا احتراما وتقديرا كبيرين بفضل مكانتهم العلمية، وهذه المكانة هي ما جعلت المؤثرات الصوفية للتصوف الفاسي داخل هذا المركز تتداخل مع غيرها من المؤثرات الصوفية سواء للزاوية الدلائية أو لغيرها، فكان بذلك التصوف الفاسي بين تأثير وتأثر .

[1] - انظر، عبد الأحد السبتي، **النفوذ وصراعاته في مجتمع فاس ...**، م.س. ص ص 57- 58 .

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الفئة (أي الثانية) مارست تأثيراتها من داخل مدينة فاس ومن خارجها، بحكم التنقل الذي عاشته، وسنوضح ذلك من خلال المسيرة العلمية لأولئك العلماء والفقهاء والصلحاء .

أ- الفئة الأولى- تأثير من الداخل: علماء فاس والاستقطاب الصوفي

مثل مجموعة من العلماء والصلحاء والفقهاء من داخل مدينة فاس دورا مؤثرا في الحركة الصوفية بالمغرب، ويمكن القول إن أبرز من جسد بحق هذا الدور بقوة هم رجال الزاوية الفاسية، وذلك بسبب مكانتهم العلمية وقتئذ وقلة عدد الزوايا العلمية بالمدينة، فقد نوه جل العلماء والفقهاء المعاصرون لهذه المرحلة بمكانة علماء فاس عامة وعلماء الزاوية الفاسية خاصة، فأبو سالم العياشي نوه بمكانتهم كشيوخ علم وتصوف بعد أن حظي بإجازة الشيخ عبد القادر الفاسي وتتلمذ على يديه مباشرة، فاستغل قلمه السيال عدة مرات للحديث عن مجالس الزاوية وعن كفاءة شيخها عبد القادر في التبليغ والتثبت والتحقيق، وعن قدرة أبنائها جميعا على المجادلة والحوار والتأليف في كل قضايا عصرهم، كما كان له دور الصلة بينهم وبين نظرائهم المشارقة[1]، كما لخص الشيخ القادري هذه المكانة بقوله "**ولهم حق على جميع من يتعاطى العلم بفاس وكثير من غيرها من مدن المغرب ومداشره وقراه، لأنك تجد أكثرهم سمع من بعضهم أو بوسائط بينهم فحقهم لايجهل وقدرهم لا يُغفل**"[2]، وقد اتفق مترجمو الفاسيين وخاصة معاصروهم على إيجابيات الدور العلمي الذي أدته المؤسسة الفاسية، كما أنهم نقلوا من كتبهم، واعتمدوا مروياتهم وأسانيدهم العلمية والصوفية، ويظهر التقدير العلمي الذي كان لعلمائها من خلال صيغ التحلية، وعبر حديث المجازين والمتخرجين الذين نقلوا شهادات حية ومباشرة عن علاقتهم بشيوخ الأسرة الفاسية، أما ما يعطي لهؤلاء الشيوخ حجما أكبر فهو توارث العلم في فاس واتصال جميع من تعاطى هذا الميدان بهم في فاس وفي كل البلاد وهو ما يستفاد من قراءة كتب الفهارس والتراجم[3]، وإن نظرة على كتب الفهارس والتراجم والمصادر التي تؤرخ لمرحلة القرنين 17 و18م لا بد أن تجد مصداقا لكل ما قيل، إذ لا تخلو سلسة سند أي عالم أو صوفي أو فقيه في المغرب من عالم أو فقيه من الزاوية الفاسية .

من هؤلاء العلماء نجد فئة شغلت المرحلة الأولى من التأثير، مرحلة القوة، وهي المخضرمة ما بين القرنين 16م وبداية القرن 17م، كما نجد منهم فئة شغلت مرحلة بداية رجوع الاستقرار لمدينة فاس خلال مرحلة حكم السلطانين الرشيد وإسماعيل، فمارس رجال صوفية وعلماء فاس تأثيراتهم من داخل مجال المدينة .

ومن أبرز النماذج الأعلام الذين قادوا حركة التأثير خلال هذه المرحلة، نذكر

---

[1] - انظر، نفيسة الذهبي ، **الزاوية الفاسية - التطور والأدوار..**، م.س. ص31

[2] - القادري ، **نشر المثاني...**، م.س. ج3 ص ص 153

[3] - نفيسة الذهبي، **الزاوية الفاسية – التطور والأدوار..**، م.س. ص30

➢ محمد بن قاسم القصار (ت1012هـ/1604م)[1]

هو الشيخ أبو عبد الله محمد بن القاسم بن محمد بن علي القيسي، الأندلسي الغرناطي الأصل، الفاسي المولد والدار، الملقب بالقصار، ولد بفاس سنة 938هـ /1532م، ويرجع تاريخ استقرارهم بالمدينة منذ سقوط مدينة غرناطة في أيدي الإسبان سنة 897هـ/1492م، حيث قدم جده منها واستقر في فاس[2]؛ وصفه محمد العربي الفاسي في "مرآة المحاسن" بأنه "**الإمام العالم، المستبحر المحقق النظار، كان دائم الخشية والخشوع ... كثير الفوائد**"[3]، أما القادري فقد حلاه في "نشر المثاني" بأنه "**الإمام العالم العلامة ...الحافظ الحجة الراوية، المحقق النظار**"[4]، كما قال عنه" **وناهيك بالشيخ القصار عنه إمامة... وأمانة وعدالة، إمام شهير وعالم كبير سيد علماء زمانه وصدر أهل وقته وأوانه وخاتمة مشايخ العلوم بالأقطار المغربية**"[5]، وفي "التقاط الدرر" بأنه "**العالم الصالح الحجة المشارك النسابة...**"[6]، وقال عنه عبد الله بن محمد الفاسي "**هو أحد العلماء الأعلام وحاملي لواء شريعة سيد الآنام، إماما متبحرا في فنون سيما العلوم الشرعية وما ولاها، منفردا بالتحقيق...له الذهن الثاقب، والغوص على دقائق اللطائف والمعاني بفهم مصيب، والأبحاث الرائقة ...**"[7]، وهذه المكانة العلمية للشيخ القصار هي التي أهلته لأن يكون مفتي وخطيب جامع القرويين بفاس ، ومحدث المغرب في وقته[8]، حيث تولى الخطبة والإمامة بهذا الجامع أيام السلطان المنصور[9]، وبذلك فالشيخ القصار هو من كبار علماء المغرب في العصر السعدي الذين تركوا بصماتهم في تاريخ الثقافة المغربية في القرن العاشر الهجري (16م)، مما مكنه من ممارسة تأثيراته على أوسع نطاق .

وقد كان الشيخ القصار "**وحيد أهل زمانه في سائر العلوم مرجوعا إليه فيها، مشوبا علمه بالصلاح والدين، واتباع طريقة تربط بالشيخ الولي أبا النعيم بن عبد الله رضوان الجنوي**"[10]، حيث كان من أخص تلامذته وأصحابه، فلازمه واقتدى به في العلم والدين وانتفع به، وهو من أجل مشايخه، وقد كان الشيخ أبو النعيم إمام أهل الحديث في زمانه... فخلف مكانه الشيخ القصار فكان صاحب وقته في ذلك .

---

[1] - وردت ترجمته: محمد العربي بن يوسف الفاسي(ت1052هـ)، **مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن**، م.س. ص ص274- 275 (الذي يعتبر المصدر الأساس في التعريف بصاحب الترجمة، والذي اعتمده كل من ترجم للقصار)؛ عبد الله بن محمد الفاسي الفهري (ت1131هـ)، **الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر**، تقديم وتحقيق فاطمة نافع، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، ودار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، سنة 2008م، ص ص 38- 52؛ محمد الصغير الإفراني (اختلف في تاريخ وفاته 1138 إلى 1156هـ)، **صفوة ما انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر**، م.س. ص ص61–65؛ محمد بن الطيب القادري(ت1187هـ)، **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني**، م.س. ج1، ص ص 86-89، وص ص 92-94، **التقاط الدرر...**، م.س. ص ص 39-40؛ محمد بن جعفر بن ادريس الكتاني، **سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس...**، م.س. ج2 م.س. ص72 .

[2] - انظر، محمد بن الطيب القادري ، **نشر المثاني..**، م.س. ج1 ص86؛ محمد العربي الفاسي، **مرآة المحاسن..**، ص 274.

[3] - محمد العربي بن يوسف الفاسي ، **المصدر نفسه** ، ص274

[4] - محمد القادري ، **نشر المثاني..** ، ج1 ، ص 86

[5] - **المصدر نفسه**، ص 87

[6] - محمد بن الطيب القادري ، **التقاط الدرر...** ، م.س. ص 39 .

[7] - عبد الله بن محمد الفاسي الفهري، **الإعلام بمن غبر ..** ، م.س. ص39

[8] - محمد الكتاني، **سلوة الأنفاس...**، م.س. ج2 ، ص 72

[9] - انظر ، محمد الإفراني ، **صفوة ما انتشر...**، م.س. ص63

[10] - انظر ترجمته: محمد المهدي الفاسي (ت1109)، **ممتع الأسماع في الجزولي والتباع** ، م.س.، ص ص 109- 111

وقد كان للشيخ القصار فضل كبير على رجال الزاوية الفاسية من حيث توارث العلم، إذ يمكن القول أن الطريقة الفاسية كانت لها أصول علمية تتصل بالشيخ القصار، وهذا الأمر تبرزه كتب التراجم والسير، كما يؤكده محمد القادري، بالقول "**إن هذا التحقيق في العلم الذي يوجد عندهم، أعني أولاد الشيخ أبي المحاسن، إنما هو إرث عن الشيخ القصار**"[1] ، وقد امتد تأثير الشيخ القصار على آل الفاسي حتى بعد وفاته، متصلا علمه فيهم، حتى بلغ أولاد الشيخ عبد القادر الفاسي، إذ يكمل القادري شهادته بالقول "**فمن بعد القصار جاء تلميذه الشيخ محمد عبد الرحمن بن محمد الفاسي... ثم الشيخ عبد القادر الفاسي... ولم تزل بقية التحقيق في العلم والتبريز في الحديث في ولد الشيخ عبد القادر الفاسي وفاضلهم في ذلك العلامة أبو عبد الله محمد بن عبد القادر...**"[2] .

ويمكن سرد من ثبت أخذه من آل الفاسي عن الشيخ القصار :

فقد أخذ عنه الشيخ أبو المحاسن يوسف الفاسي، فكانت بينهما لقاءات ومجالسات عديدة، إذ يذكر صاحب مرآة المحاسن العديد من هذه المواقف في مؤلفه، فيقول في إحداها "**زار مرة شيخنا القصار الشيخ أبا المحاسن، فقعد معه في مسجده...**"[3] ، كما كان يزوره بزاويته بحومة المخفية، وقد كان الشيخ أبو المحاسن يعتقد ويقول بإمامته، ويصدر عن رأيه، ويكتب في حقه سيدي وسندي[4]، كما أخذ عنه الشيخ أحمد بن أبي المحاسن يوسف الفاسي (الحافظ) ونقل العديد من أجوبته، وكانت له محبة في جانبه وتردد إليه، فاقتدى به وتيمن برأيه وبركته[5]، كما أخذ عنه أيضا الشيخ أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الفاسي (العارف)، فقرأ عليه "**صحيح البخاري... وجميع صحيح مسلم...والشمائل للترميذي، والشفا للقاضي ... وكان ينوه به ويشهد له ويحيل في كثير من المسائل عليه**"[6]؛ كما جمعته بالشيخ أبي حامد محمد العربي بن يوسف الفاسي صفة المشيخة، حيث يقول في صحبته "**لازمته سنين عديدة بالمجالسة والاستفادة والمباحثة، وحضور مجالسه العلمية**"[7]، ويضيف ما أوصاه به إنشادا، حيث يقول "**وأنشدني أول يوم رأيته ، وذلك أواخر جمادى الثانية سنة ثمان وتسعين وتسعمائة :**

تمسك بحبل الشاذلية تلق ما تروم وحقق ذا الرجاء وحصل

ولا تعد عيناك عنهم فإنهـــم شموس هدى في أعين المتأمل"[8]

---

[1] - انظر، محمد القادري ، **نشر المثاني...**، م.س، ج1 ، ص 88

[2] - **المصدر نفسه**، الصفحة نفسها .

[3] - محمد العربي بن يوسف الفاسي ، **مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن** ، ص237

[4] - انظر، عبد الله بن محمد الفاسي الفهري، **الإعلام بمن غبر**...، ص 40

[5] - انظر، **المصدر نفسه**، ص45؛ محمد العربي لفاسي الفهري ، **مرآة المحاسن...** ، ص ص 211-112

[6] - محمد العربي بن يوسف الفاسي ، **مرآة المحاسن ...** ،م.س. ص 208

[7] - **المصدر نفسه**، ص274

[8] - **المصدر نفسه**، الصفحة نفسها

وقد ترك الشيخ القصار تأثيراته على الشيخ محمد العربي، الذي ترجم له في مؤلفه "مرآة المحاسن"، فنقل العديد من أجوبته في التصوف وغيره، نموذج جواب حول لفظة "أفضل" في حزب الفلاح[1] ، كما نال منه إجازة عامة[2] .

ولم يتوقف تأثير الشيخ القصار عند شيوخ آل الفاسي أو رجال مدينة فاس، بل امتد لكل من عاصروه، حيث كان مرجعا علميا لكل طالب علم، فلا تخلو سلسة علم أي عالم كان في وقت القصار منه، إذ قصده العلماء من كل مناطق المغرب وتخرج على يديه مجموعة من كبار العلماء، منهم: الشيخ الولي محمد بن أبي بكر الدلائي في التفسير والحديث والتصوف، كما كان من بين تلاميذه أحمد بن القاضي المكناسي[3]، والذي سيصبح ضمن طبقة رجال فاس المؤثرين، كما أخذ عنه الشيخ الإمام ...عبد الواحد ابن أحمد ابن عاشر الأنصاري...، والشيخ أبي محمد عبد الله بن علي الحسني السجلماسي...، والشيخ الإمام مفتي الحضرة الفاسية وخطيب جامعها الأعظم أبي العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني ...، إلى غير واحد من الأكابر الأعلام ومشايخ الإسلام كلهم مطبقون على تعظيمه وتفضيله وتقديمه، يلهجون بتحقيقه ويثنون على سداد طريقه ويفتخرون بنقل علومه[4] .

➢ أبو المحاسن يوسف بن محمد الفاسي (ت 1013_1604م)[5]

ينتسب الشيخ أبو المحاسن لأسرة بني الجد التي هاجرت من الأندلس، وأول من وصل منهم إلى فاس الأخوان عبد الرحمن وأحمد اللذان سكنا عدوة القرويين، وبعد وفاتهما سنة 887هـ/82-1483م، بقي على رأس الأسرة يوسف بن عبد الرحمن الملقب بأبي الحجاج والذي عمل في التجارة وتردد طويلا بين فاس والقصر الكبير، لذلك حمل لقبي القصري بداية ثم الفاسي وهذا الأخير هو المشهور به.

ورغم أن ولادته ونشأته الأولى كانتا بالقصر الكبير، إلا أن انتسابه في علوم الظاهر والباطن كان لمدينة فاس، وبها كانت جل أنشطته العلمية والصوفية، فنسبته إلى فاس فاقت انتمائه إلى مدينة القصر الكبير، وللشيخ رحلتان إلى مدينة فاس (والتي اتخذها مستقرا)، وأدرك بها جماعة من العلماء[6]، أبرزهم: أبو محمد عبد الوهاب بن محمد الزقاق[7]، والشيخ أبو زيد عبد الرحمن الدكالي (ت962هـ)، والشيخ محمد بن خروف التونسي(ت 966هـ)، ومحمد بن عبد الرحمن ابن جلال التلمساني[8]. ويعتبر الشيخ عبد

---

[1] - انظر ، محمد العربي بن يوسف الفاسي ، **مرآة المحاسن ...** ،م.س. . ص 130

[2] - **المصدر نفسه.** (قسم الدراسة) ص39

[3] - انظر ، محمد الصغير الإفراني ، **صفوة ما انتشر...** ، م.س. ص63

[4] - محمد القادري ، **نشر المثاني...** ج1 ، ص 87

[5]- وردت ترجمته في العديد من المصادر والمراجع أهمها: محمد العربي، **مرآة المحاسن...** م.س. ص73 وما بعدها؛ محمد الصغير الإفراني، **صفوة ما انتشر...**، م.س.ص ص 78-80؛ محمد المهدي الفاسي، **ممتع الأسماع ...**، م.س. ص ص161-171؛ محمد بن الطيب القادري، **نشر المثاني...**، م.س. ج1 ص ص161 -163؛ **التقاط الدرر...**، م.س. ص ص 43-44؛ عبد الله بن محمد الفاسي(ت1131هـ)، **الإعلام بمن غبر...**، ص ص 60-62؛ نفيسة الذهبي، **الزاوية الفاسية – التطور والأدوار**، ص ص 73-79.

[6] - انظر، محمد العربي ، **مرآة المحاسن...**، م.س. ص ص74-76

[7] - كان فقيها وخطيبا بجامع الأندلس بفاس، وكان مدرسا يشرح لطلابه مختصر الشيخ خليل، توفي شهيدا بفاس سنة 961هـ .

[8] - مفتي وخطيب جامع القرويين، ولد بتلمسان ورحل إلى فاس حيث استقر بها، خطب بجامع الأندلس والقرويين، توفي بفاس سنة 981هـ.

الرحمن المجذوب شيخه في طريق التصوف وعلم الباطن، وإليه ترفع سلسلة سنده في الطريقة الشاذلية[1]، فهو وارث لمقامه، وإلى الشيخ أبي المحاسن انتهت المشيخة بعد وفاة الشيخ المجذوب، إذ كان من صدور المقربين وعظماء العارفين، وأصحاب الحقائق والمعارف والتصريف وخرق العوائد والتمكين، وممن جمع له بين علمي الشريعة والحقيقة، وإليه انتهت رياسة هذا الشأن[2]؛ وبذلك يكون الشيخ قد جمع بين علوم الباطن والظاهر، فانعكس ذلك على تصوفه وسلوكه، حيث كان عالما في علوم التوحيد والمنطق والكلام والفقه والفلسفة والتصوف والتشريع، مما جعله مقصد السؤال والفتوى بدليل الرسائل والأجوبة التي كانت بينه وبين العلماء والعامة[3]. وللمكانة التي بلغها الشيخ، فقد وجد فيه أصحاب رضوان الجنوي مقصدهم بعد وفاة شيخهم عبد الرحمن المجذوب، فانتقلوا لصحبة الشيخ أبي المحاسن وخدمته[4] .

وبذلك تجسد في شخصية أبي المحاسن علمي الفقه والتصوف، فنال لقب والد الطريقة الصوفية الشاذلية في فاس وإمامها[5]، كما عبر عن ذلك صاحب مؤلف "التقاط الدرر" حين ذكر خبر وفاته بالقول"**هو إمام الطائفة الشاذلية بوقته**"[6] .

والشيخ أبو المحاسن هو صاحب الزاوية الفاسية الأولى بمدينة فاس (زاوية المخفية)، والزوايا المتعددة بمدينتي القصر الكبير وتطوان، ويعتبر من أهم رجال التصوف خلال المرحلة الحديثة، وهو أب وجدّ العديد من رجال وأعلام التصوف والفقه بمدينة فاس بالخصوص، كما أنه شيخ جل علماء وصلحاء المغرب ممن عاصروه، إذ لا يمكن أن تخلو سلسلة مشيخة أي عالم من علماء من عاصروه من التتلمذ على يديه إلا ما ندر، سواء في علوم الظاهر أو الباطن، فلو أردنا تعداد من تلقوا العلم على يديه سنجدهم بالآلاف ، ففي كتاب **"شجرة النور الزكية في طبقات المالكية"**[7] ، وهو كتاب اختص في ذكر علماء الظاهر، نجد أن الشيخ أبا المحاسن كان أشهر علماء القرن العاشر وأوائل الحادي عشر الهجري إلى وفاته، حيث أن مكانته لم تقتصر على التصوف بل شملت العلوم الشرعية فتركت أثارها على التصوف والفقه بالمغرب عامة وبفاس خاصة[8].

وتتمثل تأثيرات الشيخ أبي المحاسن من داخل فاس، من خلال دوره في الحفاظ على مكانة فاس العلمية، وذلك من خلال نشاطاته العلمية والتعليمية بها، فكان مصدر جذب للعلماء والطلبة من أنحاء المغرب، كما كان له دور في استقرار وبقاء العديد منهم في المدينة، خاصة في ظل الظروف السياسية التي كانت تمر منها المدينة، مما يؤكد التشجيع المحلي في إطار الظرفية الفكرية العامة التي اعقبت انتقال

---

[1] - انظر، محمد العربي، **مرآة المحاسن**... ، م.س. ص، 73 ؛ حيث يروي محمد العربي عن أول لقاء كان بين الشيخ أبي المحاسن بشيخه المجذوب .

[2] - عبد الله بن محمد الفاسي، **الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر**، م.س.ص 60

[3] - محمد العربي الفاسي،**كتاب مرآة المحاسن ....** م.س ، (قسم الدراسة)، ص7

[4] - نفيسة الذهبي، **الزاوية الفاسية** ، م.س. ص44 .

[5] - محمد العربي الفاسي، **مرآة المحاسن ....**، (قسم الدراسة)، ص7 .

[6] - انظر، محمد القادري، **التقاط الدرر...**، م.س. ص ص 43-44 .

[7] - انظر، محمد مخلوف: **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية** ، تحقيق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، ط1، سنة 2003م (جزءان) .

[8] - نشير هنا أن تأثيرات الشيخ أبي المحاسن على التصوف والعلوم لم تنحصر بمدينة فاس، بل امتدت خارجها، وإن كان دوره في الداخل كان أقوى وأكبر بحكم استقراره بفاس، لذلك صنفناه ضمن الفئة المؤثرين من داخل مدينة فاس .

العاصمة لمراكش والعمل على استقطاب العلماء للمحافظة على التألق الثقافي في العاصمة العلمية[1]، وقد سبق الحديث عن خطوة الشيخ في الإنتقال إلى فاس والتي حافظت على مكانة هذه المدينة وقوة تأثيراتها، رغم الظروف التي كانت تمر منها المدينة، وعموما، ستبرز مكانة الشيخ وفضله وتأثيره المباشر على العديد ممن أصبحوا علماء ورؤساء زوايا فيما بعد، أبرزهم: عالم الزاوية الدلائية محمد بن أبي بكر الدلائي الذي حل بفاس فأخذ عنه أبي عهد الشاذلية، كما أخذ عنه الكثير من الطلبة والعلماء الفقه والتصوف، منهم: أبناؤه أحمد وعلي والعربي، وأخوه عبد الرحمن العارف، والشيخ محمد بن عبد الله معن، الذين سيتخذون مواقعهم ضمن رجال فاس المؤثرين فيما بعد .

كما تتمثل تأثيرات الشيخ أبي المحاسن خارج فاس، وتحديدا في مدينة القصر الكبير، التي تعتبر مجال الامتداد الروحي للزاوية الفاسية، ففي هذه المدينة نشأ شيخها المؤسس، وبهذه الحاضرة تكونت شخصيته الصوفية والعلمية، حيث اشتغل الشيخ أبو المحاسن بعد عودته إليها بالتدريس والإفتاء خصوصا أنه قضى بها أزيد من عشرين سنة[2]، إذ يصف صاحب مرآة المحاسن تلك المجالس بكونها ساهمت في أن نفع الله بها خلقا كثيرا، وسرت المعرفة بأمور الدين في العامة... فاستقل في ذلك القصر برياسة العلم والدين، متفردا في ذلك فكان إماما متبوعا[3]؛ وهنا وجب التأكيد أن الشيخ أبا المحاسن مارس تأثيراته من داخل مدينة فاس ومن خارجها بالقصر الكبير، إذ إن مدة إقامة الشيخ بالقصر، والتي تعدت العشرين سنة، كانت كافية لجعل التأثيرات الفاسية في التصوف والعلوم الشرعية تمتد إلى هذا المجال ، خصوصا وأن بعد رحيل الشيخ إلى فاس وتأسيس زاويته بالمخفية ظلت تجمع بينه وبين القصر الكبير أواصر القرابة والصحبة، والانتساب، والمشيخة، والسند وغير ذلك، كما أن اتصاله بهم لم ينقطع قط فهو يزورهم كل سنة عند ذهابه لزيارة ضريح الشيخ أبي سلهام، كما كان يرتب أمور التنسيق مع ولده أبي الحسن علي الذي ترأس الزاوية ، وسهر على نشاطها وعلى تنظيم أمورها في التسيير وفي التربية ، متبعا في ذلك ماكان يحدده والده في فاس، كما يتضح من خلال بعض المراسلات التي كانت تصله منه[4]؛ وفي تطوان، وبالرغم من عدم تواجد الشيخ بهذه الأخيرة، إلا أن تأثيراته ظلت عبر قيميين يأتمرون بأوامره ، حيث ظل الاتصال بين رؤساء فرعي زاوية تطوان والشيخ أبي المحاسن مستمرا[5]، فهذا الشيخ محمد أنوار الأندلسي- والذي كان قيما على زاوية العيون ـ ظل في ارتباط بشيخه أبي المحاسن، إذ كان يتصل بشيخه في فاس ويسافر إليه كلما دعت الأمور إلى أخذ رأيه ، فينفذ كل ما يأمر به من تعاليم ووصايا[6].

---

[1]- نفيسة الذهبي، مظاهر وتجليات ...، ضمن ندوة "**فاس والمجالات الحضرية بالمغرب**" ، م.س. ص124

[2]- انظر، محمد العربي ، **مرآة المحاسن**...، م.س. ص 77 .

[3]- محمد العربي، **المصدر نفسه** ، ص 76-77 .

[4]- انظر، نفيسة الذهبي ، **الزاوية الفاسية** – التطور والأدوار... ص ص 151- 152

[5]- المرجع نفسه... ص ص 159- 162 .

[6] - المرجع نفسه ، ص 159 .

➢ أحمد بن القاضي المكناسي (ت1025هـ/1616م)[1]

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد ين علي بن أبي العافية المكناسي، نسبة إلى مكناسة القبيلة الزناتية (وليس مدينة مكناس)، فاسي المنشأ والمولد، إذ ولد سنة 960هـ/1553م بمدينة فاس ونشأ بها[2]، الشهير يابن القاضي، فهو ابن قاضي الجماعة بفاس في وقته (محمد بن عبد الله)[3]، وعنه حمل لقب القاضي.

يعتبر الشيخ أحمد بن القاضي رجل علم أكثر منه رجل تصوف، لكن بحكم ارتباط علومه بمجال التصوف ورجاله، جعلناه ضمن هذه الفئة، فهو نموذج للذين أثْروا الحركة الصوفية الفاسية وتكلموا في ثقافتها وفكرها، فقد درس بفاس على يد أكابر علمائها مثل القصار، وأحمد المنجور(ت995هـ)، والسراج... وغيرهم[4]، كما كان يتردد إلى الشيخ أبي المحاسن ويحضر مجالسه[5]؛ اتخذ الرحلة في المشرق والمغرب، وجمع بين العلم والسياسية في عهد الدولة السعدية، إذ رحل للحجاز فحج ثم دخل مصرا لطلب العلم، ثم عاد للمغرب؛ وبعد فترة قصيرة من رحلته الأولى وفي عام 994هـ وأثناء رحلة ثانية للمشرق تعرض للأسر بيد النصارى، أثناء ركوبه البحر فافتداه المنصور بمال جزيل بعد مشقة.... دام أسره أحد عشر شهرا[6] .

وبعد هذه المحنة التي تعرض لها، عاد إلى مسقط رأسه فاس واشتغل بالتدريس، قبل أن يشد الرحلة إلى الزاوية الدلائية، وهنا سيمارس تأثيراته من خارج مجال فاس، إذ أقام بالزاوية الدلائية مدة غير قصيرة يدرس العلم ويفيد الطلبة، فأخذ عنه محمد بن أبي بكر الدلائي وإخوته، ثم عاد إلى مدينة فاس فاشتغل بتدريس "صحيح البخاري" في جامع الآبارين بفاس، فكان الذي يسرد الحديث بين يديه هو الشيخ عبد الواحد بن عاشر صاحب "المرشد المعين"، ويحضر مجالسه الحديثية الحافظ أحمد بن يوسف الفاسي، والإمام المقرئ صاحب "نفح الطيب" وغيرهما من أكابر العلماء[7] .

---

[1]- انظر، الصغير الإفراني، **صفوة ما انتشر**، م.س. ص ص150- 151؛ محمد بن الطيب القادري، **نشر المثاني**...،م.س. ج1،ص ص 213-216 ، وفي **التقاط الدرر**.، م.س. ص 70-71؛ عبد الله بن محمد الفاسي، الإعلام ...م.س. ص ص 124- 127؛ محمد الكتاني، **سلوة الأنفاس** ...م،س، ج3، ص ص163-165؛ محمد حجي، **الزاوية الدلائية**، م.س.ص ص92-99 (ذكره محمد حجي طبقة اساتذة **الزاوية الدلائية** من غير أبنائها) .

[2]- لم تذكر المصادر مكان مولده، إلا أن : محمد حجي **الزاوية الدلائية** ص 92، يذكر أنه ولد بفاس، بينما الجهة التي تكلفت بتحقيق وتقديم جذوة الاقتباس، ص 5 ، وهي دار المنصور للطباعة والنشر، ذكرت أنه ولد بمكناس، والمرجح أنه ولد بفاس، لأن والده القاضي ولد بفاس واشتغل بها مدة طويلة كما توفي بها .

[3]- ولى القضاء بفاس بضعا وثلاثين سنة، ولم يتفق لأحد القضاة بها هذه المدة إلا له، انظر نرجمته: **سلوة الأنفاس**...، ج2، ص ص 91-92 .

[4] - انظر، عبد الله بن محمد الفاسي، **الإعلام...** ص 124، إذ يذكر المؤلف مجموعة من علماء المغرب والمشرق الذين أخذ عنهم ابن القاضي محتلف علومه .

[5] - محمد الكتاني ، **سلوة الأنفاس...** ،م.س. ج3، ص 164

[6] - انظر، محمد بن الطيب القادري ، **التقاط الدرر** ، م.س. ص 70 -71 ، محمد الكتاني، **سلوة الأنفاس** ، ج3 ص 165

[7] - انظر، محمد حجي، **الزاوية الدلائية**، م.س.ص ص92-94؛ الإفراني، **صفوة ما انتشر**، م.س. ص ص150-151؛ محمد الكتاني، **سلوة ..**، ج3 ص 165

له مؤلفات عديدة في عدة مجالات: في الفقه، والفرائض، والتفسير، والمنطق، والحساب، والهندسة، والتاريخ، والتراجم ، وغير ذلك[1] ؛ من بين أشهر مؤلفاته : "**جذوة الاقتباس فيمن حل من الاعلام مدينة فاس"،** و"**درة الحجال**"، و"**المنتقى المقصور على مآثر المنصور**"، و "**لقط الفرائد**"[2] .

➢ عبد الرحمن بن محمد الفاسي "العارف" (ت1036هـ/1626م)[3]

هو أخو الشيخ أبي المحاسن الفاسي، الملقب ب"العارف"، ولد بالقصر الكبير سنة 972هـ/ 1556م وفيها نشأ، ربي في حجر أخيه الشيخ أبي المحاسن الفاسي وتتلمذ على يديه، فنال النصيب الأوفر من التربية الصوفية عنه[4]، نسب لمدينة فاس وبها سكن وفيها مات؛ كانت أولى رحلاته العلمية إلى مدينة فاس–كما باقي آل الفاسي- سنة 986هـ/1570م، وذلك لاستكمال التحصيل والطلب، فأخذ عن كبار علماء عصره، كأبي زكرياء يحيى بن محمد السراج مفتي فاس وخطيب جامع القرويين، وأبي محمد عبد الواحد الحميدي قاضي الجماعة وخطيب السلطان بالمدينة البيضاء، والإمام المنجور المرجوع إليه في الأصلين والبيان والمنطق، وأبي العباس القدومي شيخ النحاة والمقرئين...[5]، كما لازم الإمام محمد بن قاسم القصار وصحبه، وعنه نال جل معارفه ، فهو يحيل عليه في العديد من المسائل، وينوه به ويشهد له ويستشهد به كثيرا، اذ قرأ عليه كتب الصحاح والشمائل ورسالة ابن أبي زيد، وجلّ "الشفا" للقاضي عياض، ومختصر خليل وشرح "الألفية" للمرادي ، وقد أجازه في جميع ما يحمله وما يصح له عنه روايته[6]، كما أخذ عن أخيه أبي المحاسن والذي لازمه مدة طويلة، واقتصر بعد تضلعه في العلوم على الأخذ عنه والحضور بمجلسه والسلوك على يديه، فأخذ عنه كثيرا من التفسير والحديث والتصوف وغير ذلك[7]، كما حرص الشيخ أبي المحاسن على تربيته تربية علمية وصوفية، إذ أمره بتدريس الرسالة بالمسجد المعلق[8]، وقد دامت مدة استكمال التكوين العلمي للشيخ عبد الرحمن ما يربو على ثلاثا وعشرين سنة ، قدم فيها كل آداب المريد السالك في التربية من خدمة وملازمة مرور بالأحوال لبلوغ المقامات، ليصل إلى درجة المشيخة والوراثة[9]، إذ وقع له الفتح على يديه؛ ولما توفي شيخه أبي المحاسن كان وارث طريقته في التصوف فتأهل للمشيخة وانتصب داعيا إلى الله، ليتفرد في آخر عمره بالإمامة في العلم والعرفان[10]، وانتفع به ناس

---

[1] - للاطلاع انظر، محمد حجي ، **الزاوية الدلائية** ، ص ص 98-99

[2] - انظر نبذة عن هذه التآليف ، **المرجع نفسه** ، ص ص 94-97

[3] - انظر، محمد المهدي الفاسي، **ممتع الأسماع** ...، ص ص190-193؛ محمد العربي بن يوسف الفاسي، **مرآة المحاسن**، ص ص207- 209 ؛ **نشر المثاني**،ج1، م.س.،ص ص266-269؛ محمد بن عيشون الشراط، **الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس**، دراسة وتحقيق زهراء النظام، منشورات كلية الآداب بالرباط (ضمن رسائل وأطروحات) ط1، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء ، سنة 1997م، ص ص 110-115؛ الإفراني، **صفوة ما انتشر**، م.س.،ص ص88- 90؛ نفيسة الذهبي، **الزاوية الفاسية**، التطور والأدوار...، ص ص 179- 192

[4] - محمد العربي بن يوسف الفاسي، **مرآة المحاسن** ، ص 207

[5] - **المصدر نفسه**، ص208

[6] - **المصدر نفسه**، ص208

[7] - انظر، محمد المهدي الفاسي، **ممتع الأسماع** ، ص191 ؛ محمد العربي الفاسي ، **مرآة المحاسن...، م.س.** ص208

[8] - محمد المهدي الفاسي ، **ممتع الأسماع** ، ص191

[9] - نفيسة الذهبي ، **الزاوية الفاسية** – التطور والأدوار، ص ص179- 180 .

[10] - القادري: نشر المثاني ، ج1 ، م.س. ص 267 ؛ محمد العربي، **مرآة المحاسن** ، ص208 - 209

كثيرون وظهر ظهورا عظيما، ولم يذكر أحد معه في علة الشريعة ولا في الطريقة[1]؛ وبذلك جمع الشيخ علوم الظاهر والباطن ليستحق لقب "العارف" الذي اشتهر به .

وقد ساهم الشيخ عبد الرحمن الفاسي في تثبيت أركان الطريقة الفاسية ونشر مبادئها وتوسيع نطاق إشعاعها، سواء في مقر الزاوية المخفية أو مسجد الشرفاء، حيث كان يلقي دروسه ويحيي مبادئ الطريقة أو في مقره بزاوية القليلقيين، وهذا المقر الأخير للطريقة الفاسية زاد من شهرة الشيخ وشدة الإقبال عليه بسبب ما كانت عليه الزاوية الفاسية في وقته.

وقد حرص الشيخ على إدارة شؤون الزاوية والقيام بوظيفته العلمية والصوفية، ففي الجانب الصوفي، حرص الشيخ العارف على القيام بمجموعة من النوافل والذكر وترديد الأحزاب والوظائف الصوفية وإحياء المناسبات الدينية. وفي الجانب العلمي، اجتهد في المحافظة على أصول علم الظاهر، فظلت الزاوية مفتوحة لمجالس الدرس وخاصة في علمي التفسير والحديث وكانت له في ذلك مشاركة حقيقية[2]، فتصدى للإمامة والتدريس، وعقد فيها مجالس الحديث، وقصده الناس للأخذ عنه وحضور مجالسه والتبرك به، وقراءة أحزاب الطريقة الفاسية[3] .

إن هذا الحضور الصوفي اللافت للشيخ العارف بمدينة فاس جعله محط احترام وتقدير العامة والخاصة من أهل هذه المدينة له ولزاويته، فكانت له مكانة اجتماعية منحته قاعدة شعبية حقق بواسطتها الائتلاف وسط النسيج المجتمعي في فاس، الذي كان يعاني من تقلبات عديدة بين العهدين السعدي المتأخر والعلوي الأول[4]، إذ شارك أهل فاس محنهم، فكان يسعى دائما لبسط السلام بين الفرقاء وسد الثغرة بين المخزن والسلطة ومجتمع فاس، وهذا يظهر أن دور الشيخ لم يتوقف عند المجال الديني والصوفي، بل كان له حضور اجتماعي وسياسي وازن، رغم بعده عن السلطة ورجالها، فاستطاع أن يجنب المدينة وأهلها الفتن والصراع، فكان الصلح بين مختلف الفرقاء، فلطالما قام الشيخ بدور الوساطة لخدمة مصالح أهل فاس وحل قضاياهم، من ذلك ذهابه مع القاضي أبي القاسم بن أبي النعيم الغساني إلى فاس الجديد بقصد المصالحة بين صاحبها وبين أهل فاس، والتوسط لبعض الجناة في طلب الشفاعة، كما جعل زاويته ملجأ للحماية، إذ كان ممن قصدها رئيس الزراهنة علي بن عبد الرحمن، كما استقبل فيها بعض الرؤساء الذين أثاروا غضب السلطان بسلوكهم...[5] .

لقد لعب الشيخ العارف دورا محوريا داخل فاس دينيا وسياسيا، انعكس على مكانة الرجل وزاويته، التي أصبحت مركز استقطاب علمي وصوفي، فشكل ذلك رأسمال رمزي للزاوية ولشيخها،

---

[1] - محمد المهدي ، **ممتع الأسماع** ، ص 193

[2] - انظر، نفيسة الذهبي، **الزاوية الفاسية** – الوظيفة والأدوار، ص ص182- 183

[3] - محمد العربي الفاسي ، **مرآة المحاسن** ، ص209

[4] - نفيسة الذهبي، مظاهر وتجليات ...، ضمن ندوة "**فاس والمجالات الحضرية بالمغرب**" م.س.ص125

[5] - نفيسة الذهبي، **الزاوية الفاسية** – الوظيفة والأدوار، ص 191

فانقادت إليه الرياسة بحضرة فاس وانفرد بها، واحتاج إليه السلطان فمن دونه، ونفذت كلمته، وكان مرجوعا إليه في كل مهم، متبوعا في كل ما يقصد، إلى أن توفي سنة 1036هـ/1626م[1] .

وقد كان للشيخ العديد من الأتباع، إذ قصده الناس من مختلف مناطق المغرب لتلقي علوم الظاهر والباطن، ومن أشهر الأعلام الذين تتلمذوا على يديه نذكر: محمد بن أبي القاسم بن سودة (ت1015هـ)[2]، أحمد بن علي بن محمد البوسعيدي (ت1046هـ)، ومحمد العربي بن يوسف الفاسي، ومحمد بن أحمد ميارة الفاسي، كما ترك تواليف وأجوبة وتقاييد وطرق كثيرة في أنواع العلوم[3] .

- **محمد بن عبد الله معن الأندلسي (ت1062هـ/1652م)[4]**

هو الشيخ محمد بن محمد بن عبد الله الذي ينتمي إلى أسرة أندلسية فاسية، حيث وردت أسرة "آل معن" من الأندلس، واستقرت بحومة المخفية بعدوة الأندلس[5]، اشتهرت ضمن أعيان مدينة فاس وأثرياء تجارها، حيث كان أبو محمد تاجرا مرموقا بقيسارية فاس، وُلد له ابن وحيد هو محمد مؤسس الزاوية المعنية، وذلك حوالي 978هـ/1571م بحومة الحفارين من عدوة فاس القرويين .

وقد ساعدت الظروف المادية الشيخ محمد على الاهتمام بالعلم، فرغم تعاطيه للتجارة كان يميل إلى اكتساب العلم، حيث حفظ القرآن منذ صغره وحفظ المتون، واطلع على الأمهات الأساسية في علوم اللغة والفقه والحديث، حتى بلغ درجة التأهل والمشاركة في التدريس والتأليف والانتساخ، وتدل على ذلك الإشارة إلى بعض تفاسيره وكلامه في العقائد إلى جانب عنايته بالأدب[6].

وقد كان أول أماكن اعتكاف الشيخ محمد للتعبد مسجد الحفارين، قبل انتقاله لحومة المخفية، ويظهر أن الشيخ محمد بن عبد الله وجد في نفسه ميلا شديدا لسكنى حي المخفية، حيث كانت رغبته هذه وراء انتقال أهله إليه سنة 1023هـ/14- 1615م[7]، فكان هناك لقاءه بالشيخ أبي المحاسن الذي صحبه، وبعد وفاته صحب أخاه ووارث سره عبد الرحمن الفاسي "العارف" فلازمه واختص سنين عدة، وهذه الصحبة مكنت الشيخ محمد معن من أن يصبح عالما عارفا في علوم الحقيقة والشريعة، إذ شهد له بها أكبر علماء فاس وهما: الشيخان أبو المحاسن، وعبد الرحمن العارف .

---

[1] - انظر، محمد العربي، **مرآة المحاسن**، ص 209؛ نفسية الذهبي، مظاهر وتجليات.، ضمن ندوة **"فاس والمجالات الحضرية بالمغرب"**، م.س ص126

[2] - انظر، عبد الله بن محمد الفاسي، **الإعلام بمن غبر...**، م.س. صص78-79

[3] - محمد المهدي الفاسي ، **ممتع الأسماع** ، ص 193

[4] - انظر، محمد المهدي الفاسي، **ممتع الأسماع**، م.س. ص ص193-210 ؛ الإفراني، **صفوة...**، م.س. ص 115؛ محمد الشراط، **الروض العطر الأنفاس..**، م.س. ص ص 115-135؛ القادري، **نشر المثاني** ، ج2 ص 55-58؛ **التقاط الدرر**، ص ص 130-131؛ أحمد بن محمد الولالي، **مباحث الأنوار في أخبار بعض الأخيار**، دراسة وتحقيق عبد العزيز بوعصاب، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 46، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط الأولى 1999م، ص ص 292- 296 ؛ نفيسة الذهبي، **الزاوية الفاسية: التطور والأدوار** ..ص ص194-196.

[5] - عبد الأحد السبتي، **النفوذ وصراعاته في مجتمع فاس**.ص65

[6] - انظر، نفيسة الذهبي ، **الزاوية الفاسية**- التطور والادوار.. ص194

[7] - اقترن مكان سكناهم الجديد "حومة المخفية" بنسبتهم، فباتت تعرف بحومة أولاد سيدي محمد بن عبد الله أو بحومة العبدلاويين، وهذا اللقب غلب لقب "معن" الذي حمله بيت محمد بن عبد الله ؛ انظر، عبد الكبير الكتاني، **روض الأنفاس العالية في بعض الزوايا الفاسية**، دراسة وتحقيق محمد العمراني، دار ابن حزم بيروت، الناشر دار الأمان، ط1 سنة 2014، ص231 .

وفي خضم تتلمذ الشيخ محمد معن وصحبته للشيخين أبي المحاسن وعبد الرحمن العارف، كان (محمد معن) من أكبر داعمي الزاوية والطريقة الفاسية من الناحية المادية، حيث قام بعد وفاة والده بصرف متروك أبيه في خدمة شيوخ الزاوية الفاسية وفقرائها ومريديها، خصوصا أن والده لم يترك وارثا إلا زوجته وولدهما، فجعل ينفق ما ورثه عنه في جانب الشيخ أبي المحاسن ووارثه عبد الرحمن العارف وفي الفقراء والمساكين، حتى لم يبق بيده منه شيء[1] .

وقد مارس الشيخ تأثيراته من داخل مدينة فاس، فحمل إلى جانب رفيقه الشيخ العارف الفاسي مسؤولية نشر الطريقة الفاسية بعد وفاة شيخها أبي المحاسن، إلا أن دوره المحوري وسط التصوف الفاسي لم يبرز بقوة إلا بعد أن اختص بوراثة الطريقة الفاسية بعد وفاة شيخه العارف، فأخذ رئاسة زاوية المخفية ورئاسة الطريقة الفاسية، ليزداد هذا الدور بعد انفراده وتأسيسه لزاويته الخاصة سنة (1038هـ/1628-1629م) الزاوية المعنية، فكثر الإقبال عليه وعلى علمه، حتى أنه كان شيخ العديد من العلماء سواء في علوم الظاهر أو الباطن، منافسا في ذلك الشيخ عبد القادر الفاسي، بل أكثر من ذلك فالشيخ ابن معن هو شيخ عبد القادر الفاسي والعديد من أبناء الأسرة الفاسية، إذ إن محمد بن عبد الله هو الذي لقن التربية الصوفية لعبد القادر الفاسي ولرجال آخرين من بيت الفاسيين الفهريين[2] .

➢ أبو عبد الله محمد ميارة (ت1072هـ - 1661م)[3]

هو الفقيه مَحمد، بفتح أوله، أبو عبد الله ميارة الفاسي أصلا ومنشأ ودارا ومزارا، عالم فقيه كان متقنا للنوازل والأحكام، إلى جانب اعتنائه بالتقييد والتدريس، خلف تراثا علميا يدل على رسوخ قدمه في الفقه والنوازل، فهو شيخ المذهب المالكي وحامل لوائه ؛ حلاه تلميذه أبو سالم ب " الشيخ العلامة الدراك الفهامة، الفقيه المتفنن"[4] .

أخذ العلم عن كبار علماء عصره منهم: عبد الواحد بن عاشر، وأحمد المقري، ومحمد العربي الفاسي، والقاضي ابن أبي النعيم[5]، كما أخذ عن الرحمن الفاسي العارف، الذي انتفع به فلازم القراءة عليه والسماع منه، فأجازه العارف فيما يصح له وعنه[6]، وقد تمكن من مختلف العلوم الشرعية، فدرس وأفتى وألف وقيد، حيث ترك العديد من المؤلفات على رأسها "شرح المرشد المعين"، و"زبدة الأوطاب في اختصار الخطاب"، و"شرح تحفة ابن عاصم" في نحو أربعين كراسة ، و"شرح لامية الزقاق"...[7] .

---

[1] - انظر، محمد المهدي الفاسي، **ممتع الأسماع...**، م.س. ص 195- 196؛ محمد بن عيشون الشراط، **الروض العطر** ...، م.س. ص 118

[2]- عبد الأحد السبتي، **النفوذ وصراعاته ...**، ص65

[3] - انظر، أبو سالم العياشي، **اقتفاء الأثر...**، م.س. ص ص 114- 115؛ القادري ، **نشر المثاني**، ج 2 ص 120- 121، و**التقاط الدرر**، ص 141؛ عبد الله بن محمد الفاسي، **الإعلام بمن غبر** ..، م.س. ص ص181-183؛ الأفراني ، **صفوة ما انتشر**، م.س. ص ص 250-251 ؛ الكتاني، **سلوة الأنفاس..، م.س.** ج1 ، ص ص165-167

[4] - أبو سالم العياشي ، **اقتفاء الأثر**..، م.س. ص 114.

[5] - عبد الله الفاسي الفهري ، **الإعلام بمن غبر...** ، م.س. ص 181

[6] - انظر، القادري، **نشر المثاني...**، م.س. ج 2 ، ص 121

[7] - عبد الله الفاسي ، **الإعلام بمن غبر** ، ص 182

كان له حضور قوي في جانب العلوم الدينية ومجالسها، فكان من المؤثرين في حركة التصوف العلمي في وقته، إذ أثنى عليه غير واحد من الأصحاب المعتبرين، كالإمام أحمد بن علي السوسي، وأبي العباس الآبار، وأبي حامد محمد العربي الفاسي، وأبي عبد الله محمد المرابط الدلائي، وغيرهم[1]، فمما قاله فيه محمد المرابط الدلائي ناظما :

يا واحدا في دوحة المجـــد والمستضيء بطالع السعد

إن الأفاضل في الورى نظموا عقدا وأنت يتيمة العقد[2]

وقد أهلته هذه المكانة إلى تصدر مجالس العلم، فانتفع به خلق كثير، على رأسهم : أبو عبد الله بن محمد العياشي الزياني المالكي (1073هـ)، والمؤرخ الإفراني ، وأبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي، الذي ذكره ضمن أبرز شيوخه الذين أخذ عنهم بمدينة فاس، فسمع عليه جملة من كتب الفقه، كما أجازه في جميع مروياته وكتب له ذلك بخطه[3]، كما أخذ عنه أبو زيد عبد الرحمن بن أبي محمد عبد القادر الفاسي الذي لقبه بشيخ المذهب وحامل لوائه، والبدر المشرق في سمائه، العلامة الفهامة النوازلي[4] .

➢ عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي (ت 1090هـ/1680م)[5]

هو أبو محمد عبد القادر بن علي بن يوسف بن محمد بن يوسف الفاسي، فاسي الدار والشهرة، قصري المولد، إذ ولد بدار جده أبي المحاسن بالقصر الكبير سنة 1007هـ/1599م، تكفّل والده بتعليمه منذ صغره جملة عن العلوم، قبل أن يشد الرحال لديار فاس، التي استقر بها سنة 1616/1025م، حيث كان أول نزوله بفاس بالمدرسة المصباحية[6]، متما دراسته على أيدي أبرز علمائها وقتئذ[1]، وقد بدت علامات ميوله الصوفية خلال هذه المرحلة ، فلازم عم والده وطلب الدخول في جماعته[2] .

---

[1] - القادري، **نشر المثاني.....** ، م.س. ص 120 .

[2] - **المصدر نفسه،** ص 121

[3] - انظر ، أبو سالم العياشي ، **اقتفاء الأثر....**، م.س. ص 114

[4] - القادري ، **نشر المثاني**....، م.س. ج2 ص 121 .

[5]- انظر ترجمته: الحسن الويشمي ، دراسة وتحقيق لكتاب "**تحفة الأكابر بمناقب الشيخ سيدي عبد القادر**" ل "أبي زيد عبد الرحمن الفاسي"، م.س. القسم الأول والثاني ؛ أبو سالم العياشي، **اقتفاء الأثر ....** ،م.س.، ص ص110- 112 وص ص 142-143؛ القادري، **نشر المثاني**، م.س.ج2 ص ص 270-279؛ القادري، **التقاط الدرر**، م.س. ص ص217-218؛ أحمد بن محمد الولالي، **مباحث الأنوار في أخبار بعض الأخيار**، ص ص 296- 298؛ الإفراني،**صفوة ما انتشر**، م.س. ص ص310-314؛ محمد بن عيشون الشراط، **الروض العطر الأنفاس ..**، م.س. ص ص 262-263؛ امحمد الفاسي، **المورد الهني...**، م.س.ص ص 17-20؛ نفيسة الذهبي، **الزاوية الفاسية**: التطور والأدوار.. ص ص205- 213 ؛ عبد القادر الفاسي، **مفتاح الوصول إلى علم الأصول للشيخ محمد الطيب الفاسي في شرح خلاصة الأصول**، دراسة وتحقيق ادريس الفاسي الفهري، طبع ونشر دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث ، دبي الإمارات المتحدة ط1 سنة 2004م ، (قسم الدراسة) ص ص27- 37؛ عبد القادر الفاسي، **الأجوبة الصغرى،** دراسة وتحقيق علي بن أحمد الإبراهيمي منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب، طباعة ونشر دار أبي رقراق الرباط ط1، سنة 2007،(قسم الدراسة) ص ص 33-146؛ ، عبد القادر الفاسي ، **الأجوبة الحسان في الخليقة والسلطان**، دراسة وتحقيق المهدي المصباحي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب ، طبع دار أبي رقراق للطباعة والنشر ، ط1 سنة 2014م ، (قسم الدراسة) ص ص 107- 122؛ أبي سالم العياشي، **فهرست عبد القادر الفاسي**، دراسة وتحقيق محمد بن عزوز طبع ونشر دار ابن حزم ، بيروت لبنان ومركز التراث الثقافي المغربي الدار البيضاء ، سلسلة فهارس علماء القرويين بفاس رقم 1، ط1 سنة 2003م، (قسم الدراسة) ص ص 17- 70 .

[6] - محمد الفاسي، **المورد الهني...**، م.س. ص18

وتعتبر الزاوية الفاسية وما ضمته من مجالس العلم وما ميز تاريخ العائلة العلمي الوسط الذي أهل الشيخ عبد القادر للرقي في مراتب العلم، فقد تتلمذ بها على يد العلماء من عائلته وعلماء مدينة فاس[3]، كعمه محمد العربي بن يوسف الفاسي، والقاضي أبي القاسم الغساني، والمحدث أبو العباس أحمد بن محمد المقري، وعبد الواحد بن عاشر الأنصاري، وعلي بن الزبير السجلماسي، والشيخ محمد بن عبد الله معن، وغيرهم، فأخذ عنهم مجموعة من العلوم كالتفسير والأصول والمنطق والتصوف واللغة[4]، كما أخذ عن عم أبيه الشيخ عبد الرحمن بن محمد الفاسي (العارف) فكان من أخلص تلامذته وأقربهم إليه، فضلا عن ملازمة الشيخ محمد بن عبد الله والتبرك به.

وحينما تمكن من جل العلوم، تصدر مجالس العلم والتدريس والتعليم، متخذا من الزاوية الفاسية بحي القلقليين مكانا لإلقاء دروسه، فتميز بسمة التحقيق التي طبعت سلوكه العلمي وأجوبته على كثير من إشكالات التصوف، ولا أدل على مكانته العلمية التي بلغها من الشهادة المشهورة التي أطلقت في حقه "**لولا ثلاثة لانقطع العلم من المغرب في القرن الحادي، لكثرة الفتن التي ظهرت فيه وهم: محمد بن ناصر، ومحمد بن أبي بكر الدلائي، وعبد القادر الفاسي**"، فكان اسمه من بين الثلاثة الذين حفظوا العلم أثناء مرحلة القرن 17م .

وقد تميزت شخصية الفاسي بين العلم والتصوف، كما هو حال غالبية آل الفاسي، باعتبار الطابع العام للطريقة الفاسية هو طغيان الجانب العلمي، فاستمر الأمر كذلك في أيامه حيث طغى الجانب العلمي على شخصية الشيخ عبد القادر الفاسي[5]، وبفضل هذه المكانة كان له اعتقاد عظيم ومحبة صادقة من أهل فاس –عامتهم وخاصتهم-، حتى كان بعضهم يقول: "**إن سيدي عبد القادر عند أهل فاس كالحسن البصري عند أهل البصرة**"[6]، حيث برع في علم النحو والحديث والتفسير حتى أصبح مرجعا في الفتوى ومقصدا لكل طالب علم، فالشيخ أبو سالم العياشي أخذ عنه سائر العلوم، إذ يقول "**أخذت عنه علوما جمة، وسمعت عليه تآليف كثيرة في سائر الفنون، كالفقه والحديث والتفسير والنحو والبيان والأصلين والتصوف ...، أجازني سائر مروياته عن سائر أشياخه...**"[7] .

أما شخصيتة الصوفية فتتمثل من خلال التصوف العلمي، فهو وارث الطريقة الفاسية عن الشيخ عبد الرحمن العارف وعن الشيخ ابن معن، كما كان هو القيم على الزاوية الفاسية بحي القلقليين، وقد اتخذ من زاوية القلقليين -التي عني بها عناية خاصة- مكانا لتدريس للعلم، فانكب فيها على توجيه

---

[1] - انظر، الحسن الويشمي، **تحفة الأكابر...**، م.س.، القسم الأول، (قسم الدراسة) ص 58؛ **صفوة ما انتشر**، ص 310؛ نفيسة الذهبي، **الزاوية الفاسية – التطور والأدوار**، ص 205

[2] - نفيسة الذهبي ، **الزاوية الفاسية** – التطور والأدوار، ص 205

[3] - للإطلاع على جملة من شيوخه ومحتلف العلوم التي تلقاها، انظر، عبد القادر الفاسي، **الأجوبة الحسان**...، م.س.(قسم الدراسة)ص ص 67- 76.

[4] - محمد الافراني ، **صفوة ما انتشر** ، م.س. ص 312

[5] - انظر، نفيسة الذهبي، **الزاوية الفاسية** – التطور والأدوار ، ص 206

[6] - محمد الافراني ، **صفوة ما انتشر**...، م.س. ص 311

[7] - أبو سالم العياشي، **اقتفاء الأثر** ...، م.س. ص110

المريدين، وإرشادهم لسلوك نهج الشاذلية، وتدريس مختلف العلوم والفنون، مسخرا هذا المركز الصوفي للزاوية الفاسية لنشر العلم وخلق مدرسة حقيقية تنتج العلم والعلماء، وتتميز عن غيرها بنوع من الطابع الزهدي وميل لكل ما يتلاءم مع تيار أهل السنة[1] ، حيث عرف عبد القادر بالصلاح والزهد، إذ إن سمة الزهد والورع ميزت معاملاته اليومية، فتخلى عن أي مال فيه شبهة وإن كان محبسا، فهو لم يأكل الأحباس قط ولم يقبل العطايا الجزيلة التي عرضت عليه، فقد كان يتقوت من عمله في النساخة[2] حتى استحق أن يوصف بأزهد العلماء في وقته[3] .

وإن للمكانة التي بلغها الشيخ وهذا المسار العلمي وسلوكه في طريق التصوف الذي تميز به، أهله ليصبح من رجال فاس المؤثرين، فعلى الرغم من الوضع الصعب الذي كانت تعيشه فاس في وقته، إلا أنه كان من الشخصيات البارزة التي حافظت على المكانة العلمية لفاس وواصلت إثراء التقاليد الفكرية والروحية للمدينة، حيث يعود جزء من الفضل في هذه استمرارية إليه بفضل مكانته وإتقانه للعلوم الدينية، التي مكنته من تعليم العديد من التلاميذ والطلبة[4]، فضلا عن قاعدة عريضة من المريدين، حيث بات مقصد السائل والمريد وأصبح مرجوعا إليه في الفتاوى[5]، وقد أخذ وانتفع منه خلق كثير من سائر الأقطار ونالوا عنه اجازات في مختلف العلوم، منهم من كان من كبار العلماء والفقهاء، حيث جمع ابنه أبو زيد الآخذين عنه في مؤلف "**ابتهاج البصائر فيمن قرأ على الشيخ عبد القادر**"[6]، أبرزهم : الفقيه النوازلي أبو علي الحسن بن رحال المعداني (ت1140هـ)، ومحمد العربي بن أحمد بُردُلَة ، وأحمد بن عبد الحي الحلبي، وعبد السلام بن الطيب القادري الذي قرأ عليه صحيح البخاري ...ومختصر الشيخ خليل، ومواضع التفسير ومن الرسالة والإحياء للغزالي ومقدمة الشيخ السنوسي وصغراها وشرحها ... وشمائل الترميذي[7]، وأبي سالم عبد الله بن محمد العياشي(ت1090هـ)، وهذا الأخير ذكره في فهرسته المسماة "**اقتفاء الأثر..."** فعرفه ب "**شيخنا المحقق، العارف المدقق، أورع أهل زمانه، وأثبت أهل أوانه، شيخ الإسلام ...."**[8]، كما قال أيضا "**أنه كان آية من آيات الله في تحقيق العلوم على اختلاف أنواعها، وله اليد الطولى في تحرير الأدلة وتبيين المشكل، ونصرة مذاهب أهل التصوف، محرضا على اتباع السنة ومنفرا عن البدعة .... مستحضرا للجواب عن كثير من إشكالات أهل التصوف ، محققا لمنازلات أهل العرفان، وهو القدوة في العلوم الإلهية..."**[9]، كما أخذ عنه عبد السلام القادري، حيث ذكره محمد بن أحمد الفاسي ضمن شيوخ القادري، فقال عنه "**عالم الأعلام وشيخ أئمة الإسلام.. وبحر الأمداد وملحق الأحفاد بالأجداد،**

---

[1] - نفيسة الذهبي ، **الزاوية الفاسية – التطور والأدوار**... ، ص 206- 207

[2] - محمد الصغير الافراني، **صفوة ما انتشر**....، م.س. ص 311

[3] - نفيسة الذهبي ، **الزاوية الفاسية** – التطور والأدوار ، ص 206

[4] - Ruggero Vimercati Sanseverino, *FÈS ET SAINTETÉ*, op, cit,p358

[5] - انظر، عبد القادر الفاسي، **الأجوبة الحسان في الخليفة والسلطان**، م.س. (قسم الدراسة) ص ص 118، إذ عد له أبرز العلماء والمريدين الذين تلقوا عنه العلم من المشرق والمغرب .

[6] - مخطوط توجد منه نسخة بالخزانة الحسنية تحت رقم (25330)، وأخرى بالخزانة الوطنية تحت رقم (1766د)

[7] - محمد الفاسي ، **المورد الهني**...، م.س. ص 17-18

[8] - أبو سالم العياشي ، **اقتفاء الأثر** ...، م.س. ص110

[9] - نفس المصدر ، ص ص 142- 143

محيي الدين وحجة المهتدين..."[1]، كما درس الشيخ محمد المعطي بن عبد الخالق الشرقي[2] على يديه، وذلك من خلال رحلة الشيخ المعطي إلى فاس، حيث اتصل بالشيخ عبد القادر الفاسي الذي سمع عليه التفسير والإحياء والحديث والتصوف وأوائل الكتب الستة وأجازه في جميع ذلك[3]، وأخذ عنه -أيضا - جماعة من أحفاد مؤسس الزاوية الدلائية عند هجرتهم إلى فاس، مثل الطيب المسناوي الدلائي مفتي الزاوية وفقيهها الكبير، وابن الشيخ اليوسي عثمان الذي كان الشيخ عبد قادر عمدته في سائر العلوم[4]، كما كانت له علاقات صحبة بالعديد من رجال العلم والتصوف في كافة أنحاء المغرب وعلى رأسهم رجال الزاوية الدلائية، منهم الشيخ اليوسي، فبالرغم من مكانته العلمية الكبيرة سعى لأخذ إجازة عنه في مختلف العلوم[5]، كما كان يزوره باستمرار في زاويته الكائنة بالمخفية، يروي اليوسي في ذلك "**لقيته بزاويته وجالسته مرارا عديدة، وذاكرته في مسائل مهمة ، وعقدت معه عهد المحبة والأخوة في الله تعالى، واستدعيت منه الإجازة في فنون العلم فأجازني**"[6] .

وإن أكثر ما ميز سيرة الشيخ عبد القادر الفاسي، أنه وخلال مرحلة حرجة من تاريخ المغرب، مثل جانب الوسطية والاعتدال، فقد شهدت الزاوية الفاسية بالقلقليين -والتي تولى شؤونها بعد وفاة الشيخ العارف- في عهده إقبالا فاق نظيره من طرف كل الأجناس والمنتمين إلى شرائح مختلفة التي ضجت بهم مدينة فاس، فاليوسي الذي كان يجد صعوبة التأقلم والعيش في بداية حلوله بمدينة فاس بسبب انتماءاته البدوية في وسط عرف ارسقراطية حضرية، كان يقصد الزاوية الفاسية والشيخ عبد القادر وربطت بينهما صحبة علمية، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على نهج الشيخ عبد القادر الذي وفق أن يكون شخصية كل فاس بأصولها، ويجتذب له كل أطياف المجتمع من عامة الناس وخاصتهم .

ب- الفئة الثانية – تأثير من الخارج : علماء فاسيين خارج مدينة فاس

وهي فئة العلماء الذين تلقوا تعليمهم على يد طبقة رجال فاس الأولى، تزامنت مرحلتهم مع تدهور أوضاع فاس، مما جعل العديد منهم يفر عن هذه المدينة قاصدين زوايا المراكز القروية - الدلائية والناصرية - ، أو متنقلين بين عدة مراكز وقرى مغربية ، نتيجة الأزمات المختلفة التي ضربت فاس .

ونذكر أبرز رجال هذه الفئة، وهم :

---

[1] - محمد بن أحمد الفاسي ، **المورد الهني...، م.س.** ص17

[2] - هو ابو عبد الله محمد بن عبد الخالق بن عبد القادر بن الشيخ الشرقي والملقب ب"**المعطي**"، ولى شؤون الزاوية الشرقاوية بعد والده ، توفي سنة 1092هـ/1681م، ويعتبر الشيخ المعطي وارث الشيخ الشرقي وخليفته ومجدد رسمه وطريقته . انظر ترجمته : أحمد بوكاري، **الزاوية الشرقاوية...**، ج1، م.س. ص ص100- 103

[3] - **المرجع نفسه**، ص102

[4] - انظر، محمد بن عبد الرحمن الفاسي، الإعلام بمن غبر ...، م.س. ص ص 239- 240

[5] - أورد اليوسي نص تلك الإجازة ضمن فهرسته؛ انظر، الحسن اليوسي، **فهرسة اليوسي**، م.س، ص ص 131- 133

[6] - **المصدر نفسه** ، ص 131

- **الحافظ أحمد بن أبي المحاسن الفاسي (ت1021هـ/1612م)**[1]

هو أحد أبناء الشيخ أبي المحاسن، ولد بالقصر الكبير سنة 971هـ/1563م وبها نشأ[2]، ثم رحل إلى فاس طلبا للعلم، فسكن إلى جانب عمه عبد الرحمن العارف ببيت في مدرسة الصفارين بالجانب الشرقي منها[3]؛ أخذ جل معارفه وعلومه عن علماء فاس؛ ففي علوم الظاهر، أخذ عن جماعة من العلماء،على رأسهم : أحمد المنجور، ووالده الشيخ أبو المحاسن الذي قرأ عليه علم الأصول والتفسير، كما قرأ عليه كتبا في التصوف وغيره ، كالصحيحين والقوت والإحياء وشرح الحكم[4]، وأخذ العربية عن أبي عبد الله محمد الزياتي (عن االشيخ أحمد بن قاسم القدومي)، والأصول والبيان عن أبي العباس المنجور، والفقه عن أبي زكرياء يحيى السراج وأبي مالك عبد الواحد الحميدي، وقد لازم هذا الأخير في مختصر خليل سنين عديدة، كما أخذ المنطق عن أبي القاسم ابن سودة، والشيخ محمد القصار الذي أجازه في جميع ما يصح له وعنه روايته، ولازمه آخر أمره في الصحيحين والموطأ والشمائل والرسالة والشفا وغير ذلك، وأجازه في جميع ما يصح له وعنه روايته[5] .

أما شيوخه في طريق التصوف وعلم الباطن، فعمدته في الطريق والده أبو المحاسن الذي سلك على يديه طريق الإرادة واستفتح به، فجاءه الفتح المبين...وتحقق بمقامات العارفين، إذ أخذ عنه طريق التصوف والسلوك، وقد كان أبو المحاسن ينوه به، ويشهد له بخصوصيته، كما أخذ عن الشيخ المجذوب الذي أرسله والده إليه، فتلقاه الشيخ المجذوب بألطف المبرة ونوه بذكره...، كما أخذ عن الشيخ أبي بكر الصنهاجي المجاطي دفين الدلاء الذي زاره سنة 1080هـ/1669م، فأقبل عليه إقبالا عظيما، وأنزله من الإجلال والتعظيم منزلا رفيعا، فأقام عنده أياما، وأخذ عنه وانتفع به، ولما رجع إلى فاس سأله أهل فاس عنه فقال:" **أخذ الناس بالأوصاف وأخذ سيدي أبو بكر بالاتصاف**"[6] .

إن هذه المسيرة العلمية والصوفية للشيخ الحافظ، مكنته من مختلف العلوم، فكان "**بحرا من بحار العلم، وجبلا من جبال الدين، متحققا بالعرفان وعلوم أرباب القلوب، واسع المعرفة بطرق القوم ومذاهبهم حسن الكلام عليها ، عارفا بمآخذ الصوفية من الكتاب والسنة ...متبحرا في الأصلين والفقه..."**[7] ، لقبه صاحب مؤلف "**التقاط الدرر**" بأنه "**رأس في العلم والدين**"[8]؛ مما جعله بعد وفاة والده الشيخ أبي المحاسن، يقوم مقامه، فتولى شؤون الزاوية الفاسية (زاوية المخفية) بأحسن قيام، فمضى على سمته في

---

[1]- انظر، محمد العربي الفاسي، **مرآة المحاسن**، م.س. ص ص211-219 وص ص289-290؛ **التقاط الدرر**،م.س. ص ص 55-56؛ **نشر المثاني**، ج1 ص ص161- 163؛ **الإعلام بمن غبر** ...، ص ص 96

[2] - محمد العربي الفاسي، **مرآة المحاسن**، ص 211؛ **نشر المثاني...، م.س.** ج1 ، ص 161

[3] - انظر، محمد العربي الفاسي، **المصدر نفسه** ، ص ص 211- 212

[4] - **المصدر نفسه** ، ص 212-213؛ محمد القادري، **نشر المثاني...** ، م.س. ج1 ص 162

[5] - انظر، محمد العربي الفاسي ، **مرآة المحاسن** ، ص ص 212 - 213

[6] - انظر، **المصدر نفسه**، ص213 .

[7] - **المصدر نفسه**. ص211 ؛ محمد القادري، **نشر المثاني** ، م.س. ج1 ص 161

[8] - محمد القادري ، **التقاط الدرر**،م.س. ، م.س. ص55

المجلس العلمي والكلام العرفاني، وكان على عهده متصدرا مجلس قراءة الحديث والفقه وغيرهما...، فدرس أنواع العلوم فنفع وأفاد ...[1] .

إلا أن الشيخ الحافظ ومع الأزمات التي عرفها المغرب ومدينة فاس خلال المرحلة، وبسبب موقفه السياسي المعارض لتسليم العرائش للإسبان، اضطر للخروج من فاس فارا من الفتن، لما أراد السلطان المأمون تمكين العرائش للنصارى، فعصمه الله من حضور ذلك[2]، ولم يكن قراره الخروج من فاس إلا بعد مشورته للشيخ أبي بكر بن محمد الذي أشار عليه بالخروج، فكانت الوجهة المقصودة إلى جبل أبي زيري من بلاد مصمودة عمل أزاجن[3]. يروي محمد العربي عن هذا الخروج والذي كان فيه شاهدا ورفيقا للشيخ الحافظ ، فيقول "**فخرجت من فاس وبعض أهله (يقصد أهل أخيه الشيخ الحافظ)، صبيحة يوم السبت السابع عشر من صفر سنة عشرين وألف (1020هـ) ، وأقام هو بفاس أياما ، ثم لحق بنا في بني يحمد وقد تطارحوا علينا في الإقامة عندهم، فأقمنا إلى أواخر ربيع الثاني، ثم قمت أنا وسار هو بالأهل جميعا إلى بوزيري من بلاد مصمودة عمل أزاجن، وهو منزل سيدنا وبركتنا سيدي عبد الرحمن المجذوب، فنزلنا به خير نزول في خير منزل**"[4] .

وقد كان في خروج الشيخ الحافظ انتفاع وتأثير في حلقات العلم، وذلك من خلال الدروس التي كان يلقيها للطلبة والمريدين .

توفي في 21 ربيع الثاني سنة 1021هـ/يونيو 1623[5] ، ودفن بموضع يقال له المنيزلة في روضة سيدي محمد السبع والد الشيخ المجذوب[6] ، تاركا خلفه العديد من المؤلفات التي عكست شخصيته الصوفية والعلمية، منها مؤلفات في الفقه والأحكام والسلوك، وحواشي وشروحات لأمهات كتب الفقه[7] .

- **أبو حامد محمد العربي بن يوسف الفاسي (ت1052هـ/1642م)**[8]

هو أحد أبناء الشيخ أبي المحاسن، أبو حامد محمد المدعو "العربي"، مؤلف كتاب "مرآة المحاسن" ، ولد بمدينة فاس وبها نشأ، قدم الشيخ نفسه في مؤلفه مرآة المحاسن، إذ يقول"**ولدت بحومة العيون من عدوة القرويين بفاس سنة982هـ/ 1580م ... وما أكملت العام إلا في المخفية من عدوة الأندلس وبها نشأت وربيت وأقمت إلى وقت خروجي من فاس**"[9] .

---

[1] - انظر، محمد العربي الفاسي، **مرآة المحاسن** ، ص 213؛ نفيسة الذهبي، **الزاوية الفاسية...،** م.س. ص 183

[2] - محمد القادري، **نشر المثاني..،** م.س. ج1 ص 161

[3] - محمد القادري، **التقاط الدرر**...، م.س.ص56 ، **نشر المثاني...، م.س.** ج1 ، ص 162

[4] - محمد العربي ، **مرآة المحاسن**، ص215

[5] - محمد القادري، **التقاط الدرر** ، م.س. ص55

[6] - **مرآة المحاسن..، م.س.** ، ص216؛ **نشر المثاني..،** م.س. ج1 ، ص 163

[7] - انظر بعض هذه المؤلفات : محمد العربي، **مرآة المحاسن..،** م.س. ص ص 213-214

[8] - **المصدر نفسه**، ص ص 220 – 224؛ محمد بن الطيب القادري، **نشر المثاني**، م.س. ج2 ص 10؛ عبد الله بن محمد الفاسي، **الإعلام...، م.س. ،** ص ص 150- 151

[9] - محمد العربي الفاسي، **مرة المحاسن** ، م.س. ص 220

تربى وتتلمذ على يد أبرز علماء وفقهاء وقته في كل العلوم، ففي علم الظاهر، أخذ عن أفراد أسرته وعلى رأسهم الشيخ أبو المحاسن، وعمه الشيخ عبد الرحمن العارف، ثم عن أخيه الشيخ الحافظ الذي سبقه في طريق العلم، كما أخذ عن الإمام القصار، وابن جلال، وابن مهدي الزيات، وأحمد القاضي المكناسي، وأبي القاسم ابن القاضي المكناسي[1]، وغيرهم[2]، وقد ذكر محمد العربي حرص والده (الشيخ أبي المحاسن) على إرسال أبناء الأسرة الفاسية للأخذ عن الشيخ القصار، إذ يقول في ذلك "**ولما كنت ابن نحو عشر سنين ، بعثني والدي وأخي (الشيخ الحافظ) وعمي (الشيخ العارف) ... ، إلى شيخ الإسلام أبي عبد الله محمد بن قاسم القصار، فدخلنا إليه بموضع كتبه وخلوته من داره التي بقرب حمام القلعة ، وذلك أول يوم رأيته ...، وكان إذ ذاك ملازما لداره لا يخرج منها إلا نادرا ، فأدناني – رحمه الله- وفرح بي وناولني جزءا من صحيح البخاري ، وأجازني في جميع مروياته...**"[3] ، وخارج مدينة فاس تلقى العلم، وذلك أثناء تنقلاته بين مدن المغرب وباديه، إذ كانت حادثة تسليم العرائش سببا في خروجه وأخيه أحمد من فاس فرارا بدينهما- كما سبقت الإشارة لذلك-، فحل بمدن تطوان والقصر الكبير، وبهذه الأخيرة التقى الشيخ محمد بن علي القنطري القصري، وأخذ عنه مجموعة من العلوم[4]، والشيخ أبا الحسن القنطري القصري، فأخذ عنه الحديث المسلسل بالمصافحة..[5] .

وفي علم التصوف، أخذ عن والده الشيخ أبي المحاسن وعمه عبد الرحمن خاصة، إلى جانب أخذه عن الشيخ محمد بن علي ابن ريسون[6]، وذلك عند خروجه من فاس، كما أخذ عن الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي، حيث قدم إلى الزاوية الدلائية التي نالت النصيب الأوفر من إقامته المتنقلة، فذكره في جملة شيوخه، مخصصا له ترجمة حافلة، حيث قال عنه بأنه "**عالم حافظ دراك، خاتمة مشايخ المغرب، انتهت له رياسة الدين والدنيا ، واستقل بسياسة الأمور الجليلة والرتب العليا**"[7]، وقد صحبه طيلة اقامته بالزاوية، إذ يروي عن ذلك قائلا "**صحبته سنين في محبة خاصة ، ومراعاة تامة ، ومجالس خاصة وعامة، جرت فيها الفوائد والنكت مالا يحصى ولا يحصر**[8] .

وبعد هذه المرحلة من التلقي، تكمن العربي من علوم الظاهر والباطن، فصار شيخا عارفا، وصفه صاحب نشر المثاني في ترجمته، وقال: "**قد برع في الفنون وغاص في لججها فاستخرج من نفائس دررها**

---

[1]- هو العالم النحوي أبي القاسم بن محمد بن القاضي (ت سنة 1022هـ) ، لازم الشيخ أبا المحاسن وكان من مريديه وتلاميذته ، حضر مجالسه ودخل في حزبه وفقرائه؛ انظر، محمد القادري ، **نشر المثاني** ج 1 ص ص 181-182 .

[2]- انظر، محمد العربي، **مرآة المحاسن**.، م.س. ص ص 221-224 ، إذ يذكر مراحل تدرجه في علوم الظاهر، والشيوخ الذين تتلمذ على أيديهم .

[3]- **المصدر نفسه** ، م.س.ص 222

[4]- هو الإمام الفقيه العالم، أخذ عن الشيخ يوسف الفاسي وابن أبي النعيم والمنجور والسراج؛ انظر، محمد مخلوف، **طبقات المالكية**، م.س. ج1ص129.

[5]- محمد العربي ، **مرآة المحاسن** ، م.س.ص 224

[6] - الشريف العلمي دفين تاصروت من جبل العلم، شيخ صوفي، توفي عام 1018هـ/ 1609م؛ انظر، القادري، **التقاط الدرر**، ص 51

[7]- **المصدر نفسه** ، 293

[8]- **المصدر نفسة** ، 294

المكنون، وألف تآليف عديدة وفتاوي في أفانين العلم مفيدة .... وله أنظام في فنون علمية وأشعار أدبية..."[1].

ولتمكن الشيخ من مختلف العلوم، فقد تصدر للتدريس في الزاوية الدلائية، حيث تتلمذ على يديه أكثر علماء الدلاء، فأجاز منهم: أبناء الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي، وهم: الشرقي، وأحمد الحارثي، ومحمد المرابط، ومحمد الشاذلي، عدا عن مريدي الزاوية المتعددي المشارب[2] ؛ وبعد خروجه من زاوية الدلاء عاد مرة أخرى وقصد مدينة تطوان واستقر بها، معمرا خلال هذه المرحلة زاوية الفاسيين بتطوان فرع الاطرانكات[3] إلى أن توفي .

وقد عبر صاحب "نشر المثاني" عن خروج الشيخ العربي من فاس، وتنقلاته بين البوادي والمدن، "أنه رمته أيدي النوائب بالامتحان (يقصد مسألة تسليم العرائش)، ولم يكن له في الحواضر قرار بمكان، ولم يزل بالبوادي تلفظه البلدان، حتى أدته خاتمة المطاف، إلى أن ألقى عصا التيسار والتطواف، واقام بتطوان راجيا أن يكون له بها إسعاف"[4] .

ويمكن القول، إن تنقلات الشيخ كانت مناسبة لنشر تأثيراته الصوفية الفاسية في المراكز التي حل بها، خاصة أنه كان أتم حصوله على علم المنقول والمعقول وأيضا علوم الظاهر والباطن، الشيء الذي أهله في ظل تلك المرحلة أن يتصدر الإقراء والتدريس في العديد من مدن المغرب وبواديه، ففي مدينة فاس حيث كان له تأثير ، فكان من أبرز تلاميذته الذين برعوا في العلوم، الشيخ عبد القادر بن علي الفاسي، ومحمد بن أحمد بن يوسف الفاسي، وأحمد بن علي بن يوسف الفاسي، وبزاوية الدلاء التي كان فيها شيخا وعالما حيث أفاد طلبة الزاوية من علومه، فضلا عن مدينة القصر الكبير وتطوان، خصوصا بتطوان التي تصدر فيها للتدريس بزاوية الاطرانكات .

- **أحمد بن عمران السلاسي الفاسي (ت1065هـ/1654م)**[5]

هو أبو العباس أحمد بن علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن عمران السلاسي ثم الفاسي، مفتي مدينة فاس، والمدرس بجامع القرويين، أبوه هو الشيخ علي السلاسي قاضي الجماعة بمدينة فاس[6]، وجده عبد الرحمن من شيوخ الفقه والنحو[7]، أخذ عن أبيه، وعن محمد العربي الفاسي والعلامة المقري، وغيرهم، ولي الفتوى بجامع القرويين، لكن سرعان ما شد الرحال إلى الزاوية البكرية، بسبب ما أصابه من عسر في

---

[1] - محمد بن الطيب القادري ، **نشر المثاني** ، م.س. ج2، ص10

[2]- محمد حجي ، **الزاوية الدلائية** ، ص 122

[3]- نفيسة الذهبي ، **الزاوية الفاسية...** ، م.س. ص163

[4] - محمد بن الطيب القادري ، **نشر المثاني** ، م.س. ج2 ،ص10

[5] - انظر، محمد الإفراني، **صفوة ما انتشر..م.س.**ص 252؛ محمد القادري، **نشر المثاني.. م.س.** ج2 ص ص 74-75؛ **التقاط الدرر**، م.س. ص136؛ عبد الله الفاسي، **الإعلام بمن غبر..**، ص ص 161-162، محمد حجي، **الزاوية الدلائية** ، ص ص 100- 101 .

[6] - قاضي الجماعة بفاس ، الفقيه الإمام العلامة القاضي الفاضل، امتحن هو والشيخ القصار وابن أبي النعيم ، مات قتيلا سنة 1018هـ/1609م؛ انظر محمد مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية** ، ج1، ص 429 .

[7] - محمد حجي ، **الزاوية الدلائية** ، ص 100

فاس، فوفد على الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي، الذي أجل مكانته وأجزل وفادته[1]، فشغل مهمة التدريس بالزاوية الدلائية يقرئ أبناء الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي وغيرهم من الطلبة؛ رجع إلى فاس للاطمئنان على أسرته وعياله، وسرعان ما عاد إلى الزاوية الدلائية منقطعا للتدريس والإفادة[2] .

ومن خلال الزاوية الدلائية مارس تأثيراته العلمية بالخصوص، إذ أخذ عنه بالزاوية البكرية جماعة منهم: محمد المرابط الدلائي وأبو عمر بن محمد الدلائي، والحسن اليوسي الذي أخذ عنه كبرى الشيخ السنونسي بشروحها[3]، فذكره بفهرسته ضمن شيوخه الذين أخذ عنهم[4] ، ومحمد الشاذلي بن محمد بن أبي بكر الدلائي .

➢ أحمد بن محمد الآبار الفاسي (ت1071هـ/1660م)[5]

هو أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى الآبار الفاسي المدعو حمدون الآبار، العلامة الخطيب البليغ، شيخ الجماعة بفاس وخطيب جامع الأندلس، اشتغل في بداية حياته بالتجارة، وهي مهنة أهله ودار ثروتهم، إلى أن ألقى الله ذلك من قلبه واستبدله بحب العلم وكتبه، فعكف على التعلم والتعليم، حتى ظهرت نجابته[6]، إذ أخذ عن جماعة من أعيان عصره: كالشيخ أبي محمد عبد الواحد بن عاشر، والفقيه أبي عبد الله محمد بن أحمد الأندلسي (إمام مسجد الشرفاء)، والفقيه المحدث الشريف أبي محمد عبد الله بن علي بن طاهر الحسني السجلماسي، والشيخ أبي زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي[7] .

حل بالزاوية الدلائية وقت الأزمات بفاس، واشتغل بتدريس طلبتها في مختلف العلوم، خاصة الفقه، إذ كان أكثر ما يقرئ مختصر الشيخ خليل وألفية ابن مالك، فتخرج به جماعة من الأعلام من طلبة الزاوية الدلائية، منهم أحفاد الشيخ أبي بكر الدلائي، وعلى رأسهم الطيب بن المسناوي الدلائي (ت1077هـ/1666م)[8]؛ وعند عودته لفاس تقلد الخطبة بجامع الأندلس، كما تصدر مجالس التدريس، فانتفع على يديه العديد من طالبي العلم، منهم مريدو وأبناء الزاوية الفاسية، على رأسهم عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي الذي لازمه في مختصر خليل[9] ، وأبو سالم العياشي، والذي كان الشيخ الآبار من أبرز شيوخه، فأخذ عنه الإجازة في جميع مروياته، فحلاه أبي سالم في فهرسته بالقول "**شيخنا العالم النبيه،**

---

[1] - انظر، القادري، **نشر المثاني**، ج2 ، ص 74

[2] - محمد حجي ، **الزاوية الدلائية** ، ص 100

[3] - محمد الإفراني، **صفوة ما انتشر...**، ص 252 ؛ محمد القادري، **نشر المثاني...**، ج2، ص 74

[4] - أنظر ، الحسن اليوسي، **فهرسة اليوسي**، م.س. ، ص 126 .

[5] - انظر، أبو سالم العياشي، **اقتفاء الأثر...**، م.س. ص 113-114؛ محمد القادري، **نشر المثاني...**، م.س. ج2، ص ص 109- 112؛ عبد الله الفاسي، **الإعلام بمن غبر...** م.س. ص 173؛ محمد حجي، **الزاوية الدلائية** ، ص 101.

[6] - القادري ، **نشر المثاني** ،ج2 ص 109

[7] - **المصدر نفسه**، ص109

[8] - محمد حجي **الزاوية الدلائية** ، ص 101

[9] - انظر، امحمد بن أحمد الفاسي ، **المورد الهني** ،م.س.ص 22؛ محمد القادري ، **نشر المثاني**، ج2، ص110

المدرس الفقيه، المحتسب في تعلم العلم، المحلى بحلية الوقار والحلم ...قرأت عليه ...وقد أجاز لي شيخنا الآبار جميع مروياته عن جميع أشياخه وكتب لي ذلك بخطه"[1] .

وقد كان الشيخ الآبار مرجعا في الفتوى، كانت له مشاركات حسنة في الحديث وغيره من الفنون، خصوصا في تدريس مختصر خليل، إذ انتفع جل طلبة المغرب على يديه في المختصر، وقد كان له عليه حاشية موجودة بأيدي الطلبة، كما له فتاوي كثيرة حسنة[2] .

- **محمد التاودي ابن سودة المُرّي (1076هـ/ ت1665م)**[3]

هو أبو عبد الله محمد بن محمد بن أبي القاسم ابن سودة، الفقيه المشارك الذي اشتهر بالعلم والدين وقيل عنه أنه آخر قضاة العدل بفاس، ولي الفتوى وقضاء الجماعة بفاس سنين عديدة، وكان مرجوعا إليه في أمور الدين والدنيا[4] .

أخذ عن خاله عبد الواحد بن عاشر وطبقته، ولازم العارف أبا زيد الفاسي وحضر مجالسه، وكان يقول "**ما جلست قط مجلس سيدي عبد الرحمن إلا غبت فيه، ولا قمت منه إلا متخشعا باكيا..."**[5] ؛ تتلمذ له كثير من أعلام فاس، منهم أبو زيد بن عبد القادر الفاسي، الذي قال عنه: "**سمعت منه جملة من التفسير والرسالة والحكم لابن عطاء الله وتحفة ابن عاصم بشرحها لسيدي محمد ميارة**"[6]، كما تتلمذ له كثير من مريدي الزاوية الدلائية حين رحيله إليها، فأقام فيها مدة يدرس الطلبة، أخذ عنه جم غفير في مقدمتهم الطيب بن المسناوي الدلائي، وقد تولى محمد بن سودة القضاء في فاس بأمر من محمد الحاج الدلائي أثناء حكمه لفاس[7].

2- فضل مدينة فاس على علماء وصوفية المغرب

كان لمدينة فاس برجالها ومدارسها وزواياها فضل على جل علماء وصلحاء المغرب طيلة القرنين 17 و18م تحديدا، فمن خلال ذكر أعلام الفئة الأولى والثانية من رجال مدينة فاس، رصدنا بأنه كان لهؤلاء فضل الأستاذية والمشيخة على العديد من الرجال الذين أصبح لهم فيما بعد دور مركزي ضمن التصوف المغربي، حتى إن منهم من أسس مراكز علمية وصوفية مستقلة بذاتها؛ وإن الهدف من التعرض لهم هو لمس ذلك التأثر الذي تلقوه أثناء رحلتهم إلى فاس والإقامة بها، وأخذ العلوم عن رجالها، أو حين انتقل رجال فاس إليهم، فحلوا بمراكز علمية مختلفة من ربوع المغرب، مثلما كان الشأن بالزاوية الدلائية والتي

---

[1] - أبو سالم العياشي ، **اقتفاء الأثر...**، م.س. ص ص 113-114

[2] - محمد القادري، **نشر المثاني** ، ج2 ص109

[3] - انظر، محمد الإفراني، صفوة..، ص ص278-279؛ القادري، **نشر المثاني...**، م.س. ج2، ص ص150-151؛ محمدالكتاني، **سلوة الأنفاس...**ج3، ص ص76-77؛ محمد حجي، **الزاوية الدلائية**، ص 102

[4] - محمد الإفراني، **صفوة ما انتشر...**، م.س. ص 278

[5] - **المصدر نفسه** ، الصفحة نفسها

[6] - القادري ، **نشر المثاني** ، ص 150

[7] - محمد حجي ، **الزاوية الدلائية** ، ص 102

استقبلت مئات من رجال العلم الفاسيين، أو بعض المدن كتطوان والقصر الكبير، إلا أن الأثر الذي تركه الفاسيون بالزاوية الدلائية فاق نظيره في أي مكان آخر، وهو ما تمثل عبر ثلاثة من أنجب علماء فاس،وهم: أحمد القاضي، وأحمد بن عمران الفاسي، وأبي حامد العربي .

ونؤكد هنا أن فاس تركت أثرها على الآلاف من رجال العلم والدين والتصوف بالمغرب، مما يصعب الإحاطة بهم؛ لذلك سنذكر أبرز من تركت مدينة فاس أثرها وفضلها عليهم خلال مرحلة القرنين 17 و18م:

- **عبد الرحمن بن أبي بكر الدلائي (ت1020هـ/1611م)[1]**

هو أحد علماء الزاوية الدلائية وأحد أبنائها، أخذ علومه من الزاوية الدلائية على نخبة من رجالها، كان منهم علماء مدينة فاس كأبي العباس أحمد بن محمد بن القاضي المكناسي، وعند رحيله إلى مدينة فاس أخذ عن الإمام محمد بن قاسم القصار، يدرس عليه التفسير والحديث وغيرهما، فنال منه إجازة عامة ، ليرجع عبد الرحمن إلى الدلاء عالما كبيرا متصدرا للتدريس .

- **محمد بن عبد الرحمن الدلائي (ت 1022هـ/1613م)[2]**

هو أحد أبناء الشيخ عبد الرحمن بن أبي بكر الدلائي، رحل مع والده لمدينة فاس، فسمعا معا من الحميدي والقصار، وحضرا مجالس درسهما، ثم رجع والده إلى الدلاء، بينما استقر الابن محمد بفاس يقرأ العلم إلى أن وصله خبر وفاة والده، فرحل إلى الدلاء، ويفيد صاحب كتاب "نشر المثاني"، أن ما أظهر محمد بن عبد الرحمن بالدلاء هو ما حصله بمدينة فاس من علوم ومعارف[3]، فدرّس بزاوية جده، فأخذ عنه إخوانه، منهم محمد المسناوي؛ وقد كان الشيخ محمد آية في علم التصوف، أخذ الطريقة عن جده أبي بكر الدلائي؛ توفي ودفن بالدلاء .

- **أحمد بن أبي محلي عبد الله السجلماسي (ت1022هـ/1613م)[4]**

هو الصوفي الثائر خلال مرحلة حكم السعديين، التحق بفاس لأجل طلب العلم، فأقام بمدرسة العطارين -رفقة يحيى بن عبد الله الحاحي الذي كان رفيق دراسته[5]-، مستفيدا من حلقات الدروس في كل من مدرسة العطارين وجامع القرويين.

من أبرز أشياخه: أبو العباس المنجور .

---

[1]- انظر، محمد حجي، **الزاوية الدلائية**، ص 86

[2]- انظر، محمد القادري، **نشر المثاني**، ج1 ص ص 188؛ الحسن اليوسي، **المحاضرات**...، م.س.القسم الأول، ص ص 261-263.

[3]- انظر، محمد القادري، **المصدر نفسه**، ص 188

[4]- انظر، القادري، **نشر المثاني** ج1 ص ص 188- 192 ؛ الحسن اليوسي، **المحاضرات**.، م.س. القسم الأول، ص ص 261-263 ؛ الإفراني ، **نزهة الحادي**.. ، م.س. ص ص 295- 307

[5] - كان بين أحمد بن أبي محلي ويحيى الحاحي معارك اقتتلا خلالها، وذلك بيبب الخلاف حول المنصور الذهبي، إذ كان الأول ضد حكم المنصور، بينما وقف الحاحي في صفه .

➢ الحسن بن يوسف الزياتي (ت1023هـ/1614م)[1]

هو أبو الطيب الحسن بن يوسف بن مهدي العبد الوادي ثم الزياتي، أصله من بني عبد الواد، وهي احدى قبائل زناتة المشهورة، أصلهم من تلمسان ... حيث نزل سلف الشيخ بشرق تطاون...، قبل أن يستقر بهم الحال في قبيلة بني زيات، وبها عرفوا. وقد ولد صاحب الترجمة سنة 964هـ ورحل في طلب العلم إلى مدينة فاس بعد أن سبقه في ذلك شقيقاه أبو العباس أحمد وأبو عبد الله محمد ، اللذان قرآ على مشيخة ذلك العصر، فنجبا في علوم العربية، فقرأ بذلك الزياتي على أخويه أول وروده على فاس، ولازم شيخهما أبا العباس أحمد بن قاسم القدومي، وقد أتقن عليه علوم القرآن العزيز...وحظي منه بعلم غزير[2]، كما قرأ على الشيخ محمد بن قاسم القصار علوم الحديث... وأجازه في جميع ما قرأ عليه وفي جميع ما يصح له وعنه روايته ، وقد كتب له ذلك بخطه[3] .

كما التقى الزياتي بالشيخ أبي المحاسن وذلك بعد وفاة شيخه أبي العباس القدومي، فصحبه على طريق الإرادة والتمكين...، فقرأ عليه ولازم مجلسه في أنواع العلوم...، وبعد تمكنه في مختلف العلوم، انتصب للتدريس في مدارس فاس ومساجدها، كما صنف كتبا مفيدة وقيد كثيرا **"كشرح الصلاة المشيشية"**، و**"شرح جمل المجراد"**، و**"الحاشية على شرح الصغرى"**، وكان مشارا إليه بالتحقيق، فانتفع به خلق كثير[4] .

كان الشيخ الزياتي من بين الذين هاجروا من فاس فارين بأنفسهم حيث استقر بكورت إلى أن توفي[5] .

➢ محمد بن عبد الله الزيات (ت1026هـ/1617م)[6]

هو الفقيه قاضي القصر، تأثر بالشيخ أبي المحاسن في جانب علوم الظاهر، فصحبه وسمع منه، له مع الشيخ أبي المحاسن حكاية رواها بنفسه ، إذ قال " **كنت أرى كثرة تردد القواد وأهل الدولة إلى الشيخ أبي المحاسن وكثرة حضورهم في مجلسه، فكنت أجد في نفسي انكار ذلك، وكان ذلك كثيرا ما يصرفني عن السلام عليه، فلقيته يوما حيث لا محيد عن السلام عليه، فسلمت عليه فرحب بي وكشف علي وقال لي: لا تعد إلى البعد من ، فإن لك حقا وأولئك الذين رأيت أهل بعد عن الحق، فإن قابلتهم بالغلظة انفضوا**

---

[1]- انظر، محمد العربي الفاسي: **مرآة المحاسن** ، ص ص 225- 228 ؛ **نشر المثاني** ، ج1 ، ص 198؛ عبد الله الفاسي الفهري، **الإعلام بمن غبر..**، ص ص 116-113 .

[2]- محمد العربي الفاسي: **مرآة المحاسن** ، ص ص 225 – 226 .

[3]- **المرجع نفسه** ، ص 227

[4] - **المرجع نفسه**، ص 227

[5] - **المرجع نفسه**، ص 228

[6] - محمد القادري، **نشر المثاني..**، م.س. ج1 ، ص ص 217-219

وزادوا وشردوا عن جانب الله، بعدا عن رحمة الله وظلما لعباد الله، قال فثلج صدري وسلمت تسليما وذهب ما كان في نفسي..."[1] .

- **علي بن أحمد الصرصري (ت1027هـ/1618م)**[2]

يعتبر الشيخ الصرصري من تلامذة الشيخ أبي المحاسن، الذي أخذ عنه وصحبه ولازمه، ومما يدل على أن الشيخ أبا المحاسن هو شيخ الصرصري في الطريق ما رواه عن ارتباطه به، ففي جوابه لمن سأله حول غلبة حال كانت تصيبه فتسبب له حالة من الصياح"**فأخبر أن الشيخ أبي المحاسن هو من سكنه**"[3]، كما أورد صاحب "الإعلام" ما يفيد عناية الشيخ أبي المحاسن بالشيخ الصرصري في قصة يرويها بما تحمله من دلالات صوفية "**يقول الشيخ الصرصري أن الشيخ أبا المحاسن قال له يوما اذهب معي إلى الدار، فذهبت معه ووجدت الضياف عنده فأكلت معهم وأعطاني طرفا من اللحم، وضربني بين كتفي، وقال تلك حاجتك عندي**"[4]؛ كما أخذ الطريق الصوفي سندا عبر أبي عبد الله محمد بن علي بن مهدي الهروي الزمراني المعروف ب "الطالب"[5] .

وإن تأثيرات الشيخين أبي المحاسن وأبي عبد محمد الزمراني على الشيخ الصرصري له عدة أبعاد، فالشيخ الصرصري هو شيخ القطب عبد الله الشريف الوزاني، صاحب الزاوية والطريقة الوزانية .

- **أحمد بن علي الشريف العلمي (ت 1027هـ/1618م)**[6]

هو أبو العباس أحمد بن علي الشريف العلمي، أصله من جبل العلم ، ولد ونشأ بمدينة شفشاون، ثم رحل إلى مدينة فاس قبل 996هـ ، فسكن بيتا في مدرسة الحلفاويين مجاورا لبيوت أبي العباس أحمد الحافظ وعبد الرحمن العارف، فكان ثالثهم في طلب العلم، وقد تكفل الشيخ أبو المحاسن بمؤونته؛ فلازم مشايخ فاس إذ ذاك...، فحصل علما كثيرا...، فبرع في علم الوثائق والأحكام، مع المشاركة التامة في أنواع العلوم.. ويؤكد صاحب "مرآة المحاسن" أنه حصل به انتفاع كبير في علم الأحكام الشرعية[7] .

رجع لبلده شفشاون بعلم غزير، فولى خطابة الجامع الأعظم ....، وقد شهد الجميع بأنه لم يتقدم مثله هنالك خطيب ولا إمام[8]، كما شهد لمكانته العلمية العديد من أكابر علماء فاس وفقهاءها، وعلى رأسهم الشيخ القصار الذي كان يخاطبه في مراسلات دارت بينهما ب "**السيد الفقيه المتفنن الصالح**

---

[1] - محمد القادري، **نشر المثاني..**، م.س. ج1 ، ص 218

[2] - انظر، عبد الله بن محمد الفاسي، **الإعلام بمن غبر..**، م.س. ص ص 136-137 .

[3] - انظر، **المصدر نفسه**، ص 136

[4] - انظر، **المصدر نفسه**، ص 136- 137

[5] - سكن فاس وبها مات سنة 964هـ/1556م، انظر، حمدون الطاهري الجوطي ، **تحفة الإخوان ...**، م،س. ، ص ص126- 127.

[6] - قدم في حقه صاحب "**مرآة المحاسن**" ترجمة وافية لما كان له من علاقات مع علماء البيت الفاسي والشيخ القصار؛ انظر، محمد العربي الفاسي: **مرآة المحاسن** ، ص ص 228- 251 ؛ محمد القادري، **نشر المثاني** ، ج1 ، ص ص 220-222.

[7] - انظر، محمد العربي، **مرآة المحاسن..**، م.س. ص ص 229 -230

[8] - **المصدر نفسه** ، ص 230

الخطيب..."[1]، وقد ظل في تواصل مستمر مع الشيخ القصار عبر مراسلات ، مثلت جانبا من التواصل العلمي الذي جمع بين العالمين تضمنت مباحثات في جل العلوم والقضايا الدينية المستحدثة[2] .

كما كان للشريف العلمي مراسلات مع الشيخ عبد الرحمن العارف، حيث يورد محمد العربي في كتابه "مرآة المحاسن"، قائلا "**وجدت بخط شيخنا الإمام المحقق عمي أبي محمد عبد الرحمن بن محمد كتابا كتبه لصاحب الترجمة (أي الشيخ الشريف العلمي)..."**[3] ، وقد تضمن موضوع الرسالة مباحثات حول قضية "برهان البقاء" وهي من القضايا العقدية[4] .

انتفع بالشيخ العلمي خلق كثير منهم قاضي شفشاون الشيخ محمد بن الحسن ابن عرضون[5].

توفي في مدينة شفشاون سنة 1027هـ/1618م، ودفن بمقابر سلفه في القبة العظيمة المبنية لهم في شفشاون محاذيا للأمير الجليل السيد أبي الحسن علي بن راشد[6] .

➢ يحيى بن عبد الله الحاحي (ت1035هـ/1626م)[7]

هو أبو زكريا يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي عرف بالعلم والصلاح، كان فقيها مشاركا، كانت له رحلات عدة في طلب العلم، أبرزها رحلته إلى فاس، حيث شكلت مرحلة الدراسة منعطفا جديدا في حياة يحيى الحاحي، وجعلته ينفتح على آفاق علمية أرحب مما كان متاحا له بزاوية أبيه بحاحا، فتتلمذ على طبقة من خيرة علماء العصر كإمام فاس أحمد بن علي المنجور المكناسي، وأبو العباس أحمد بن علي الزموري، ومفتي فاس وخطيبها أبو زكرياء يحيى السراج، وقاضي الجماعة بها أبو القاسم بن أبي النعيم الغساني، وغيرهم[8]، ولما عاد إلى الجبل تولى أمر الزاوية الحاحية في مطلع القرن السابع عشر (1603 ـ 1604م)[9] .

➢ محمد بن أبي بكر الدلائي (ت 1046هـ/1636م)[10]

شيخ الزاوية البكرية الدلائية بعد وفاة والده أبي بكر الدلائي، كانت مرحلة التلقي الأولى له للعلوم بالزاوية الدلائية، إذ تلقى العلم على يد العديد من شيوخ العلم، الوافدين على الزاوية البكرية منهم

---

[1] - محمد العربي، **مرآة المحاسن**.، م.س. ص 232 .

[2] - انظر بعضا من هذه المراسلات ، **المصدر نفسه** ، ص ص 232 – 233 .

[3] - **المصدر نفسه**، ص 234

[4] - انظر تفصيل الرسالة ، **المصدر نفسه**، ص ص 234 -236 .

[5] - عالم محقق، أدركه ورافقه واستفاد ما عنده، توفي بمدينة فاس سنة 1012هـ/ 1603م، ودفن خارج باب الفتوح في روضة الفضلاء أبناء بكار.

[6] - محمد العربي ، **مرآة المحاسن.، م.س.** ،ص 251 .

[7] - انظر، الإفراني، **نزهة الحادي.،** م.س. ص ص 310- 337؛ خير الدين الزركلي، **الأعلام**، دار العلم للملايين ، بيروت ط10 سنة 1992، ج8 ص155؛ كان "يحيى بن عبد الله الحاحي" رجل صلاح ودين، كان كثير الأتباع كأبيه وجده، إلا أنه وقع له كما وقع لأبي محلي من فتنة السياسة والسلطة، إذ دخل في حرب ضده بطلب من السلطان زيدان ابن المنصور، قبل أن يخلعه عن الإمارة ويؤسس إمارة قوية بتارودانت، فدخل في صراع مع أبي حسون السملالي، إلى أن توفي مسموما بقصبة تارودانت، وحمل من غده إلى زاوية أبيه وجده بشرق سوس فدفن جنبهما.

[8] - محمد الصغير الإفراني ، **نزهة الحادي...م**.س. ص 310 .

[9] - عبد المجيد قدوري: عودة إلى ظاهرة الزوايا في مغرب العصر الحديث، ضمن **عدد خاص وقفات في تاريخ المغرب**، م.س. ص399 .

[10] - انظر، محمد العربي، **مرآة المحاسن**، م.س. ص 293؛ القادري، **نشر المثاني**، ج1 ص ص 339 – 347؛ حجي، **الزاوية الدلائية**، ص ص 79-86 .

الشيخ أبو العباس أحمد بن القاضي[1]، كما قصد مدينة فاس فأخذ عن شيوخها، خاصة الشيخ أبي المحاسن الذي قصده فأخذ عنه وتبرك به[2]، وأخذ عنه عهد الشاذلية[3]، كما أخذ عن الشيخ محمد بن قاسم القصار مختلف الفنون والعلوم، في التفسير والحديث والتصوف، لدرجة يورد محمد حجي، أنه يطول الكلام لو تعرضنا لذكر كل ما أخذه ابن أبي بكر الدلائي عن القصار، ونكتفي بالإشارة أنه نال منه إجازة عامة وروى عنه بالسند المتسلسل المتصل بالمؤلفين الأحد عشر تفسيرا للقرآن الكريم، والكتب الستة، وسائر مصنفات الحديث، وغير ذلك من المؤلفات التي تشتمل عليها فهرست الإمام القصار[4]، وذلك قبل سنة 1604م[5]، وعند عودته للزاوية الدلائية تصدر للمشيخة[6] .

➢ أحمد الحارثي بن أبي بكر الدلائي (ت1051هـ/1641م)[7]

هو أحد لغويي الزاوية الدلائية ونحويها، تلقى تعليمه بالزاوية على مجموعة من رجال فاس الوافدين عليها، أبرزهم أحمد ابن القاضي، وأحمد بن عمران الفاسي، وعلي بن عبد الواحد الأنصاري السلوي، وأبي حامد العربي الفاسي، وقد أجازه هذا الأخير إجازة عامة؛ توفي بالدلاء.

➢ المسناوي بن محمد بن أبي بكر الدلائي (ت1059هـ/1649م)[8]

هو أبو عبد الله محمد المسناوي، رحل إلى فاس لأجل تلقي العلم، فأخذ في تحصيل العلوم من علماء فاس، أبرزهم : الإمام محمد القصار وعبد الواحد بن عاشر الأنصاري ...؛ رجع إلى الزاوية الدلائية عالما بارعا في كل العلوم الدينية واللغوية، فأخذ يلقن هذه العلوم لطابة الزاوية الدلائية؛ توفي مقتولا بمنطقة الدلاء.

➢ أبو عمر بن محمد بن أبي بكر الدلائي (ت1069هـ/1658م)[9]

علاّمة أديب، تلقى تعليمه على رجال الزاوية الدلائية والوافدين عليها من رجال مدينة فاس، على رأسهم أحمد بن عمران، وأبي حامد العربي الفاسي.

---

[1] - محمد حجي، **الزاوية الدلائية**، ص 80 .
[2] - محمد القادري، **نشر المثاني**، م.س. ص 340 .
[3] - محمد حجي، **الزاوية الدلائية**، م.س. ص77 .
[4] - مخطوط في مجموع بالمكتبة الوطنية بالرباط تحت رقم 71ج
[5] - محمد حجي، **الزاوية الدلائية**، ص77 .
[6] - انظر، **المرجع نفسه**، ص 81 .
[7] - انظر، **المرجع نفسه**، ص83 .
[8] - **المرجع نفسه**، الصفحة نفسها .
[9] - **المرجع نفسه**، ص40

➢ **الطيب بن المسناوي الدلائي (ت 1077هـ/1666م)**[1]

هو ابن محمد المسناوي بن محمد بن أبي بكر، درس بالزاوية الدلائية على يدي رجالها والعلماء الوافدين عليها من مدينة فاس، كالشيخ حمدون الآبار، ومحمد بن سودة، ومحمد العربي الفاسي، ثم رحل إلى فاس، وهي إذ ذاك تحت نفوذ الدلائيين، فأقام فيها آخذا عن علمائها خصوصا منهم الشيخ عبد القادر الفاسي، وقد طال مقام الطيب الدلائي بهذه المدينة إلى أن تمكن من المعارف تمكنا متينا، فعاد إلى الزاوية الدلائية متصدرا للتدريس والفتوى؛ توفي بالدلاء.

➢ **عبد الله الشريف الوزاني (ت1089هـ/1678م)**[2]

هو عبد الله بن إبراهيم اليملحي العلمي، صاحب الطريقة والزاوية الوزانية، وصفه القادري بأنه "**أحد الكبراء المشهورين، كثير التلاميذ والأتباع**"[3] ، تلقى مرحلة من مراحل تعليمه بمدينة فاس[4]، التي قضى فيها مدة من الزمن (1028هـ/1619م إلى 1034هـ/1623م)، فقرأ العلم ولازم مجالسه، وحصل نفائسه، وهناك لقي الشيخ محمد بن عطية السلوي الفاسي (1052هـ/1643م)[5]، فقرأ عليه النحو والحديث والتفسير والفقه العرفان، كما قرأ على قاضي الجماعة بفاس وخطيبها الفقيه أبي القاسم بن محمد الغساني[6] الموطأ وصحيح البخاري ومسلم ومختصر خليل، كما قرأ على الفقيه الصوفي أبي الحسن علي بن قاسم الريفي الزناتي الفاسي(ت1939هـ/1629م) علوم الحديث خاصة، وقرأ على شيخ الجماعة في القراءات الفقيه النحوي أبو عبد الله محمد بن مبارك المغراوي السجلماسي الفاسي (ت1093هـ/1681م)، القرآن الكريم بالروايات السبع .

وأما في علوم الباطن والعرفان فقد أخذ الوزاني عن الشيخ محمد بن عطية السلوي الفاسي (1052هـ/1643م)[7] "**الذي قرأ عليه وتخرج به في العلم والعرفان**"[8] ، كما يعتبر ضمن سلسلة التصوف عن الشيخ أبي المحاسن باعتبار أن الشيخ علي بن أحمد الصرصري(ت 1027هـ/1618م) الذي صحبه عبد الله

---

[1] - محمد حجي، **الزاوية الدلائية**.، م.س. ، ص 85

[2] - انظر، القادري،**نشر المثاني**.، م.س. ج2 ص ص 233-236؛ **التقاط الدرر**، ص208؛ عبد السلام بن سوده، **اتحاف المطالع ...**،ج1 ص 27؛ حمدون الطاهري الجوطي ، **تحفة الإخوان...**، م.س. ص ص 126-146 .

[3] - محمد القادري ، **نشر المثاني**... ، ج2، م.س. ص 233

[4] **-** أحمد الوارث، **الطريقة الوزانية سلوك في الظاهر وجذب في الباطن** ، مجلة المناهل، مجلة فصلية تصدرها وزارة الثقافة المغربية ،الرباط، عدد خاص (الزوايا في المغرب) الجزء الثاني ، عدد مزدوج 82- 83 شتنبر 2007 ، ص ص 47- 48 .

[5] - حمدوون الطاهري الجوطي ، **تحفة الإخوان...** ، م.س. ص 132

[6]- هو أبو القاسم بن محمَّد بن أبي القاسم بن أبي نعيم الغساني الفاسي، قاضي الجماعة بفاس، كان من كبار الشيوخ الذين لهم الشهرة والصيت متضلعاً في الفنون ماهراً في المعقول والبيان والتفسير وكان خطيباً بليغاً حميد السيرة، أخذ عن المنجور وأبي القاسم بن إبراهيم وأحمد بابا وابن مجبر والسراج والحميدي، وعن ميارة وابن عاشر المقري، وغيرهم (ت1032هـ/1622م) .

[7] - حمدوون الطاهري الجوطي ، **تحفة الإخوان...**، م.س، ص 132

[8] - محمد القادري، **نشر المثاني**.. ، م.س. ج2 ص25

الوزاني وورث مقام القطبانية عنه[1] ، كان تلميذا ومريدا للشيخ أبي المحاسن، فيكون بذلك هذا الأخير أحد شيوخه في علم الباطن.

➢ أبو سالم بن محمد العياشي (ت1090هـ/1679م)[2]

هو عبد الله بن محمد بن أبي بكر بن يوسف بن موسى بن محمد بن يوسف بن عبد الله العياشي، لقب ب"عفيف الدين المالكي"، واشتهر بكنيته "أبي سالم"، يتصل نسبه -حسب روايات مؤلفي هذه الأسرة- بالشرفاء الأدارسة، ولد سنة 1037هـ/1628م، كانت وفاته سنة 1090هـ/1679م على إثر إصابته بوباء الطاعون، وأول من قدم إلى المنطقة من أجداده هو جدهم الأعلى عبد الله بن عبد الرحمن، وموطنهم الأصلي هو قصر "ولتدغير" بفجيج، وقد استقر أول الأمر في الغزلان ثم ارتحل إلى جبل درن حيث تزوج بخنق ملوان وخلف ولده يوسف، انتقل يوسف إلى قصر آيت يعقوب القديم فتزوج من آيت معروف، واشتغل في وظائف دينية كالإمامة والآذان وتعليم الصبيان وغير ذلك، ثم انتقل أحفاده فيما بعد إلى تزرفت، وارتبط يوسف الجد الثاني لأبي سالم بعلاقات مصاهرة مع آيت عياش فجرى عليهم هذا الاسم ونسبوا إليهم .

بدأ تكوين أبي سالم على يد والده وشيوخ الأسرة، الذين استفادوا من شيوخ الزاوية الدلائية ومجالسها الحافلة... وقد استفاد أبو سالم من الجو الفكري الذي ساد الزاوية العياشية، كما استفاد من رحلاته العلمية نحو الزاوية الناصرية[3]، حيث تتلمذ على يد الشيخ ابن ناصر... وقد تكررت رحلاته إلى هذه الزاوية عدة مرات باعتبار العلاقات التي جمعته مع أهلها، فدرس بها ودرّس، كما تتلمذ عليه أبناء الشيخ ابن ناصر وحفدته[4] .

أما في مدينة فاس التي قضى بها وقتا طويلا[5]، فكان لها تأثير في تكوينه العلمي، مهتما خلالها بالدراسة والبحث والتحقيق.... فكانت لها نتائج إيجابية[6]، حيث تتلمذ على يد أجل شيوخها وعلمائها في عصره، أبرزهم: الشيخ عبد القادر الفاسي، فأخذ عنه علوم الحديث، واستمع إليه في عدة علوم...، فقرأ عليه من كتب التصوف كتاب "الحكم العطائية" قراءة تفهم وتحقيق، كما استمع إلى الشيخ أحمد الآبار في دروس "مختصر خليل" في الفقه المالكي...،كما حضر دروس الشيخ محمد بن أحمد ميارة[7]؛ وقد حظي الشيخ أبو سالم بإجازة مجموعة من علماء فاس، منهم: الشيخ عبد القادر الفاسي، وعبد الرحمن بن عبد

---

[1] - انظر، حمدون الطاهري ، **تحفة الإخوان ...**، م.س. ص 126

[2] - أبو سالم العياشي ، **اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر** ، م.س. (قسم الدراسة) ص ص28- 37

[3] - أول رحلة كانت لأبي سالم هي نحو الزاوية الناصرية خلال 1053هـ/43-1644م، حيث حضر مجالس الشيخ محمد بن ناصر الدرعي، وتعرف على إمكاناته العلمية. انظر، أبو سالم العياشي ، **اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر** ، م.س. (قسم الدراسة). ص30 .

[4] - انظر، **المصدر نفسه**، ص30 .

[5] - هذه الإقامة لا يعلم تاريخها تحديدا، لكنها كانت خلال حكم الدلائيين لمدينة فاس، وقد كانت رحلة أبي سالم إليها اختيارية ولم تكن إجبارية، انظر، **المصدر نفسه**، ص ص 32-33 .

[6] - انظر، **المصدر نفسه** ، ص 32

[7] - **المصدر نفسه**، ص36

القادر الفاسي، والقاضي محمد بن سودة، عبد السلام بن ناصر، وحمدون المزوار ...[1]، مما مكنه من اكتساب مكانة فكرية اعترف له بها شيوخه الفاسيون، أهلته للاشتغال بالتدريس داخل العاصمة العلمية، فتتلمذ على يديه عدد من طلبتها، وربطته صلات وثيقة بمختلف المثقفين، وخاصة أبناء الزاوية الفاسية الذين ظل يكاتبهم ويكاتبونه، ويقوم بدور الصلة بينهم وبين علماء المشرق، وبذلك تأتى له الأخذ من أكبر زوايا المغرب بالشكل المزدوج الأهداف في أيامه[2].

➢ الشرقي بن أبي بكر الدلائي (ت1079هـ/1668م)[3]

من أعلام الزاوية الدلائية، تتلمذ بين جدرانها على علماء عصره، أجازه محمد العربي الفاسي إجازة عامة، توفي بالدلاء .

➢ محمد بن عبد الرحمن الصومعي (1123هـ/1711م)[4]

هو شيخ وفقيه وعالم من علماء منطقة تادلا، وهو صاحب الزاوية الصومعية[5] في وقته، تولى مشيختها بعد والده؛ تلقى تعليمه بالزاوية الدلائية، إذ درس وتخرج عالما منها ، قبل أن يعود إلى مسقط رأسه في تادلا، كما اتصل بالشيخين الصوفيين: أحمد اليمني وأحمد بن عبد الله معن، فصحبهما وأخذ عنهما وتأدب بأدبهما[6]، كما صحب أحمد بن عبد الله معن وحج معه عام 1100هـ/1688م، ذكره صاحب مباحث الأنوار بأنه "**إلى (الآن)[7] يتردد إلى زاوية ذلك العارف بفاس، يأتي إليها من بلدة تادلا على نحو ستة مراحل في أيام المواسم ورمضان، وأخبرني أنه أول ما لقي هذا العارف وآوى إلى زاويته، رأى الشيخ في المنام، فقال له: مثل هذا الموضع أريد لك الإيواء إليه**"[8] .

➢ محمد بن محمد الدريج (ت1126هـ/1715م)[9]

الفقيه والولي الصالح الأندلسي التطواني، صحب الشيخين أحمد بن عبد الله معن وأحمد اليمني، توفي ودفن بمدينة فاس خارج باب الفتوح، بين ضريح محمد بن عبد الله معن وضريح قاسم الخصاصي.

---

[1] - أبو سالم العياشي ، **اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر** ، م.س. (قسم الدراسة)، ص37

[2] - **المصدر نفسه،** ص ص33-34

[3] - محمد حجي، **الزاوية الدلائية،** ص85

[4] - انظر ترجمته: محمد القادري ، **نشر المثاني** ج3 ص ص 211-212؛ **التقاط الدرر** ص307؛ أحمد الولالي، **مباحث الأنوار..** م.س.ص ص 209-210؛ محمد حجي، **الزاوية الدلائية** ص ص 130-131 .

[5] - يعود تاريخ تأسيسها إلى النصف الأول من القرن 10هـ/16م، مؤسسها هو سعيد أمسناو الصومعي (ت940هـ/1533م)، إلا أن شهرتها ومكانتها بين الزوايا لم تترسخ إلا مع تلميذه وخلفه أحمد بن أبي القاسم الصومعي (ت 1013هـ/1604)؛ حول تاريخ زاوية الصومعة وأدوارها، انظر، لطيفة الشراس، **الحركة الصوفية في منطقة تادلا خلال القرنين 10**- 11هـ/16-17م، م.س. ص ص 103 - 185

[6] - انظر، محمد القادري، **التقاط الدرر**، م.س. ص 307؛ **نشر المثاني**، م.س. ص 211 .

[7] - يقصد وقت تآليفه لكتاب "**مباحث الأنوار**"، أي أوائل القرن 18م .

[8] - أحمد الولالي، **مباحث الأنوار**، ص 210

[9] - محمد القادري، **التقاط الدرر**، ص 309

➢ محمد بن أحمد المسناوي الدلائي (ت 1136هـ/1724م)[1]

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر الدلائي، أحد أبناء البيت الدلائي البكري، ولد بالدلاء وتلقى تعليمه الأولي بالزاوية الدلائية، إلا أن حادث تخريب الزاوية أدى إلى ترحيل الأسرة ومعها الابن محمد إلى مدينة فاس، وقد كان عمره أنذاك سبع سنوات، فنشأ – بذلك- في مدينة فاس، فنهل من مختلف العلوم في أهم مساجدها وجوامعها كجامع القرويين، وأبرز زواياها كالزاوية الفاسية، فكانت مدينة فاس هي الجامعة التي سيتلقى فيها المسناوي كل علومه، سواء على يد علماء فاسيين أو غيرهم، حيث درس على يد علماء أسرته وغيرهم من القادريين والفاسيين، على رأسهم عبد القادر بن علي الفاسي الذي أجازه إجازة عامة في جميع ما يجوز له وعنه روايته ، وابنه محمد بالفتح، والعربي بن الحاج السلمي، والحسن وعبد السلام بن الطيب القادري، والعربي بن أحمد بردلة، وعبد الملك التجموعتي، كما أخذ عن الشيخ محمد المرابط ، والحسن اليوسي، وعن القاضي محمد بن إبراهيم الهشتوكي، وعن عبد المالك بن محمد التاجموعتي السجلماسي، وعن محمد البوعناني التلمساني، وعن جماعة آخرين ، بلغوا نحو العشرين[2] .

➢ أبو بكر بن محمد بن محمد الدلائي(1149هـ/1737م)[3]

هو أبو بكر بن محمد بن محمد المدعو الخديم، ابن الشيخ أبي بكر الدلائي، تلقى جل علومه بمدينة فاس، تأثر بالجو الصوفي الذي ساد المدينة، فكان يحضر مجالس العلم بفاس على كبر سنه، تربى وتأدب بالشيخين: أحمد اليمني، وأحمد بن عبد الله معن، الذي كانت له حجة برفقته، كما تلقى عنه الطريقة، وخلفه على مشيخة الزاوية والطريقة بعد وفاته .

➢ محمد الصغير الإفراني[4] (ت 1154 إلى 1745/1157م)[5]

هو أبو عبد الله محمد بن الحاج محمد بن عبد الله الإفراني الملقب ب "الصغير"، ويقال: اليفْرَاني أو الوفراني، نسبة إلى قبيلة بني يفرن بسوس؛ ولد بمراكش حوالي 1080هـ (1669- 1670م) وبها بدأ طلب العلم، حيث تتلمذ على يد جماعة من علمائها، ثم انتقل إلى مدينة فاس لاستكمال التحصيل والعلم

---

[1] - انظر، القادري، **نشر المثاني...**، ج3 ص ص 265- 278؛ امحمد بن أحمد الفاسي ، **المورد الهني...**، م.س. ص ص 74-77 ؛ 281؛ محمد حجي ، **الزاوية الدلائية** ، ص243-244 .

[2] - انظر، محمد القادري، **نشر المثاني**، ج3 ص ص 266-267 .

[3] - **المصدر نفسه**، ص ص 383-388

[4] - ترجم للإفراني العديد من المصادر والمراجع ، على رأسها : محمد القادري، **التقاط الدرر**، م.س. ص ص438-440؛ العباس السملالي، **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام**، مراجعة عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، سنة 1993، ج6 ،ص ص50-58؛ ليفي بروفنصال، **مؤرخو الشرفاء**، تعريب عبد القادر الخلادي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، سلسلة تاريخ (5)، دون طبعة الرباط سنة 1977م، ص ص 89- 93؛ محمد الصغير الإفراني، **صفوة ما انتشر..**، م.س. (قسم الدراسة) ص ص15-20؛ محمد الصغير الإفراني، **نزهة الحادي...**، م.س. (قسم الدراسة)، ص ص 6 – 13 .

[5] - اختلف بخصوص سنة وفاة الإفراني، بين من قال أنها كانت سنة 1140هـ وبين من قال أنها كانت حدود عام 1150هـ/ 1738م، انظر"**التقاط الدرر**"ص439، تطرق لهذه المسألة عبد اللطيف الشاذلي من خلال مقدمة تحقيق "نزهة الحادي"، حيث بحث في هذه القضية فخلص إلى أن تاريخ وفاته كان بين 1154هـ/1742م وعام 1157هـ/1745م. انظر تفاصيل ذلك ، محمد الإفراني، **نزهة الحادي...** م.س. ص ص 9-10 .

فأخذ عن كبار العلماء بها، مثل: أحمد بن عبد الحي الحلبي(ت1120ه)، ومحمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي(ت1134ه)، ومحمد بن أحمد المسناوي، وقاضي القضاة بفاس العربي بن أحمد بُرْدُلة (ت1133ه)، وغيرهم[1] ، وقد بقي الإفراني بفاس إلى عام (1130ه/18- 1717م) ثم رجع إلى مسقط رأسه بمراكش حيث تصدر حينها للتدريس وقراءة التفسير وصحيح الإمام البخاري، حيث كان على جانب كبير من الدين المتين والتواضع الجم، مع العلم الواسع، مما جعل الطلبة يقبلون عليه، ويحضرون مجالسه، وقد تخرج على يديه أعلام كثر[2] .

كان للإفراني تواصل مع العديد من شيوخ الوقت وصلحائها، حيث ربطته علاقة وطيدة بشيخ الزاوية الشرقاوية محمد الصالح، وجرت بينهما مراسلات ومكاتبات، وتأكدت علاقة الإفراني بالزاوية الشرقاوية حين زار شيخ الزاوية محمد المعطي بن محمد الصالح بزاويته ، واقام في ضيافته مدة، وسجل عنه قصائد في المديح النبوي[3]، وقد اتخذ الإفراني في آخر حياته الخطابة والإمامة بمسجد ابن يوسف بمراكش[4]؛ كما برع في التأليف والكتابة، فترك العديد من المؤلفات في الأدب والشعر والتاريخ[5]، وهذا الأخير هو أكثر ما عرف به واشتهر .

توفي الإفراني بمراكش ودفن بالمقبرة التي بقرب جامع ابن يوسف[6] .

3- الطرقية بفاس وانتشار الزوايا بالمغرب

لعبت الزوايا بمدينة فاس دورا هاما في انتشار التصوف بالمغرب خلال مرحلة القرنين 17 و18م، وذلك عبر صلحاء وعلماء فاس وشيوخ الطرق والزوايا الفاسية الذين كان لهم دور في تخريج العدد الكبير من العلماء والمتصوفة، كما كان لهم دور في تأسيس العدد الكبير من الزوايا داخل مدينة فاس وخارجها، فنتج عن ذلك تكاثر وتوسع في فروع الزوايا وانتشار طرقي غير مسبوق، ويمكن القول إن هذا الانتشار أدى إلى تأثير التصوف الفاسي على التصوف المغربي؛ وقد كان للزاوية الفاسية دور بارز في نشر وتوسع القاعدة الطرقية للتصوف سواء داخل فاس أو خارجها، وذلك من خلال الزاوية الأم أو فروعها .

- فكيف أثرت الطرق والزوايا بمدينة فاس على انتشار الزوايا والطرقية بالمغرب؟
- وماهي أبرز الزوايا الفاسية والتي ساهمت في لعب دور التأثير الصوفي الفاسي على التصوف المغربي ؟

---

[1] - انظر، محمد الإفراني، **المصدر نفسه،** ص 7؛ ليفي بروفنسال ، **مؤرخو الشرفاء** ، م.س. ص 89

[2] - انظر، محمد القادري، **التقاط الدرر**، م.س. 440؛ محمد الإفراني، **نزهة الحادي...،** م.س. (قسم الدراسة) ، ص 8

[3] - عبد اللطيف الشاذلي، **المرجع نفسه**. ص ص 8-9

[4] - **المرجع نفسه**، ص 9

[5] - عن هذه المؤلفات، انظر، ليفي بروفنصال، **تاريخ الشرفاء...** م.س. ص 90 .

[6] - ليفي بروفنسال، **المصدر نفسه.** ص 90؛ عبد اللطيف الشاذلي، **المرجع نفسه.** ص 10

أ- تأثير الطرقية بفاس على انتشار الزوايا بالمغرب

إن الظرفية التاريخية التي عرفتها مدينة فاس منذ القرن 16م، منحتها مقومات ساعدتها في ممارسة تأثيراتها الصوفية والطرقية على الحركة الصوفية بالمغرب، والتي جاءت، إما:

■ **بشكل مباشر:** وذلك إما عن طريق تأسيس زوايا خارج مدينة فاس، كما كان الحال مع بعض رجال فاس حين أسسوا زوايا بمدينة القصر الكبير، أو بإعطاء الأمر أو أخذ الإذن في تأسيس الزوايا، حيث إن العديد من الزوايا التي تأسست في أنحاء مختلفة من المغرب كانت بأمر مباشر من صوفية فاس أو بعد أخذ الإذن منهم في ذلك؛ وقد كان للزاوية الفاسية ورجالها الأثر الكبير ضمن هذا التأثير خاصة مع الجيل الأول، فالشيخ أبو المحاسن كان له دور هام في تأسيس عدد كبير من الزوايا في شمال المغرب عن طريق منح الإذن بذلك، أو بأمر مباشر منه مثلما كان الحال بخصوص زاوية تطوان[1]، كما كان له دور في تأسيس الزاوية الدلائية وذلك عبر منح المشورة، حيث قام الشيخ أبي بكر الدلائي باستشارة الشيخ أبي المحاسن في تأسيس زاوية لإطعام الطعام والتي تحولت إلى أهم مركز صوفي خلال القرن17م[2] .

■ **أو بشكل غير مباشر:** وذلك عن طريق تلقي علوم الباطن من قبل رجال التصوف الفاسيين، فكل باحث عن الفتح الرباني كان لابد له أن يقصد رجال وصلحاء مدينة فاس، وقد كان لرجال الزاوية الفاسية وفروعها دور كبير في هذا الشأن، إذ كان عدد منهم طريقا وسبيلا للفتح الصوفي للعديد من الأقطاب ورؤساء الزوايا، ولفاس باع في هذا الشأن؛ فطيلة تاريخها ومنذ القرن 12م، نجد أن هذه المدينة كانت مقصدا للباحثين عن الفتح الصوفي، ومركزا لعلوم الباطن واتخاذ طريق السلوك، فهي محطة لكل سالك يبتغي نيل علوم الباطن كما علوم الظاهر، لدرجة أن كان للحركة الصوفية بفاس فضل في تأسيس طرق وزوايا كبرى في المغرب، على يد أقطاب ظهروا على الساحة الصوفية المغربية فأعلنوا قطبيتهم بعد أن قصدوا مدينة فاس .

ونذكر في هذا الصدد نموذجين لذلك، وهما :

- **الطريقة الوزانية:** والتي ترجع ل "الشيخ عبد الله الشريف الوزاني" صاحب الزاوية الوزانية، حيث كانت فاس محطة رئيسية في رحلته العلمية والروحية، تتلمذ خلالها على ثلة من علمائها، فتلقى بها أولى علوم الباطن، كما تأثر أثناء اقامته في فاس بالجو الصوفي السائد فيها، باعتبار تواصله ببعض أوليائها الذين كان لهم دور في سلوكه الصوفي، إذ تذكر المصادر اتصاله بالشيخ البهلول الملامتي سيدي عزوز دالله[3]، والشيخ الصوفي ابن عطية السلوي(ت1052هـ /1643م) "**الذي قرأ عليه وتخرج به في العلم والعرفان**"[4]، كما يعتبر الشيخ الوزاني من مريدي الشيخ أبي الحسن علي بن أحمد

[1] - انظر، محمد المهدي الفاسي، **ممتع الأسماع**...، م.س. ص ص 63 - 65

[2] - سبق أن تطرقنا لهذه القضية ضمن ظروف وحيثيات تأسيس **الزاوية الدلائية** ، انظر، المدخل .

[3] - انظر، الكتاني، **سلوة الأنفاس**، م.س. ج1 ص 291 .

[4] - محمد القادري، **نشر المثاني**، م.س. ج2 ص25 .

الجرفطي الصرصري بمدشر المغاصن ببلاد الهبط، حيث تشير العديد من المصادر إلى أن الشيخ الصرصري المذكور كان من أتباع الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي[1] ، كأن في الأمر محاولة لإثبات نبوءة عبد الرحمن المجذوب شيخ الطريقة الفاسية ، التي قال فيها تنقطع زريعة هذا الفقر من المغرب إلا ما كان مني، والتي دافع عنها صاحب الإبتهاج كثيرا، مشيرا إلى أن الوزانية فرع من الطريقة الفاسية المجذوبية[2] .

- **الطريقة الدرقاوية:** تأسست أواخر القرن18م لكونها تعود للشيخ العربي الدرقاوي(المتوفى 1239هـ/1823م)، غير أن جذورها تضرب في منتصف القرن 18م ، باعتبار أن الشيخ المؤثر في طريقة الدرقاوي هو الشيخ علي الجمل العمراني (المتوفي 1194هـ/1780م)، هذا الأخير الذي أثر إلى حد كبير بمنهجه وطريقه الصوفي[3]؛ وهذه الطريقة تعتبر من بنات الزاوية الفاسية وذلك لعدة اعتبارات، على رأسها أن الشيخ علي الجمل هو من تلاميذ شيوخ وعلماء مدينة فاس، سواء في علوم الباطن أو الظاهر، حيث وفد على مدينة فاس سنة 1153هـ (1738م)، فقرأ بها ماشاء الله من التصوف على الشيخ أبي عبد الله جسوس، وصحب العارف الأكبر العربي بن أحمد بن عبد الله معن الأندلسي الذي كان شيخه في التربية والانتساب، ولزم خدمته مدة من ستة عشر عاما إلى أن توفي، فبنى لنفسه زاوية بالرميلة من عدوة الأندلس قرب مسجد الشيخ سيدي أبي مدين الغوت، حيث ضريحه الآن[4]، وفي هذه الزاوية كان يتردد عليه أتباعه ومريدوه، ومنهم العربي بن أحمد الدرقاوي الذي اتصل به عام 1182هـ ورافقه إلى وفاة الشيخ سنة 1193 أو 1194[5] .

وبذلك فإن طريقة الشيخ الدرقاوي وزاويته تعتبران فاسيتين سواء من حيث الإنتماء الطرقي (للزاوية الفاسية) أو المكاني (لمدينة فاس) .

ب- الزاوية الفاسية ودورها في تأسيس الزوايا بالمغرب

برزت الزاوية الفاسية كأكبر مؤسسة صوفية مؤثرة بمدينة فاس وبالمغرب ككل خلال القرنين 17 و18م، فلعبت دورا محوريا في نشر أفكار الطريقة الفاسية، وقد ساعدت عوامل ومؤهلات في أن تؤدي الزاوية الفاسية هذا الدور خلال هذه المرحلة، أبرز هذه المؤهلات تمثلت في المكانة العلمية لرجالها، الذين ساهموا في إشعاع الزاوية الفاسية وذلك منذ تأسيس أولى بنيانها بالمخفية من قبل الشيخ أبي المحاسن، فسعى رجالها إلى تأسيس العديد من الفروع، فيما أطلق عليها محقق كتاب مرآة المحاسن "**بنات الزاوية الفاسية**"[6] ؛ فداخل فاس تم تأسيس فرعين للزاوية الفاسية، وهما زاوية القلقليين وزاوية

---

[1] - انظر، المهدي الفاسي، **ممتع الاسماع** ص134 .

[2] - انظر، احمد الوارث ، الطريقة الوزانية سلوك في الظاهر وجذب في الباطن ، **مجلة المناهل** ، م.س. ص 52

[3] - انظر، أحمد البوكاري، **الإحياء والتجديد** ، ج1 ص ص 80 – 81 .

[4] - انظر، محمد الكتاني، **سلوة الأنفاس** ...،م.س. ج1 ، ص ص 409 - 411

[5] - اختلف في تاريخ وفاته ، أنظر، **المصدر نفسه**، ص411

[6] - انظر، محمد العربي الفاسي، **مرآة المحاسن...**، م.س. (قسم الدراسة)، ص ص 28 – 29

محمد بن عبد الله معن التي تعتبر فرعا من فروع الطريقة الفاسية، وخارج فاس كانتا مدن القصر الكبير وتطوان الحاضنتين لفروع الطريقة الفاسية الأم .

■ **ففي القصر الكبير:** والذي اعتبر مجال الامتداد الروحي للزاوية الفاسية، باعتبار أن القصر الكبير هو الموطن الأصلي للشيخ أبي المحاسن، فقد حرص على تهذيب مريديه وإفادتهم، فأقام بالمدينة زمنا طويلا ينشر علمه ويهذب طريقته، كما كان دائم الاهتمام بالشأن الديني والعلمي، فمع مستهل القرن 11هـ/17م جعل بجامعها كرسيا خاصا لقراءة التفسير، وبنى طرازا هناك حبسه عليه، ولم يكن قبل ذلك كرسي للتفسير[1]، فعقد به مجالس لأنواع العلوم تنافس الناس في حضورها والإنكباب عليها، فأقام على ذلك أزيد من عشرين سنة مواظبا على نشر العلم وإفادته[2] ؛ وبعد مغادرته لفاس وتأسيس زاوية المخفية لم تنقطع روابط المشيخة بينه وبين أهلها، واتصاله بهم لم ينقطع، حيث ظل يزوروهم كل سنة عند ذهابه لزيارة ضريح الشيخ أبي سلهام[3]؛ وإن هذا الإهتمام من الشيخ أبي المحاسن والتواصل المستمر هو ما جعل للزاوية والطريقة الفاسية موقعا طيبا وتأثيرا داخل المجتمع القصري[4] .

وقد جاءت هذه التأثيرات عبر مؤسستين صوفيتين توجدان معا في حي القطانين:

- **<u>أولهما زاوية حومة القطانين:</u>** وهي الشهيرة بزاوية الشيخ محمد بن علي بن أبي المحاسن الفاسي (المكنى أبا عسرية) (ت1048/1638)، وتمثل المركز الأقدم تاريخيا، وهي تحتل موقعا مجاورا لبيت الأسرة، وربما توسعت بعد وفاة الشيخ علي بن أبي المحاسن الذي اضطلع بأمورها إلى وفاته سنة 1030هـ/1621م، وقد نهض ولده محمد أبو عسرية بالزاوية وطور نشاطها حتى نسبت إليه[5]، كما حرص على تعليم العلم وتدبير شؤون الزاوية إلى أن توفي[6]، كما تشهد شهرة الزاوية في أيامه على قيامها بنشر العلم في المدينة وخاصة على مستوى الأسرة، فأبناء الشيخ علي وأبناء عمومتهم وأحفادهم الذين عاشوا في القصر الكبير كانوا يتلقون تعليمهم الأول فيها قبل أن يتوجهوا إلى فاس أو مكناسة، أما التربية الصوفية فكانت قائمة على التنسيق مع المركز في فاس وقد روعيت فيها البساطة في اختيار الأوراد والأذكار المرتبة إلى جانب إقامة الصلوات[7] .
- **<u>أما الثانية وهي زاوية سيدي أحمد بن أحمد بن أبي المحاسن:</u>** وهي لا تبعد كثيرا عن الأولى حيث توجد بنفس الحي مقابل مسجد الشجرة، وتنسب إلى حفيد الشيخ أبي المحاسن الشيخ المربي أحمد بن الحافظ أحمد (ت1094هـ/1684م)[8]، الذي تولى شؤونها سواء الدينية أو التعليمية، وقد

---

[1] - نفيسة الذهبي ، **الزاوية الفاسية التطور والأدوار** ، م.س، ص157

[2] - محمد العربي الفاسي، **مرآة المحاسن** ...، م.س. ص ص76-77

[3] - **المصدر نفسه**، ص 104

[4] - نفيسة الذهبي ، **الزاوية الفاسية التطور والأدوار** ، م.س، ص 154

[5] - انظر، **المرجع نفسه**، ص ص 154-155

[6] - انظر، محمد القادري، **نشر المثاني** ، ج1 ، ص 372

[7] - نفيسة الذهبي ، **الزاوية الفاسية** ...، م.س. ص ص 154-155

[8] - انظر ترجمته ، محمد القادري، **نشر المثاني**، م.س.ج2 ، ص ص 307-308

نشأ الشيخ أحمد في رعاية عمه وأبناء عمه، فأخذ عن ابن عمه محمد أبي عسرية، ولقي عمه محمد العربي، فأقبل بعد مرحلة التكوين على التدريس والإفادة في القصر الكبير، واشتهر بالخصوص في أمور العبادة والتربية وإطعام الطعام في زاويته إلى أن توفي سنة 1094هـ/1684م[1].

وفي ارتباط مدينة فاس بهذين المركزين الصوفيين بالقصر الكبير، فإن الشيخ أبا المحاسن كان دائم الاهتمام بهما إذ إن الروابط العلمية لم تنقطع، فحين مغادرته فاس لم يكن ليترك مجال القصر الكبير فارغا، بل كان يخلف وراءه أحدا من أهله وأقاربه ممن تلقوا طريقا علميا وصوفيا، فيوكل له مهمة تدبير النشاط الصوفي والعلمي، وهذا إن دل على شيء فأنما يدل على حرص الشيخ على الجانب العلمي للطريقة الفاسية، وذلك بواسطة التدبير والمتابعة مع مديري شؤونها سواء من خلال الزيارات المستمرة التي كان يقوم بها من حين لآخر للقصر الكبير، حيث يجدد اللقاء بأهل القصر الكبير وبالمشرفين على تدبير أمور الزاويتين، أو عن طريق المراسلات التي لم تنقطع ومتابعة كل المجريات، والتي كان بعضها حتى مع قضاة المدينة، مثلما كان الحال مع القاضي أحمد بن عبد الرحمن بن عثمان العبد الوادي التلمساني الشهير بالتيجاني، إذ كانت له معه صحبة وملازمة[2] .

■ **في تطوان:** أسس الشيخ أبو المحاسن زاويتين فاسيتين بمدينة تطوان، أولاهما وهي الشهيرة بحومة العيون، والثانية أنشئت بعدها بحومة الانطرنكات :

- **<u>زاوية العيون:</u>** ولعلها أول زاوية أنشئت في تطوان، فقبل بناء المسجد[3] بنحو عام (والذي أكمل بناؤه سنة 1003هـ)، أمر الشيخ أصحابه بتطوان ببناء رابطة هناك لأورادهم وأحزابهم واجتماعهم للذكر والتذكير، فبنوها في "حومة العيون" منها، كما أقاموا فيها الصلوات والتلاوة والذكر وغيرهما، فنسبت الرابطة للحومة التي بنيت فيها (أي حومة العيون)، وقد وقف الشيخ عليها أوقافا[4]، وقد تطور هذا المركز لتأسيس زاوية، بعد أن أمر الشيخ أبو المحاسن الشيخ محمد أنوار الأندلسي بتأسيس زاوية بنفس المكان، وذلك سنة 1003هـ/ 94-1595م، وقد كان أتباعها على قلتهم يؤلفون ما وصف "بالجماعة التطوانية" أو "الحزب التطواني"، ... وقد ظل ارتباط الشيخ أنوار بالشيخ أبي المحاسن، حيث كان دائم التواصل مع شيخه سواء بالمراسلات أو بالسفر إليه إلى فاس كلما دعت الأمور إلى أخذ رأيه، وينفذ كل ما يأمره به من تعاليم ووصايا[5].

---

[1] - نفيسة الذهبي، **الزاوية الفاسية...** ، م.س. ص 155

[2] - **المرجع نفسه.** ص 157

[3] - المقصود هو جامع "الجعيدي" الذي يقع بحومة العيون، سمي على اسم الشيخ علي الجعيدي، وهو من أصحاب الشيخ أبي المحاسن بتطوان.

[4] - محمد العربي، **مرآة المحاسن..** ، م.س. ص ص 109-110

[5] - انظر نفيسة الذهبي ، **الزاوية الفاسية...**، م.س. ص ص 159-160

وأما بخصوص نشاط فرع الزاوية الفاسية بالعيون من تطوان ، فقد كان فرعا نشيطا ، حيث كانت الزاوية مقرا لإقامة الصلوات ولتلاوة الذكر ، ووقف عليها الناس أوقافا منها الدار المجاورة لها ، وهي التي سكن بها الشيخ محمد العربي الفاسي في آخر حياته[1] .

- **<u>زاوية الاطرانكات</u>** : تنسب هذه الزاوية إلى الشيخ محمد بن علي بن يوسف الفاسي (المكنى أبا عسرية) (ت1048هـ/1638م)، وقد تأسست حدود عام (1604/1013م)[2] ؛ وتقع بحومة الأنطرانكات، فنسبت إليها، وتقع هذه الحومة جنوب حومة العيون، تعرف الآن الزاوية بجامع الحدادين لأنها محاطة بهم، وبالرغم من خفوت دور هذه الزاوية مقارنة مع غيرها من الزوايا الفاسية، إلا أنها اعتنت بتكثيف النشاط الصوفي والعلمي. وقد عمر هذه الزاوية بعض أفراد الزاوية الفاسية، من بينهم الشيخ محمد العربي الفاسي في مرحلة ابتعاده عن فاس، والشيخ أبو العباس أحمد بن يوسف بن محمد بوعسرية بن علي الفاسي، الذي ولد ونشأ في القصر الكبير ثم رتحل إلى فاس وقضى آخر عمره في تطوان حيث كانت وفاته سنة 1145هـ/ 32-1733م، فأقام بها خلال زمن المسبغة التي عمت فاس في منتصف القرن 18م، والشيخ أحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي (ت1164هـ/1751/50م)، مع أولاده وأهله فترة من الزمن[3] .

المبحث الثاني: تأثير الحركة الصوفية بالمغرب على التصوف بمدينة فاس

إن الآلية التي مارست بها فاس تأثيراتها على التصوف المغربي، كانت نفسها التي تأثرت عن طريقها بالتصوف المغربي، وكان ذلك يجري وفق تطورات سياسية واقتصادية واجتماعية كانت تشهدها مدينة فاس، فهذه المدينة شكلت استثناءا بارزا بسبب ما شهدته من تحولات تاريخية، ما بين القوة والضعف؛ وإن كنا عبرنا –سابقا- عن تأثير التصوف الفاسي على التصوف المغربي عن طريق رجال التصوف، فإنه بالمقابل حدث الأمر نفسه، إذ في الوقت الذي كان رجال فاس يتركون بصمتهم على التصوف المغربي فإنهم كانوا يتأثرون أيضا، ففاس مارست تأثيراتها الصوفية بداية من الداخل ثم من الخارج، لكن التأثر الذي مسها جاء من الخارج ثم امتد إلى الداخل، وبالتالي يمكن الحديث عن مسارين:

- **<u>المسار الأول</u>**، يمثل تأثر مدينة فاس من الخارج، مع أولئك الذين تفتحت عيون عقولهم خارج فاس، فتلقوا من معينها على يد طبقة من الأساتذة والشيوخ المنتمين لمشارب مختلفة، فعادوا إلى مدينتهم بعد استقرار الأوضاع محملين بتأثيرات مختلفة من جميع المنابع الصوفية كشيوخ وعلماء بزواياها ومساجدها، ليؤثروا داخل مجال فاس الصوفي، وقد شملت هذه المرحلة النصف الأول من القرن 17م .

---

[1] - نفيسة الذهبي، **الزاوية الفاسية...** ، م.س. ص 160

[2] - انظر ، **المرجع نفسه** ، ص ص 162- 163

[3] - **المرجع نفسه** ، ص 163

■ أما **المسار الثاني**، فيمثل تأثر مدينة فاس من الداخل، وذلك حين قصد رجال العلم والتصوف من مناطق المغرب المختلفة مدينة فاس، فاحتلوا منها مواقع التدريس والتعليم والتلقين، فأثّروا أكثر مما تأثروا، مثلما كان الأمر مع مجموعة من رجال الزاوية الدلائية، كما تحولت أيضا مدينة فاس، إلى مركز لتأسيس فروع زوايا لطرق من خارجها بشكل لم يكن من قبل، وهو ما كان خصوصا خلال القرن 18م، كالزاوية الناصرية والشرقاوية والوزانية، وهو ما جعل فاس معرضة لتأثير موجات من الطرق والطوائف الصوفية المغربية؛ وهذا الوجه الثاني بدوره أبرز مدى مكانة مدينة فاس وأهميتها ضمن الحركة الصوفية المغربية، إذ إن انتشار الطرقية بالمغرب ساهم في انتشار الزوايا بمدينة فاس، فعنصر الاستقطاب الذي حظيت به مدينة فاس جعل العديد من أرباب الطرق يؤسسون زوايا داخلها، وذلك حتى قبل القرن 17م، وخير مثال على ذلك ما قام به الشيخ أبو المحاسن خلال القرن 16م حين قدم لمدينة فاس فأسس زاويته وطريقته الفاسية، وهذا الأمر إن دل على شيء فإنما يدل على أهمية هذه مدينة ومكانتها صوفيا وسلطتها الروحية بالمغرب، إذ إن كل من أراد أن يكون لزاويته وطريقته صيت وشهرة أكثر فعليه بمدينة فاس .

لذلك، ومن خلال هذا المبحث، سنحاول البحث عن تقاطعات التأثيرات الصوفية والعلمية المختلفة التي مست مدينة فاس خلال القرنين 17 و18م، سواء من الداخل أو الخارج، وضمن هذه التقاطعات فقد كان للزاوية الدلائية دور هام ضمن هذه التأثيرات، سواء في التأثير على التصوف الفاسي من الخارج أو من الداخل، ويمكن القول إن دور الزاوية الدلائية ماثل دور الزاوية الفاسية، فإن كانت الزاوية الفاسية نشرت تأثير التصوف من فاس باتجاه مختلف مناطق المغرب، فإن الزاوية الدلائية قامت بنشر تأثيراتها الصوفية باتجاه مدينة فاس، فكان بذلك بين الزاويتين تبادل وتلاقح علمي وصوفي، لم يحدث قط بين أي زاويتين في تاريخ التصوف المغربي؛ كما كان لمجموعة من الزوايا والطرق الصوفية دور في نشر التصوف داخل مدينة فاس، وذلك من خلال تأسيس فروع لها، مما أدى إلى نشر أفكارها وطرقها الصوفية، كالزاوية الوزانية والشرقاوية والناصرية؛ لذلك سنميز بين دور الزاوية الدلائية التي كان لها دور من خلال إشعاعها الصوفي بمدينة فاس، وبين تأثير الزوايا الكبرى .

ولدراسة هذه التأثيرات سنعتمد على عنصرين رئيسين، هما رجال العلم والتصوف، والزوايا الصوفية، والهدف هو الوقوف على أبرز الأعلام والحيثيات والأحداث التي كان لها دور ضمن هذه التأثيرات، والتي مست مدينة فاس من التصوف المغربي .

وتجدر الإشارة، على أننا خلال البحث ضمن هذه الجوانب، لابد من توضيح قضية هامة، وهي أن مدينة فاس خلال القرن 18م بالخصوص، ستشهد بروز طوائف شعبية بساحتها الصوفية، والتي ستحتل مساحة هامة من خريطة التصوف الفاسي، وهذه الطوائف ستنشر فكرها عبر رجال قادوا موجات هذه الحركة، ولأن خطة بحثنا ترتكز على حركة التصوف العلمي ورجالها- بالدرجة الأولى-، فقد خصصنا هذا المبحث الدراسي لأجل هذه الغاية، وتركنا الحديث عن غيرهم ضمن الباب الثاني من هذه الدراسة .

1- تأثير رجال الزاوية الدلائية على التصوف الفاسي

كان للزاوية الدلائية دور هام فيما مس تطور الحركة الصوفية بمدينة فاس من تأثيرات، إذ مارست تأثيراتها تلك من الداخل والخارج، ففي مقرها بالدلاء كانت مقصد كل طلاب العلم من المغرب عامة، ومن فاس خاصة، وتحديدا أيام الأزمات وتراجع المراكز الحضرية، إذ عرفت إقبالا كبيرا من طرفهم، مما جعل العديد من الفاسيين يتأثرون بعلماء كبار، كالشيخ أبي بكر الدلائي والعلامة اليوسي ...؛ كما حدث أن مارست الزاوية الدلائية تأثيراتها من خارج مجالها وتحديدا داخل مدينة فاس، حيث كان حادث تخريب زاويتهم واستقدام أبرز علماء الزاوية الدلائية مناسبة سمحت لهم بالتأثير ضمن مجالها، خاصة أن مدينة فاس كانت تعرف ركودا علميا وفكريا حينذاك، فجاك بيرك يقر أثناء تطرقه لسيرة اليوسي، بأن فاس خلال هذه المرحلة كانت تعرف مرحلة متدهورة من تاريخها[1]، مما يدل على أن رجال الزاوية الدلائية ساهموا بشكل كبير ضمن عملية إحياء العلوم بمدينة فاس، فبعد إخلاء الزاوية الدلائية، وترحيل العديد من رجالها إلى فاس، أخذوا يشتغلون بالتدريس في هذه المدينة، فانتشروا في مساجدها ومدارسها يعقدون المجالس العلمية ويفيدون الطلبة الذي أقبلوا عليهم إقبالا عظيما، فقد كان فيهم المحدثون، والفقهاء، واللغويون، والنحاة، والأدباء[2]، كما برزت أسماء رجال من الزاوية الدلائية بصمت تاريخ فاس خلال هذه المرحلة وذلك من خلال توليهم الخطابة والإمامة في أهم الجوامع والمساجد والمدارس، فتصدروا كراسي وحلقات التدريس، نموذج أبناء أبي بكر الدلائي، والعلامة الحسن اليوسي، والمسناوي، فكان الإقبال عليهم كبيرا، لدرجة أنه يصعب تحديد عدد التلاميذ الذين تخرجوا على يد الدلائيين، ولم يتوقف الأمر على الجيل الأول من الدلايين الذين وفدوا إلى فاس، بل تعاقب عدد وافر من علماء هذه الأسرة على التدريس إلى ما بعد نهاية القرن الثامن عشر، حتى أنه ليكاد جميع العلماء الفاسيين الذين عاصروا الإمام المسناوي بن أبي بكر الدلائي الدلائي من تلاميذه، وتعكس "**إفادات وإنشادات**" الإفراني الأثر البعيد الذي كان لهؤلاء العلماء في الحياة الفكرية والعلمية بفاس، حيث ترك الدلائيون أترهم الكبير، وهو ما تجلى في سير أفراد الطبقتين العلميتين المعاصرتين للسلطانيين المولى الرشيد وإسماعيل[3]، لدرجة أن هناك من يرى أنهم احتلوا الصدارة من الأرستقراطية الدينية والفكرية في فاس[4]، وهناك من يذهب أبعد من ذلك، إذ يؤكد محمد حجي أن أعلامهم لم يعد يضاهون العلماء الفاسيين فحسب، بل بذوهم وغبروا في وجوههم[5]، وهذا ما يعكس صورة الإفراني عن هذا الوضع بالقول بأن "**شمس الدلاء أشرقت على فاس**"[6]، فمن خلال كتاب "**الإفادات والإنشادات**" يوضح عبد الله نجمي في دراساته معالم هذه الصورة، بإشراق شمس الزاوية

---

[1] - Jacues BERQUE, *AL-YOUSSI; problème de la culture marocaine au XVII siècle*, édition centre tarik ibn zyad 2001, pp15-16

[2] - انظر، محمد حجي ، **الزاوية الدلائية**، ص240-241

[3] - عبد الله نجمي، الإفادات والإنشادات لمحمد الصغير الإفراني ، **متنوعات محمد حجي**، نشر دار الغرب الاسلامي بيروت، ط1 سنة 1998م، ص ص 92-93

[4] - ليفي بروفنسال، تاريخ الشرفاء، م.س. ص 110

[5] - محمد حجي، **الزاوية الدلائية** ص 242

[6] - عبد الله نجمي، الإفادات والإنشادات، **متنوعات محمد حجي**، ص 92

الدلائية من جديد على فاس بعد أن غربت بالدلاء، ويصدق الصورة التي رسمتها دراسات سابقة عن الدلائيين بالحاضرة الإدريسية بعد تخريب زاويتهم، وكيف تطور مركزهم الاجتماعي والعلمي بفاس بسرعة، حتى احتلوا مكان الصدارة اجتماعيا وعلميا، ويضيف صاحب الدراسة، أنه لو نظرنا في الأسانيد العلمية والصوفية لمفيدي ومنشدي الإفراني، من مشايخه وأصحابه، لوجدنا معظمها يتوسل بأعلام هذه الزاوية من أساتذتها وتلاميذها من أبنائها وغيرهم، وبالأخص بشيخها محمد المسناوي الدلائي (ت1724/1136م)، والذي يكاد يكون جميع معاصريه من العلماء من تلاميذه، فشيخا الإفراني المعداني والعميري ينتسبان للزاوية البكرية دينا وطينا، وصاحبه محمد الشاذلي سليل مؤسسها أبي بكر، وصاحبه أحمد القادري صهر الدلائيين وتلميذهم ومجاورهم وشاهد على نكبتهم على يد المولى الرشيد، وشيخ الإفراني محمد الصغير بن عبد الرحمن الفاسي من تلاميذ محمد المرابط الدلائي(ت1678/1089)، وأساتذته ميارة وابن زكري والسجلماسي وبناني يشتركون معه في الأخذ عن الإمام المسناوي شيخ الجماعة بفاس، وكذلك صاحباه الغساني والعلمي، واللذان أخذا أيضا عن الإمام اليوسي[1]، ويضيف عبد الله نجمي، والحاصل أن رحلة الإفراني العلمية، وإن كانت فاسية في معالمها المكانية، مثل القرويين والمدرسة الرشيدية والمدرسة المتوكلية والزاوية الفاسية وغيرها، فإنها كانت دلائية في عمقها الروحي والفكري وفي أعيانها من العلماء والصوفية[2] .

هذا، ولم تتوقف تأثيرات البيت الدلائي مع الجيل الذي دخل فاس -كما أشرنا-، بل خلف هؤلاء العلماء جيلا أكمل تأثيرات سلفه، كما جعل من الأسرة الدلائية أن تكون جزءا من الأسر الفاسية ومن ثقافة فاس، فتكونت طبقة جديدة من العلماء الدلائيين ولدوا في فاس ونشؤوا بها، فكانت صلتهم بالمدينة أقوى وأمتن من صلة آبائهم، وسلمت عقولهم من التفكير في الغربة، وأفئدتهم من الحنين إلى الزاوية المتهدمة، وتم بذلك انصهار الدلائيين وامتزاجهم التام بالفاسيين[3] ، وهم من مثلوا الفئة الثانية من البيت الدلائي المؤثرين على التصوف الفاسي، وقد خص محمد حجي جزءا في دراسته حول الزاوية الدلائية عن هذه الفئة من الدلائيين المتأخرين بفاس، وهم كل من محمد المرابط، ومحمد الشاذلي، ومحمد المسناوي[4] .

وإن من بين الآثار التي خلفتها الزاوية الدلائية بالتصوف الفاسي ما لايحصر، فالمصادر تحتفظ بعدة مظاهر من هذه التأثيرات، تجلت في العلوم التي حملها رجال فاس من الزاوية الدلائية، كما تمظهرت في الاعتراف بحق هذه الزاوية في آداب الفاسيين، من مدح لرجالها وتأليف مؤلفات تعريفية بهم، وفي رثاء الزاوية بعد تخريبها .

---

[1] - عبد الله نجمي، الإفادات والإنشادات، **متنوعات محمد حجي**، ص ص 92-93

[2] - **المرجع نفسه**، ص 93

[3] - محمد حجي **الزاوية الدلائية** ص 242

[4] - انظر ، محمد حجي ، **الزاوية الدلائية** ، ص ص 247-249

وللوقوف على مدى التأثير الدلائي بالتصوف الفاسي، سنخص الحديث عن أبرز رجال العلم والتصوف من الزاوية الدلائية، ومن تتلمذوا على أيديهم من رجال فاس خلال مرحلة القرنين 17-18م .

أ- تأثير الفئة الأولى من رجال الزاوية الدلائية

➢ أبو بكر بن محمد الدلائي (ت1021هـ/1612م)[1]

صاحب الزاوية الدلائية البكرية، وصفه ونعته محمد العربي بأنه "**من أكابر مشايخ المسلمين، وأولياء الله المقربين، واحد عصره، مترسم بالشريعة، متحقق بالحقيقة، بحر جود لا ساحل له**"[2]، كما شهد له بشهادة عظيمة ، فقال عنه "**وحسبك أن المغرب لما تداعت قواعده وانهدت أركان الملك به، وفسد النظام وماج الناس، كان موئلا لأهل العلم والدين ، وموردا للضعفاء والمساكين ، فاعتصم به الإسلام بربوة منه ذات قرار ومعين ، فهو الذي أمسك رمقه وأبقى روائه ورونقه**"[3]؛ أخذ عنه بالزاوية الدلائية الحافظ أحمد بن أبي المحاسن الفاسي، وشهد له بمكانته ، فالشيخ الحافظ حين عاد إلى فاس سأله أهل فاس عنه، فقال "**أخذ الناس بالأوصاف، وأخذ سيدي أبو بكر بالإتصاف**"[4].

➢ محمد بن أبي بكر الدلائي (ت 1046هـ/1636م)[5]

يعتبر الشيخ من أبرز رجال الطبقة الأولى للزاوية الدلائية، وواضع أسس الزاوية على نهج أبيه أبي بكر، خلف أباه في تدبير شؤون الزاوية، فتصدر للمشيخة، ليأخذ دور المؤثر من داخل الزاوية الدلائية، إذ قصده رجال فاس حين تدهورت أوضاعها، فتتلمذ على يديه أحمد المقري، وأبي حامد العربي الفاسي، الذي قال فيه"**هو خاتمة مشايخ المغرب ..عالم حافظ دراك...صحبته سنين في محبة خاصة، ومراعاة تامة، جرت فيها من الفوائد والنكت ما لا يحصى ولا يحصر**"[6]، كما أخذ عنه أيضا عبد الواحد ابن عاشر، ومحمد البوعناني، وعلي ابن عبد الواحد الأنصاري السلاوي، ومحمد المرابط[7].

➢ محمد المرابط الدلائي (ت 1089هـ/1678م)[8]

هو محمد بن محمد بن أبي بكر الدلائي الملقب ب"المرابط"، أحد أبرز رجال الزاوية الدلائية، ومن أساتذتها الكبار، الذين أثْرَوا العلم بمدينة فاس، والتي دخلها بعد حادث تخريب زاويتهم، فكان إماما في

---

[1] - محمد العربي ، **مرآة المحاسن**.، م.س. ص 290؛ محمد القادري ، **نشر المثاني** ج1 ص 163؛ **التقاط الدرر** ، ص ص 56-57 ؛ محمد حجي ، **الزاوية الدلائية** ، ص ص 45-48

[2] - مرآة المحاسن، **المصدر نفسه** ص 290

[3] - **المصدر نفسه** الصفحة نفسها .

[4] - **المصدر نفسه**، ص 213

[5] - سبق ترجمته بالمبحث الأول، كونه يجمع بين العلماء الذين تأثروا بعلماء مدينة فاس وأثروا عليهم .

[6] - محمد العربي، **مرآة المحاسن**، م.س. ص 293

[7] - محمد حجي، **الزاوية الدلائية** ، ص 83

[8] - انظر، محمد القادري، **التقاط الدرر**، ص ص 207-208؛ محمد الصغير الفاسي، **المنح البادية ...**، م.س.ج1، (قسم الدراسة)، ص60؛ محمد حجي، **الزاوية الدلائية** ص82-83

علم النحو مشاركا في سائر الفنون، كما قام بوظيفة التدريس في مساجدها ومدارسها، متوليا أمر الخطابة بالمدرسة المتوكلية، تولى في عهد السلطان إسماعيل وباذن منه الخطابة بالمدرسة المتوكلية، ومن أبرز من تتلمذ وأخذ عنه: محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي مؤلف "المنح البادية في الأسانيد العالية "، إذ حصل منه على إجازات في علوم عدة[1]، والمؤرخان الكبيران الأخوان القادريان عبد السلام، والعربي القادري؛ قرأ عليه عبد السلام القادري نصف مختصر خليل، ألف ترجمة لوالد شيخه محمد الشاذلي الدلائي وجده سماه "نزهة الفكر في مناقب الشيخين سيدي محمد ووالده سيدي أبي بكر"، صار إمام القراء في فاس وشيخ الجماعة بالمغرب، وهو صاحب الفهرست المسمى "عذب الموارد في رفع الأسانيد " .

- **الإمام أبو علي الحسن اليوسي (ت1102هـ/ 1691م)[2]**

هو الإمام أبو علي الحسن بن مسعود بن محمد اليوسي، ونسبته إلى قبيلة آيت يوسي الصنهاجية، ولد في حدود 1040هـ/1631م، بإحدى قرى السفح الشمالي للأطلس الكبير الشرقي، بدأ طلب العلم مع بلوغه سنّ التمييز؛ إذ بعث به والده إلى كُتاب القرية لحفظ القرآن الكريم، ثم توجه إلى تافيلالت صحبة معلمه أبي إسحاق الحداد حيث ختم القرآن الكريم، وأخذ مبادئ العلوم، من توحيد، ولغة، ونحو، وفقه، ثم عاد إلى بلدته حيث واصل مشواره العلمي، وبدأ يدرس كتب التصوف ويزور الصالحين .

فهو من بين رجال الزاوية الدلائية الأفذاذ، تنقل طلبا للعلم في مناطق دكالة ومراكش وسوس ، فأخذ الطريق الصوفي عن أبي عبد الله محمد بن ناصر الدرعي، وعنه أخذ الطريقة الناصرية ، وانتقل بعد هذه الرحلة إلى الزاوية الدلائية حوالي 1060هـ/1650م ، فأخذ بها عن فطاحل العلماء، من أمثال: أحمد بن عمران الفاسي، ومحمد بن محمد بن أبي بكر الدلائي، وغيرهم، إلى أن تمكن من أهم العلوم والمعارف، فتقلد بهذه الزاوية وظيفة التدريس وظل مقيما بها مدة عشرين سنة[3]، ولقد مُكن لليوسي من ملكة العلوم الدينية، فنجده عالما في: التفسير والحديث والفقه والأصول والتصوف واللغة والأدب والبلاغة[4]، ومن حيث منهج التدريس والتعليم، فقد تأثر بطريقة شيخه محمد بن ناصر في تدريس العلوم، وهي طريقة تقتصر على تفهم النص وتحليل الشرح، وليس السرد والتلقين الذي كان مشهورا وقتذاك .

وقد بقي الشيخ اليوسي في الزاوية إلى أن وقعت معركة بطن الرمان عام 1079هـ/1668م، فغربه السلطان المولى الرشيد إلى فاس للسكنى والتدريس بها، وبعد هذا التغريب لم يقر له قرار في مكان معين؛ إذ كان للأوامر السلطانية وكذا للبيئة الاجتماعية الفاسية دور في تنقله من مدينة إلى أخرى، حتى بعثه

---

[1] - انظر ، محمد الصغير الفاسي، **المنح البادية ...**، م.س.ج1، (قسم الدراسة). ص60

[2] - عرف اليوسي بنفسه ضمن كتاب المحاضرات تعريفا مستفيضا، انظر، الحسن اليوسي، **المحاضرات**، م.س. ص ص 30-39؛ انظر كذلك: محمد القادري، **نشر المثاني**...، م.س. ج2 ص ص329- 330 ؛ محمد حجي، **الزاوية الدلائية**، ص ص 104-115؛ الحسن اليوسي، **فهرسة اليوسي** ، م.س.، **(قسم الدراسة)** ص ص10- 30 .

[3] - حجي محمد: **الحركة الفكرية بالمغرب ،** ج2، م.س. ص:503.

[4] - انظر، محمد ، **الزاوية الدلائية،** ص ص 102-108 ؛ حيث عد للشيخ اليوسي 47 مؤلفا في جميع العلوم .

السلطان ضمن الركب الرسمي إلى المشرق لأداء فريضة الحج، وعاد بعدها خلال سنة 1102هـ/1691م إلى منطقة بالأطلس وهي مدينة صفرو حيث توفي .

ويعتبر الشيخ الحسن اليوسي نموذجا بارزا من رجال التصوف بالمغرب الذين أفادوا التصوف الفاسي ضمن رجال المرحلة الثانية من التأثير، وذلك من داخل مجال فاس ، فبعد قدومه إلى فاس من الزاوية الدلائية، وهي المرة الأولى التي يقصد فيها فاس سنة 1079هـ/1668م، ظل بها الى غاية 1084هـ/ 1673م، حيث تقلد وظيفة التدريس ببعض مراكزها العلمية، كجامع القرويين والمدرسة المصباحية بطلب من السلطان المولى الرشيد، فاستمر بذلك حتى خلال عهد المولى إسماعيل ، وقد اعاد الشيخ اليوسي زيارته إلى فاس مرة أخرى سنة 1684م، بعد رحلة بين مراكز ومدن وأقاليم المغرب الممتدة شرقا وجنوبا، لكن لم تدم إقامته متصلة، إذ سرعان ما شد الرحال في اتجاه المشرق، ليعود إلى فاس مرة أخرى .

وقد تتلمذ على يد الشيخ اليوسي في مدينة فاس العديد ممن صاروا من كبار العلماء، كمحمد بن عبد الرحمن الصومعي، وأبي سالم العياشي، وأبي الحسن النوري، وأحمد بن مبارك، وأبي عبد الله التازي، وأحمد الولالي ومحمد العربي القادري ومحمد بن عبد السلام بناني وأبي عبد الله بن زاكور والحسن بن رحال المعداني، والحسن بن رحال المعداني، ومحمد العالم الذي أجازه بكل ما للشيخ اليوسي من كتاب موضوع، وتقييد مجموع، وغير ذلك من شعر أو فائدة[1]، كما تتلمذ على يديه الشيخ عبد السلام القادري، الذي يعتبر من أبرز تلاميذه ممن بصموا واجهة فاس العلمية الصوفية[2].

ولا بد ونحن نتطرق لدور هذا العالم، أن نقف عند مسألة هامة وهي مسألة تتلمذ الشيخ اليوسي على يد الشيخ عبد القادر الفاسي ، فإننا نؤكد أن هذا الأمر مجانب للصواب، فمن يحاول الإقرار بمسألة التتلمذ يستند إلى ثلاثة مؤشرات، الأول: بأن الشيخ اليوسي كان يزور ويلاقي الشيخ عبد القادر الفاسي في زاويته بالقلقليين، والثاني: أنه حصل منه على إجازة عامة، والثالث: هي أن الشيخ اليوسي حلا الشيخ عبد القادر في فهرسته "**الإمام الهمام القدوة العلامة الصوفي، شيخ الجماعة بالحضرة الفاسية في وقته**"[3]، لكن وجب القول إن هذا لا يعني مسألة التتلمذ، كون الشيخ اليوسي حين أخذه الإجازة من الشيخ عبد القادر لم يكن في مرحلة التتلمذ، وما يؤكد ذلك هو مكانته العلمية التي كانت حديث العلماء، وما قيل عنه وفي علمه مما لا يعد ولا يحصى ، يقول عنه الإفراني حين إقامته بفاس "**أقبلت عليه طلبة العلم في جامع القرويين مثنى وثلاث وتزاحمت على بابه الركب... ووقع له من الإقبال ما لم يعهد لغيره**"[4]، كما أنشد في حقه وفضله على طلبة العلم بفاس نظما شعريا مطلعه :

عن نور هديك ثغر الدهر مبتسم يا واحدا وردت من بحره أمم

---

[1] - انظر نص الإجازة، الحسن اليوسي، **فهرسة اليوسي**، م.س. (قسم الدراسة)، ص ص 21- 24.

[2] - انظر، **المرجع نفسه**، ص ص20- 21

[3] - الحسن اليوسي ، **فهرسة اليوسي**، م.س. ص ص: 131

[4] - محمد الصغير الإفراني ، **صفوة ما انتشر** ...، م.س.، ص: 346.

هشت للقياك فاس إذ حللت بـــها وفاس لولا سنا وجودك عــدمٌ[1]

أما تلميذه أبو سالم العياشي فقال في حقه ناظما :

من فاته الحسن البصري يصحبـــه فليصحب الحسن اليوسي يكفيه[2]

وبالتالي، فإن كان الشيخ اليوسي يزور الشيخ عبد القادر بزاويته بالقلقليين،فهو إما في المشاركة في مجالس العلم، وإما في إطار المجاملة للزاوية الفاسية[3]، أما حصول الشيخ اليوسي على إجازة علمية من الشيخ عبد القادر، فهو في إطار الصحبة لا التتلمذ، وهو ما أقره بنفسه حين قال"**وعقدت معه عهد المحبة والأخوة**"، وهذه العلاقة كان الشيخ اليوسي يحرص على إقامتها مع مجموعة من علماء فاس، أما مسألة أن الشيخ اليوسي لقب الشيخ الفاسي وحلاه بالإمام الهمام ...، فمرده للاحترام الذي كان يبديه اليوسي لعبد القادر الفاسي وذلك لمكانته العلمية، وهو ما لمسناه من خلال الرسائل التي كان يبعث بها الشيخ لأولاد الشيخ عبد القادر بعد وفاته، فيبدي لذكراه كل مظاهر الاحترام والإجلال .

وعموما، لم تخل إقامة الشيخ بمدينة فاس من صعوبات وإكراهات، بسبب ما كان من الاختلاف الثقافي بين الشيخ اليوسي والأرستقراطية الفاسية أنذاك، فاليوسي ذو الثقافة البدوية لم يعتد حياة الحواضر والأسلوب المديني في الحياة مما جعل إقامته في فاس مضنية .

ب- تأثير الفئة الثانية من رجال الزاوية الدلائية

من صفات هذه الفئة ، أنها ضمت جيلا مخضرما، إذ جمع بين التأثيرات الفاسية والدلائية، وهو ما وصفناه بمرحلة تمازج التيارات الثقافية والفكرية التي مست الحركة الصوفية بمدينة فاس، لكن بحكم الانتساب القبلي، لابد من وضع الأعلام ضمن أصولهم الجغرافية .

- **الشاذلي بن محمد بن أبي بكر الدلائي (ت 1103هـ/1691م)**[4]

هو ابن محمد بن أبي بكر الدلائي، ولد بزاوية الدلاء البكرية وبها نشأ، يعتبر عالما من علماء الزاوية الدلائية، فقد وصفه القادري "**بأنه أعجوبة الزمان في الحفظ والإتقان والغوص**"[5] ؛ دخل مدينة فاس بعد حادث تخريب الزاوية، تصدر للتدريس والخطابة بالمدرسة المتوكلية بطالعة فاس خلفا لأخيه محمد المرابط بعد وفاته، فتولى إلى جانب الخطابة التدريس بهذه المدرسة أعواما عديدة، وفيها كان يلقي أكثر دروسه متصدرا للإفتاء وإبداء النظر في الأمور الدينية، مما وفر له تلاميذ ومريدين كثر من فاس والوافدين عليها، فتخرج على يديه علماء كثيرون، منهم الأخوان القادريان عبد السلام والعربي، وإدريس المنجرة؛ مات ودفن بمدينة فاس .

---

[1] - محمد الصغير الإفراني، **صفوة ما انتشر** ...، م.س. ص: 348.

[2] - **المصدر نفسه** ، ص: 348.

[3] - Jacues BERQUE , *AL-YOUSSI* ; Ibid , pp15-16

[4] - محمد القادري ، **نشر المثاني**...، م.س. ج 3،م.س. ص 58؛ محمد حجي، **الزاوية الدلائية**، ص 91؛ محمد الفاسي، **المورد الهني**...، م.س. ص 33

[5] - محمد القادري ، **المصدر نفسه** ، ج3 ص 58

➢ محمد بن أحمد بن محمد المسناوي الدلائي (ت 1136هـ/1724م)[1]

هذا العلَم سبق أن وضعناه ضمن فئة العلماء التي تركت مدينة فاس أثرها عليهم، إلا أنه يجسد أيضا دور المؤثر على رجال فاس؛ إذ يعد محمد بن أحمد المسناوي-إلى جانب الشيخ اليوسي- إحدى الشخصيات البارزة من الزاوية الدلائية التي لعبت دورا مؤثرا داخل مدينة فاس، فقد تخرج على يديه أعلام بارزين في الثقافة المغربية والفاسية على الخصوص، بحكم تصدره لمجالس العلم والتدريس بمدينة فاس، فهو تقلد منصبي الخطابة والإمامة بمسجد مولاي إدريس بأمر من مولاي إسماعيل[2]، وقد حظي بهذا التقليد لما اشتهر به في هذا المجال، إذ أجمعت مصادر ترجمته على كونه صاحب مقدرة فائقة في التدريس، حتى قيل إنه اعطي ملكة التدريس في وقته، كما نال مرتبة الفتيا وشيخ الجماعة فكان مقصد السائل والمريد، إذ وصفه القادري ب"**الإمام الكبير، العلامة... الحافظ..الدراكة.. العالم.. شيخ الجماعة وخاتمة المحققين، ورئيس الهداة وقادة الموفقين**"[3] ، هذه المكانة منحته صيتا تجاوز أسوار فاس وانتشر في المغرب كله فقصده العلماء من سائر النواحي[4] .

وقد جمعت فتاويه في مجلد ضخم ظل مرجعا هاما لرجال القضاء والفتيا، كما كانت ترجع له معضلات الأمور من طرف السلطان إسماعيل وعلماء الوقت، وعرفت مجالسه ودروسه إقبالا في صفوف الطلبة والعلماء بين القرويين والمدرسة العنانية، فعاش متنقلا في التدريس بينهما، يلقي دروسه في شتى العلوم، خاصة الفقه والبلاغة والمنطق والأدب والتاريخ؛ كما تولى وظيفة الخطابة بالمدرسة العنانية وبالضريح الإدريسي. وقد ترك المسناوي تراثا فكريا هاما خلفه، فمن أبرز آثاره-عدا الإجازات التي قدمها لتلاميذه داخل مدينة فاس-المؤلفات المتعددة التي باتت جزءا من الحياة العلمية لمدينة فاس ومجتمعها، باعتبارها مناهج تدرس بين جنبات وأسوار مؤسساتها، كما ارتبطت بأنساب أسر فاس وبرجالها الذي قضوا نحبهم، فهو قد ألف العديد من المؤلفات حول أنساب مدينة فاس ومناقب علمائها؛ وعموما، فلو بحثنا عن دواعي تأليف العديد من مؤلفاته، سيكون الجزم بقيمة التأثير الذي كان بين هذا الشيخ وهذه المدينة ، فهو كان إما إفادة التعليم بمدينة فاس وإغناء مناهجه، أو بطلب من جهة معينة أو أشخاص ذاتيين، أو لضرورة المرحلة من الإشكالات الدينية والاجتماعية والسياسية التي كانت تطرح وقتذاك .

ومن أبرز من تتلمذ على يديه من رجال فاس: عبد السلام بن الطيب القادري(ت 1110هـ)، وأبو عبد الله محمد بن حمدون بناني(ت 1140هـ)، وأبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن ابن زكري الفاسي(ت 1144هـ)، وأبو العباس أحمد بن المبارك اللَّمَطي السجلماسي(ت1156 هـ)، وأبو عبد الله مَحمد بن عبد السلام بناني(ت 1163هـ)، وأبو عبد الله محمد المدعو الكبير السرغيني(ت 1164هـ)، وأبو عبد الله محمد بن قاسم جسوس(ت 1182هـ)، وميارة الصغير والإفراني، وهذا الأخير خصه في مؤلفاته بترجمة وافية.

---

[1] - سبق التطرق إليه ضمن المبحث الأول من هذا الفصل .

[2] - انظر، محمد القادري ، **نشر المثاني** ، ج3 ، ص 267 .

[3] - المصدر نفسه ، الجزء نفسه ص265 .

[4] - انظر، **محمد حجي** ، **الزاوية الدلائية**، ص ص 243-244

ومما يدخل في إطار الأزمات التي لاقت الشيخ، ما تعرض له بسبب اتهامه بمساندة ودعم ثورة تلميذه محمد العالم الثائر على السلطان إسماعيل، إذ وشى بعض المناوئين للسلطان بأن الشيخ متآمر مع محمد العالم بسبب مراسلاته معه، فكادت هاته الاتهامات توقعه في محن على يد السلطان إسماعيل ، لولا تدخل بعض رجال البلاط الذين أثبتوا براءة الشيخ .

➢ محمد بن أحمد بن محمد الشاذلي الدلائي (1137هـ/1725م)[1]

هو حفيد الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي، كان إماما في اللغة والأدب، مبرزا في العروض والقوافي منفردا بهذا الفن في فاس، وعنه أخذ كل من تعاطى الأوزان الشعرية في العاصمة العلمية في عصره، وقد بدأ شرح "رائية الإمام اليوسي" في رثاء الزاوية الدلائية لكنه توفي قبل إتمامه ، فأكملها ابن عمه القاضي محمد البكري الدلائي .

➢ محمد بن عبد الرحمن الدلائي (ت1141هـ/1729م)[2]

هو كذلك أحد حفدة الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي، تولى الخطابة في المدرسة المتوكلية خلفا لعمه محمد الشاذلي، وقد عده المؤرخون آخر خطباء المغرب، وبسبب مكانته وشهرته العلمية نقله السلطان إسماعيل للخطابة في مسجد الشرفاء بضريح المولى إدريس الثاني، فكان الناس يقصدونه من كل أنحاء المدينة، وقد وصف المؤرخ محمد بن الطيب القادري إحدى خطبه التي حضرها في صغره في المسجد المذكور .

➢ أبو بكر بن محمد بن محمد الخديم الدلائي (1149هـ/1737م)

يعتبر هذا الشيخ من الفئة التي تأثرت وأثرت في الحركة الصوفية والعلمية بفاس، كما شأن كثير ممن ذكرناهم؛ فهو تولى شؤون الزاوية المعنية خلفا لشيخه أحمد بن محمد بن عبد الله معن، حيث قام بمصالح الزاوية، فخضع له كثير من أصحاب وأبناء الشيخ أحمد[3]، يقول القادري في شأنه "**فصاحب الترجمة ممن يقتدى به..لمعرفته بالطريقة، وبحثه عن المسائل العارضة.، وأخذه في كلها بالعلم عن أهله..**"[4] .

➢ القاضي محمد البكري الدلائي (ت 1174هـ/1761م)[5]

كان إماما خطيبا في ضريح المولى إدريس، ومدرسا بجامع القرويين، متوليا القضاء والفتيا في فاس، وقد ألف في النوازل الفقهية وفي الأدب، تولى القضاء في فاس بعد والده أحمد البكري .

---

[1] - محمد القادري، **نشر المثاني** ، ج3 ص ص 281- 283؛ محمد حجي، **الزاوية الدلائية** ، ص242

[2] - انظر، محمد القادي، **نشر المثاني..** ج2 ، م.س.ص217

[3] - اانظر، **المصدر نفسه**، ج3 ، ص ص 383 - 384

[4] - **المصدر نفسه**، الجزء نفسه، ص385

[5] - محمد حجي، **الزاوية الدلائية**، ص243

➢ **أحمد ابن القاضي محمد البكري (ت 1198هـ/1784م)**[1]

كان مثل والده فقيها أديبا مع معرفة بالتاريخ والحساب، استدعاه السلطان محمد بن عبد الله ليعلم ابنه عبد السلام في تارودانت، وهذا يدل على مكانته العلمية، وقد حمله السلطان أيضا القضاء هناك، توفي بسوس .

2- الطرقية بالمغرب وانتشار الزوايا في مدينة فاس

مارست عدة زوايا تأثيراتها على مدينة فاس ورجالها، وقد ساعدتها في ذلك عدة عوامل، منها ما ارتبط بالجوانب التنظيمية التي حكمت مسار الحركة الصوفية التي كان يعرفها المغرب، من تأسيس فروع للطرق الصوفية الأم في مدينة فاس، ومنها ما ارتبط بالظروف السياسية والتي تجلت في إصدار المولى إسماعيل قرارا يأمر من خلاله كل زاوية بالمغرب أن تؤسس فرعا لها بمدينة فاس حتى تظل تحت المراقبة، فكان ذلك سببا في انتشار صوفي وتعدد طرقي ضمته مدينة فاس، وهو ما أسهم بدوره في بروز ظاهرة تفريخ الزوايا خلال القرن 18م .

وإن هذه الظاهرة برزت بقوة مع انتشار زوايا الشهرة على حساب الزوايا العلمية، فمدينة فاس، وبالرغم من أنها تبنت فروعا لزوايا علمية من قبيل الناصرية والشرقاوية والوزانية، إلا أنها -أيضا- لم تستطع أن تقف سدا أمام انتشار زوايا الشهرة (أو الزوايا الشعبية)، وحتى زوايا البدع، فما إن يظهر ولي أو شيخ في سجلماسة أو مكناس أو تادلا، حتى تظهر له طائفة في فاس ثم تقام زاوية لطريقته، فكانت بذلك مدينة فاس قطبا لزوايا وطرق المغرب المختلفة والمتنوعة المشارب، وبدت كأنها تمسك بطرق التصوف المغربي وزواياه؛ لدرجة، يمكن القول- أن مدينة فاس مثلت المغرب صوفيا بجميع أطيافه خلال مرحلة القرنين 17 و18م.

ونشير إلى أننا خصصنا تعريفا مستفيضا لهذه الزاويا التي شكلت خريطة التصوف والطرقية بفاس خلال القرنين 17 و18م، فجعلناه ضمن الفصل الأول الخاص بتراث الزوايا ضمن الباب الثاني.

[1] - محمد حجي، **الزاوية الدلائية**، ص 243

المبحث الثالث: التصوف في مدينة فاس والمغرب خلال القرنين 17 و18م- تأثير وتأثر

إن ما عرفه المغرب ومدينة فاس خلال القرنين 17 و18م من نشاط الحركة الصوفية والعلمية، كان له أثره على نشاط التأثيرات الصوفية والعلمية المتبادلة، وهو ما لمسناه من خلال كل ما سبق دراسته، من خلال تلك الرحلات العلمية والزيارات المتبادلة والمراسلات الإخوانية، والتي لم تكن سوى انعكاسا للأجواء الصوفية والعلمية التي سادت كل ربوع المغرب عامة ومدينة فاس خاصة، فضلا عن رحلات طلبة العلم، إذ إن رحلة العديد منهم لمدينة فاس، سرعان ما تحولت إلى رحلة استقرار، وتحول فيها أولئك الطلبة من طلبة علم إلى أساتذة وشيوخ منابر مدارس فاس وجوامعها، مثل رحلة الحسن بن يوسف الزياتي(ت1023هـ/1614م) الذي دخل فاس ولازم أبا العباس أحمد بن قاسم القدومي، كما قرأ على الشيخ محمد بن قاسم القصار، والتقى بالشيخ أبي المحاسن، وبعد تمكنه في مختلف العلوم انتصب للتدريس في مدارس فاس ومساجدها. كما شكلت بعض الزوايا المغربية ملتقى رجال التصوف المغربي، خصوصا مرحلة الأزمات، فكان لذلك أثره على مستوى التبادل والتأثير الصوفي والعلمي، كالزواية الدلائية التي احتضنت طلابا وشيوخا من مختلف الحواضر، حيث يؤكد محمد حجي، عند ذكره لتلاميذها المختلفي المشارب، أنهم كانوا طائفتان: طائفة لازمت الزاوية منذ أول عهدها بطلب العلم، إلى أن تخرجت منها ثم اشتغلت بالتدريس فيها، وطائفة أخرى كان لها سابق دراسة في فاس أو مراكش أو غيرهما من مراكز الثقافة، ثم وردت على الزاوية البكرية وكرعت من حياض معارفها وتم تكوينها العلمي، فاستقرت بها مشتغلة بالتعليم والإفادة، كالإمام الحسن اليوسي، أو غادرتها بعد مدة طويلة أو قصيرة لترجع إلى مساقط رؤوسها أو لتلقى عصا التسيار في بلد آخر، كأبي حامد العربي الفاسي وأحمد المقري، وعبد الواحد بن عاشر، ومحمد ميارة، وغيرهم[1] .

وقد تطورت العلاقة بين المراكز الصوفية والعلمية الفاسية من مرحلة التبادل الصوفي خلال القرن 17م إلى مرحلة الانصهار والتلاقح خلال القرن 18م، فكان لذلك التبادل استمرار مع الأجيال التالية متجسدة في أبناء رجال التصوف الكبار وتابعيهم، فمثلا نذكر ابن الزاوية الفاسية الطيب بن محمد بن عبد القادر الفاسي (تـ1113هـ/1701م) الذي جمع في تكوينه العلمي والصوفي عدة مشارب، فهو أخذ على علماء فاس من جهة الزاوية الفاسية، كما أخذ عن شيخ الزاوية العياشية أبي سالم العياشي[2]، وكما سبقت الإشارة فالشيخ العياشي –بدوره- والذي كان تلميذا لشيوخ الزاوية الفاسية، قد أصبح فيما بعد أحد شيوخ وأساتذة أبنائها؛ والملاحظ أن هذا الأمر بات أمرا طبيعيا بمدينة فاس خلال القرن 18م .

ويمكن أن نشير إلى أن الزاوية الفاسية كانت رابطة اتصال بين الحركة الصوفية المغربية والحركة الصوفية الفاسية، حيث كانت مدينة فاس ومراكزها العلمية والصوفية مركزا محوريا تدور عليها موجات

[1] - محمد حجي، **الزاوية الدلائية**، ص 97

[2] - انظر، محمد بن جعفر الكتاني ، **سلوة الأنفاس** ...، م.س. ج1 ص 358 .

التأثير والتأثر، فكما كانت مؤثرة في الحركة الصوفية المغربية، فقد كانت بالمقابل تتأثر بكل ما يحدث من تطورات الحركة الصوفية بالمغرب .

وعموما، يمكن ان نميز هنا بين مرحلتين زمنيتن، مرحلة القرن 17م حيث كانت التأثيرات متبادلة بين فاس والمغرب نظرا للأزمات التي ضربت هذه المدينة، وبين مرحلة القرن 18م حيث ظهرت نتائج هذه التأثيرات على مدينة فاس، لانصهار مختلف المكونات الصوفية والعلمية المغربية، فأصبحت فاس مركز تجمع لكل أطياف الطرق الصوفية بأصنافها العلمية والشعبية والبدعية .

ويمكن القول، أن الأزمات التي ضربت المغرب إبان مرحلة القرن 17م، كان من إيجابياتها أن جسدت جسر تواصل صوفي علمي، وقلصت التباين بين البيئتين البدوية والحضرية بشكل عام والفاسية الدلائية بشكل خاص، إذ نشطت حركة الاتصالات بين المركزين، والذي جسده ذلك التواصل على مستوى التبادل البشري والثقافي، إلى حد أنه كان يصعب الحديث عن وجود فوارق وحواجز بين زوايا وجدت بمجال بدوي أو بمراكز حضرية بسيطة أنذاك، فزوايا المجال البدوي بدت في أزهى مراحلها، وكيف لا وقد باتت الملجأ والمأمن من كل الأزمات، خاصة الزاوية الدلائية التي كانت تستقطب أبناء الحواضر الكبرى من فاس ومراكش .

وإن ما ضمته هذه الزاوية بالخصوص من العدد الكبير من أبناء البيت الفاسي، فضلا عن من قصد من أبناء هذه الزاوية مدينة فاس، جعلها أنموذجا لدراسة تبادل التأثيرات بين زاوية حضرية وأخرى بدوية، لذلك خصصنا لها المساحة الأبرز لمظاهر مظاهر التأثير والتأثر في الحركة الصوفية بين فاس والمغرب .

1- علاقات الزاوية الفاسية مع بعض الزوايا المغربية- اتصال وانفصال

تميزت العلاقات التي ربطت مختلف الطرق والزوايا الصوفية خلال القرنين 17 و18م بالتواصل المستمر، سواء في إطار الدعم أو المنافسة أو تقديم النصح، وقد كان للزواية الفاسية بفضل النفوذ والشهرة علاقات مع رجال التصوف والطرق الصوفية في كافة مناطق المغرب، خصوصا خلال الأزمات والتي طبعت بعض الفترات من مرحلة القرنين 17 و18م من عدم الاستقرار واندحار بعض القيم وانتشار البدع ، وهو ما تمثل عبر الرسائل والمكاتبات التي جرت بين رجال الزاوية الفاسية ورجال الزوايا والطرق الصوفية الأخرى .

ومن بين العلاقات والمراسلات التي ربطت رجال الزواية الفاسية مع غيرها رجال الزوايا الأخرى :

أ- الزاوية الشرقاوية :

تمثلت علاقة الزاوية الفاسية بالزاوية الشرقاوية في ثنائية الظاهر والباطن، ففي الوقت الذي كانت فيه الزاوية الفاسية تحرص على علوم الظاهر كأساس صوفي في نهجها، كانت الزاوية الشرقاوية تتبنى سلوك الباطن الذي ميز الزوايا الشعبية، وهو ما عبرت عنه كل المراسلات التي تمت بين الزاويتين وذلك

منذ بداية القرن 17م بين الشيخين امحمد الشرقي(ت1010هـ) وأبي المحاسن يوسف الفاسي، إذ كان سبب هذه المراسلات هو مظاهر الدعة والترف الذي بدأت الزاوية الشرقاوية تميل إليها، فكتب الشيخ أبو المحاسن الفاسي يستنكر على الشيخ امحمد الشرقي غنى الزاوية المادي والمعنوي، فكان مما خاطبه به "**ليس عليكم إلا بركة والدكم**"[1] ، الأمر الذي أثار حفيظة الشيخ الشرقي، الذي رد عليه بكتاب يعرفه بحاله، ويصف له مبالغ الرجال ويدعوه إلى صحبته، ويحضه عليها[2]، ولما بلغ الشيخ أبا المحاسن هذا الكلام، رد برسالة تحمل جانبا من الود كما تضمنت ما أراد قصده الشيخ من ذلك الخطاب الذي وجهه إليه[3]، وهو ترك مظاهر الترف حيث قال له" **أن الله تعالى وتقدس أجرى عادته ببديع حكمته أن يحمي الدنيا ويدفعها عمن استخلصه**"[4]، كما نصحه بالتمسك بأوصاف العبودية وعدم الانجرار لسلوك الباطن مما قد يؤول ويجر صاحبه إلى المراء والجدال؛ وقد أبرزت هذه المراسلات جانبا خفيا من المنافسة بين الشيخين، أكدته مجموعة من الخطابات والأجوبة التي جاءت على لسان أبنائها وحفدتهما، وذلك من خلال مناقشة مسألة الأحقية والأسبقية، حيث حاول كل طرف إثبات جانب التقدم عن الآخر[5] .

وعموما فقد استمر الاتصال بين الزاويتين الفاسية والشرقاوية بعد وفاة الشيخين، حيث تجددت المراسلات بين الشيخ عبد القادر الفاسي وخليفة الشيخ الشرقي "محمد الصالح"(ت1139هـ)، والتي تضمنت مناقشات حول الأوضاع الدينية والصوفية بالخصوص، إذ تظهر إحدى رسائل محمد صالح الشرقاوي إلى عبد القادر الفاسي، الأزمة الدينية التي كانت تعيشها الزاوايا من غلبة الجانب الدنيوي وتفشي البدع، كما تظهر مدى الاحترام والتقدير الذي كان لرجال الزاوية الفاسية، وذلك من خلال إقرار الشيخ امحمد الشرقي بمكانة الزاوية الفاسية العلمية والدينية بما تمثله من معاني ومعالم التصوف السني البعيد عن الشهرة[6]؛ فأبناء الزاوية الشرقاوية تتلمذوا على يد شيوخ الزاوية الفاسية، حيث درس الشيخ محمد المعطي بن عبد الخالق بفاس، على يد عالمها وشيخها عبد القادر الفاسي[7]، كما تتلمذ على يديه أحد أساتذة الزاوية الشرقاوية الشيخ محمد العروسي[8] وذلك خلال رحلته إلى فاس، إذ أجازه الشيخ عبد القادر الفاسي في البخاري[9]، كما درس الشيخ محمد الصالح على يد محمد بن عبد القادر الفاسي، فأجازه إجازة عامة في كتب الحديث[10]، هذه العلاقة بين الشيخين والتي استمرت حتى بعد رجوع الشيخ محمد الصالح لبلده، وذلك من خلال المراسلات والخطابات الإخوانية، حيث كان الشيخ امحمد الصالح يلجأ

---

[1] - عبد الخالق العروسي، **المرقي في بعض مناقب القطب سيدي محمد الشرقي**، دراسة وتحقيق محمد البقالي، منشورات دار الأمان، مطبعة الأمنية، الرباط، ط1، دون سنة الطبع، ص 203

[2] - عبد الخالق العروسي، **المرقي ....**، م.س. ص 201

[3] - انظر نص الرسالة، **المصدر نفسه**، ص ص 203 - 205

[4] - **المصدر نفسه**، ص 203

[5] - انظر، أحمد بوكاري، **الزاوية الشرقاوية...**، ج1، م.س. ص ص 174 – 178؛ حيث عرض المؤلف مواقف كل طرف في الدفاع عن شيخه .

[6] - انظر، أحمد بوكاري ، **الإحياء والتجديد** ج1 ، م.س. ص20 -21

[7] - أحمد بوكاري، **الزاوية الشرقاوية....**، ج1، م.س. ص176

[8] - وهو والد عبد الخالق العروسي صاحب مؤلف "**المرقي في بعض مناقب سيدي القطب سيدي امحمد الشرقي** "

[9] - عبد الخالق العروسي، **المرقي ....**، م.س. ص 228

[10] - لطيفة شراس ، **الحركة الصوفية في منطقة تادلا خلال القرنين 10-11/16-17** ، م.س. ، ص237.

للشيخ محمد بن عبد القادر في كل ما يستعصي عليه من قضايا وأمور دينية وصوفية، ويأخذ بآراءه فيها، منها رسالة سأله فيها عن التصوف عامة ووضع المتصوفة في عصرهما[1] .

ب- الزاوية الرحمانية :

جرت بين الزاوية الفاسية والزاوية الرحمانية مجموعة من المراسلات، مثلت جانب المنافسة والصراع أكثر من أي شيء آخر ، حيث عبرت تلك المراسلات - وحسب تعبير لطيفة الشراس-، عن غياب الاندماج بين الرحمانيين ورجال الزاوية الفاسية[2]، فمن خلال مراسلات دارت بين الشيخ عبد القادر الفاسي وشيخ الزاوية الرحمانية بتادلا الشيخ علي بن عبد الرحمن الدرعي (1091هـ/1680م) ، تضمنت عدة جوانب ، منها موقف علماء الزاوية الفاسية من مشيخة علي بن عبد الرحمن للطريقة، حيث أنكروا عليه ذلك، كما أنكروا عليه قيامه ببعض الممارسات الصوفية، من قبيل ادعائه لمجموعة من المقولات التي كان يصرح بها هذا الشيخ من باب الشطح الصوفي عندما يرد عليه حال من الأحوال الصوفية، فقد اعتبروا ذلك بعيدا عن الروح العامة للدين الإسلامي[3]، وهذا ما كان سببا في إثارة النعرات بين الزاويتين، مما جعل الشيخ علي ابن عبد الرحمن في إحدى مراسلاته يبدي انزعاجه من استقطاب الزاوية الفاسية لأتباع الزاوية الرحمانية، والذين كانوا يطلبون العلم بالزاوية الفاسية[4] .

ت- الزاوية الدلائية

تباينت العلاقة بين الزاويتين الفاسية والدلائية بين مستويين من الاتصال والانفصال، تمثل من خلال عدة مظاهر، نلخصها من خلال :

- **تمظهرات الاتصال**

كان بين الزاويتين الفاسية والدلائية روابط متينة، مثلت مستوى من العلاقات المتكافئة بسبب مكانتهما العلمية؛ فقد كانت هناك صلات متينة ووشائج قربى تجمع بين الزاويتين، لدرجة أن بلغت مستوى من التلاقح الصوفي، فموجات تبادل التأثيرات العلمية والصوفية لم تنقطع بينهما منذ تأسيس الزاويتين، وحتى قبل ذلك، فمع نهاية القرن 16م، نجد أن شيخ الزاوية الدلائية ربط الاتصال مع الشيخ أبي المحاسن، فمثل ذلك حلقة وصل لشيخ الزاوية الدلائية بالطريقة الشاذلية، فأبو المحاسن الفاسي هو أحد الشيوخ الأوائل في السلسلة التي تصل محمد بن أبي بكر الدلائي بالإمامين أحمد زروق ومحمد الجزولي[5]، وقد كان بعد هذا التواصل علاقة طويلة الأمد ستجمع بين رجال الزاويتين طيلة القرنين 17 و18م ، فتارة تكون الزاوية الدلائية مستقطبة لرجال الزاوية الفاسية، وتارة تنقلب الأدوار، لتصبح الزاوية

[1] - أحمد بوكاري ، **الزاوية الشرقاوية**، ج1، م.س. ص 176

[2] - لطيفة شراس ، **الحركة الصوفية ...** م.س. ص 232

[3] - **المرجع نفسه** ، الصفحة نفسها

[4] - عن تفاصيل هذه العلاقة، انظر ، لطيفة شراس، المرجع **نفسه،** ص ص 231- 232، فقد أوردت مراسلات بين الشيخين، يستفاد منها طبيعة العلاقة التي ربطت الزاوية الفاسية بالزاوية الرحمانية .

[5] - محمد حجي ، **الزاوية الدلائية** ، م.س. ص ص 62

الفاسية مستقطبة لرجال الزاوية الدلائية، فقد مثلت الزاوية الدلائية ملاذا للفاسيين وقت الأزمات، كما كانت الزاوية الفاسية ملاذا للدلائيين وقت تخريب زاويتهم .

فمن بين أبرز رجال الزاوية الفاسية الذين تتلمذوا على شيوخ زاوية الدلاء ، نجد: الحافظ أحمد بن أبي المحاسن الفاسي الذي تتلمذ على يد محمد بن أبي بكر، كما روى عنه، وخصه بتأليف في سلسلة سنده العلمي؛ كما أخذ عنه كذلك أبو حامـد محمـد العربي الفاسي، فأمضى فترة من حياته ملازما للشيخ الدلائي بزاويته، يدرس الحديث على يديه، ويلقي دروسا في مختلف العلوم على الطلبة إلى أن تخرج على يده كثير من العلماء الدلائيين؛ كما كانت له مراسلات مع الدلائيين ومقامة أدبية وقصائد في مدح شيخه محمد بن أبي بكر الدلائي .

هذا الحضور الفاسي بالزاوية الدلائية، كان أثره واضحا، سواء على الدلائيين أو الفاسيين، فالزاوية الدلائية كانت بمثابة "جامعة" احتضنت وكونت طائفة هامة من علماء وصلحاء فاس الذين اتخذوا وضعا مزدوجا، بين الاشتغال بالتدريس وبين التلقي والتعليم، وهذا ما جعلهم يؤثرون ويتأثرون من خارج فاس بتيارات صوفية متنوعة، ليعودوا جميعا إلى مدينة فاس مع رجال الزاوية الدلائية مدرسين في زواياها ومدارسها، هذه الفئة التي يمكن وصفها ب**"الفئة المخضرمة"**، كونها تجمع بين العلماء الذين تأثروا بعلماء مدينة فاس وأثروا فيهم .

فمن البيت الدلائي، نضرب مثالا لرجلين جسدا تبادل التأثيرات الفاسية والدلائية ومثلا جانب التأثيرات باتجاهيها، وهما **الأخوان محمد المرابط الدلائي (ت1089هـ/1678م)، والشاذلي (ت1103هـ/1691م)**، إبنا محمد بن أبي بكر الدلائي، فهما ، وبالرغم أنهما لم يرتحلا إلى فاس للتعلم، فقد استفادا من نخبة علماء الزاوية الفاسية الذين قصدوا الزاوية الدلائية، أبرزهم: أبو حامد محمد العربي الفاسي، الذي يعتبر من أبرز شيوخهما، والشيخ أبو العباس بن عمران الفاسي، وبعد تخريب زاويتهم وترحيلهم إلى فاس، تصدر محمد المرابط للخطابة والتدريس في مساجدها ومدارسها، وتولى أمر الخطابة بالمدرسة المتوكلية، أما الشاذلي فعمل مدرسا وخطيبا بالمدرسة المتوكلية.

وبهذا كان للدلائيين حضور بفاس لا يقل عن الحضور الفاسي بالزاوية الدلائية - ففضلا عما أوردناه من شأن ابنا الشيخ الدلائي- تمثل من خلال الشيوخ والتلاميذ، الذين عبروا عن مدى التواصل بين الزاويتين، إذ شد الرحلة إلى مدينة فاس كثير من أحفاد الشيخ أبي بكر الدلائي للأخذ عن الشيخ عبد القادر الفاسي، خصوصا حينما كانت فاس خاضعة لنفوذ السلطان محمد الحاج الدلائي[1]، وعندما أصيبت الزاوية الدلائية بنكبة التخريب وتم تهجير أهلها إلى مدينة فاس، إذ احتضنت فاس والزاوية الفاسية العديد من رجال وابناء الزاوية الدلائية، في مقدمتهم "العلامة اليوسي"، الذي مثل دور المشيخة لعدد كبير من التلاميذ والمريدين متعددي المشارب والإنتماءات الطرقية والثقافية، منهم: عبد السلام بن الطيب

[1] - محمد حجي ، **الزاوية الدلائية** ، م.س. ص ص 62-63

القادري (ت1110هـ/ 1698م)[1]، وابن زاكور(ت1120هـ/1708م) الذي كان مطمحه ومراده طيلة رفقته للشيخ اليوسي أن يأذن له بأخذ الورد الناصري عنه، كما مدحه بغرر من القصائد[2]، كما توطدت العلاقة بينه وبين الشيخ عبد القادر، بسبب زيارات الشيخ اليوسي له بزاويته، كما أخذ عن الشيخ عبد القادر مجموعة من أحفاد مؤسس زاوية الدلاء من بينهم الطيب المسناوي الدلائي، وابن الشيخ اليوسي "عثمان" (ت1084هـ)، فكان عبد القادر الفاسي عمدته في مختلف العلوم، وقد مدحه بقصيدة طويلة، من أبياتها:

بساحتكم قلوب الخلق والروح تنهمي إلى سر ما قد بت فيك إلاهـــي

تحط خطايا الجهل عن من يؤمكـــــم ويؤنس منه الرشد بعد سفاهي[3]

كما قصد الزاوية الفاسية عدد كبير من أبناء زاوية الدلاء الذين عثروا بها على ضالتهم ، فتكاثر عدد طلبتها في زاوية القلقليين، إذ وجدوا في مجالسها العلمية، ما ألفوه وتعودوا عليه بزاويتهم القديمة، ففيها تعقد المجالس العلمية وحلقات الذكر وتنشد الأشعار والموشحات والأزجال الصوفية[4]، فتخرج منها العديد من العلماء الذين سيتبؤون مجالس العلم في مدينة فاس .

وقد نتج عن هذا التواصل، أن تمكن أبناء الزاوية الدلائية من الاندماج بل والانصهار وسط البيئة الحضرية الفاسية، حيث خلص جاك بيرك إلى أن الدلائيين انصهروا داخل فئة "**الأنتلجنسيا الحضرية الفاسية"**[5]، فحققوا تفوقا واضحا بين علماء مدينة فاس، إذ اشتهر منهم المحدثون والفقهاء واللغويون والأدباء، كما أسند للعديد منهم مجموعة من المهام الدينية والشرعية، كالإمامة في المساجد الهامة بمدينة فاس، والفتيا والقضاء؛ ويمكن القول، إن الدلائيين ساعدتهم مجموعة من المؤهلات لتحقيق هذا الاندماج والانصهار داخل المجتمع الفاسي، على رأسها كفاءتهم العلمية التي كانت لا تقل عن كفاءة نظرائهم الفاسيين[6].

كما نتج عن هذا التبادل تمظهرات على مستوى حركة التأليف المتبادل بين الدلائيين والفاسيين، حيث ألف العديد من رجال الزاوية الفاسية مؤلفات حول الزاوية الدلائية ورجالها، كما كتب العديد من البيت الدلائي مؤلفات حول الزاوية الفاسية ورجالها، كالمقامة الأدبية وقصائد مدح التي خص بها أبي حامد العربي الفاسي الشيخ محمد بن أبي بكر الدلائي، وشرح الشيخ امحمد الفاسي القصري (ت1750م) لأرجوزة محمد البكري الدلائي (ت1720م)، وهي"**درة التيجان ولقطة اللؤلؤ والمرجان**"[7] ، كما خص الشيخ

---

[1]- انظر، امحمد بن أحمد الفاسي، **المورد الهني...،** م.س. ص ص 54-59

[2] - أحمد الطريبق أحمد، **الخطاب الصوفي في الأدب المغربي على عهد السلطان المولى إسماعيل** (الرسائل والشعر) ، مطبعة سيليكي إخوان – طنجة، ط1 سنة 2008 ، ج1 ، ص 116

[3] - عبد الله الفاسي، الإعلام بمن غبر...، م.س. ص240

[4] - محمد حجي، **الزاوية الدلائية** ، م.س ، ص64

[5] - J. Berque ;***Al- youssi*** ; Ibid ; p 122

[6] - لطيفة شراس، **الحركة الصوفية في منطقة تادلا خلال القرنين 10-11/16-17** ، م.س.، ص239

[7] - قام بتحقيقه والتعليق عليه خالد الصقلي ، ضمن سلسلة تحقيقات رقم 12-13 ، طبع دار الأمان – الرباط ط1 سنة 2012م.

الحافظ أحمد بن أبي المحاسن الفاسي، شيخ زاوية الدلاء أبي بكر، بمؤلف في أسانيد الطريقة الدلائية؛ كما نظم عبد الوهاب بن العربي الفاسي قصيدة في مدح أهل الدلاء وأولاد أبي بكر، من أبياتها:

أهل الدلا أهل نجد وأرضهم أرض رامــه

لما ارتقوا في المعــالي وخلفوا كل هامـــــه[1]

كما قام عبد السلام القادري بتأليف نظم في حق أستاذه اليوسي، قدم لها بالبيتين التاليين:

"قسما بمروة والصفا وبزمزم قسم التقى والبر غير غموس

ما حاز ذو علم ولا ذو همة كلا ولا دانى مقام اليوسي"[2]

كما قام محمد الشرقي بن أبي بكر الدلائي بمدح الشيخ محمد العربي بن يوسف الفاسي في رسالة تقدير ووصال ومحبة، فرد عليه الشيخ محمد العربي بقصيدة وجواب يعبر من خلاله عن تقديره واشتياقه وسعادته برسالة محمد الشرقي[3]؛ وكتب أخرى في مدح عبد الوهاب بن العربي الفاسي بأبيات من الشعر ، فرد له هذا الأخير مدحه بأبيات تقابلها[4] .

وقد ترك هذا التبادل أثره في نفوس كلا الفريقين حتى بعد الفراق والانفصال المادي، حيث بقيت الروابط والاتصالات وتبادل الأخبار بينهما، وإسداء النصيحة والمشورة، والاستفسار عن مسائل شرعية، والمواساة، وغير ذلك؛ ونذكر في هذا الصدد مراسلات أبي حامد العربي مع أستاذه محمد بن أبي بكر الشيخ[5]، ومراسلات اليوسي مع الأخوين القادريين (محمد العربي ومحمد عبد السلام القادري) والفقيه المهدي بن أحمد الفاسي ، والتي خصت رد وجواب الشيخ اليوسي على سؤالهم في قضية تتعلق بكتب أحد المبتدعة، ويدعى إبراهيم الكوراني من مصر، في موضوع عقائدي تخص مسألة خلق الأفعال والتي وجدت طريقها لبلاد درعة، حيث جاء في بداية الجواب قول اليوسي:**"من الحسن بن مسعود اليوسي إلى السادات الفضلاء، القادة النبلاء، الفقيهين النبيهين، الأريبين الحسنيين الشريفين المنيفين، أبي محمد سيدي العربي وأبي محمد سيدي عبد السلام ابني الطيب القادري الحسني، والفقيه النبيه سيدي المهدي بن أحمد الفاسي....هذا وقد بلغنا كتابكم الكريم، وما ذكرتم فيه من نزول تلك النازلة الغريبة، واستنجادكم إياي في الكلام عليها ...في النصح لأنفسكم ولعباد الله تعالى، وقد كنت قبل اليوم رأيت شيئا من تآليف ذلك الرجل في درعة ..."**[6]، والرسالة طويلة توضح موقف الشيخ اليوسي المعارض لظاهرة البدع.

---

[1] - محمد القادري، **نشر المثاني.....**، م.س. ج2، ص ص 172-173

[2] - **المصدر نفسه**، ج3، ص29.

[3] - انظر، **المصدر نفسه** ، ج2، ص ص 361- 364

[4] - **المصدر نفسه** ، الجزء نفسه ، ص 172

[5] - محمد حجي، **الزاوية الدلائية**، ص ص62- 63

[6] - انظر، فاطمة خليل القبلي ، **رسائل أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي**، (جمع وتحقيق ودراسة)، طبع دار الثقافة الدار البيضاء، ومطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الأولى، 1981م ج2، ص617

كما رد الشيخ الفقيه محمد المهدي بن أحمد الفاسي(ت1033هـ/1109م) جوابا على رسالة للشيخ اليوسي، يشيد من خلاله بموقف الشيخ اليوسي في دفاعه عن العقيدة ، فكتب له **"فقد وقفت على هذه الكراسة المجموعة والنبذة الموضوعة فألفيتها محتوية في مسألة الجبر والقدر على الجملة المقنعة لأهل البصيرة ، بل الخلاصة الممتعة لكل طيب السريرة..."**[1] ؛ وإن كلمات الرسائل – بغض النظر عن مضمونها - إن دلت على شيء فإنما تدل على عمق الوشائج التي تجمع الرجلين .

وإن ما يهمنا من هذه المراسلات – بغض النظر عن مضمونها- هو ما نلمسه من حجم الإحترام والتقدير المتبادل بين رجال الزاوية الدلائية وعلماء فاس، كما تدل على عمق الوشائج التي تجمع بينهم، والتواضع في الجواب لمسألتهم استجابة للتعاون والتآزر وتقديم النصح والنصيحة، والتفاهم والتواصل العلمي بين الشيوخ المختلفي المشارب البعيد عن المزايدات الطرقية، فبالرغم من أن الشيخ اليوسي ابن الزاوية الدلائية، والشيخين القادريين من أتباع زاوية أحمد بن معن، والشيخ المهدي ابن الزاوية الفاسية ، إلا أن ذلك لم يمنع من التعاون في القضايا التي كانت تشغل الرأي العام أنذاك، لدرجة يمكن القول أن هذه العلاقة التي جمعت بين الزوايا فاقت التعايش والتبادل إلى حد الإنسجام والإنصهار .

وفي موضوع آخر نجد اليوسي لا يغفل عن التآزر الذي يقدمه للعلماء حين نزول البلاء ، حيث نجده في احدى رسائله لا يفوته أن يقدم تعازيه للشيخين أبي زيد عبد الرحمن وأبي عبد الله محمد في وفاة والدهم الشيخ عبد القادر الفاسي ، مخاطبا إياهم **"إلى البدرين النيرين والبحرين الزاخرين والدرتين الفاخرتين والهضبتين الشامختين ، الإمامين المحترمين الفاضلين ، أبي زيد عبد الرحمن وأبي عبد الله سيدي محمد ابني الإمام الهمام ، تحفة الليالي والأيام شيخنا أبي عمر سيدي عبد القادر بن علي الفاسي سقى الله ثراه..."**[2] .

- **تمظهرات الانفصال**

إن تمظهرات الانفصال الصوفي بين الزاويتين الدلائية والفاسية، تتمثل أساسا في خصوصية البيئة التي تنتمي إليها كل من الزاويتين، والتي فرضت نفسها على نمط الفكر والثقافة؛ **فالفاسية حضرية والدلائية قروية، وهذه الثنائية بقدر ما مثلت التنوع بقدر ما شكلت نوعا من التباين؛** فاليوسي حين دخل إلى فاس، عانى بداية من هذه الثنائية التي جعلت "ارستقراطية فاس" تنأى عن حضور دروسه، وقد تناولت أشعاره شيء من تلك المرارة التي ضاقها جراء ذلك؛ وبالتالي لا يمكن الإنكار بوجود الفوارق التي تمنع التواصل بين البيئتين، وتجعل البيئة البدوية تبدو دون البيئة الحضرية، حيث تميزت العلاقة بين البيئتين على مر تاريخ المغرب بالتبعية، وقد تمثل ذلك في نمط العلاقات الفكرية والتنظيمية والتي كانت تشد صلحاء البوادي إلى صلحاء الحواضر، سواء على مستوى السند الصوفي أو السند العلمي، أو حتى على

[1] - فاطمة خليل القبلي، **رسائل أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي**، ج1، م.س. الرسالة السابعة والخمسون، ص 615 .
[2] - **المصدر نفسه**، ج2، الرسالة الثامنة والخمسون ، ص 619

مستوى الزيارات من أجل التبرك، وهذه التبعية لم تكن -في ذات الوقت- لتعني تشابه المنهج والسلوك الصوفي للجانبين، إذ إن البيئة دائما ما كانت تخلق التميز والاختلاف .

وعموما؛ فعلى مستوى العلاقة بين الزاويتين الفاسية والدلائية، فإنهما وإن كانتا تتحدان في اتباع طريق الجزولية الشاذلية، إلا أنهما تختلفان في نهج السلوك، ونضرب مثالا حول الأوراد والأذكار لكلا الطريقتين (الفاسية والدلائية): فأوراد الزاوية الدلائية تمتاز بالبساطة والسير مع ما يناسب موقعها وسط البادية ومريديها من أعراب تادلا وبرابرة زيان، بخلاف أوراد الطريقة الفاسية التي تتميز بالطول والتعقيد مع ما يناسب أهل فاس ومن وفد عليها من عرب الأندلس ، حيث يعلق محمد حجي عن هذه المفارقة بالقول" **إنه لا يعقل أن يكلف هؤلاء بحفظ أحزاب الشاذلي والجزولي ووظيفة الشيخ زروق وغيرها من الأذكار المعقدة الطويلة بعكس الحال في زاوية فاس التي كانت تستقبل مريدين متحضرين يتوفر جلهم على مبادئ علمية تؤهلهم لإدراك الأحزاب السابقة وغيرها من المسبعات والمعشرات**"[1]، ولعل هذا من خصائص الطريقة الشاذلية وهي المرونة وتكليف المريد حسب طاقاته ، ويمكن الإشارة هنا إلى ما قام به الشيخ العارف الفاسي، حينما أسقط وظيفة الشيخين زروق والجزولي من الطريقة الفاسية، استجابة لما عرفته الزاوية الفاسية في وقته من إقبال فئات من البيئة البدوية عليها، مما اضطره إلى التخفيف من أوراد الطريقة .

2- علماء ورجال تصوف بين التأثير المغربي والفاسي

هذه الفئة كانت نتاجا طبيعيا لانفتاح مدينة فاس وعلمائها على المجال المغربي، سواء ما كان من خروج العلماء الفاسيين من فاس، أو من دخول علماء مختلفي المشارب لمجال فاس؛ فالمراكز العلمية الصوفية بفاس خلال مرحلة القرنين 17 و18م، كانت تحتضن نوعين من القاصدين لها، فئة كانت مكتملة التحصيل العلمي، فاستفيد من علومها بالتدريس في تلك المراكز، والفئة الأخرى كانت لاتزال في مرحلة التعلم والتلقي، فكانت فرصة لها لوجود أكبر تجمع للعلماء والصوفية، ليتلقى هؤلاء القاصدون من التلاميذ والمريدين علومهم على أيديهم .

وقد كان من نتائج ذلك حدوث تلاقح وانصهار، فمن مركز مدينة فاس ، ومن خلال ما سجله الإفراني ضمن "**الإفادات والإنشادات**" حين إقامته بالمدينة، يبرز نتاج انفتاح فاس على المغرب، المتمثل في بروز جيل هجين من العلماء عاش بمدينة فاس خلال المرحلة، فشكل طبقة علماء متجانسة داخل مؤسسات المدينة، وهو ما جسد ازدواجية التأثير والتأثر؛ فالإفراني والذي كان من الوافدين على المدينة، استطاع أن يندمج اندماجا تاما في نسيج الحياة الفكرية والثقافية، إذ يذكر علاقاته بالعديد من الرجال الذين باتوا يشكلون جزءا من نسيج الحياة العلمية لفاس، فكان حلقة تربط بين أعيان الزاوية الفاسية، وبين أعلام بيت الدلاء بفاس، وبين المقيمين من الشرقاويين بها، زيادة على تتلمذه على كبار مشايخ الحضرة الفاسية، وعلاقة الصحبة التي جمعت بينه وبين العديد من أقرانه وصحبه من أنجال البيوتات

[1] - محمد حجي، **الزاوية الدلائية** ، ص64

الفاسية الكبرى من القادريين، والعلميين، وآل إبراهيم المشترائيين، وآل جسوس، والماواسي، وغيرهم، زيادة على ثلة من الوافدين مثله على فاس من مختلف جهات البلاد حضرها وبدوها من تطوان وغياثة ودرعة وغيرها[1]، كأبي عبد الله المهدي التطواني، وأبي فارس الغياتي، وأبي عبد الله المكناسي، وأبي محمد الدرعي ، وأبي عبد الله الدرعي[2] .

وبالتالي، ففاس في هذا الوضع كانت مجمعا وملتقى لكل أطياف المجتمع المغربي، حيث مثلت دورا تأثيريا من الداخل على علماء المغرب وصوفييها، وهنا لابد من الإشارة إلى قضية هامة، والتي تتمثل في تنامي ارتباط علماء غير فاسيين بمدينة فاس وعلومها وثقافتها أكثر من أصولهم التي قدموا منها، فباتوا بعد مدة يشكلون انتماءا لمدينة فاس، كما حدث مع الدلائيين الذين دخلوا فاس فشكلوا بعد مدة من إقامتهم فيها جزءا من نسيجها البشري والعلمي والثقافي، منهم: محمد بن أحمد الملقب بالمسناوي (ت1136هـ/1724م)، الذي يعتبر نموذجا مثاليا للتلاقح وتبادل التأثيرات المختلفة التي ضربت فاس خلال النصف الثاني من القرن 17م، فكان حصيلة النسيج العلمي المتداخل، ليشكل طرفا ضمنه مع القرن18م؛ هذه الوضعية تجعلنا أمام نسيج علمي صوفي متداخل يصعب وضع حدود فاصلة بين الأطراف المشكلة له، سواء داخل مركز الزاوية الدلائية أو مدينة فاس، وهذا التداخل هو ما أنتج الفئة الثالثة التي نحن بصدد التطرق لها، وهي فئة الجيل الثالث من العلماء والمتصوفة .

وأبرز من مثلها :

- **أبو سالم بن محمد العياشي (ت1090هـ/1679م)**

سبق أن أوردنا سيرته ضمن الفئة التي كان لفاس فضل على علماء المغرب، إلا أن هذا العَلَم يمثل في ذات الوقت نموذجا لهذه الفئة التي تمثل التأثير المتبادل بين مدينة فاس والمغرب، فتجربته العلمية والصوفية أكسبته وضعا مزدوجا في التأثير؛ فهو خريج الزاوية العياشية والناصرية والمدرسة الفاسية بزاويتها الفاسية وجامعتها، إذ تتلمذ الشيخ أبو سالم على يد فضلاء العلماء والصوفية في وقته، مما أكسبه منزلة فقهية وعلمية مكنته من نيل اعتراف شيوخ علماء فاس، حيث اشتغل بالتدريس داخل العاصمة العلمية، فتتلمذ له عدد من طلبتها[3]، حيث يسجل لأبي سالم ما لايحصى من التلاميذ وطلاب العلم فأجاز عددا كبيرا، منهم: عبد السلام بناني، وعلي بن أحمد الحريشي، وأبو عبد الله محمد الصغير الفاسي (ت1134هـ)[4]، ومحمد بن القاسم بن زاكور(ت 1120هـ)، وأحمد بن محمد بن ناصر الدرعي

---

[1] - عبد الله نجمي، الإفادات والإنشادات، **متنوعات محمد حجي**، م.س. ص74

[2] - **المرجع نفسه**، ص93

[3] - أبو سالم العياشي ، **اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر** ، م.س. (قسم الدراسة). ص ص28- 36

[4] - هو صاحب كتاب المنح البادية، حيث أشار صاحب الكتاب إلى العلاقة التي جمعته بالشيخ أبي سالم، فقدمه ضمن شيوخه الذين أجازوه، انظر، محمد الصغير الفاسي، **المنح البادية..** م.س. ج1 ص ص 129 - 131

(ت1129هـ)، وعثمان بن علي اليوسي (ت1084هـ) وغيرهم [1]، كما ربطته صلات وثيقة بمختلف المثقفين وخاصة أبناء الزاوية الفاسية الذين ظل يكاتبهم ويكاتبونه، ويقوم بدور الصلة بينهم وبين علماء المشرق[2].

➢ عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي (ت 1096هـ/1685م)[3]

هو أبو زيد عبد الرحمن ابن الشيخ عبد القادر الفاسي، فقيه وعالم لقب ب "**سيوطي زمانه**"[4]، ولد بمدينة فاس بمنزل والده بحومة العيون من عدوة فاس القرويين، و بها نشأ، يمثل الجيل الثاني من رجال فاس، ويكفي تعريفا به أنه أحد العلماء الأفذاذ من أولاد عبد القادر الفاسي - السابق الذكر-؛ فهو خريج مدرسة آل الفاسي، هذه الأسرة كان لها فضل في تنشئته، بحيث تتلمذ[5] على يد جل أبناء وأحفاد وأقارب الشيخ أبي المحاسن، وعلى رأسهم: والده عبد القادر الفاسي، وعم والده محمد العربي العارف، وعمه أحمد بن علي الفاسي، و قريبه محمد بن أحمد بن أبي المحاسن الفاسي، وعبد الوهاب بن العربي بن أبي المحاسن، كما قرأ وتتلمذ -أيضا- على أقرانهم المعاصرين لهم في ذلك الوقت من علماء فاس، أبرزهم: الشيخ حمدون بن محمد الآبار، و أحمد بن محمد الزموري، و محمد ميارة، وعبد الرحمن بن القاضي. وبعدما تمكن من ناصية العلوم، وجمع بين علوم الباطن والظاهر، جلس للتدريس، فكانت حِلَقُه العلمية منارة تعج بشيوخه وأقرانه وطُلاب العلم، مثل: ابنه محمد (تـ1134هـ)، و محمد بن محمد البُوعْنَاني (تـ1063هـ)، و عبد الله بن محمد العيَّاشي (تـ 1073هـ)، ومن في طبقتهم .

قيل وروي عنه وعن علمه وتصوفه الكثير، منه ما قاله فيه محمد بن الطيب القادري: "**اتسعت مشاركته في العلوم، وشاعت براعته في المنظوم، أحد الأعلام الحفّاظ، له الذّوق السليم، والفتح العظيم، والغوص على الدقائق، والاهتداء للّطائف الرّقائق، يأتي بالعجائب، ويحيط بما يدانيه من الغرائب، كثير التقييد.."**[6] .

تميز عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي بكثرة التأليف، إذ خلف مؤلفات لا تحصى، عدّها المرحوم محمد الفاسي في 207 مؤلفا[7]، وهي في علوم المنقول والمعقول .

---

[1] - انظر، أبو سالم العياشي ، **اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر** ، م.س. (قسم الدراسة). ص ص 59-62 ، حيث قدمت الباحثة نبذة عن أبرز تلامذة أبي سالم المتعددي المشارب الصوفية، من الزاوية الفاسية والدلائية والدرعية ...

[2] - **المصدر نفسه**، (قسم الدراسة) ص ص33- 34 .

[3]- وردت ترجته ضمن العديد من الفهارس والتراجم من قبيل : محمد القادري، **نشر المثاني**، ج2،م.س. ص ص325- 329؛ عبد الله بن محمد الفاسي، **الإعلام بمن غبر** ..،م.س. ص ص306-307؛ محمد الإفراني، **صفوة ما انتشر**، م.س. ص ص 337-338؛ محمد الصغير الفاسي، **المنح البادية في الأسانيد العالية**، م.س.ج1، ص48؛ عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، خالد الصقلي، **ذكر بعض مشاهير أهل فاس في القديم**، دراسة وتحقيق خالد الصقلي، مطبعة آنفو برانت فاس، ط1،سنة 2007، (قسم الدراسة) ص ص: ض- ث ث .

[4] - امحمد بن أحمد الفاسي ، **المورد الهني...**، م.س. ص 22؛ محمد القادي، **نشر المثاني..**، م.س. ج2 ص 325

[5] - عن أبرز شيوخ الشيخ عبد الرحمن بن عبد القادر، أنظر امحمد بن أحمد الفاسي، **المصدر نفسه**، ص 21-22؛ محمد القادري، **نشر المثاني** ، ج2 ص325 .

[6] - محمد القادري ، **نشر المثاني...** ،م.س. ج2 ، ص 325

[7] - انظر ، محمد الفاسي ، "عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي" ، مجلة **المناهل**، عدد 35 ، دجنبر 1986م ، ص55-80

خصه مجموعة من المؤلفين بقصائد مدح، أشهرها قصيدة لأبي سالم العياشي، أرسلها له، وحلاه بشيخنا، مطلعها[1]:

"ما فـي البسِيطَة طُرّاً من يبَارِيكَـــا يا أَطْيَب الـمُنْتَمَى سبحان بَارِيكَـــا

وقد سَبَرْتُ الوَرى فَلَم أَجد أَحـــــدا مِمَن يَرُوم العلا منهم يُوَازِيكـــــــا

شرقا وغربا فلم يَطْرُقْ مسامعنـــا من في سنين الصِّبَا يـجرِي مجارِيكـا"

- **عبد السلام بن الطيب القادري (ت1110هـ/1698م)**[2]

سليل القطب عبد القادر الجيلاني بفاس، أبو محمد عبد السلام بن الطيب بن أبي عبد الله محمد القادري الحسني الفاسي، وهو أخو النسابة محمد العربي. ولد بفاس وبها نشأ، فتلقى تكوينه العلمي في علوم النحو، والبيان، والمنطق، والحديث، والأصلين، والأنساب، على يد شيوخ عصره، أبرزهم[3]: الشيخ الفقيه أبو عبد الله سيدي محمد العربي بن أحمد الفشتالي، وعبد القادر بن علي بن أبي المحاسن الفاسي، وأبو علي الحسن اليوسي (ت1102هـ)، وأبو عبد الله محمد بن الحسن المجاصي(ت1103 هـ)، ومحمد الشاذلي بن محمد الدلائي، وأحمد بن العربي ابن الحاج، والعربي بن أحمد بردلة الأندلسي، كما قرأ على محمد بن أحمد الفاسي.

ولما تحصل له علم المعقول والمنقول، تصدر للتدريس والإقراء في علوم التفسير والحديث والفقه بعدة مساجد بمدينة فاس، فكان مسجد الأندلس ومدرسة الصهريج ومدرسة الصفارين من بين الأماكن التي احتضنت دروسه، خاصة في علم النحو والبيان والمنطق والحديث والأصول والأنساب، فتتلمذ على يديه العديد من الرجال الذين أصبحوا منارات فيما بعد، أمثال: أبي عبد الله محمد بن أحمد المسناوي، ومحمد بن الطيب العلمي، وامحمد بن محمد الصغير ميارة، وأبي العباس أحمد بن علي الوجاري، ومحمد بن حمدون بناني.

كان للشيخ تقدير كبير من قبل الفاسيين، لما كان له من الجمع بين شرف النسب وشرف العلم، منهم آل الفاسي الفهري، فقد خصه محمد بن أحمد الفاسي بمؤلف خاص في أخباره وعلمه، سماه "**المورد الهني بأخبار الإمام عبد السلام القادري**".

---

[1] - انظر، محمد القادري، **نشر المثاني...** م.س. ، ح2 ص 328

[2] - قدم له محمد بن الطيب القادري ترجمة وافية في مؤلفه **نشر المثاني**، ج3، م.س. ص ص 86- 115؛ امحمد بن أحمد الفاسي، **المورد الهني...** ، م.س. ص ص 54-59

[3] - قدم محمد بن الطيب القادري لكل شيوخه الذين أخذ منهم العلم والتصوف مع الكتب التي أجازوه فيها؛ انظر، **نشر المثاني...** م.س. ج3 ، ص ص 88-90.

➢ محمد بن عبد القادر الفاسي (ت1116هـ/1704م)[1]

هو الإمام محمد بن عبد القادر بن علي بن أبي المحاسن الفاسي، سليل أسرة الفاسيين، وابن الزاوية الفاسية، وأحد أعلام علمائها وفقهائها، ولد بفاس وبها نشأ، وفيها تلقى تعليمه على يد أبرز علمائها والمعاصرين لهم؛ فهو الفقيه العالم الذي أحرز قصب السبق في النحو، والبيان، والمنطق، والحديث، والسير، والتصوف، والأصول، والفقه، وصفه صاحب نشر المثاني ب "**إمام المحققين، ورئيس المحدثين..."**[2]؛ تلقى مختلف العلوم على يد أبرز علماء الوقت المعاصرين له، على رأسهم رجال الزاوية الفاسية، حيث أخذ عن والده الشيخ عبد القادر الفاسي، وعمه محمد بن أحمد الفاسي، كما أخذ عن علماء فاس، منهم أبو العباس أحمد المدعو حمدون الآبار....؛ والعباس أحمد بن محمد الزَّمُّورِي (ت1057هـ)، وأحمد بن عبد الرحمن بن محمد المرابط الفاسي (ت1079هـ)؛ فكان ممن بهر في المعقول والمنقول[3] .

وقد أخذ عن صاحب الترجمة وانتفع به خلق كثير، منهم الشيخ محمد الصالح الشرقي فأجازه إجازة عامة في كل ما أخذ عنه[4]، كما تتلمذ أبناء الزاوية الشرقاوية على يديه[5]، ومن أنجب من كان يحضر مجالسه: أبو محمد عبد السلام بن الطيب القادري(ت1110هـ)، الذي قرأ عليه **"صحيح البخاري"، و"ألفية ابن مالك"، و"لامية الأفعال"، و"رسالة ابن هشام"، و"رسالة ابن أبي زيد"،** وغير ذلك، كما قرأ عليه أبو عبد الله محمد بن أحمد المسناري، وأبو عبد الله محمد بن عبد السلام بناني، وقد انتفع به كثيرا واستفاد منه مذاكرة وفوائد لا تحصى، فهو من معتمدي شيوخه[6]، وجميع من كانت له الشهرة بالعلم بفاس أنذاك[7] .

➢ عبد السلام بن أحمد جسوس (ت1121هـ/1709م)[8]

هو العالم العلامة المحدث الصوفي المدعو "حمدون جسوس"، له معرفة بالنحو واللغة والفقه والأصول والبيان وعلم الكلام والحديث ، كان إماما بالمسجد الأعلى من العقبة الزرقاء من فاس القرويين، وكان والده قد جدد بناء هذا المسجد، وجمع عليه الناس فيه صاحب الترجمة وادعى اتباع طريقة القوم (الطريق الشاذلي) ، فكان يقرأ الأحزاب والأوراد وذكر الجلالة على المألوف في زوايا شيوخ الطريقة، فكان يقرأ بعد صلاة الصبح حزب الفلاح والحزب الكبير لأبي الحسن الشاذلي ، وبعد الانتهاء منه يدرس التفسير، وبعد صلاة الظهر يدرس الحديث، وبين العشاءين كتب التصوف، وانتسب لمعرفة علم أهل الحقيقة ، قرأ

---

[1]- انظر ترجمته : **نشر المثاني...** ، ج3 ص ص 151-154 ؛ الإفراني ، **صفوة ما انتشر** ، م.س.ص ص 357-359؛ امحمد بن أحمد الفاسي ، **المورد الهني**، م.س.ص ص28-29

[2] - محمد القادري ، **نشر المثاني...، م.س. ج3،** ص 151

[3] - انظر، **المصدر نفسه** ، الصفحة نفسها

[4] - محمد بوكاري ،**الزاوية الشرقاوية...** ، ج1 م.س. ص 104

[5] - لطيفة شراس ، **الحركة الصوفية في منطقة تادلا خلال القرنين 10-11/16-17** ، م.س. ، ص237.

[6] - انظر، امحمد بن أحمد الفاسي ، **المورد الهني...**، م.س.ص ص-29

[7] - محمد القادري ، **نشر المثاني...** ، ج3 ، ص 152

[8] - انظر، **المصدر نفسه،** ج3 ص ص 207- 208

العلم على شيوخ وعلماء وقته ، على رأسهم: عبد القادر الفاسي، وميارة، وأبو علي اليوسي، وأبو العباس أحمد بن الحاج، وأبو عبد الله بردلة، وأبو سالم العياشي، والقراءات على أبي زيد بن القاضي. اشتغل في تدريس العلوم الدينية وعلوم التصوف، له تآليف في أدعية نبوية، وله قصائد وأنظام[1] .

- **محمد بن عبد السلام بناني (ت1163هـ/1749م)**[2]

هو أبو عبد الله محمد بن عبد السلام بنَّاني، الفاسي مولدا ومنشأ ووفاة؛ مثل الشيخ تأثيرات التصوف المغربي والمشرقي بتياراته العلمية. تلقى تعليمه بفاس على يد شيوخ وعلماء وقته، أمثال محمد بن عبد القادر الفاسي(ت1110هـ)، وعبد السلام بن الطيب القادري(ت1111هـ)، ومحمد بن قاسم ابن زاكور(ت1120هـ)، والعربي بن أحمد بُرْدُلة(ت1133هـ)، كما أدرك في صغره الشيخين الحسن اليوسي وعبد القادر الفاسي، فأخذ عنهما. كانت له رحلة علمية إلى بلاد المشرق، ليكمل بها تحصيله العلمي. ولتمكنه من جل العلوم حينها، تصدى للتدريس بالأزهر الشريف، ولما رجع إلى فاس أقام مجالس تدريس متعددة، فبمسجد القرويين أقام مجلسا لتدريس "مختصر الشيخ خليل"، وآخر لتدريس "صحيح البخاري"، وبالمدرسة المصباحية أقام مجلسا لتدريس "الرسالة" بين العشائين، ثم رحل إلى تطوان فدرس بها؛ ولمكانته العلمية رتب له عاملها مرتبا حتى يتفرغ للتدريس، إلى أن رجع إلى فاس؛ وقد لقيت مجالسه اهتماما منقطع النظير من قبل الطلبة الذين كانوا يفدون عليه من كل مكان؛ فقد ذكر "محمد بن الطيب القادري" أنه اجتمع للأخذ عنه سائر الطلبة الواردين على فاس سواء من المغرب أو المشرق، من أبرزهم: محمد التاودي بن سودة، وأحمد الهلالي، وإدريس العراقي، ومحمد بن الحسن بناني، ومحمد بن قاسم جسوس .

ونظرا لما بلغه من سمو المكانة العلمية أصبح من العلماء الذين إليهم المرجع في الفتوى، والفقهاء المعتمد عليهم في النوازل المستجدة[3]، كما ترك العديد من المؤلفات في علوم الحديث، والفقه، والتاريخ، والأدب، والتصوف، فهو صاحب "شرح الاكتفا" للكلاعي في ستة مجلدات، وشرح "الزقاقية في الأحكام الفقهية"، و"شرح الحزب الكبير للشاذلي".

- **محمد ابن الطيب الشرقي (ت 1170هـ/ 1756م)**[4]

هو الشيخ أبو عبد الله محمد بن الطيب بن محمد بن محمد بن موسى الصميلي الفاسي الشرقي، كانت ولادته بمدينة فاس (سنة 1110هـ) التي نشأ وتعلم بها، وقضى بها النصف الأول من حياته، ثم قضى النصف الثاني بالمشرق، حيث جاور بالمدينة المنورة بقية حياته إلى أن وافاه الأجل هناك.

---

[1] - محمد القادري: **نشر المثاني...**، ج3 ، م.س. ص 207

[2] - انظر، الكتاني، **سلوة الأنفاس...** م.س. ج1 ص ص 153-155؛ القادري، **نشر الثاني...**، م.س. ج4، ص ص: 80-81؛ امحمد بن أحمد الفاسي ، **المورد الهني...** ، م.س. ص ص90-92

[3] - انظر، محمد القادري ، **نشر المثاني**....، م.س، ج4، ص:81

[4] - انظر، محمد الكتاني، **سلوة الأنفاس...** ، م.س. ج3 ص67 .

ينتسب ابن الطيب إلى أسرة جل أفرادها من أهل العلم والدين والورع، منهم والده محمد الطيب الذي يعد أبرز شيوخه الذين أخذ عنهم، وعمته الزهراء زوجة الحسن بن مسعود اليوسي التي يروي عنها بعض السلسلات الحديثية، كما حصل الشيخ محمد بن الطيب مبادئ العلوم كلها بمدينة فاس، إذ تلقى العلم على يد العديد من رجالها الذين يختلفون المشارب والانتماء الصوفيين، من أبرزهم: أبو عبد الله محمد بن العربي الفاسي (ت1129هـ)، وأبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي (ت1129هـ)، وأبو عثمان سعيد بن أبي القاسم العميري (ت1131هـ)، وأبو عبد الله مَحمد بن عبد الرحمن الفاسي المعروف ب"الصغير" (ت1134هـ)، وأبو عبد الله محمد بن أحمد ابن المسناوي (ت1136هـ)، الذي يعتبر ابن الطيب من ألمع تلاميذه، وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن الشاذلي (ت1137هـ)، وأبو العباس أحمد بن علي الوجاري (ت1141هـ).

جمع ابن الطيب الشرقي بين العلوم النقلية والعقلية وبين الفقه، والحديث، والتصوف، وعلوم القرآن، واللغة، والأدب، وهذان العلمان برز فيهما أكثر من غيرهما؛ وقد أهلته علومه ليتولى مهمة التدريس والتأليف والقضاء، فكان غزير الإنتاج التأليفي، حيث عُد له أكثر من خمسين مصنفا ومؤلفا، كما كان له العدد الكبير من التلاميذ والطلاب، منهم: عبد المجيد بن علي المنالي الزبادي (ت1163هـ)، وحمدون بن محمد بن عبد السلام الفاسي (ت1190هـ)، وأبو عبد الله الخياط.

كانت له رحلتان إلى المشرق، رحلته الأولى سنة (1139هـ) لأداء مناسك الحج. أما الرحلة الثانية فقد كانت سنة (1143هـ)[1] إثر الأحداث السياسية والاقتصادية التي عرفتها مدينة فاس بعد وفاة المولى إسماعيل، وهكذا توجه ابن الطيب الشرقي إلى المشرق، وهناك جاور بالمدينة المشرفة، وتولى الإمامة والخطبة بالمسجد النبوي إلى أن توفي. دفن عند قبر السيدة حليمة رضي الله عنها.

➢ امحمد بن أحمد الفاسي (ت 1179هـ/1765م)[2]

هو امحمد فتحا بن أحمد بن فتحا بن عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي، ولد بمدينة فاس سنة 1118-1706م وبها نشأ ، درس في جامع القرويين على يد علمائها ، كابن عم أبيه أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الفاسي (ت1134هـ/ 1722م)، ومحمد بن محمد بن عبد الرحمن الدلائي، وأحمد بن علي الوجاري، وأحمد بن مبارك اللمطي (ت1156هـ/1743م)[3]. تولى خطتي الإمامة والخطابة بجامع الأندلس وذلك بأمر من السلطان المولى عبد الله بن إسماعيل (1729-1757)، كما تولى ذات الخطتين بالمصلى خارج باب الفتوح، وتولى أيضا خطة العدالة وخطة النظارة على أوقاف جامع القرويين، ثم خطة التدريس بهذا الجامع[4] ؛ وللفاسي مشاركات علمية بارزة في مجال علوم الدين كافة ، مع تميز وتخصص في

---

[1] - جعل الشيخ ابن الطيب الشرقي لهذه الرحلة تأليفا سماه "**الرحلة الحجازية**"، والكتاب حققه : نور الدين شوبد ، نشر وطبع دار السويدي للنشر والتوزيع ، أبو ظبي، ط1 سنة 2014م .

[2] - انظر، امحمد الفاسي، **المورد الهني...**، م.س. (قسم الدراسة)، ص ص4-6

[3] - انظر، محمد القادري ، **نشر المثاني...**، م.س. ج4، ص40-42

[4] - امحمد الفاسي، **المورد الهني...**، م.س. (قسم الدراسة)، ص5

التوثيق والتراجم والأنساب، إذ إن مؤلفاته تكاد تكون جميعها في هذا المجال، كما شرح وألف عدة مؤلفات، نجد منها "**شرح المقدمة الفقهية لشيخ الإسلام عبد القادر الفاسي**"، و"**شرح على مختصر خليل**"، وكتاب يتعلق ب"**أشراف المغرب**"، كما وضع جدول "**تسلسل الأسرة الفاسية الفهرية**"، وقام بشرح "**درة التيجان ولقطة اللؤلؤ والمرجان**" لشيخه محمد بن محمد البكري الدلائي (ت 1729م)، وهو عبارة عن أرجوزة لعقب السبطين الحسن والحسين[1]، وغيرها من المؤلفات .

- **محمد بن قاسم بن محمد جسوس (ت1182هـ /1768م)[2]**

هو الإمام أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن قاسم بن أحمد جسوس ، قال عنه الكتاني في سلوة الأنفاس: **"الفقيه العلامة المحقق الورع الزاهد، المصنف الحاذق النبيه، ذو التصانيف العديدة والتآليف المفيدة شيخ الجماعة في وقته"[3]**؛ ولد سنة 1089هـ بمدينة فاس وبها نشأ، درس عن شيوخها مختلف العلوم، وعلى رأسهم: محمد بن عبد القادر الفاسي(ت1116هـ)، وأبو عبد الله محمد الطيب بن محمد بن عبد القادر الفاسي(ت1113هـ)، وأبو عبد الله محمد بن عبد السلام البناني الفاسي(ت1163هـ)، وأبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد الملقب بالمسناوي (ت1136هـ)؛ كان الشيخ جسوس بحرا في العلوم، مشاركا في المعقول والمنقول، من منطق وبيان، ولغة وأصول ، وتصوف وفقه، وحديث وتفسير ، فنال لقب شيخ الجماعة بفاس، ثم تفرغ للتعليم بفاس أيضا، فأكب الناس على مجلسه لعلمه وانفراده بالاجتهاد، فأخذ عنه جماعة كبيرة من جملتهم: العلامة عبد المجيد المنالي الزيادي(ت1163هـ)، والشيخ التاودي بن سودة المري(ت1209هـ)[4]، كما أخذ عنه محمد بن عبد السلام بن الشيخ محمد بن ناصر الدرعي[5] .

---

[1] - امحمد الفاسي، **المورد الهني...**، م.س. (قسم الدراسة) ، ص 5

[2] - انظر، محمد الكتاني، **سلوة الأنفاس...**، م.س. ج1 ، ص ص374- 376

[3] - **المصدر نفسه**، ج1، ص 374

[4] - انظر، **المصدر نفسه**، ج1، ص 375

[5] - هو صاحب الرحلة الناصرية الكبرى والصغرى، انظر، ، محمد بن عبد السلام الناصري، **الرحلة الناصرية الكبرى** ، دراسة وتحقيق المهدي الغالي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دار أبي رقراق الرباط، ط1، 2013م، (قسم الدراسة)، ص 10

الفصل الثالث : طبقات رجال التصوف في مدينة فاس خلال القرنين 17-18

بلغت مدينة فاس خلال مرحلة القرنين 17 و18م مكانة علمية وصوفية متميزة بالرغم من الأزمات التي شهدتها، ويعود الفضل في هذه المكانة إلى رجال بصموا تاريخها العلمي والصوفي ووسموا مساره؛ فمن خلال ما تم دراسته، نجد أن معالم مدينة فاس، من حيث أعلامها، بدأت تتحدد، وإن كنا أمام خليط متنوع وكبير لهؤلاء بالنسبة للانتماء الجغرافي والنسب والطريقة والطائفة، وهو ما تضمنته المصادر التي أرخت لهذه المرحلة، من تراجم لعلماء وفقهاء ومتصوفة وأولياء وأقطاب وصلحاء، منهم من لم يعرف إلا بالصلاح والزهد، فنالوا شهرة نافست شهرة العلماء والفقهاء، إلا أنه وجب القول إن رجال التصوف العلمي –وأقصد بهم العلماء الصوفية- كانت لهم المكانة العليا والحضور المتميز، لأنهم كانوا أساس الحركة الصوفية التي عرفتها فاس، بما حملوه من العلم العقلي والنقلي، وبما نالوه من ملازمة المريدين والتلاميذ والطلبة لهم ولحلقات دروسهم وخطبهم .

من هذا المنطلق، خصصنا هذا الفصل لهذه الفئة من العلماء المتصوفة، ولأن البحث لا يسع ذكر من مروا من فاس خلال المرحلة المدروسة، فقد ارتأينا اختيار الأعلام الذين كان لهم دور بارز في ترسيخ وإغناء التصوف. ولأجل تتبع سيرهم، فقد اتخذنا المنهج التاريخي الكرونولوجي، عبر تقسيمهم إلى ثلاث طبقات، على أساس تراتبية الأجيال (أي الشيوخ ثم تلامذتهم) ، فوضعنا كل طبقة وفق التطورات التي مرت منها المدينة، وذلك عبر مراحل تاريخية محددة كانت عاملا في تمييز الطبقات بحدود فاصلة لها، وهو ما سنلمسه عند تتبعنا لهؤلاء الأعلام .

وإن سبب اتخاذنا هذا التقسيم الطبقي في دراسة أعلام مدينة فاس، يعود إلى التناسق الفريد الذي اتخذته، سواء على المستوى الأفقي فيما يخص كل طبقة، أو على المستوى العمودي فيما خص الطبقات الثلاث. فعلى المستوى الأفقي، كانت كل طبقة وكأنها كيان واحد في إطار مؤسسة واحدة لتخريج العلماء والمتصوفة، من خلال اشتراكهم في التتلمذ على نفس الشيوخ ،تقريبا. أما على المستوى العمودي، أي على مستوى الطبقات الثلاث، فنجد كل طبقة ترتبط بالطبقة التي تليها أو التي تسبقها من خلال علاقة التتلمذ والتلقي أو المشيخة ، إذ وجدنا أن كل طبقة كانت تتلقى العلوم من الطبقة السابقة، ثم تلقنه بدورها للطبقة اللاحقة، مما مكننا من تتبع الصلات والروابط التي جمعت شيوخ المغرب مع شيوخ مدينة فاس.

وعموما، وفي خضم هذا التناسق وتنوع الأعلام وتمايزهم ، فقد اعتمدنا في تتبع تراتبيتهم على سنة وفاتهم مع مكانتهم العلمية، نزولا من الشيوخ إلى طلبتهم، لكون بعض الأعلام توفوا قبل شيوخهم، وذلك حتى نتجنب تقديم بعض الطلبة عن شيوخهم أو الأبناء عن أبنائهم .

وقبل البدء في التطرق لمباحث هذا الفصل، لابد من الإشارة إلى أننا سنخص الحديث عن أبرز الأعلام العلماء الذين كانوا جزءا من حركة مدينة فاس الصوفية سواء كانوا فاسيين أو اتخذوها سكنا، وباعتبار أننا قدمنا في الفصل الثاني من هذا الباب تعريفا بحياة العديد من رجال فاس الذين شغلوا

مرحلة القرنين 17 و18م، فإننا في هذا الفصل سنخصص الحديث لمن تبقى منهم، ومن سبق البحث في سيرته سنقتصر على وضعه ضمن تراتبيته في طبقته، وذلك بالاقتصار على ذكر اسمه ووفاته ومدفنه .

المبحث الأول : الطبقة الأولى - من مطلع القرن 17م (1009هـ)، إلى غاية سنة 1079هـ/1668م (معركة بطن الرمان)

تميزت مدينة فاس خلال هذه المرحلة - على مستوى طبقة العلماء- بوجود جيل المؤثرين ضمن الحركة الصوفية والعلمية بامتياز، وقد اخترنا هذا الإطار الزمني والتاريخي لهذه الطبقة، لاعتبارات مرتبطة بالتحول الذي طرأ على فاس بعدها، فمس حركتها الصوفية، حيث تميزت المرحلة باحتفاظ مدينة فاس بنسيج مجتمعي موحد من فئة العلماء منذ بداية القرن 17م، مثلت امتدادا لجيل علماء القرن 16م، وإن كان هناك بعض التغييرات لكنها لم تمس كثيرا الملامح العلمية والمجتمعية لفاس، أما ما كان بعد حدث "معركة بطن الرمان" (حيث كانت هزيمة الدلائيين وتخريب زاويتهم)، ستأخذ ملامح نسيج فاس التشكل على أسس جديدة بسبب دخول علماء الدلاء وآلهم .

➢ محمد بن قاسم القصار (ت 1012هـ/1603م)

يعتبر القصار من بين رجال فاس الذين أحيوا العلم بالمدينة، توفي هذا الشيخ أثناء خروجه من فاس إلى مراكش، وذلك لما طالبه السلطان زيدان بعد موت أبيه المنصور في اللقاء، وحسب رواية القادري، الذي أورد في "نشر المثاني" و"التقاط الدرر": "**أن الشيخ القصار لما طلبه السلطان زيدان بعد موت أبيه المنصور في اللقاء وسار إليه لحضرة مراكش، طلب من الله أن لا يلقاه، فاستجاب الله له، حيث توفي بالطريق، فحمل إلى مراكش ودفن بروضة سيدي أبي العباس السبتي**"[1]، وعن قصة مدفنه، يذكر القادري: "**أن رأى أحد أهل مراكش في النوم قبرا بإزاء سيدي أبي العباس السبتي، فقيل لمن هذا؟ فقيل لرجل صالح، فمن الغد أصبح الرائي يبحث عن ذلك الموضع فوجده يحفر فيه لأحد ممن وسم بالظلم، ثم أنه أتى به فلم يسعه وبدل به مكانا آخر، فلما ورد الشيخ القصار دفن هناك**"[2] .

➢ أبي المحاسن يوسف بن محمد الفاسي (1013هـ/1604م)

توفي بمدينة فاس، ودفن بمقبرة باب الفتوح .

➢ أحمد حبيب الأندلسي (1013هـ/1604م)[3]

أصله من الأندلس ثم من رندة، وهي مدينة في الجنوب الشرقي من الأندلس، سقطت في يد الإسبان سنة 890هـ/1485م؛ وصفه القادري ب "**الولي الصالح العارف بالله**"[4]، أخذ عن جماعة من العلماء

---

[1] - محمد بن الطيب القادري، **نشر المثاني...**، ج1، م.س. ص 92 ؛ **التقاط الدرر....** ، م.س. ص ص 39- 40

[2] - محمد بن الطيب القادري ، **التقاط الدرر....** ، م.س. ص ص 39- 40

[3] - محمد القادري ، **نشر المثاني...** ، ج1 ، م.س. ص 117 ، **التقاط الدرر...** ،م.س. ص 43

[4] - محمد القادري، **نشر المثاني...** ، ج1 ، ص117

والصلحاء، على رأسهم أبو النعيم رضوان الجنوي. ويعتبر الشيخ الرندي من شيوخ التصوف بمدينة فاس ، كان له أتباع وزاوية بالمخفية ، له مؤلفات ورسائل في التصوف[1] .

توفي بفاس، ودفن داخل مقبرة باب الفتوح، مقابل الحائط الذي يلي حوش الشيخ يوسف الفاسي من أسفله .

➢ أبو العباس أحمد بن محمد الشاوي (ت 1014هـ/1605م)[2]

ينتسب أحمد الشاوي لعرب الشاوية من أهل بلاد تامسنا، وهم من العرب الحجازيين، نقلهم العبيديون إلى صعيد مصر، ثم دفعوا إلى برقة وافريقية ثم إلى المغرب، على يد يعقوب المنصور الموحدي[3]، وقد كان قدوم الشيخ وأهله إلى مدينة فاس حين بلوغه الحلم، فاتصل بالولي الشهير أحمد بن يحيى اللمطي (دفين النواعرين من فاس) فلازم خدمته[4]، وكان وارث سره وطريقته بعد وفاته، ومن حينه تصدى لتربية المريدين؛ عرفه القادري ب" **الولي الإمام القدوة الكبير المجذوب العارف المحبوب المتمكن في الحال العظيم البركة والنوال المربي النفاع الكثير الكرامات والأتباع.."**[5] ؛ اشتهر بترميمه وإصلاحه لبعض مرافق وبنيات مدينة فاس، بفضل الثروة المالية التي كانت له، فهو من أعاد بناء قنطرة ابن طاطو، وأصلح ماء جامع الأندلس القادم من عين سيدي بونافع وجدد القوس الذي يمر عليه بباب الجديد، وحبس أوقافا كثيرة لأجل ذلك [6] .

ألف فيه الشيخ عبد السلام بن الطيب القادري كتابا سماه**"معتمد الراوي بمناقب سيدي أحمد الشاوي"**[7] **،** فذيله حفيده محمد بن الطيب القادري بتقييد وسماه **"الكوكب الضاوي في إكمال معتمد الراوي"**[8].

توفي بفاس، ودفن بحومة الجرف من عدوة القرويين[9] .

---

[1] - محمد القادري ،**التقاط الدرر...** ، م.س. ص 43

[2] - انظر، عبد الله بن محمد الفاسي، **الإعلام بمن غبر ...**، م.س. ص ص 66-68؛ محمد الصغير الإفراني، **صفوة ما انتشر ...**، م.س. ص ص91-92 ؛ محمد بن الطيب القادري، **نشر المثاني...**، ج1 م.س. ص ص132-133 ، **التقاط الدرر...**، م.س. ص ص 44-45

[3] - محمد القادري ، **نشر المثاني ...**، ج1 ، ص 132 .

[4] - **المصدر نفسه** ، الصفحة نفسها

[5] - محمد القادري ، **نشر المثاني ...**، ج1 ، ص 132 .

[6] - محمد الحجوي الثعالبي، **طيب الانفاس في تاريخ بعض زوايا وأضرحة فاس**، تحقيق عبد المجيد خيالي، منشورات دار الامان الرباط، الطبعة1 ، دون تاريخ الطبع ، ص67

[7] - لقد اختلف بشأن هذا الكتاب، اذ أورده الإفراني في الصفوة بعنوان **"تحفة الراوي بمناقب سيدي أحمد الشاوي"** (ص 92)، والغالب أنه قد وقع خطأ إما في نسخة المحطوط أو عند الإفراني نفسه، وذلك لأن كل من ذكر تأليف محمد القادري بخصوص الشيخ أحمد الشاوي، فهو يذكره بعنوان **"معتمد الراوي.."**، كما جاء على لسان محمد بن الطيب القادري في كتابه "نشر المثاني" إذ يقول:**"...ومن أراد الشفاء في مآثره فعليه بتأليف سيدنا الجد رحمه الله المسمى بمعتمد الراوي ، وقد ذيلنا عليه تقييدا سميناه الكوكب الضاوي..."**(انظر ج1 ص 134) ، كما أن ما بقي من تراث المخطوط هو فقط "**معتمد الراوي**" وهو يوجد بالمكتبة الوطنية تحت رقم 777د الرباط، و"**الكوكب الضاوي**" تحت رقم 799د بنفس المكتبة .

[8] - انظر، محمد القادري ، **نشر المثاني...** ج1 ، ص 134 .

[9] - محمد بن الطيب القادري، **التقاط الدرر...**، ص 45 ؛ الإفراني، **صفوة...**، ص 92

- **الشيخ الحافظ أحمد بن يوسف الفاسي (ت 1021هـ/1612م)**

توفي في طريق خروجه من فاس ببوزيري بموضع يعرف بالمنيزلة، ودفن في الروضة المنسوبة لمحمد السبع ولد الشيخ أبي زيد المجذوب[1] .

- **الشيخ الإمام الحسن بن يوسف الزياتي العبد الوادي (ت1023هـ/1614م)**

خرج من فاس سنة 1022هـ إلى جبل كورت من بلاد عوف، بسبب توالي الأزمات التي عرفتها، فأقام هناك إلى أن مرض وتوفي، ودفن بزاوية الهبطي .

- **أحمد بن القاضي المكناسي (1025هـ/1616م)**

توفي بمدينة فاس، وصلى عليه بالقرويين إمام الوقت أحمد المقري، دفن بباب الجيسة[2] .

- **الشيخ علي بن يوسف الفاسي (ت 1030هـ/ 1621م)[3]**

هو أحد أبناء الشيخ أبي المحاسن، الذي أخذ عن أبيه ، وأدرك الشيخ المجذوب وتبرك به ، كما أدرك جماعة من المشايخ، منهم: الشيخ محمد بن الزبير بن أبي عسرية، والشيخ محمد بن عمر المختاري، وغيرهم[4]؛ ورغم إن هذا العَلَم لم يبرز في مجال العِلم ، لكن تخرج من أبنائه من بيت أبي المحاسن، أكبر عدد من العلماء الصلحاء، حتى غطى بهم بيت أبي المحاسن مجملا .

توفي ودفن بالقصر الكبير .

- **عبد الرحمن بن محمد العارف الفاسي (ت1036هـ/ 1626م)**

هو الرجل الثاني في البيت والزاوية الفاسية بمدينة فاس، توفي بمدينة فاس، ودفن في روضة أخيه الشيخ أبي المحاسن قريبا من القبة في شمالها، وبني عليه بناء حسن[5] .

- **محمد بن محمد أكرم السوسي (ت1045هـ/1635م)[6]**

كان منقطعا بفاس للقراءة على أبي محمد عبد القادر الفاسي، ملازما لدرسه إلى أن توفي بفاس ودفن بضريح الشيخ أبي المحاسن بباب الفتوح .

---

[1] - محمد العربي الفاسي ، **مرآة المحاسن ...**،م.س.ص216

[2] - محمد الكتاني ، **سلوة الأنفاس...** ، ج3 ص 166

[3] - انظر ترجمته ، محمد القادري ، **نشر المثاني**... ، ج1 ، ص ص 236- 237

[4] - محمد العربي بن يوسف الفاسي ، **مرآة المحاسن..** ، م.س. ص289

[5] - محمد المهدي الفاسي ، **ممتع الأسماع** ..، م.س. ص193

[6] - الإفراني ، **صفوة ما انتشر..** ،م.س. ص162

➢ **محمد العربي بن يوسف الفاسي (ت1052هـ/1642م)**

توفي ودفن بتطوان، وظل مدة سنتين قبل أن يتم نقل جثمانه إلى فاس، فدفن متصلا بقبر أبيه أبي المحاسن من جهة القبلة خارج باب فتوح[1] .

➢ **أحمد بن محمد الزموري (ت1057هـ/1647م)**[2]

الشيخ النحوي الحافظ المدرس الخطيب قاضي الجماعة بفاس ومفتيها، ولد بفاس وتلقى تعلميه على رجالها، فأخذ عن المشايخ المعاصرين له كالعارف الفاسي، وأخذ عنه الشيخ عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي، سمع عليه "الألفية"، ولي القضاء بفاس بعد وفاة القاضي أبي عبد الله محمد المري؛ ذكره صاحب السلوة أنه من أولياء حومة الدوح. كان محل سكناه بحومة المعادي من عدوة فاس القرويين .

توفي بفاس ودفن بمقبرة باب الفتوح، بالقرب من ضريح أبي زيد الهزميري .

➢ **محمد بن عبد الله معن الأندلسي (ت1062هـ/1652م)**

توفي الشيخ محمد بن معن بفاس، ودفن عند الزوال بالقباب، أعلى مطرح الجنة خارج باب الفتوح[3].

➢ **أحمد بن علي بن يوسف الفاسي (ت1062هـ/1652م)**[4]

هو أخو الشيخ عبد القادر الفاسي وأحد شيوخه، كان له المام بعدة علوم مما أهله لتولي خطة التدريس بفاس، توفي بالقصر الكبير ونقل جثمانه إلى فاس، حيث دفن بجانب قبر جده أبي المحاسن خارج باب الفتوح[5] .

➢ **أحمد بن محمد الآبار الفاسي (ت1071هـ/1661م)**

لقب بحمدون الآبار، توفي ودفن قرب الولي الصالح سيدي محمد الجومي بالبليعة داخل باب الفتوح أحد أبواب مدينة فاس، وبني عليه قوس بينه وبين قبر الرئيس أحمد بن صالح الليريني قبر واحد[6]، ويضيف صاحب "نشر المثاني" أن دفن الشيخ الآبار جاء بعد حرص أحمد الليريني على دفنه في ذلك الموضع والذي يعود لملكهم تبركا به، إذ يقول: "**... وأظنه هو الذي (أي الليريني) حرص على دفنه في أرضهم تبركا به**"[7] .

---

[1] - محمد بن الطيب القادري ، **نشر المثاني..** ، م.س. ص ج2 ص10 ؛ امحمد بن أحمد الفاسي ، **المورد الهني...**، م.س. ص19

[2] - القادري ، **نشر المثاني..**، م.س. ج2 ، ص ص 38- 40؛ محمد الكتاني ، **سلوة الأنفاس...**،م.س. ج2، ص79 .

[3] - القادري ، **المصدر نفسه**، ص 57

[4] - **المصدر نفسه**، ص 58 .

[5] - امحمد بن احمد الفاسي الفهري، **المورد الهني...** ، م.س. ص19

[6] - القادري، **نشر المثاني..**، م.س. ج2 ص ص 111-112

[7] - **المصدر نفسه**، ص 112

- **أبو عبد الله محمد ميارة (ت1072هـ/ 1661م)**

توفي بفاس ودفن بداره التي تقع الدرب الطويل من فاس القرويين التي صارت روضة له ومقبرة لغيره[1] .

- **محمد التاودي بن سودة المري (1076هـ/ ت1665م)**

توفي بمدينة فاس، ودفن بروضة الولي علي بن حرزهم خارج باب الفتوح[2] .

المبحث الثاني: الطبقة الثانية- من سنة 1079هـ/1668م، إلى غاية 1171هـ/1757م

تندرج هذه الطبقة ضمن مرحلة زمنية تبدأ من معركة الرمان والقضاء على زاوية الدلائيين إلى حدود سنة تولية سيدي محمد بن عبد الله السلطة في المغرب. وقد اخترنا هذا الإطار الزمني والتاريخي لهذا الطبقة، لاعتبارات مرتبطة بالتحول الذي طرأ على فاس فمس حركتها الصوفية، حيث تميزت المرحلة بتغير النسيج العلمي والثقافي والمجتمعي للمدينة، وذلك نتيجة دخول الدلائيين، ولم يتوقف الأمر عليهم، بل كان ذلك بداية لاستقطاب موجات من الواردين من مختلف مناطق المغرب، إذ صار الدلائيون إلى جانب الفاسيين عاملا لاستقطاب أسر أخرى اختارت فاس موطنا .

وهذه المرحلة، وإن كانت تبدو طويلة في حدود 89 سنة ميلادية، إلا أنها مرحلة تميزت بتقلب أحوال فاس سياسيا، الأمر الذي انعكس على تطورها الحضري والعلمي والثقافي .

ولأنه يصعب حصر جميع طبقة علماء وصلحاء مدينة فاس بهذه المرحلة، فقد اقتصرنا على من كان لهم دور بارز ضمن حركتها العلمية والصوفية، ومنهم :

- **قاسم الخصاصي (ت1083هـ/1673م)[3]**

عرفه صاحب "المورد الهني" ب**"الولي الصالح العارف"**[4]، أخذ عن عبد الرحمن العارف ثم عن محمد بن عبد الله معن، ويعتبر هذا الأخير شيخه في الطريق الصوفي والسلوك، حيث ورث عنه الطريقة الفاسية المعنية عنه، كما تولى شؤون الزواية المعنية بعد وفاته، وقد حمل الشيخ الخصاصي مسؤولية تلقين الطريقة المعنية للعديد من العلماء والصوفية بوقته، كالشيخ أحمد بن محمد بن عبد الله معن الذي صار وارثه ووارث الطريقة والزاوية المعنية بعده.

---

[1] - القادري، **نشر المثاني..**، م.س. ج2 ، ص 121؛ الإفراني ، **صفوة ما انتشر...** ، م.س. ص251

[2] - انظر، القادري ، **نشر المثاني** ج2 ص 151

[3] - القادري ، **نشر المثاني..**، ج2 ص ص 199- 200؛ امحمد بن أحمد الفاسي، **المورد الهني..** ، م.س. ص 33

[4] - امحمد الفاسي، **المورد الهني..** ،م.س.ص33

توفي بفاس ودفن في روضة أشياخه عند عبد الرحمن بن محمد الفاسي بالقباب، بباب الفتوح[1] .

- **محمد بن أحمد بن يوسف الفاسي (1084هـ/1674م)[2]**

هو الفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد بن يوسف الفاسي، ولد بفاس سنة 1008هـ فأخذ عن عميه عبد الرحمن العارف، وأبي عبد الله محمد العربي، وعن القاضي ابن أبي النعيم ..، تحصل الإجازة عن الشيخ أبي عبد الله القصار في مختلف العلوم؛ قال عنه صاحب "نشر المثاني": "**كان صاحب الترجمة أية من آيات الله في الحفظ، فلا يجارى في ذلك في سائر الفنون، مع قوة الفهم وحسن العبارة ولين الجانب وحسن الأخلاق**"[3].

ولي القضاء بمكناسة الزيتون مدة، ثم استعفى فاعفي، وعاد لفاس فاستوطنها، فولي بها الفتوى وخطبة مسجد القرويين، ثم أُخر عنها فلازم القراءة والتدريس، إلى أن توفي ودفن بفاس[4] .

- **محمد المرابط بن محمد بن أبي بكر الدلائي (ت 1089هـ/1678م)**

ولد بزاوية الدلاء البكرية، وتوفي بفاس، ودفن بروضة الدلائيين بوادي الزيتون باب الحمراء[5] .

- **عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي (ت 1090هـ/1680م)[6]**

توفي عبد القادر الفاسي بمدينة فاس، ودفن بالزاوية الفاسية بالقلقليين، التي أصبحت تعرف بزواية الشيخ عبد القادر الفاسي[7] .

- **العربي بن أحمد الفشتالي (ت 1092هـ/1681م)[8]**

وصفه صاحب القادري ب:"**الفقيه العلامة المدرس الفهامة الصوفي الأورع الولي الصالح الأنفع الهائم في الجلال ، العاكف في الجمال"[9] ،** فهو أحد علماء فاس ، تولى الإمامة في مسجد رأس الجنان، كما تولى تدريس "الرسالة" في ذات المسجد؛ أخذ عن الشيخ عبد القادر الفاسي، وعن ابنه محمد (بالفتح)، وعن الشيخ الحسن اليوسي، وعن الشيخ محمد ابن ناصر الذي اختار اتباع طريقته الناصرية .

---

[1] - امحمد الفاسي، **المورد الهني..** ،م.س. ص33؛ القادري ، **نشر المثاني** ، م.س. ج2 ص 200 .

[2] - القادري ، **المصدر نفسه** ، ص 205

[3] - **المصدر نفسه** ، ص 205

[4] - **المصدر نفسه** ، الصفحة نفسها

[5] - انظر ، محمد الصغير الفاسي، **المنح البادية ...،** م.س.ج1، (قسم الدراسة). ص60

[6] - نشير هنا إلى مسألة اتاخذنا في ترتيب تراجم رجال فاس على أساس سنة الوفاة ، إلا أننا استثنينا ترجمة الشيخ عبد القادر، فقدمناه على بعض من أبنائه الذين توفوا قبله، وذلك حتى لا نحافظ على تراتبية الأعلام العلمية .

[7] - انظر، الحسن الويشمي، **تحفة الأكابر...**، م.س. القسم الثاني، م.س. ص ص 305 - 307، حيث أفاض صاحب المؤلف "عبد الرحمن الفاسي" الحديث عن وفات الشيخ عبد القادر الفاسي وجنازته .

[8] - انظر ترجمته : القادري ، **نشر المثاني...**، ج2 ص ص 297- 300؛ امحمد بن أحمد الفاسي ، **المورد الهني...** ،م.س.ص26

[9] - القادري، **نشر المثاني....**، م.س. ج2 ص 297 .

قرأ عليه عبد السلام القادري الأجرومية، وجمع عليه القرآن بحرفي نافع معا، اشتهر بالدين والورع؛ قمن صور ورعه أنه لم يمر قط بصحن المسجد الأعظم القرويين بفاس منذ تم تزليجه، وذلك تورعا من كسب من أنفق على تزليجه، بالرغم من أن هذا الإنفاق كان من مهر امرأة وهي زوجة السلطان الرشيد، إلا أن حجته كانت أنه مال فيه شبهة، لأنه مهر امرأة كانت من أولاد أعراص الذين قاموا في إحدى الفتن بفاس[1] .

توفي بفاس، ودفن بالقرب من ضريح سيدي علي حماموش خارج باب الفتوح.

- **عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي(ت 1096هـ/ 1685م)**

توفي بفاس ودفن بزاوية والده عبد القادر الفاسي في حي القلقليين[2] .

- **أبو علي اليوسي (1102هـ/1691م)**

رغم أن دخوله لمدينة فاس ووجوده بها كان قسريا، لكنه خلال تلك الإقامة شكل بحضوره العلمي ومشاركته العلماء والصوفية ومجالستهم، جزءا من الحركة الصوفية التي عرفتها فاس، وواحدا من طبقات علمائها، لذا قدمناه ضمن رجالها الذين أثروا العلم والتصوف بهذه المدينة .

توفي بالقرب من مدينة صفرو، ودفن بالعدوة الشمالية من المدينة .

- **محمد الشاذلي بن محمد أبي بكر الدلائي (ت 1103هـ/ 1691م)**

ولد بزاوية الدلاء البكرية، وتوفي بفاس، ودفن بروضتهم المعروفة بوادي الزيتون خارج باب الكيسة[3].

- **محمد بن الحسن المجاصي (ت1103هـ/ 1691م)[4]**

قاضي الحضرتين ومفتيها وخطيب مسجديها، كانت ولايته القضاء بحضرة مدينة فاس الإدريسية وولايته الخطبة بمسجد القرويين أيام السلطان الرشيد سنة 1084م، ليتم عزله بعد فترة وتعيينه القضاء بحضرة مكناسة الزيتون. لازم الشيخ المجاصي الشيخ عبد القادر الفاسي وأخذ عنه، فهو معتمده من شيوخه الأعلام.

توفي بمكناس ودفن بروضة الصالح سيدي عبد الله بن حماد من مكناسة الزيتون[5] .

---

[1] - انظر، القادري، **نشر المثاني**....، م.س. ، ج3 ، هامش رقم 1، (قسم التحقيق)، ص 297، وقد وردت بالأصل بطرة بالمخطوطة المحققة كما ذكر محقق الكتاب.

[2] - عبد الله بن محمد الفاسي، **الإعلام بمن غبر** ، ص 306 ؛ القادري ، **نشر المثاني** ، ج2 ص328؛ امحمد بن أحمد الفاسي، **المورد الهني**، م.س. ص22

[3] - امحمد بن احمد الفاسي الفهري ، **المورد الهني..** ، م.س. ص 33

[4] - **المصدر نفسه**. ص ص30-31

[5] - **المصدر نفسه**، ص31

➢ محمد العربي بن الطيب القادري (ت1106هـ/1694م)[1]

هو محمد العربي بن الطيب بن محمد القادري الحسني الفاسي، الفقيه الصوفي ، قدم له صاحب "نشر المثاني" ترجمة وافية. كان له إلمام بالتراجم والأنساب خاصة، ولد بفاس، ودرس وتعلم بها، سلك طريق التصوف على يد أحمد بن عبد الله معن الأندلسي، فصحبه مدة طويلة، ورحل معه إلى الحجاز لأداء فريضة الحج .

من تآليفه: **"الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس"**، الذي نسبه ابن عيشون الشراط لنفسه، وهو ناسخ الكتاب بإذن من محمد العربي، إلا أنه استغل فترة سفر ومرض الشيخ لينسبه لنفسه، ولما بلغ محمد العربي الخبر سخر مما فعله ابن عيشون، قائلا: "**وابن عيشون المذكور ممن يعجز عن فهم الألفاظ التي فيه فضلا عن جمعه**"[2] .

➢ أحمد بن العربي بن الحاج (ت1109هـ/1697م)[3]

تولى قضاء فاس العليا وكان خطيب جامعها، قرأ عليه امحمد بن أحمد الفاسي "ألفية ابن مالك" و"لاميته" وطرفا من "مختصر خليل"، وهو بدوره أخذ عن عبد القادر الفاسي. قال عنه القادري: "**كان كبير الصيت ، مشهور البركة، معلوما بالصلاح وخالص النية**"[4] .

توفي بفاس ، ودفن بروضة سيدي عزيز[5] من درب الطويل[6] .

➢ محمد المهدي الفاسي(1109هـ- 1697م)[7]

هو محمد المهدي بن أحمد بن علي بن أبي المحاسن يوسف، ابن عم الشيخ عبد القادر الفاسي، ويعد من أعلام الأسرة الفاسية[8]، ولد بالقصر الكبير عام 1033هـ /1625م ، أخذ علم المنقول والمعقول بداية عن أبيه، وقرأ أولا على والده أبي العباس أحمد بن علي الفاسي القرآن الكريم، ومبادئ العلوم الشرعية ، ثم ارتحل إلى فاس، فسمع من أبي العباس بن جلال وأبي العباس الزموري، وعمه عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي (ت1091هـ)، كما تتلمذ على يد علماء مشهود لهم برسوخ القدم في العلم، مثل: محمد بن أحمد الزموري (ت1057هـ)، وحمدون بن محمد بن موسى الآبار الفاسي (تـ 1071هـ)، وقاسم

---

[1] - محمد القادري ، **نشر المثاني** ، ج3 ص ص 67- 72 (هو عم والد صاحب كتاب "نشر المثاني") .

[2] - انظر، **المصدر نفسه،** ج3، ص 69

[3] - **المصدر نفسه** ، الجزء نفسه، ص 83 ، امحمد الفاسي، **المورد الهني...** ، م.س. ص31

[4] - القادري ، **نشر المثاني**...، م.س. ج3 ص 83

[5] - هو محمد بن أحمد مصرف التجبي الشهير بابن عزيز، وتوجد بقايا من روضته اليوم بجانب روضة الشيخ أبو عبد الله محمد ميارة، انظر، محمد الشراط، **الروض العطر الأنفاس...** ، م.س.ص303

[6] - امحمد الفاسي، **المورد الهني...**، م.س.ص 31

[7] - القادري، **نشر المثاني...**، م.س. ج3 ص ص 80- 83؛ محمد بن جعفر الكتاني، **سلوة الأنفاس**، ح2، ص ص 316-317 ؛ محمد المهدي الفاسي، **ممتع الأسماع..**، م.س. (قسم الدراسة)، ص ص 7-10؛ محمد الأخضر، **الحياة الأدبية**...، م.س. ص ص 138 -139

[8] - القادري، **نشر المثاني**...، م.س. ج3 ، ص 80

بن الحاج قاسم الخصاصي(ت1083هـ)، وغيرهم. وفيما يخص طريق السلوك الصوفي، فقد أخذ علم الطريقة عن الشيخ محمد بن عبد الله معن فكان الفتح على يديه، امتدت صحبته له سبع سنين، ملازما فيها لزاويته، مواظبا على قراءة الأحزاب بها، وبعد وفاته، صحب بعده اقتداء واتباعا خليفته بزاويته ووارثه الشيخ قاسم الخصاصي، فلازمه إلى أن توفي، وقد امتدت صحبته له عشرين سنة، وبعده صحب خليفة الشيخ الخصاصي ووارثه وهو أحمد بن محمد معن[1] .

تتلمذ على يديه عدد كبير من الطلبة، أبرزهم: أبناء عمه محمد الطيب بن عبد القادر، ومحمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر، وخطيب مكناس محمد بن أحمد بن يوسف الفاسي[2]، ومحمد بن محمد بن يوسف الفاسي، ومحمد بن زاكور[3] .

تميز الشيخ محمد المهدي بكثرة التآليف، سردها صاحب النشر في 22 مؤلفا[4]، كما اشتهر محمد المهدي بالورع والزهد، ومن ورعه أن السلطان، بعث له بخمسين دينارا لما ذكر له من صلاحه وفضله، فأبى أن يقبضها، وكان لا يأكل إلا من عمل يده بالنسخ، ولا ينسخ لمن في ماله شبهة، ولا يقبض أجرته مجموعة بل يقبضها على حسب ما يكتب[5] .

توفي محمد المهدي الفاسي الفهري بفاس، ودفن بداخل قبة جده يوسف الفاسي وراء ظهره خارج باب الفتوح[6] .

➢ أحمد بن محمد اليمني(ت1113هـ/1701م)[7]

ولد بين مصر وأرض الحبشة، وكان خروخه من بلاده سنة 1075هـ إلى فاس التي استقر بها حتى مات[8]، أصله من اليمن ، دخل فاس عام 1079هـ وسكن بالمخفية من عدوة الأندلس، فسكن بداية بجامع الآبارين من حارة قيس يأوي بصقلبية منها، وهي التي فوق السقاية من صحن الجامع، وقد كان الشيخ أحمد بن معن يتعاهده في كل أموره، فكانت له معه محبة وصحبة خاصة من الشيخ أحمد بن عبد الله معن[9] ، الذي شهد له بالخصوصية الكاملة والبصيرة التامة[10]، بالرغم من أنه كان قادري الطريقة، كما أشار إلى ذلك "القادري"، قائلا: "**هو قادري كما صرح به مرارا**"[11] .

---

[1] - انظر ، **المصدر نفسه** ص.80

[2] - محمد الأخضر، **الحياة الأدبية** ، ص ص 138-139

[3] - محمد المهدي الفاسي، **ممتع الأسماع**،م.س، (قسم الدراسة)، ص10

[4] - القادري ، **نشر المثاني..**، م.س. ج3 ص 81

[5] - خير الدين الزركلي، **الأعلام**، م.س. ج 7، ص 112

[6] - محمد المهدي الفاسي، **ممتع الأسماع...**، م.س ، (قسم الدراسة)، ص7

[7] - ةنشير إلى أن الشيخ أحمد اليمني توفي بعد تلميذه عبد السلام القادري، فكان لترجمته السبق عن القادري؛ انظر ترجمته : محمد القادري، **نشر المثاني**، ج3 ص ص121-131؛ امحمد بن أحمد الفاسي، **المورد الهني** ، م.س.ص34

[8] - امحمد بن أحمد الفاسي، **المصدر نفسه** ، الصفحة نفسها

[9] - امحمد الفاسي ، **المورد الهني...، م.س.** 127

[10] - القادري ، **نشر المثاني...، م.س.** ، ج3 ص 125

[11] - **المصدر نفسه**، ج3، ص 126

وهو أحد علماء وفقهاء مدينة فاس، الذين تميزوا في علوم الفقه خاصة، كما كان له نصيب وافر في العلوم الظاهرة، إذ وصف بالعلم والعرفان، والدراية في علم المعقول والمنقول، لقيه محمد القادري صاحب "نشر المثاني"، الذي أخذ عنه "**مختصر خليل**" وتتلمذ على يديه، حيث كان يعلمه وبعض الطلبة من أصحابه، فقد كان له درس منه كل يوم ، يقول عنه القادري **"أحضره أنا لهذا العهد واقرأه عليه، وقد أمدني بإقرائه للطلبة فأخذت في هذا الوقت في تدريسه"**[1]، وقد خصه هذا الأخير بترجمة وافية، وروى عنه كرامات[2] .

كان له تقدير خاص من طرف الشيخ محمد المهدي بن أحمد الفاسي ، فكان لا يذكر ولا يكتب اسمه إلا ب"**العارف الكامل الراسخ**"[3] .

توفي بفاس ودفن بأعلى مطرح الجنة خارج باب الفتوح .

- **عبد السلام بن الطيب القادري (ت 1110هـ/1698م)**

توفي بمقر سكناه بدرب الشيخ الأسفل من عدوة فاس الأندلس، ودفن خارج باب الفتوح بفاس، وقبره مجاور لقبر شيخه أحمد اليمني[4] .

- **محمد بن يوسف العياشي (1111هـ/1699م)[5]**

هو ابن عم الشيخ أبي سالم ، كما يشاركه في جميع شيوخه، كان عالما وأديبا، أخذ عن أبي سالم وعبد القادر الفاسي، درس بفاس، ثم رجع لأيت عياش فتولى القضاء .

- **الحاج محمد الخياط الرقعي (ت 1115هـ/1703م)[6]**

هو الفقيه السالك الصوفي، أبو عبد الله محمد المدعو الحاج الخياط الرقعي، وهو أول مقدم لفرع الطريقة الوزانية بفاس، كما أنه صاحب أول زاوية وزانية بالمدينة نفسها والتي نسبت إليه؛ أصله من لمطة، منها قدم سلفه لفاس فاستوطنوا حومة الشرشور بعدوة القرويين، طريقته الصوفية وزانية، أخذها عن الشيخ الإمام الصوفي مولاي عبد الله الشريف دفين وزان، حيث كان ملازما له منذ عرفه، إلى أن بعثه لمدينة فاس، إذ خصه صاحب "تحفة الإخوان" بترجمة وافية، باعتباره أحد رموز الطريقة الوزانية بفاس[7]، وبعد وفاة شيخه عبد الله أخذ الإذن عن ولده الإمام محمد، وفي أيامه توفي .

---

[1] - القادري ، **نشر المثاني...، م.س.** ج 3، ص126

[2] - ذكر له القادري بعضا من الكرامات والخوارق، انظر، **المصدر نفسه** ، ج3 ص 130

[3] - **المصدر نفسه**، ج3، 126ص

[4] - **المصدر نفسه** ، ج3، ص 114

[5] - **المصدر نفسه** ، ج3، ص 118

[6] - انظر ترجمته : **المصدر نفسه** ، ج3 ص 149؛ القادؤي، **التقاط الدرر**، ص ص 291- 292؛ حمدون الجوطي الفاسي ، **تحفة الإخوان**...،م.س. ص ص223- 235؛ الكتاني ، **سلوة الأنفاس** ، ج1 ص ص 257- 259 .

[7] - انظر، حمدون الجوطي الفاسي ، **المصدر نفسه**، ص ص223- 235

وللمكانة التي بلغها الشيخ صوفيا وعلميا، كان له بذلك أتباع كثيرون، كما نال احترام أكثر عامة فاس وغيرها، إذ كان صلاحه وولايته أمرا مشهورا[1] .

توفي بفاس، ودفن بزاويته بالشرشور ، والتي نسبت إليه .

- **محمد بن عبد القادر الفاسي (ت 1116هـ /1704م)**

ولد سنة 1042هـ، وتوفي بداره بفاس، ودفن عن يسار المحراب، في المكان الذي كان يدّرس به من زاويتهم بالقلقلين[2] .

- **محمد الطيب بن محمد بن عبد القادر الفاسي (ت1113هـ/1701م)[3]**

هو أبو عبد الله محمد الطيب بن محمد بن عبد القادر الفاسي، ولد بفاس، وبها نشأ في حجر أبيه وجده، أخذ على علماء فاس، كأبيه – صاحب الترجمة السابقة - وجده الشيخ العلامة عبد القادر الفاسي، وعن ابن عم أبيه محمد بن أحمد الفاسي، وعن عمه الشيخ الحافظ أبي زيد عبد الرحمن الفاسي، وعن أبي العباس ابن الحاج، وأبي سالم العياشي، الذي أخذ منه إجازه، وأجازه أيضا الشيخ الخرشي .

عرف بمشاركته في قضايا المجتمع بالتدخل لحل المشكلات والمعضلات، مما جعله ينخرط بشكل واسع في الإصلاحات المجتمعية، إذ وجهه المولى إسماعيل مع ولده المولى عبد الملك، رفقة ثلة من أعيان الدولة وعلمائها، من بينهم الفقيه المؤرخ محمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني الأندلسي، إلى الجزائر، للمهادنة مع الترك في حدود عام 1103هـ بعد وقعة المشارع على وادي ملوية[4] .

كانت له مجالس علمية قام فيها مقام أبيه، درس فيها علم التفسير والحديث والفقه، كما كان مشاركا في تحرير النوازل، وهو صاحب التصانيف المفيدة، له تقاييد وأجوبة في غاية الإجادة .

توفي في حياة أبيه بفاس ، ودفن بزاويتهم بالقلقليين ، وراء جده عبد القادر الفاسي[5] .

- **عبد الرحمن بن محمد السلاسي (ت1118هـ/1706م)[6]**

إمام نحوي، ولد بفاس وبها نشأ، قرأ على مجموعة من الشيوخ، منهم : عبد السلام بن الطيب القادري، ومحمد بن عبد القادر الفاسي، ومحمد العربي بن أحمد الفشتالي، وغيرهم ؛ برع في علم النحو والبيان، فاختص بتدريسه بمدرسة الصهريج .

---

[1] - محمد القادري، **نشر المثاني** ، ج3 ص 149 .

[2] - **المصدر نفسه**، ، ج3 ص 152؛ الإفراني ، **صفوة ما انتشر** ، م.س.ص359

[3] - انظر، محمد القادري ، **نشر المثاني**...، م.س. ج3 ، ص ص 131- 133؛ **التقاط الدرر** .م.س. ص ص282-283؛ الكتاني، **سلوة الأنفاس** ...، م.س. ج1 ص 361-162.

[4] -انظر، القادري ، **نشر المثاني** ، م.س. ج3 ص ص 131- 132

[5] - **المصدر نفسه** ، الجزء نفسه ص 133

[6] - **المصدر نفسه** ، الجزء نفسه ص ص 161-162

توفي بفاس، ودفن داخل باب المسافرين، في روضة سيدي عمران[1] .

➢ مسعود بن محمد جمّوع (ت 1119هـ/ 1707م)[2]

هو الفقيه المالكي، أبو سرحان مسعود بن محمد بن علي جَـمُّوع، السجلمـاسي أصلاً، الفاسي مولدا دراسةً وموطنا، السلاوي وفاةً ومدفنا، الملقب بجَمُّوع - بفتح الجيم وضم الميم المشددة، وهي تسمية تطلق على بيت من بُيُوتَات فاس العريقة، منهم فقهاء وعلماء[3] . أخذ مبادئ العلوم وأصوله على يد كبار علماء فاس أمثال الشيخ أبي زيد عبد الرحمن بن قاسم الفاسي، والشيخ أبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي المحاسن الفاسي، والشيخ أبي محمد عبد القادر بن علي الفاسي، والشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد القادر الفاسي؛ وعنه أخذ أبو العباس أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي (ت 1129هـ)، وأبو عبد الله محمد الطيب بن أحمد الفاسي، وموسى بن محمد السلوي الدغمي (ت1140هـ)، وأبو العباس أحمد بن عاشر الحافي السلاوي (ت 1163 هـ) .

أما عن مكانة الشيخ العلمية، فقد قال عنه القادري، بأنه "**عالم بالتفسير والحديث والفقه، أستاذ عارف بأحكام القراءات..لايرى إلا مدرسا أو تاليا أو ناسخا ..**"[4] .

توفي بمدينة سلا ودفن بزاوية الولي الصالح سيدي أحمد حجي .

➢ أحمد بن محمد معن الأندلسي (ت1120هـ/1708م)[5]

هو ابن الشيخ محمد بن عبد الله معن الأندلسي، ولد بمدينة فاس وبها نشأ، فتلقى تعليمه على يد علمائها، من والده ورجال الزاوية الفاسية، فأخذ طريق السلوك الصوفي في الطريقة الفاسية عن والده، الذي سيخلفه في الطريقة وفي الإشراف على الزاوية المعنية بعد وفاة شيخه ومريد أبيه "الشيخ قاسم الخصاصي". وقد قام بتجديد زاوية والده، فنسبت له[6]؛ استمر على نهج أبيه، واستمر بصحبة الشيخ اليمني وإكرامه على سيرة أبيه حتى توفي .

لازمه الشيخ عبد السلام بن الطيب القادري ما يقرب من ثلاثين سنة، فترجم له عبد السلام القادري في مؤلفه "**المقصد الأحمد في التعريف بسيدنا ابن عبد الله أحمد**"، كما ألف فيه إمام زاويته "أحمد بن عبد الوهاب الوزير" كتاب "**المقباس في فضائل سيدنا أبي العباس**"[7] ، وصفه القادري بأنه "**كان رأسا في**

---

[1] - القادري ، **نشر المثاني** ، م.س. ج3 ص162

[2] - انظر ، **المصدر نفسه،** ج3 ص ص173-174، القادري، **التقاط الدرر** ، م.س. ص 297

[3] - القادري ، **التقاط الدرر**، ص 297

[4] - القادري ، **نشر المثاني** ، ج3 ص 174

[5] - انظر، الولالي ، **مباحث الأنوار** ...، م.س. ص ص 292- 296؛ امحمد الفاسي، **المورد الهني..**، م.س. ص 35؛ م؛ القادري، **نشر المثاني..**، ج3 ص ص 182- 192؛ **التقاط الدرر**، ص 300؛ الإفراني، **صفوة ما انتشر..** م.س. ص ص362-363؛ الكتاني، **سلوة الأنفاس...**، م.س.ج 2 ص ص 325 – 329؛ نفيسة الذهبي، **الزاوية الفاسية**.. م.س. ص ص 202-203 .

[6] -عبد الكبير الكتاني، **روض الأنفاس**..، م.س. ص234

[7] - انظر، القادري ، **نشر المثاني..**،م.س. ج3 ص 182-183

علوم القوم وتحرير عباراتهم، وتدقيق إشاراتهم، وله من العبادة والزهد والسخاء وكرم الأخلاق وحسن المعاملة والتعطف على الضعفاء والمساكين ومحبة آل البيت والعلماء...، وكان صاحب كرامات ومكاشفات"[1] .

توفي بفاس، وحضر جنازته جمع عظيم، وصلى عليه إمام زاويته أحمد بن الفقيه سيدي عبد الوهاب الوزير الغساني الأندلسي، ودفن بقبة والده بالقرب من جنان أصحابه خارج باب الفتوح[2] .

- **محمد بن قاسم الفاسي - المشهور بابن زاكور- (ت1120هـ/ 1708م)**[3]

العلامة أبو عبد الله محمد بن قاسم بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن زاكور، وبه عُرف، فاسي المولد والمنشأ والوفاة، أخذ عن علماء عصره: كالشيخ الفقيه عبد القادر الفاسي، والفقيه أحمد بن العربي بن الحاج السُّلمي، ومحمد المهدي بن أحمد بن علي الفاسي، والقاضي الفقيه المحدث العربي بن أحمد بُرْدُلة، والعلامة الفقيه المدرس عبد السلام بن الطيب القادري الحسني، كما أخذ عن الشيخ اليوسي، لدرجة أن قال عنه طريبق ب "**أنه خريج المدرسة اليوسية، إذ كاد أن يكون طبق الأصل من شخصية أستاذه اليوسي**"[4] . ومن فاس ارتحل إلى تطوان للقاء المشايخ فأخذ عن أبرز علمائها، كما توجّه إلى الجزائر فأخذ عن بعض رجالها وعلمائها، وغير هؤلاء من شيوخه الذين ذكر أسماءهم في فهرسته **"نشر أزهار البستان فيمن أجازني بالجزائر وتطوان من فضلاء الأكابر والأعيان"**[5] . فكانت رحلاته تلك مناسبة لأكمال تحصيله في مختلف العلوم ، خاصة في النحو والبيان واللغة والفقه والحديث والأصول والتاريخ، مما بوأه مكانة خاصة في التدريس . وقد كان له العدد الكبير من التلاميذ، من أبرزهم: محمد بن الطيب العلمي الشريف الوزاني(1134هـ)، والفقيه محمد بن عبد السلام بناني (1163هـ)، كما خلف مؤلفات عديدة خاصة شروحات لقصائد وأشعار .

مثل ابن زاكور الطالب المخضرم الذي أخذ عن علماء الوقت بمدينة فاس، سواء الفاسيين أو الدلائيين الذين قدفت بهم ظروف الدهر.

- **عبد السلام بن أحمد جسوس (ت1121هـ/1709م)**

توفي قتيلا في سجن فاس في قضية عرفت بقضية الحراطين ومحنة جسوس[6]؛ دفن في روضتهم قرب سيدي علي بن أبي غالب داخل باب الفتوح من فاس الأندلس[7] .

---

[1] - انظر، القادري ، **نشر المثاني..**،م.س. ج3 ، ص ص190 -191

[2] - **المصدر نفسه** ، ص 192 ، الكتاني ، **سلوة الأنفاس**، ج2 ص 292 ؛ الافراني ، **صفوة ما انتشر...**، م.س. ص 363

[3] - القادري ، **نشر المثاني** ، ج3ص ص201-204؛ امحمد بن أحمد الفاسي ، **المورد الهني..**، م.س.ص ص 77-78

[4] - أحمد طريبق أحمد ، **الكتابة الصوفية في أدب التستاوتي** ، م.س. ج3 ص 695 .

[5] - انظر، القادري ، **نشر المثاني..** ، ص ص 201- 202

[6] - وهي القضية المشهورة التي أراد بها السلطان مولاي إسماعيل إحداث جيش عبيد البخاري، انظر، محمد القادري، **نشر المثاني** ، ج3 ص 208

[7] - **المصدر نفسه**، ص ص 207- 208

➢ العربي بن أحمد بُرْدُلة (ت1133هـ/1720م)[1]

هو الفقيه العلامة النوازلي المفتي القاضي الخطيب الفقيه والمحدث، أبو عبد الله العربي بن أحمد بردلة الأندلسي ثم الفاسي مولدا ووفاة ، أخذ عن جماعة من المشايخ ، منهم: عبد القادر الفاسي، وأبو العباس المزوار ، ومن عاصرهما من شيوخ وعلماء مدينة فاس، تولى مناصب عديدة في فاس ، منها القضاء والفتوى بفاس مرارا وعزل عن كل ذلك ، ثم ولي النظر في الأحباس ؛ ولمكانته العلمية والفقهية ، فقد تتلمذ على يديه العديد من طلاب العلم ، منهم : محمد بن قاسم الشهير بابن زاكور ، ومحمد بن محمد الصغير ميارة ، ومحمد بن أحمد المسناوي الدلائي ، ومحمد الصغير الإفراني ، وعبد السلام بن الطيب القادري ، وعبد السلام بن أحمد جسوس، ومحمد بن عبد السلام بناني .

أشار القادري بخصوص تصوفه، إلى أنه كان ذا صيت عند أهل وقته وينسبون له أمورا منها ما يناسب حاله من العلم ومنها ما لا يناسبه .

توفي بفاس ودفن خارج باب عجيسة بطرف فران الغرباء ، بني عليه بناء .

➢ أحمد بن عبد القادر القادري الحسني (ت1133هـ/1720م)[2]

هو الفقيه الأديب أبو العباس، تلقى تعليمه بالزاوية الدلائية، فأقام بها طويلا يأخذ العلم عن محمد المرابط الدلائي والحسن اليوسي وغيرهما. وقد ظل القادري بالزاوية مستقرا حتى خرج منها مع أهلها عندما خربها السلطان الرشيد، فقصد فاس وتتلمذ وصحب رموز العلم والتصوف، فإلى جانب صحبته اليوسي، لزم عبد القادر الفاسي، وكذا الشيخ أحمد بن عبد الله معن، الذي حج معه حجته الثانية عام (1100هـ/88-1689م)، إذ كانت له حجة أولى سنة (1083هـ/72-1673م) أقام فيها بمصر سبع سنين، وتتلمذ خلالها على الشيخين عبد الباقي الزرقاني ومحمد الخرشي، ولقي جماعة من الصوفية منهم شيخ شيخه قاسم الخصاصي، فعاد إلى المغرب في صحبة ومشيخة أحمد بن عبد الله معن(ت1120هـ/08-1709م)، الذي اقتصر على صحبته وملازمة زاويته إلى أن توفي شيخه (1120هـ/1708م)؛ ألف فيه **"نسمة الآس في حجة سيدنا أبي العباس"** ويقصد به شيخه أحمد بن عبد الله معن. له أيضا رحلة حجازية ألفها عندما حج للمرة الثانية .

توفي بفاس، ودفن خارج باب فتوح .

---

[1] - القادري ، **نشر المثاني..**،م.س. ج3 ،ص 247

[2] - هو ابن عم صاحب كتاب **نشر المثاني**، وردت ترجمته: القادري ، **نشر المثاني..** ج3، ص 247-251 ؛ محمد الكتاني: **سلوة الأنفاس..** ج2، ص353

➢ محمد الصغير بن عبد الرحمن الفاسي (ت1134هـ- 1722م)[1]

هو أبو عبد الله محمد فتحا بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي المشهور بالصغير الفاسي، وقد أطلق عليه هذا اللقب لتمييزه عن سميه ومعاصره عمه الشيخ محمد بن القادر الفاسي (ت1116هـ)[2]، ولد بمدينة فاس ببيت علم، فكانت زاويتهم في حومة القلقلين تعج بحلقات الدرس والعلماء، وكان اغلب انتفاعه برجال أسرته وعلى رأسهم جده الشيخ أبو البركات عبد القادر بن علي الفاسي (ت1091هـ)، ووالده أبو الفتوح عبد الرحمن بن عبد القادر(ت1096هـ)، وعمه أبي السعادات محمد بن عبد القادر(ت 1116هـ)، فلازمهم مدة طويلة، قرأ عليهم وسمع منهم مجموعة من المصنفات في علم الحديث، والتفسير، والعقيدة، والأصول، والنحو، كما لم يمنعه انتماؤه لأسرة عريقة من النهل من رجال الوقت، فهو طالب أبي سالم العياشي ، سمع عليه أوائل العشرة وطرفا من "مختصر خليل"، و"شمائل الترمذي" وغيرها، ولا يستبعد أن يكون أخذ عنه بالزاوية العياشية[3] ، إذ يذكر محقق المنح – وهو مؤلف يعود لصاحب الترجمة - أنه كان من عادة شيوخ الزاوية الفاسية إرسال أبنائهم إلى الزاوية العياشية والزاوية الدلائية، ليتربوا في جو البادية ، وليتعلموا من شيوخ تلك الزوايا وأساتذتها[4] . وللشيخ الصغير ممن قصده عند بلوغه درجة التدريس ، أبو عبد الله محمد بن الطيب الشرقي(ت1110هـ)، والإمام أبو عبد الله محمد الصّغير بن محمد بن عبد الله الإفراني ، والشيخ أبو عبد الله مَحمد بن أحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي(ت1179هـ) .

توفي بمدينة فاس ، ودفن بداخل محراب زاوية جده عبد القادر الفاسي.

➢ عبد الله بن محمد الصغير الفاسي (ت 1131هـ/ 1719م)[5]

هو ابن الشيخ أبي عبد الله محمد الصغير ، توفي في حياة والده ، ولد بمدينة فاس ، أخذ العلم عن مشايخ الزاوية الفاسية في عصره ، منهم والده وجده لأمه محمد بن عبد القادر ، مكنته علومه من أن يصبح من علماء فاس .

➢ محمد الكبير بن محمد الطالب ابن سودة المري (ت1136هـ/1724م)[6]

قرأ على والده أبي عبد الله محمد الطالب، وعلى مجموعة من رجال العلم وقتذاك، أبرزهم: أبو علي اليوسي، ومحمد بن الحسن المجاصي، وأبي مدين السوسي؛ تولى الخطبة والإمامة في جامع الأندلس،

---

[1] - مصادر ترجمته: محمد الصغير الفاسي، **المنح البادية في الأسانيد العالية**، م.س. ج1،(قسم الدراسة)، ص43 ؛ محمد بن الطيب القادري : **نشر المثاني**.، م.س.ج3، ص ص254 – 260؛ **التقاط الدرر**، م.س. ص ص223-224؛ الإفراني، **صفوة ما انتشر**،م.س. ص ص371-373 .

[2] - محمد الصغير الفاسي، **المنح البادية ...**، م.س.ج1، (قسم الدراسة)، ص43

[3] - ، **المصدر نفسه**، (قسم الدراسة) ص 37

[4] - **المصدر نفسه** ، هامش رقم 4 ، (قسم الدراسة) ص 37

[5] - محمد بن الطيب القادري ، **نشر المثاني...** ، م.س. ج3 ص239

[6] - الكتاني ، **سلوة الأنفاس...** ، م.س. ج2، ص ص 122-123

كما تولى قضاء فاس حينما عزل منها العربي بردلة، قبل أن يتم إعفاؤه وإرجاع بردلة؛ عرف بفصاحته وبلاغته، وقد قرض الشعر على نهج الفقهاء .

توفي بفاس، ودفن بباب الحمراء داخل باب الفتوح حيث مقابرهم[1] .

- **محمد بن أحمد المسناوي الدلائي (1136هـ -1724م)**

هو الشيخ الدلائي ذو الثقافة الفاسية، نموذج الشيوخ المخضرمين من أصول بكرية وتراث فاسي، حيث يعتبر جزءا من الحركة الصوفية الفاسية خلال القرن 18م، وقد سبق التطرق لتأثيراته بالتصوف الفاسي من خلال الأدوار التي لعبها بهذه المدينة، من تدريس وتأليف عن أنساب مدينة فاس .

توفي بمدينة فاس، ودفن بروضة سيدي محمد العايدي خارج باب الفتوح من مدينة فاس[2] .

- **محمد ابن الفقيه الزجني (ت1136هـ/1724م)[3]**

هو محمد بن محمد ابن الفقيه الزجني، أصله من قرية أزجن –نواحي وزان-، حمل والده لقب "الفقيه" لأنه كان فقيها أستاذا يقرأ عليه الجم الغفير من الطلبة، ولما توفي جرى ذلك على عقبه، وصاروا لا يعرفون إلا بأولاد ابن الفقيه[4]، أخذ طريق السلوك الصوفي على يد عبد الله بن إبراهيم الوزاني (ت1089هـ)، كما كان له إلمام بعلوم الدين والحديث .

توفي بفاس، ودفن بزاويته الشهيرة، الكائنة بالعقبة المسماة قديما ب"عقبة الجوزاء"، قبالة جامع الحوت من حومة رأس الجنان، من عدوة فاس الأندلس[5] .

- **محمد بن أحمد الشاذلي الدلائي (ت 1137هـ/ 1725م)**

توفي بفاس ودفن قرب سيدي العايدي قرب شيخه المسناوي[6] .

- **أحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني (ت1146هـ/1733م)[7]**

ولد بفاس، وتلقى تعليمه على علمائها، اتبع الطريقة الفاسية المعنية، فقد تولى إمامة زاوية الشيخ أحمد ابن عبد الله معن، وقام بها بعد وفاة شيخه محمد بن أحمد معن. كان الشيخ فقيها أديبا عالما صوفيا، خلف وراءه تراثا في الفقه وفي التصوف .

توفي بفاس، ودفن قرب قبة محمد ابن عبد الله معن خارج باب الفتوح .

---

[1] - أضاف صاحب السلوة عبارة "**والله أعلم**" بعد ذكر مدفن الشيخ ، انظر ، الكتاني ، **سلوة الأنفاس...** ، م.س. ج2، ص 123

[2] - القادري ، نشر 3 ص 278 ؛ محمد حجي، **الزاوية الدلائية** ص 246

[3] - عبد الكبير الكتاني، **روض الأنفاس العالية في بعض الزوايا الفاسية** ، م.س. ، ص ص183-191 .

[4] - **المصدر نفسه** ، ص185

[5] - **المصدر نفسه** ، ص183

[6] - القادري ، **نشر المثاني ...** م.س. ج3، ص 283

[7] - انظر ترجمته : **المصدر نفسه،** ج3 ، ص ص364-366 ، الكتاني ، **سلوة الأنفاس** ، م.س. ج2 ، ص ص337-338

➢ قاسم بن محمد بن رحمون (ت 1149هـ / 1737م)[1]

هو الشيخ أبو محمد قاسم بن محمد الزرهوني الفاسي، قدم والده إلى فاس من جبل زرهون، وأصلهم من الرحمانة الذين نزلوا قرب مصمودة من عمالة وزان. وصفه القادري ب "**العارف الكبير، الشيخ الشهير، الولي الصالح الخطير، الكثير التلامذة والأتباع، الموصوف بالولاية والانتفاع، ذو البحر الزاخر، والمدد المتواتر**"[2]. أما حمدون بن محمد الطاهري فقد خصه بترجمة وافية، لأنه كان من بين رجال الطريقة الوزانية، بل شيخها في وقته، فقام بدور في نشر مبادئها بمدينة فاس، إذ سلك طريق التصوف على يد الحاج الخياط الرقعي دفين الشرشور، فكان ملازما له لايفارقه نحوا من ستة عشر عاما، فكان الفتح على يديه[3]، وعبره وصل لصحبة الشيخ محمد بن عبد الله الشريف وأخذ عنه، ثم بعد وفاة سيدي محمد بن الشيخ، أخذ ابن رحمون عن وصيه وولده الشيخ مولاي التهامي بن محمد، ثم بعد وفاة هذا الأخير، أخذ عن وصيه وأخيه الشيخ محمد الطيب بن محمد بن الشيخ اليملحي ولزمه، والذي أذن له وولاه على أصحابه أهل فاس إلى أن توفي (أي الشيخ ابن رحمون) في حياته[4] .

توفي بفاس، ودفن بداره بأقصى درب مينة من حومة النجارين، من عدوة القرويين والتي سرعان ما تحولت إلى زاوية نسبت له[5] .

➢ أبو بكر بن محمد بن محمد الخديم الدلائي (1149هـ/1737م)

توفي بفاس، ودفن بقبة شيخه أحمد اليمني متصلا به من جهة الغرب، بالجنان الذي أُتخذ مقبرة خارج باب الفتوح[6] .

➢ أبو القاسم بن عبد السلام القادري (1151هـ / 1738م)[7]

العلامة الصوفي، ابن عبد السلام بن الطيب القادري الحسني، أخذ العلم عن المسناي والوجاري... وغيرهما من فقهاء وعلماء فاس. أخذ الطريقة عن الشيخ أحمد بن عبد الله معن، وبعد موته ، صحب الشيخ العارف محمد المدرع، ويعتبر أحمد معن ومحمد المدرع شيخيه في الطريق الصوفي.

توفي بفاس، ودفن بروضة أحمد الشاوي خلف قبره ، بينهما قبر واحد[1] .

---

[1] - اختلف في ذكر سنة وفاته، ما بين هذا التاريخ وتاريخ 1146 و1155هـ اذ اعتمد القادري في "**نشر المثاني**" تاريخ 1149هـ كما اعتمدها أيضا صاحب "تحفة الإخوان"، أما صاحب "**سلوة الأنفاس**" ، فقد اعتمد تاريخ 1146هـ ، ومبرره في ذلك، أن هذا التاريخ هو المدون في مشهده عند رأس ضريحه، أما تاريخ 1155هـ فقد ورد في "**فهرسة الشيخ التاودي بن سودة**" بعد أن ذكر أنه توفي زمن الوباء في سنة 1155هـ؛ وقد اعتمدنا بدورنا ما جاء به القادري، وحمدون الجوطي، لاعتبار أنهما كانا الأقرب زمنيا لرجال هذه المرحلة؛ انظر ترجمته: القادري، **نشر المثاني**، ج 3، م.س. ص ص 389- 392؛ حمدون الجوطي الفاسي ، **تحفة الإخوان**..،م.س. ص ص236- 272؛ الكتاني ،**سلوة الأنفاس** ، ج1 م.س. ص ص103– 106.

[2] - القادري ،**نشر المثاني** ، ج3 م.س. ص 389

[3] - انظر، حمدون الجوطي تحفة الإخوان..، م.س. م.س. ص 240

[4] - انظر، **المصدر نفسه،** ص 236؛ القادري ، **نشر المثاني** ، ج3 ، م.س. ص 391

[5] - انظر ، عبد الكبير الكتاني ، **روض الأنفاس...**، م.س. ص245

[6] - القادري ، **نشر المثاني...**، م.س. ، ج3، ص 385

[7] - الكتاني ، **سلوة الأنفاس**، م.س. ج1، ص ص 314- 315

➢ أحمد بن مبارك اللمطي السجلماسي (ت1156هـ/1743م)[2]

ولد بسجلماسة وبها نشأ، لكنه رحل إلى فاس واستقر بها وتلقى بها تعليمه الأولي ، أخذ العلوم عن رجالها وغيرهم ممن يتصدر مجالس العلم أنذاك، أبرزهم : محمد بن عبد القادر الفاسي (1110هـ)، والعلامة محمد بن أحمد القسنطيني، المعروف في بلده بالكماد (ت1116هـ)، والشيخ أحمد بن علي بن عبد الرحمن الجرندي الأندلسي الفاسي (ت1125أو1124هـ)، وعبد القادر بن العربي بوخريص الكاملي الجعفري الفيلالي ثم الفاسي (ت1118هـ) ، وهو معتمده الذي أفنى عمره في خدمته، والفقيه أبو عبد الله محمد بن أحمد المسناوي (1136هـ) ، هذا في علوم الظاهر ، وفي علوم الباطن يعتبر الشيخ عبد العزيز الدباغ شيخه في الطريق والسلوك الصوفي ، وقد خصه ابن مبارك بمؤلف أسماه "**الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز**" .

تصدر أحمد اللمطي كراسي التدريس بعد تحصيله جل العلوم من البيان والأصول والحديث، والقراءات، والتفسير؛ فتتلمذ له عدد كبير من التلامذة المعاصرين له، منهم: الفقيه النحوي محمد بن حسن بناني(ت1194هـ)، والفقيه أبو العباس أحمد بن محمد بن حمدون الطاهري الحسني الجوطي (ت1119هـ)، والفقيه أبو علي الحسن بن علي البُوعناني(ت1163هـ)، والفقيه أبو علي الحسن بن رحّال المعداني التدلاولي(ت1140هـ)، والمحدث أحمد بن الحسن بن محمد الملقب بالمَكُودِي (ت1170هـ)، وأبو عبد الله محمد بن الطالب بن سودة الـمُرِّي الفاسي التاودي(1209هـ).

توفي بفاس ودفن بجوار شيخه عبد العزيز الدباغ بباب الفتوح .

➢ محمد بن محمد الصغير ميارة (ت1156هـ/1743م)[3]

هو حفيد الشيخ محمد ميارة ('ت1072هـ/1661م)، الفاسي الدار والمنشأ والمدفن، أخذ عن الشيخ عبد القادر الفاسي، وعن الإمام العربي بردلة، وعن الشيخ أحمد بن الحاج ، فتمكن من جل العلوم، خصوصا علوم: الحساب، والنحو، والبيان، والمنطق، كانت مشاركات في النوازل، فكان القضاة يعتمدون عليه في أحكامهم، كما تقلد منصب شيخ الجماعة لما بلغه من مكانة علمية وفقهية .

توفي بفاس ، ودفن داخل روضة جده بدرب الطويل بفاس .

➢ محمد بن عبد السلام بناني (ت1163هـ/1749م)[4]

توفي بفاس ، ودفن بدار بالزنقة المعروفة ب "درب القطان" ، بين الديوان والصاغة .

---

[1] - امحمد الفاسي، **المورد الهني**.، م.س. ص43

[2] - انظر، القادري، **نشر المثاني**، م.س. ج4 ص40؛ **التقاط الدرر**.، م.س. ص ص 393-394؛ محمد الكتاني، **سلوة الأنفاس**.،م.س ج2 ص203

[3] - امحمد الفاسي ، **المورد الهني** ، م.س. ص ص86-87

[4] - انظر، الكتاني ، **سلوة الأنفاس** ، م.س. ج1 ص ص 153-155؛ القادري ، **نشر الثاني**، م.س. ج4، ص ص: 80-81؛ امحمد الفاسي ، **المورد الهني**، م.س. ص ص90-92

- **محمد بن الطيب الشرقي (ت 1170هـ/ 1756م)**

توفي بالمدينة المنورة ، ودفن عند قبر السيدة حليمة رضي الله عنها .

المبحث الثالث : الطبقة الثالثة- من سنة 1171هـ/1757م، إلى غاية سنة 1780م

مثلت هذه الطبقة آخر جيل من طبقة العلماء والصوفية الذين يدخلون ضمن الإطار الزمني لدراستنا، وهي مرحلة حكم السلطان سيدي محمد بن عبد الله، حيث تميزت خلالها بالتمازج الكبير نتيجة ما عرفته فاس، الأمر الذي انعكس على انتاجها الفكري والصوفي، إلا أن الملاحظ عن هذا الإنتاج وبالرغم من انتعاشه، أنه اتصف بالجمود والاجترار لما تركه العلماء السابقون .

وأبرز من مثل هذه الفئة :

- **أحمد بن محمد الصقلي (ت 1177هـ/1764م)**[1]

كانت ولادته بفاس سنة 1112هـ /1701م، تفقه على علماء من داخل فاس وخارجها بل وحتى من خارج المغرب، كانت بدايات تتلمذه في مدينة فاس، ثم انتقل في رحلة صوفية إلى وزان التي سار إليها في حدود 1160هـ ، فزار بها مولاي الطيب بن محمد الوزاني اليملحي الحسني، فبشره بعض أصحاب مولاي الطيب بأنه سيكون له أتباع بمدينة فاس، كما قصد مصر في رحلته الصوفية، فكان له بها صحبة بالشيخ الحفناوي المصري الذي لقنه الطريقة الخلوتية . عرفه صاحب نشر المثاني ب "**الشيخ الصوفي الوجيه النبيه الخير الدين**"[2] .

توفي في فاس ودفن بدار صارت زاوية فمقبرة لدفن الأموات[3] .

- **امحمد بن أحمد الفاسي (ت 1179هـ/1765م)**[4]

توفي بفاس، ودفن بزاوية جده عبد القادر في حي القلقليين من عدوة فاس القرويين .

- **محمد بن قاسم جسوس (ت1182هـ /1768م)**

توفي بفاس ودفن بزاوية الشيخ أبي محمد عبد القادر بن علي الفاسي، وقبره يسرة الداخل للزاوية من البويبة الصغرى المقابلة لدار الشيخ عبد القادر[1] .

---

[1] - انظر، محمد القادري ، **نشر المثاني...**م.س. م.س ج4 ، ص ص 156-157 ، محمد الكتاني ، **سلوة الأنفاس...**، م.س. ج 1 ، ص ص 141- 145؛ تجدر الإشارة أنه ضمن النسخة المعتمدة من **سلوة الأنفاس** تضمنت خطأ مدرج بالصفحة 141 (ويبدو أنه حطأ مطبعي) إذ كتب أن سنة وفاة أحمد الصقلي هو 1232هـ والصحيح هو 1177هـ حيث أنه هو المكتوب في نفس الكتاب ضمن متن الترجمة في الصفحة 144، وقد ارتأينا الإشارة لهذا من باب التنبيه .

[2] - محمد القادري، **المصدر نفسه** ، ص156

[3] - انظر، محمد القادري، **نشر المثاني** ، م.س. ج4 ص ص 156- 157؛ محمد الكتاني، **سلوة الأنفاس...**، م.س. ج1، ص 144 .

[4] - انظر، امحمد الفاسي، **المورد الهني...**، م.س (قسم الدراسة) ص ص4-6 .

➢ إدريس بن محمد العراقي الفاسي (ت1183هـ أو 1184هـ/1769أو 1770م)[2]

الحافظ أبو العلاء إدريس بن محمد بن حمدون العراقي الحسيني الفاسي، تتلمذ على جماعة من أكابر شيوخ عصره منهم: والده، والشيخ المسناوي، وأبو عبد الله بن زكري، وأبو الحسن علي الشدادي، وأبو الحسن علي بن أحمد الحريشي، وأبو القاسم أحمد بن سليمان الأندلسي الفاسي، وأبو العباس أحمد بن عبد الله الغربي الرباطي، وأبو عبد الله محمد بن عبد السلام بناني الفاسي، وأبو عبد الله محمد بن قاسم جسوس، وأبو العباس أحمد بن مبارك اللمطي، وغيرهم، حتى ذكر أن أغلب أهل عصره أجازوا له الرواية عنهم.

ولما تمكن من جل العلوم ، قصده للاستفادة من علمه والأخذ عنه الفقهاءُ فضلا عن الطلبة ؛ فكان الشيخ الشهير أبو محمد عبد الكريم اليازغي يأتي إلى باب داره يسأله، و"**ناهيك بهذا شرفا**" كما أورد الكتاني[3]، كما أخذ عنه وَلَداه أبو محمد عبد الله، وأبو زيد عبد الرحمن، وابن عمه زيان، والحافظ محمد بن عبد السلام الناصري، وكان ملازما له، وأبو عبد الله محمد بن أحمد الصقلي، ومحمد بن أحمد الحُضَيْكي، وغيرهم. تميز في علم الحديث والمنقول، وأصبح مرجعا في ذلك .

توفي بفاس ودفن بها، وقبره عن يمين محراب الزاوية الصقلية التي بالسبع لويات تحت الخزانتين الصغيرتين هناك، قبالة ضريح الشيخ أبي العباس أحمد الصقلي.

➢ محمد بن الطيب القادري (ت1187هـ/ 1773م)[4]

هو المؤرخ صاحب كتابي "نشر المثاني" و"التقاط الدرر"، العلامة المؤرخ الصوفي، محمد بن الطيب بن عبد السلام بن الطيب بن محمد القادري الحسني الفاسي، ولد في 1124هـ /1712م بحي المخفية بعدوة الأندلس، تفقه على جماعة من الشيوخ والعلماء بمدينة فاس[5]، فقرأ "النحو" على محمد بن عيسى الميسوري[6]، و"الأجرومية" على الفقيه أبي جيدة بن محمد المشاط، و"رسالة ابن أبي زيد" على الشيخ الفقيه أبي المحاسن يوسف المجلدي (ت1148)[7]، كما قرأ على القاضي أبي محمد عبد القادر بن العربي بوخريص "ألفية ابن مالك"، وعلى يد الشيخ الفقيه اللغوي الصوفي أبي محمد عبد المجيد بن علي المنالي الشريف المعروف ب"الزبادي" "نظم أبي عبد الله الخزرجي"، و"تلخيص المفتاح" للقزويني[8]، وقرأ على الشيخ أبي العباس أحمد بن المبارك الفلالي "جمع الجوامع لابن السبكي"، وحضر مجالسه في مواضع

---

[1] - الكتاني ، **سلوة الأنفاس**، م.س . ص373

[2] - انظر ، محمد الكتاني، **سلوة الأنفاس** م.س. ج1 ، ص ص 151- 152

[3] - **المصدر نفسه**، ص 152

[4] - **المصدر نفسه** ، ، ص 352

[5] - انظر، محمد القادري، **التقاط الدرر**...، م.س. ص ص 449- 476 ، حيث ذكر المؤلف ترجمة لكل شيوخه الذين تفقه على أيديهم.

[6] - انظر ، **المصدر نفسه** ، 449

[7] - **المصدر نفسه**، ص 455

[8] - انظر، **المصدر نفسه**، ص452

التفسير، وجملة من "صحيح البخاري"، و"صغرى الشيخ السنوسي" ...، كما حضر مجالس الشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد السلام بناني في مواضع تدريس"مختصر خليل"، و"صحيح البخاري" ...[1] ، كما قرأ على الشيخ محمد المدعو الكبير بن محمد السرغيني "مختصر خليل"، وحضر مجالسه في تفسير القرآن، كما سمع عليه "جمع الجوامع" بشرحه، وسمع عليه "الموطأ"، كما أحذ عنه في التصوف، فقرأ عليه "نظم ابن البنا السرقسطي" بشرحه للشيخ زروق، وحضر عنده في سرد مواضع "الدر المنثور في تفسير القرآن" للسيوطي ، و"قواعد التصوف"، و"عدة المريد الصادق" للشيخ زروق، وسرد تأليف العزفي في مناقب سيدي أبي يعزى[2] ، كما قرأ على الشيخ أبي عبد الله محمد بن قاسم جسوس وحضر مجالسه بمسجد عقبة بن صوال[3]، والذي كان جسوس إمامه أنذاك، كما حصل منه على إجازة عامة[4]، وحضر مجلس الشيخ أبي العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي نزيل مدغرة سجلماسة ودفينها، في قراءة "شمائل الترميذي" وذلك في حدود عام 1070هـ بمسجد الأقواس المعروف بمسجد الميزاب من عدوة فاس الأندلس[5]، كما أخذ إجازات متعددة عن جل شيوخ وعلماء عصره[6] .

كما أخذ نصيبه في علوم الباطن، فأخذ عن العديد من شيوخها، منهم: الولي الصالح "أبو عبد الله محمد المدرع"(ت1147هـ) الذي زادت رفقته له عن عشرين سنة، ومنهم الشيخ أبو بكر بن محمد بن محمد بن الخديم الدلائي (ت1149هـ)، الشيخ "عبد السلام التواتي"(ت1155هـ)، والشيخ أبو عبد الله محمد ابن الحاج التلمساني"(ت1170هـ)[7] ، قال عنهم " **لقيت جماعة من المنسوبين إلى طريقة القوم مختلفين في الأحوال وتبركت بهم وأرشدوني بالأفعال والأقوال**"[8]، كما أخذ عن الشيخ الحفناوي من مصر، وذلك عن طريق بعض الإخوان القاصدين للحج، باعثا له برسالة في ذلك سنة 1175هـ[9]،

ولبلوغه مرتبة في تحصيل العلوم التي مكنته من تقلب بعض الوظائف خصوصا مهمة التدريس، جعل له كرسي بمسجد الأندلس يدرس من خلاله "**مقدمة ابن آجروم**"، و"**ألفية ابن مالك**" في النحو، و"**رسالة ابن أبي زيد**"، و"مختصر خليل"، و"**العمدة للمقدسي**" ، **و"دلالل الخيرات" و"الشمائل"، و"صحيح الجوزي"....**[10] . حيث أخذ عنه العديد ممن تبوؤا مراتب العلم خلال القرن 13هـ /19م، كما اشتغل بخطة العدالة والتوثيق وذلك بعد وفاة والده، فيما بين 1152هـ- 1157هـ مما أكسبه ثقة الناس

---

[1] - محمد القادري، **التقاط الدرر**،.. م.س ص 456

[2] - **المصدر نفسه** ، ص 457

[3] - يقع جنوب حومة المعادي في الطريق المؤدية إلى رحبة الزبيب ويعرف بمسجد سيدي بن عمران كان به كرسي لتدريس الحديث .

[4] - انظر النص الكامل للإجازة؛ محمد القادري، **التقاط الدرر**، ص 460

[5] - **المصدر نفسه**، ص 464

[6] - انظر، **المصدر نفسه**، ص ص 470- 474

[7] - **المصدر نفسه** ، ص 474- 475

[8] - **المصدر نفسه** ، ص 474

[9] - انظر نص الإجازة ، القادري، **المصدر نفسه**، ص ص 466- 467

[10] - انظر، المصدر نفسه، ص 477

وإكبارهم واحترامهم له، وقد زاد من ذلك ما عرف به من الزهد والتقشف، وفي آخر حياته تولى الإمامة والخطبة، بعد أن ألزمه السلطان محمد بن عبد الله بذلك.

تميز الشيخ القادري في مجموعة من العلوم، إلا أن شهرته في الأنساب والتاريخ والتراجم غطت على شهرته في علوم أخرى. توفي بفاس ودفن بها .

➢ عمر بن عبد الله الفاسي الفهري (ت 1188هـ/1774م)[1]

هو عمر بن عبد الله بن عمر بن يوسف بن العربي بن الشيخ أبي المحاسن يوسف الفاسي الفهري، ولد بمدينة فاس، وبها نشأ في حجر أبيه عبد الله (ت1146هـ)؛ أخذ جملة من مبادئ العلوم الشرعية عن والده، وعن قريبه الشيخ أبي عَسْرِيَّة محمد بن أحمد بن يوسف الفاسي، كما قصد علماء المغرب، فكان من جملة هولاء الذين تشرف بالجلوس إليهم: أبو العباس أحمد بن علي الوجاري(ت1141هـ)، وأبو الحسن علي بن أحمد الـحُرَيْشِي(ت1143هـ أو 1145هـ)، وأبو العباس أحمد بن مبارك اللَّمَطي (ت1156هـ).

بفضل مكانته العلمية تولى مهمة الخطابة بجامع الجيسة إلى أن تم عزله عنه سنة (ت 1154هـ)، كما انتدب للتعليم والتدريس بفاس، فتخرج على يديه عدد جم من التلاميذ، منهم: أبو الربيع سليمان الحوات الشفشاوني (ت1231هـ)، وأبو محمد بن الطيب سْكيرج الفاسي(ت 1194هـ)، وأبو العباس أحمد بن عمر الفاسي(ت 1197هـ)، وأبو عبد الله محمد بن عبد السلام الفاسي (ت 1214هـ).

كما تميز الشيخ عمر بن عبد الله الفاسي في المجال الأدبي بمقدرته اللغوية، حيث شرح العديد من المنظومات، فترك بصمته العلمية على علوم فاس وآدابها، كما تميز في العلوم الدينية من المعقول والمنقول، فنال درجة "شيخ الجماعة" .

توفي بفاس، ودفن بزاوية جده بالقلقيين .

➢ حمدون بن محمد الطاهري الجوطي (ت 1191هـ/1777م)[2]

كان فقيها عالما، مشاركا محدثا صوفيا، يرجع نسبه إلى الشرفاء الجوطيون الذين استوطنوا قرية جوطة[3] فنسبوا لها ، كان ورودهم على فاس في النصف الثاني من القرن 9هـ/15م ، فسكنوا بدرب الدرة بحومة الطالعة. أخذ بداية عن عمه "مسعود الطاهري"[4]، قبل أن ينفتح على علماء مدينة فاس وشيوخها، حيث لعبت هذه مدينة دورا كبيرا في إغناء ثقافته واتساع معرفته عن المكونات الثقافية للوسط الذي يعيش فيه، إذ تلقى المعرفة على أيدي كبار العلماء في وقته، فبمسجدي عقبة بن صوال والشرفاء انكب

---

[1] - انظر، الكتاني ، **سلوة الأنفاس...،** ج1 ، ص ص384-386

[2] - انظر، **المصدر نفسه،** ج2 م.س. ص 81-82؛ حمدون الطاهري الجوطي، **تحفة الاخوان...،** م.س. (قسم الدراسة)، ص ص 15- 32 .

[3] - هي أقرب القرى إلى فاس؛ انظر، محمد العمراني، مادة"**جوطة**"، في معلمة المغرب، ج10، نشر مطابع سلا ، 1998 ص 3198

[4] - انظر ترجمته، القادري ، **نشر المثاني..،** ج4، م.س. ص ص 231- 232 .

على مواظبة حلقات دروس شيخه محمد بن قاسم جسوس، وبالقرويين درس على يد محمد بن عبد الرحمن بن زكري وأبي العباس ابن مبارك الفيلالي اللمطي، كما قرأ على النوازلي محمد المدعو يعيش الرغاي الشاوي، وقرأ على أشهر العلماء في وقته، الأمر الذي كان له دور في صقل شخصيته العلمية والصوفية[1] ليتخرج فقيها عالما، فأسهم بدوره في نشر المعرفة في مدينة فاس، حيث تم تعيينه إماما وخطيبا بمسحد القرويين ابتداءا من سنة 1147هـ/1734م .

وأما بخصوص طريقه الصوفي، فقد ساعدت ظروف تكوين الشيخ والوسط الأسري الذي ينتمي له، فضلا عن الجو السائد الذي عاش فيه، في صقل شخصيته الصوفية والتي اختار لها سلوك الطريقة الوزانية، حيث انضم الشيخ حمدون الجوطي إلى الطريقة الوزانية عام 1145هـ/1732م ، بواسطة مقدم الزاوية في فاس الشيخ قاسم بن رحمون[2] ، كما صحب بوزان "**الطيب الوزاني**" حين تولى أمر الطريقة الوزانية، وأخذ عنه، قال في ذلك صاحب "سلوة الأنفاس": "**بأنه سلب له الإرادة بواسطة مقدمه بفاس قاسم بن رحمون، وانتفع منهما كثيرا** "[3] .

توفي بفاس، ودفن بروضة الكغادين قرب أبي زيد العزميري داخل باب الفتوح .

- **محمد التاودي بن سودة (ت 1209هـ/1795م)[4]**

وهو أبو عبد الله محمد التاودي بن الطالب بن سودة المري الفاسي، نسبة في الأصل إلى تاؤدة – بضم الواو – وهي قرية من أعمال فاس ، فحملت الأسرة بذلك لقب التاودي؛ ولد محمد التاودي بفاس عام 1111هـ وهو أحد علماء مدينة فاس وصوفييها، كان مقدما في كل العلوم؛ لا سيما التفسير والحديث والفقه والتصوف والكلام والمنطق والأصول، فنال لقب شيخ الجماعة، كما وصف ب"**إمام فقهاء المغرب**"، تلقى تعلميه بمدينة فاس وعلى شيوخها الذين ذكرهم في فهرسته، منهم: أحمد بن امبارك السجلماسي، والشيخ محمد بن قاسم جسوس، وفيما يخص طريق التصوف، فقد أخذ عن جملة من الأولياء والصلحاء مغربا ومشرقا وتبرك بهم من جملتهم الشيخ أحمد ين محمد الصقلي[5].

توفي بمدينة فاس ودفن في زاويته الكائنة قبالة داره بحومة زقاق البغل[6] .

---

[1] - انظر، حمدون الطاهري الجوطي، **تحفة الإحوان...**، م.س. (قسم الدراسة) ص ص 23- 24

[2] - حمدون الطاهري الجوطي، **تحفة الإحوان**...، م.س. ص .189

[3] - محمد الكتاني ، **سلوة الأنفاس ...**، م.س. ج2 ، ص 82 .

[4] - انظر ترجمته: محمد الأخضر، **الحياة الأدبية**، ص ص 322- 323؛ محمد الكتاني، **سلوة الأنفاس**، ج 1، ص 118 .

[5] - انظر، محمد الكتاني، **سلوة الأنفاس** ، م.س.ج1 ، ص 118 .

[6] - **المصدر نفسه**، ص 119 .

❖ خلاصة :

من خلال تطرقنا لطبقات رجال التصوف الذين شكلوا جزءا من مجال فاس خلال مرحلة القرنين 17-18م، وتتبعنا لحيثيات وأبرز محطات حياتهم، فإنه ترتب عن ذلك عدة ملاحظات واستنتاجات، نجملها في التالي :

- إن جل أعلام مدينة فاس خلال هذه المرحلة، لم يكونوا فاسيين، فالعديد من الأسر من مختلف مجال المغرب استقرت بفاس عند القرن 15 أو 16م، فأصبحت جزءا من البيئة الاجتماعية لها خلال القرنين 17 و18م؛ على رأسهم القصريين (عائلة الفاسي الفهري)، والسجلماسيين، والمعنيين، والشاويين، والقادريين، والدلائيين ...، كما أن أغلب الأسر التي استقرت في فاس ترجع لأصول بدوية اندمجت ضمن النسيج الحضري لفاس، فبات الجميع يشكل مكونا للمجتمع الفاسي؛ مما يحدونا إلى القول، بأن تغير النسيج البشري لمدينة فاس خلال المرحلة الحديثة كان من أهم التحولات التي عرفتها .

- تفوق البيت الفاسي في تخريج أكبر عدد من العلماء والصلحاء، على رأسهم الشيخ علي بن أبي المحاسن وأولاده وأحفاده، خصوصا عقبه من الشيخ عبد القادر الفاسي.

- أن ملامح الحركة الصوفية في مدينة فاس بدأت بالتحول مع الطبقة الثانية من الأعلام، حيث بدأت تتغير بنية طبقة الفاسيين من العلماء والصلحاء، من خلال دخول علماء وصلحاء وفقهاء من مختلف مناطق المغرب إلى فاس، فشكلوا جزء لا ينفصل من طبقة أعلام فاس، وقد برز هذا التحول بشكل واضح وبين مع الطبقة الثالثة، إذ لعبت الطبقة الثانية دورها في خلق التحول الذي بدت عليه حركة التصوف خلال القرن 18م .

الباب الثاني

التراث الصوفي لمدينة فاس خلال القرنين 17 و18م

تقديم :

بلغت الزوايا خلال مرحلة القرنين 17و18م أوجه انتشارها، فكانت مدينة فاس النموذج الأمثل لهذا الانتشار، إذ شهدت كثرة التفرعات عن الزوايا الأصلية، حتى باتت المدينة موطنا لكل زاوية تؤسس في مناطق المغرب. وهذه الظاهرة كانت شاهدة بحق على التحولات التي مست الحركة الصوفية، كما كانت شاهدة على التحول الذي أصاب مؤسسة الزوايا؛ فانحرفت عن أصولها العلمية التي كانت تُعرف بها، لتصبح مبنية على الشهرة وحب الرياسة والظهور، وذلك بالاقتصار على إحياء شعائر الطريقة، فكثر مدعو الولاية ومعهم كثرت الزوايا، لدرجة أن أصبح كل مدعي الولاية مؤسسا لزاوية تحمل اسمه .

ويمكن القول، أن هذه الظاهرة لم تتوقف على الجانب النوعي بل شملت الجانب الكمي كذلك، بحيث بات تأسيس الزوايا ظاهرة لا تقل قوة عن ظاهرة الانتماء الطرقي التي عرفتها المدينة، فإن قلنا إن ظهور الزوايا بلغ ما يقارب عدد القيمين على الطرق الصوفية، فليس في ذلك مبالغة، إذ إن عددا كبيرا ممن ترأسوا طرقا صوفية اتخذوا طرقا خاصة بهم، منهم من أسسها في حياته، ومنهم من لم تؤسس لهم إلا بعد مماتهم، وقد عمل الأتباع على خلق تلك الفروع، فمن يرأس فرعا طرقيا لزاوية معينة، بمجرد موته يتحول ما كان يضعه للمريدين في الزاوية إلى طريقة متفرعة عن الطريقة التي كان يرأسها، ويتحول قبره إلى زاوية، أو يقام للطريقة الجديدة زاوية وتُمنح اسما جديدا مستخلصا من اسم القيِّم، وهكذا دواليك؛ وهذه الوضعية التي ميزت تأسيس زوايا مرحلة القرن 18 -بالخصوص- تبرز غياب معيار عقلاني في تأسيس الزاويا، حيث صار الأمر يقتصر على وجود مكان وأتباعأو مريدين، وإن قل عددهم، مما أنذر بنهاية مرحلة الزوايا العلمية، في مقابل انتشار زوايا الشهرة، فظهرت هذه الزوايا كجزء من خريطة التصوف الفاسي .

وتعتبر الزوايا والأضرحة جزءا من التراث الصوفي المادي، وإن التطرق إلى هذا الجانب من الدراسة، لا يخلو من إشكال لازمنا في فصول سابقة، لكنه خلال هذا الباب البحثي فرض نفسه بقوة، نتيجة التداخل الكبير بين التراث الصوفي المغربي والفاسي، والتنوع الذي عرفته الزوايا، مما جعل مهمة حصرها وتحديدها أمرا شبه مستحيل، خصوصا أن مجموعة من هذه الزوايا توقف نشاطها بعد مدة وجيزة من التأسيس، فتحولت إلى ضريح مهمل أو زاوية للتبرك .

وقد ارتبطت هذه الزوايا والأضرحة برجالها من المتصوفة، وما دار في فلك هؤلاء الرجال من أذكار وأوراد ومناقب وكرامات وخوارق وطقوس صوفية .

من هنا سيكون محور البحث ضمن هذا الباب، وهو التراث الصوفي المادي واللامادي، وما كان إلا نتاج الحركة الصوفية خلال مرحلة القرنين 17 و18م .

وقبل الدخول في عناصر هذا الباب البحثي، وجب تحديد مجموعة من القضايا تخص ماهية التراث والإشكالات المرتبطة به، وكذلك تحديد منهج العمل الذي سنشتغل عليه، كما لابد من تحديد مجموعة

من المفاهيم التي تخص التراث الصوفي سواء المادي المعماري (من زوايا وأضرحة)، أو الشفوي المنقول: سواء ما كان مدونا أو ما كان محفوظا بالذاكرة الجمعية الصوفية والطرقية .

فصل تمهيدي : قضايا التراث الصوفي بمدينة فاس خلال القرنين 17 و18م وإشكاليات دراسته

1- تعريف التراث

اشتقت كلمة "التراث" من كلمة إراث، وهي من مصدر "ورث"، ذو اشتقاقات "إرث" و"موروث" و"ميراث"، الذي يعني ما يخلفه الميت لورثته من مال وحسب (وهو ما يجمع بين الميراث المادي والمعنوي أو الروحي)؛ ومن هذا التعريف الأولي اشتق مفهوم "التراث"، والذي يعني ما تركته الأجيال السالفة للأجيال اللاحقة ، فالتراث يقال للشيء الذي يمكن أن يورث، أي الذي له قابلية النقل والانتقال من جماعة إلى جماعة أخرى، ومن جيل إلى جيل آخر[1]، ومن الماضي إلى الحاضر، وهذا ما نستفيده من الحقل الدلالي لكلمة التراث.

وقد خاض العديد من الباحثين في التعريف والبحث في مفهوم "التراث"، منهم: محمد عابد الجابري من خلال كتابه "التراث والحداثة"[2] ، وفهمي جدعان في كتابه : "نظرية التراث"[3] ، ونحن هنا ليس هذا محور بحثنا بقدر ما هو غاية لأجل تمهيد الطريق في دراسة تراث مدينة فاس الصوفي، لذلك سنركز على ماهية التراث وأقسامه وكيف يمكن التعاطي معه كموضوع للبحث والدراسة؛ لذلك اخترنا أبرز من تطرق لهذا الموضوع وهو محمد عابد الجابري، الذي أفاض في البحث في مفهوم التراث وماهيته ، حيث قدم تعريفا عاما ل "التراث"، والذي يصلح أن يكون مدخلا لهذا الموضوع: "**فالتراث هو كل ما هو حاضر فينا أو معنا من الماضي، سواء ماضينا أم ماضي غيرنا، سواء القريب منه أم البعيد**"[4].

ومن هذا التعريف المقتضب، يمكن أن نستنتج الخصائص المميزة للتراث ، وهي :

- **الشمولية** : وهو "كل ما هو حاضر فينا أو معنا" ، بمعنى كل ما نلمسه أو نفكر فيه أو نتخيله أو نشعر به أو نمارسه، أي كل ما يربطنا بذواتنا ومجتمعنا من تراث مادي أومعنوي.
- **الحضور والاستمرارية**: وهو الوصل بين الماضي والحاضر ، لأنه حاضر فينا أو معنا رغم أنه من الماضي .
- **الاندماج والاتصال** : من خلال ماضينا أو ماضي غيرنا .
- **الحركة**: لأنه ينتقل من جيل إلى جيل أو من جماعة لأخرى، سواء في الزمان أو المكان، أي قد نحمل تراثا ليس منا لكنه بحكم الحركة أصبح جزءا منا وأصبح لنا .

---

[1] - انظر، جبران مسعود ، **الرائد - معجم لغوي عصري** ، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ، ط7 ، 1992م ، ص 204

[2] - انظر، محمد عابد الجابري : **التراث والحداثة- دراسات ومناقشات** ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت –لبنان ، ط1 سنة 1991م .

[3] - فهمي جدعان ، **نظرية التراث- ودراسات عربية وإسلامية أخرى**، دار النشر الشروق – الأردن ، ط1 سنة 1985م .

[4] - محمد عابد الجابري،**التراث والحداثة**، م.س. ص 45

وبالتالي، فإن التراث ليس فقط كل ما وصل إلينا من الماضي، وإنما هو الذي وصل إلينا من الماضي ولم ينقطع، وهو ما يعني فعل الحضور والتأثير والاستمرارية؛ في أفكارنا ومفاهيمنا وتصوراتنا، بل هو لب تلك الأفكار والتصورات، كونه "حاضر فينا" ، فهو مؤثر فينا وفي حياتنا الفكرية والثقافية. ويمكن القول إن تأثير الماضي في المجتمعات يفوق العديد من المؤثرات التي تنتمي إلى الحاضر، فالتراث ماضي، يتم استحضاره واستدعاؤه، لأنه نتاج فترة زمنية تقع في الماضي إلا أن آثارها تقع في الحاضر، وما بينهما "مدة زمنية"، وهنا يجب ألا نغفل هذا العنصر الهام الفاصل بين الحاضر والماضي، لأنه يحمل عنصر الحركة والانتقال والتغيير، وسنجد أنه لا يتوقف عند نقل التراث فحسب بل يتدخل فيه ويغير من ملامحه، وبالتالي فلابد من الأخذ بالاعتبار المدة الزمنية التي تفصل ذلك الماضي بالحاضر، وهنا كلما كانت المدة الزمنية الفاصلة واسعة، كلما تعرض هذا التراث للتغير والتبدل، فبقدر طول المدة الزمنية بقدر ما يحمل هذا التراث معه إرث الأمس لليوم، بحكم المؤثرات التي يمر بها مع كل عصر وكل مجتمع ، فنصبح أمام تراث ذي بنية تراكمية تشكّلت عبر أجيال متلاحقة.

وهنا يواجه مفهوم التراث – حسب الجابري- مأزق الفهم التراثي الذي تغيب عنه الروح النقدية ويفتقد للبعد التاريخي التراكمي نتيجة التكرار والاجترار.. وهذا يتطلب الخروج من الفكر الساكن الاجتراري إلى النقد المتجدد وهو أمر ليس السهل، فمشكلة التراث هي افتقاره للبعد الزمني، الأمر الذي يخضعه لتراكم تاريخي منهجي يعتد به، ويجعل المشتغلين به يكرّسون جهودهم في المنتج القريب للتراث وينسون أو يتناسون كل المراحل التي سبقته[1] .

وعموما، فإن هذا الانتقال من الماضي للحاضر يكون طريقا لوجود الموروث، الذي يصبح ملكا للجماعة ك "موروث ثقافي" ، وهو يكون إما :

- **موروثا ماديا**: مرتبطا بالأشياء نفسها من جهة طبيعتها، وهو المتميز بخاصية الثبات في المكان والانتماء في الزمان، تلك التي ارتبطت بمرحلة أو حقبة زمنية محددة، والمتمثل في الموروثات ذات المضامين الثقافية الملموسة والمحفوظة ماديا في صيغة كتابة أو رسم أو أشياء أو مبان، كالكتب والمخطوطات والوثائق واللوحات والرسوم الجدارية، والآثار، والأزياء، والصناعات الشعبية .

- أو **موروثا غير مادي**: وهو كل ثروة ثقافية منقولة تنتفي فيها صفة المادية، لكن يمكن أن تُحفظ في أوعية مادية، وهي تتميز بخاصية التغير والتبدل والتحول، حيث يختلف عن التراث بالمعنى السابق، فهو التراث المنقول عبر الذاكرة، هو لكل زمان ومكان، ويشمل :الموروث الشفاهي الذي يجري تناقله شفاهيا من جيل الى آخر، كما يشمل أيضا اللغات واللهجات

[1] - انظر، عابد الجابري، **التراث والحداثة**، م.س.. ص 46

والحكايات الشعبية والأمثال والأهازيج والغناء والموسيقى، وكذلك فن الرقص الشعبي والعادات والتقاليد ، فضلا عن التصورات والأفكار والذهنيات والطقوس .

ومن هذه المرتكزات يتأطر التراث في دراسته بين المعرفي والأيديولوجي والوجداني والتاريخي أيضا، ومنه تنبثق عدة مفاهيم : كالثقافة الشعبية والتراث الشفوي. ولارتباط بحثنا بموضوع التراث الصوفي ، حاولنا استخلاص تعريف مقتضب للتراث والثقافة الصوفية الشعبية .

2- مفهوم التراث والثقافة الصوفية الشعبية

ترتبط الثقافة الشعبية بالجماعة وليس بالفرد، لأنها نتاج **"الذاكرة الجمعية"**[1]، لذلك وجب تعريفها انطلاقا من الفهم الجمعي للتراث، وهنا نقصد المجتمع المتلقي لتراث أو ثقافة ما، هذا التراث من خصائصه أنه معنوي لامادي، فهو تراث يتغلل في اللاوعي الجمعي، في ما يمكن نسبته لعلم **الفينومينولوجيا**[2] . وقد استقنا هذا المفهوم للدلالة على تلك الظواهر العامة التي ارتبطت بالتصوف خاصة الجانب العقدي أو النفسي منه، فكان عبارة عن تراث لامادي، وهو ما يندرج ضمن التراث الحاضر من غير استدعاء، الذي يحضر بشكل لا شعوري في إطار الجماعة، ويدخل ضمن الذهنية الشعبية التي صورت في ذهن العوام، سواء ما كان لها وجود حقيقي أو وهمي، وبذلك فهو نسبي ومتغير، يقبل المنطقي(المعقول) واللامعقول، مما أدى إلى تحول تلك العقائد والتصورات إلى فينومينولوجيا صوفية لصيقة بالتصوف إلى حدود أن غدت جزءا لا يتجزأ منه .

وقد لعب التراث الشفوي دوره في رسم معالم الثقافة الشعبية الصوفية، وذلك من خلال الرصيد الهائل من النصوص الشفاهية التي احتفظت بها الذاكرة الجماعية، مثل: الحكايات، والمرويات، والألغاز، والأمثال، وسلاسل النسب، فضلا عن الأدب الشفهي، والموسيقى، والغناء، حيث تنتقل هذه المتون عبر الأجيال من دون تدخل المؤرخ أو الباحث، ويغيب فيها أحيانا اسم المؤلف الفرد، إذ تختص بعض الفئات بحفظها واستظهارها عند الحاجة؛ كما تدرج العديد من الطقوس والإحتفالات والمواسم ضمن التراث الشفوي اللامادي المنقول، كون تلك المتون والطقوس تمثل ذاكرة ثقافية منقولة، تجمع بين التخييل والتصور والمروي المحتفظ من الذاكرة الجماعية، وهنا نجد أنفسنا ضمن ثقافة شفوية تصورية تكون وسيلة في حفظ التراث اللامادي، ولولاها لضاعت تلك الطقوس والنصوص. وهذه الأخيرة وإن كان البعض يصنفها ضمن التراث المكتوب، فالأصل فيها أنها تراث شفوي قد دوّن، فكان ذلك مجرد استرجاع لذاكرة شفوية؛ ففي مجال التصوف نجد مثلا الأوراد والأذكار والطقوس، وهي وإن كانت مكتوبة وحفظت ضمن مؤلفات وكتب تعود لزمن الحدث، إلا أن الأصل فيها أنها تراث شفوي .

---

[1] - **الذاكرة الجمعية** : يقصد بها تجمع مشترك من المعرفة في ذاكرة عدة أشخاص ، والتي يمكن تشاركها مع آخرين ، وتمريرها للغير ، وإعادة بنائها من قبل مجموعات اجتماعية كبيرة أو صغيرة ، وقد ظهر هذا المفهوم في النصف الثاني من القرن 19م مع عالم الاجتماع موريس هالبواكس (Maurice halbwachs) من خلال مؤلفه : *les Cadres sociaux de la memoire* .

[2] - هو **علم الظاهريات،** والذي يقوم على خصائص الشعور، الذي يتوجه قصدا إلى الأشياء التي تواجهه وذلك من أجل أن يدركها فيحولها إلى ظواهر ذات طبيعة ماهوية ثابتة تكون هي الأساس التي تبدأ منه كل معرفة يقينية .

ويمكن القول، أن ما ساعد في رسم هذه الأنماط التصورية، هو تأثير النصوص الكرامية والمناقب على الذهنية الشعبية للمجتمع الفاسي، نتيجة الانتشار الهائل لهذه النصوص بين الناس واعتقادهم العميق فيها وفي بركة الأولياء، مما جعلها أداة لنشر التراث الشفهي والثقافة الصوفية .

3- إشكالية المنهج في دراسة التراث الصوفي

تتلخص هذه الإشكالية أساسا في تحديد المنهج الذي يستعمل للنظر والتعامل مع التراث[1]، والتي ترتبط أساسا بماهيته، فنحن أمام تراث حاضر لكنه يضرب بجذوره في الماضي، ذلك الماضي الحاضر فينا - سواء من منطلق مادي أومن منطلق لامادي- والذي تفصلهما مسافة زمنية، حملت معها تراكمات جعلت التراث يتغير ويتطور، فمنشأ الالتباس هو ارتباط المفاهيم التراثية بالماضي، وأنها في الحاضر تختلف كلياً من حيث المعنى والمصدر والماهية والمجال.

فلدراسة التراث لابد من استحضار ثلاث عناصر، وهي : زمن الحدث، وزمن التراث، والزمن الفاصل بينهما، ونحن في بحثنا نتناول تراث القرنين 17 و18م، خلال القرن 21م، أي أن هناك مسافة فاصلة عمرها قرنان من الزمن التاريخي، إذا فتراث مدينة فاس للمرحلة المعنية بالدراسة (17 و18م) حتما عرف مؤثرات خلال القرنين 19 و20م ، ولا يمكن – بالتالي- التعامل معه إلا بحمولات هذه المدة الفاصلة .

كما لابد أيضا من اعتبار جانب الموضوعية، وذلك بالفصل بين الذات (نحن) والموضوع (التراث)، بعيدا عن تأثير العواطف والمشاعر، خصوصا أن موضوع التراث، وكما سبق أن عرفناه - حاضر فينا ومعنا، فهو أقرب إلى أن يكون ذاتا منه إلى أن يكون موضوعا، ومن ثمة فنحن معرضون لأن يحتوينا بدل أن نحتويه، لأنه يمثل ذاكرتنا الثقافية، فنكون بذلك تحث تأثير آلية التقمص والتذكر والتخيل، أي آلية التفكير بالرموز والنماذج والقيم التي توارثناها، خصوصا وأنه مرتبط بالجانب الديني، مما يجعل عملية الفصل بين الذات والموضوع أكثر تعقيدا .

إذن نحن أمام إشكالين ضمن دراسة تراث مدينة فاس خلال القرنين 17 و18م، وهما :

1- المدة الزمنية الفاصلة بين الحدث والتراث

2- الذاتية والموضوعية ضمن تراثنا الصوفي

وللتعامل معهما لابد من اعتماد منهج يقوم على عنصرين، وهما : الفصل بين زمن الحدث وزمن التراث، وعلى الموضوعية والعقلانية، وذلك تحقيقا لقدر أدنى للمسافة اللازمة بين التاريخ والتراث من جهة، وبين الذات والموضوع من جهة أخرى، مراعاة لطبيعة التراث المعني بالدراسة وخصوصية التراث الصوفي، سواء التراث المادي عبر دراسة الزوايا والأضرحة، أوالتراث اللامادي، أو المعنوي، أو "الروحي"

[1] - انظر، محمد عابد الجابري، **التراث والحداثة** ، م.س. ص ص 45 – 62؛ حيث خصص جانبا هاما من دراسته لإشكالية التعامل مع التراث .

(لارتباطه بالمعتقد الصوفي)، عبر دراسة الأوراد والطقوس والمعتقدات والذهنيات؛ وبالتالي للتعامل مع هذا المروروث، لابد من الأخذ بالاعتبار خصائص كل منهما، دون إغفال لعنصري "الثبات مقابل التغير" .

كما أنه ولصعوبة الفصل -أحيانا- بين التراث المادي واللامادي في دراسة بعض الجزيئيات المرتبطة بالزوايا والأضرحة، فقد وجدنا أنفسنا مضطرين في بعض المحطات لمزج التراثين معا، ضمن فصلي الزوايا والأضرحة.

وقد وضعنا خطوات في دراسة قضايا التراث التي حددناها، وهي :

- أولا : وصف هذا التراث بما هو كائن في المجال والزمان، ووضعه في سياقه التاريخي الذي جاء فيه وبه، ووصف تطوره في الزمان إلى حدود الوقت الراهن
- ثانيا : تفكيك هذا التراث، من خلال تحليل مضامينه
- ثالثا: إعادة تركيبه في سياقه التاريخي ، لفهم سياق حضوره وتواجده

هذه ثلاث خطوات سنعتمدها في التعاطي مع دراسة التراث الصوفي، سواء المادي أو اللامادي، من زاوية تحليلة ثم تركيبية، باستحضار السياق التاريخي الذي وردت فيه، فنخضعه للبحث والمناقشة، بعيدا عن صفة القداسة التي اصطبغتها واحتوتها حتى صارت جزءا منها، وذلك بهدف الخروج بنتائج بحثية تكون أقرب للواقع منها للخيال، كما سنحاول - قدر الإمكان- تجنب السرد المفرط الذي لا يعطي للبحث التاريخي التراثي أي قيمة تذكر، وذلك بالاعتماد على "**المنهج التاريخي" ، و"المنهج الإحصائي"**، و"**المنهج الوصفي"**، و"**المنهج الكيفي"**، وذلك عبر البحث البيبليوغرافي والتحري الميداني والملاحظة .

وقد قسمنا الدراسة لثلاثة فصول:

الفصل الأول: لدراسة التراث المرتبط بالزوايا

الفصل الثاني: لدراسة التراث المرتبط بالأضرحة

الفصل الثالث: لدراسة التراث اللامادي المرتبط بالكرامات والبركات والمناقب والخوارق، والحرم .

الفصل الأول : تراث الزوايا بمدينة فاس خلال القرنين 17-18م

إن وصف واقع الزوايا في مدينة فاس خلال مرحلة القرنين 17 و18م، عكس موروثها الصوفي، ويمكن القول إن إشكالية دراسته، لا تقل عن إشكالية تتبعه في مستوى التطور، إذ يعتبر حصر التراث في مدة زمنية أمرا مستحيلا، فمن أهم مميزات التراث الامتداد الزمني الذي يتيح له الاستمرارية، فدراسته تفرض تحليله وتتبعه إلى ما هو عليه في الوقت الراهن. وبالنظر إلى الوضع الذي سبق ذكره، فإن تتبع هذا التراث هو أمر مستعص خاصة في غياب وندرة المصادر التي تؤرخ لتلك الزوايا بمدينة فاس، والتي تعتبر ركيزة أساسية للموروث الصوفي، لأنها الشاهد على التراث في سياق تطوره .

وعموما، سنعتمد في هذا الفصل، دراسة الزوايا التي اعتبرت جزءا من مرحلة القرنين 17 و18م، سواء تلك التي أسست بهذه المرحلة أو أسست قبل ذلك، من خلال تصنيفها على أساس الطرق الصوفية، لما رأيت أنه أنسب من حيث دراستها، باعتبار أن العديد من الزوايا تفرعت عن الزاوية الأصلية (الأم)، وبالتالي فالبحث سيمكننا من تتبع تلك التفرعات، حيث سنتناول زوايا الطريقة الشاذلية أولا ثم زوايا الطريقة القادرية، كما سنجعل الزوايا العلمية في مقدمة البحث، تليها زوايا الشهرة والجذب، وإن تطرقي لهذه الأخيرة كان من باب إيفاء خريطة الزوايا بمدينة فاس أثناء مرحلة القرنين 17و18م .

وقد كانت وسيلتنا، في بحثنا هذا، المصادر والمراجع، فضلا على الزيارة الميدانية، بزيارة هذا التراث المشيد والبحث عن أثاره، وذلك من أجل تتبع تطوره؛ فإن وجدته متاحا للزيارة سألت المقيم عنه، وإن لم أجد سألت أحد سكان ذاك الحي، وللأسف فإن أغلب الزوايا كانت مغلقة، فإما أنها تفتح في أوقات محددة، أو مغلقة بسبب الإصلاح والترميم التي تعرفها معظم زوايا المدينة، أو بسبب الإهمال، أو أنها عرفت تغيرا على مستوى وظيفتها، فلم يعد لها أثر، وهذا ما زاد من تعقيد مهمة دراستها، وقد عززت البحث – في حدود المستطاع- بصور التقطتها لهذه الزوايا خلال الزيارات الميدانية التي كنت أقوم بها من وقت لآخر طيلة سنوات البحث، والتي تمتد من سنة 2015م إلى 2021م ، كما استعنت ببعض الصور كنت التقطتها قبل هذا التاريخ، فاعتمدتها، لعدم القدرة على تحصيل غيرها، نتيجة ظرف الإغلاق الذي تعرفه معظم الزوايا .

ومما نسجله من ملاحظات عن تطور وظائف هذه الزوايا بمدينة فاس، إن جميع الزوايا في الوقت الحالي، قد توقفت مهمتها العلمية، لكن هذا لم يمنع البعض منها من الاحتفاظ بوظيفتها الدينية، حيث أصبحت عبارة عن مساجد تقام بها الصلوات، وتحيى بها مجالس الذكر بالمناسبات الدينية وذلك على أساس أوراد الطريقة التي تنتمي لها، بينما البعض الآخر اقتصرت وظيفتها على الزيارة والتبرك واستقبال الفتوحات والنذور، والبعض الآخر أصبح مهجورا مغلقا طاله النسيان والإهمال.

وقبل بداية التطرق إلى عناصر الدراسة الخاصة بتراث زوايا مدينة فاس، لابد من تعريف الزاوية، وتعريف بعض المفاهيم التي ارتبطت بها، وهي قسمان : قسم أول اختص بالجانب الطرقي، وهي الأوراد

والأحزاب، وهي جزء لا يتجزأ من تراث الزوايا، وقسم ثاني متعلق ببعض "الآلات الموسيقية "، إن صح التعبير، والتي ارتبطت بإحياء الشعائر الصوفية داخل الزوايا.

مبحث تمهيدي: تعاريف ومفاهيم ترتبط بتراث الزوايا

1- تعريف الزاوية

الزاوية لغة: هي الركن من البيت يقال: زوى وتزوى وانزوى صار في الزاوية، من فعل زوى: وزَوَى الشيء يزويه زَيًّا جمعه وقبضه، وانزوى القوم إلى بعضهم تضامنوا[1] ، وهي مأخوذة من فعل "**انزوى**" بمعنى؛ اتخذ ركنا للاعتكاف والتعبّد[2] .

واصطلاحا، هي المكان المخصص للتعبد وإيواء الواردين المحتاجين وإطعامهم، وتسمية الزاوية لايستعملها إلا أهل المغرب[3]، أما في المشرق فيرادفها "الخوانق" و"الربط"[4]، كما عرفت بأنها "مدرسة دينية، ودار مجانية للضيافة"[5]. وقد مثلت الزاوية في المغرب هذين الدورين، فهي تلك المؤسسة الدينية التي تعتبر مكانا لاجتماع الطائفة الصوفية بهدف إحياء الطريقة، وفي ذات الوقت هي تلك المؤسسة الاجتماعية التي اهتمت بالإطعام حتى غدت مطابقة له وملازمة، فقيام الزاوية كمقر لإطعام الطعام قديم وملازم لأولى المؤسسات الصوفية في المغرب[6]؛ ويعرفها عبد الله التليدي، بأنها "**مدارس علمية وأخلاقية تهذيبية، يتخرج منها جماعات إثر جماعات من المؤمنين الصادقين المخلصين المحبين**"[7]، وقد تطورت الزاوية، لتغذو محل اجتماع المسلمين أثناء الليل والنهار، لأداء صلاتهم وتلاوة القران الكريم وحديث النبي العظيم، وقراءة أوراد الشيخ وأكابر الصالحين، مع وزن أعمالهم بميزان الشرع على وجه التدقيق[8] .

كما تعتبر الزاوية مؤسسة دينية تمارس فيها العبادات من صلاة وتلاوة وقرآن وذكر، فضلا عن الأعمال الملازمة للتصوف من تربية وتلاوة ورد واجتماع، وتلعب بذلك دورا مكملا لدور المسجد المعد أصلا للعبادة[9] .

---

[1] - أبي بكر الرازي : **مختار الصحاح**، تحقيق محمود خاطر ، نشر مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت ، ط1، 1995م ، ص 117 ؛ ابن منظور، **لسان العرب**، دار لسان العرب –دار صادر – بيروت لبنان ، ط1 دون تاريخ طبع، ج2 ، ص ص 66- 67

[2] - حسن إبراهيم حسن، **تاريخ الإسلام**، ج 2 ،دار الجبل، بيروت، ط 14 ،1996م، ص 401

[3] - محمد حجي ، **الزاوية الدلائية** ، ص ص 23- 24

[4] - نور الهدى محمد الكتاني ، **الأدب الصوفي في المغرب والاندلس في عهد الموحدين** ، نشر دار الكتب العلمية ، ط1 سنة 2008م، ص 45.

[5] - انظر،.محمد حجي، **الزاوية الدلائية...** ، م.س. ص، 23

[6] - عبد اللطيف الشاذلي ، **التصوف والمجتمع** ، م.س. ص192

[7] - عبد الله التليدي، **المطرب بذكر مشاهير أولياء المغرب**، مطابع الشمال، طنجة، 1984م، ص 2

[8] - نور الهدى محمد الكتاني : **الأدب الصوفي في المغرب ...**، م.س. ص 45 .

[9] - عبد اللطيف الشاذلي ، **التصوف والمجتمع...**، م.س. ص 187

ورغم أن الزوايا تأسست أول الأمر بقصد تلقين المريدين والقيام بالشعائر الصوفية، فإنها لم تلبث أن تحولت إلى مدارس دينية، حيث لم تتقتصر على تلقين الأذكار، والتفرغ للخلوة والعبادة، بل تعدت ذلك إلى تلقين العلوم الشرعية وتدريس مختلف العلوم الإسلامية، فأقيمت حولها المدارس والأبنية لسكنى الطلبة، وأصبحت الزاوية تقصد لأخذ التصوف والعلم معا .

- **تطور الزاوية بالمغرب**

لم تُعرف الزاوية في المغرب إلاّ بعد القرن 5هـ/11م، فكان يطلق عليها "دار الكرامة"، كالتي بناها السلطان يعقوب المنصور الموحدي في مراكش، وخلال عهد المرينيين عرفت ب "دار الضيوف" أو "دار الضيفان"، ومنها الزاوية العظمى التي أسسها أبو عنان المريني خارج فاس، وهي التي ذكرها ابن بطوطة في رحلته، فقال عنها "**أنها أعظم زاوية شيدت في المغرب والشرق تقع على غدير الحمص (وادي الجواهر) خارج المدينة البيضاء (فاس الجديد)**"[1] .

وقد عرفت الزوايا بعد ذلك انتشارا؛ ففي آسفي انتشرت زوايا الشيخ أبي محمد صالح الماجري (ت631هـ/1234م)، وذلك لأنه كان يشجع أصحابه ومريديه على الحج ويدعوهم إلى اتخاذ الزوايا والاستكثار منها وخاصة في طريقهم إلى الحج، ليأووا إليها في مراحل سفرهم، حتى إذا جاء القرن الثامن(14م) كثرت الزوايا بالمغرب، وقامت حولها مدارس العلم يقيم فيها طلبته وتلاميذه، وخلال القرن 10هـ/16م، تطورت مؤسسة الزوايا، حيث أظيف إليها مهمة الجهاد، ثم التدخل في أمور السياسة والحكم.

وفي مدينة فاس انتشرت العديد من الزوايا التي لعبت أدوارا كبرى، وهي على تعدد طرقها الصوفية، من قادرية، وشاذلية (جزولية وزروقية)، من أبرزها: الزاوية الفاسية، العبدلاوية، الزاوية الوزانية، الزاوية القادرية، الزاوية الكتانية، زاوية سيدي أحمد الشاوي، وزاوية سيدي أحمد بلفقيه ...

2- تعريف الأوراد والأحزاب

الورد: كما جاء في "لسان العرب" لابن منظور، هو "**الوِرْد بالكسر، هو الجزء، والوِرد: "النصيب من القرآن"، والأوراد جمع ورد ، وهو الجزء من القرآن، وتأويل الأوراد: أنهم كانوا أحدثوا أن جعلوا القرآن أجزاء، كل جزء منه فيه سورة مختلفة من القرآن على غير التأليف، حيث جعلوا السورة الطويلة مع أخرى دونها في الطول ثم يزيدون كذلك، حتى يعدلوا بين الأجزاء ويتموا الجزء، ولا يكون فيه سورة منقطعة ولكن تكون كلها سورا تامة، وكانوا يسمونها الأوراد، ويقال: لفلان كل ليلة ورد من القرآن**

[1] - جدد الدلائيون بناءها أيام انتقالهم إلى فاس،ولم يتبق منها اليوم إلا أطلالها، حيث تم اكتشافها خلال 1998م على يد عبد الهادي التازي؛ انظر،عبد الهادي التازي،"اكتشاف موقع الزاوية المتوكلية بظاهر مدينة فاس"، مجلة **مجمع اللغة العربية**، دمشق- المجلد 79الجزء الأول، ص 89.

يقرؤه؛ أي: مقدار معلوم إما سُبع أو نصف السُبع أو ما أشبه ذلك، يقال: قرأ ورده وحزبه بمعنى واحد"[1]، والورد يطلَق عند الصوفية على أذكار يلقنها الشيخ للمريد، منها الصباحية، ومنها المسائية[2] .

والحزب : لغة ، "**جماعة من ناس، والجمع أحزاب ، وحزب الرجل أصحابه وجنده الذين على رأيه، والحزب النصيب، والحزب الجماعة والأحزاب مفردها حزب ، ومعناه لغة الجماعة من الناس ، وكل قوم تشاكلت قلوبهم وأعمالهم، والحزب اصطلاحا، الورد، وورد الرجل من القرآن والصلاة حزبه، والحزب ما يجعله الرجل على نفسه من قراءة وصلاة كالورد"**[3]، والأحزاب يعرفها الصوفية بأنها مجموعة من الأذكار تضم مطالعها بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، يقرأها المريد في أوقات معينة[4] ؛ وهذه التسمية أي الحزب لم تطلق على الأذكار والأدعية إلا في القرن 6هـ/12م، مع بدية الطرق الصوفية .

وعموما، تحتل الأوراد والأحزاب مكانة متميزة ضمن التراث اللامادي في التصوف، لأنها توثق للعلاقة القائمة بين المريد والله، فما الذكر عبر التسبيح والحوقلة والحمدلة والصلاة على النبي المختار ﷺ، إلا مضامين لهذه العلاقة التي تلخص طريق الوصول بالتضرع والتوسل، كما توثق للعلاقة بين المريد وشيخه، فنظرا لأهمية الأوراد ضمن الطرق الصوفية، فقد اعتمد شيوخ الطرق والزوايا على أوراد خاصة تلزم مريدي كل طريق باتباع ما يقوله شيخه أو يقرره أو يأذن به وفيه، مما جعلها وسيلة لتمييز الطرق عن بعضها البعض؛ فعلى كل مريد سالك للطريق الصوفي أن يتخذ طريقا واضح المعالم، وهذا الطريق يتطلب شيخا مربيا ونهجا عمليا مرافقا، وهذا النهج لا يكون إلا عن طريق أوراد يحددها الشيخ لمريديه وتلامذته، ويحدد لهم أيضا أوقات قراءتها .

وقد تنوعت الأذكار الصوفية في المغرب حسب التيارين الشاذلي والقادري منذ العصر الوسيط، ولأن هذين التيارين عرفا انشقاقات وتفرعات عديدة منذ هذا العصر وحتى مرحلة القرنين 17 و18م، فمس ذلك أساسا النهج السلوكي والبنية الداخلية للطرق الصوفية المتفرعة عن هذين التيارين، خاصة مع مرحلة "التصوف الشعبي" التي عرفها المغرب عامة ومدينة فاس خاصة. وإن هذه التغيرات التي مست التصوف أثرت بشكل كبير على جانب الأذكار والأدعية التي كانت تردد بين جنبات الزوايا وعلى لسان المريدين في حلقات الذكر .

وقد تميزت كلتا المدرستين الشاذلية والقادرية بنهج سلوك ضم العديد من الأوراد التي لابد للسالك في الطريق أن يحفظها وأن لا يترك ترديدها حسب ما سطره الشيخان (القادي والشاذلي)، أو الحاملون للطريقة بعدهم، فكل الأوراد الصوفية مصدرها وأصلها هذان النبعان الصوفيان، فجاءت، تبعا لذلك، أذكار الطرق الصوفية المتفرعة عن هذين التيارين إما شاذلية أو قادرية يكتنفها بعض التغيير تبعا

---

[1] - ابن منظور، **لسان العرب** ، م.س. المجلد السادس ، ص 4811

[2] - عبد القادر عيسى، **حقائق عن التصوف**، دار المقطم للنشر والتوزيع، ط1 ، سنة 2005م، ص: 153.

[3] - انظر ، ابن منظور ، **لسان العرب** ـ المجلد الثالث ، كلمة حزب، ص 853

[4] - نور الهدى محمد الكتاني ، **الأدب الصوفي...** ، م.س. ص 23

لمنشئها؛ إذ نجد كل طريقة وضعت لها أورادا خاصة بها لتتميز عن نظيرتها ضمن نفس التيار، وهنا لابد من القول، إن هذا الأمر كان خاضعا لمنشئ الطريقة ولطبيعة الطائفة الصوفية التي تحكم طبيعة الأوراد، فلا بد من الإقرار بأن طبيعة المجتمع البدوي ليست هي حتما طبيعة المجتمع الحضري، والزاوية التي يؤمها نخبة المجتمع ليست هي الزواية التي يؤمها العوام، ويمكن الإشارة في هذا الصدد إلى التغير الذي طرأ على الزاوية الفاسية بحي القلقليين، حين بدأت تعرف إقبالا من مختلف شرائح المجتمع بعدما كانت مقتصرة (زمن المقر الأول بحي المخفية) على فئة محددة من المريدين يغلب عليهم الطابع العلمي. وقد أشرنا إلى أن الشيخ عبد الرحمن العارف، تبعا لذلك، قام بإسقاط وظيفة الشيخين زروق والجزولي من ورد الطريقة، وبالتالي يمكن القول إن الأمر لم يكن يخضع لمعيار محدد لا يقبل التغيير، بل النهج السلوكي للطرق غالبا ما يمسه تغير ولو طفيف بمجرد وفاة الشيخ وتولي الوارث للطريقة والزاوية. ونشير في هذا الصدد إلى أن الطريقة في بنائها الداخلي كانت تتبع لشخص واحد يكون هو الوارث للطريقة والزاوية بعد وفاة شيخها، وهذا الأخير هو من يقوم بتحديد خليفته من بعده، وهذا الأمر لم يكن ليقبل أي جدال أو نقاش، وعلى كل المريدين أن يسمعوا له ويطيعوا، ولهذا نجد أن وارث الطريقة هو من يملك الصلاحيات في إسقاط التكليفات أو إحداث أي تغيير يرتئيه .

وقد اعتمدت الطرق بعض الطقوس الخاصة في ترديد الأوراد، منها ما كان بدون آلات وبدون تلحين، ومنها ما اتخذ حركات معينة أطلق عليها "الشطح أو الرقص الصوفي"، ومنها ما اتخذ بألحان وآلات، لذلك كانت هذه الطقوس مثار إشكال بين الفقهاء العلماء والصوفية، فكانت فيها آراء: حيث أفتى اليوسي بأن الاجتماع للذكر ليس من السنة لكنه لايحرم مادام العمل جرى بشيء من ذلك. ويظهر أن الانتقاد لم يقصد الذكر المجرد، بل اهتم بكيفياته مثل رفع الصوت بالذكر، والذكر بالمناوبة، والذكر بالجماعة، والتداول به والإعلان عنه وإفراد وقت لذلك[1] .

3- تعريف السماع والآلة

- **تعريف السماع :**

أورد "ابن الدراج السبتي" في كتابه "**الإمتاع والانتفاع بمسألة سماع السماع**" فصلا عن تعريف السماع قائلا : "**السماع إدراك الغيوب بسمع القلوب، وتفهم الفؤاد لحقائق المراد، والوقوف على إشارات الحق عند وجود عبارات الخلق ، والترقي مما قرع سمع الظاهر إلى جمع السرائر، وإصغاء القلب إلى خطاب الغيب ...وانطلاق لسان السرائر إذا سكت لسان الظواهر... السماع سفير يؤدي إليك رسائل الغيب ، ودليل ينفي عنك دواعي الريب ، تعريف يفد على القلب على بريد التجلي ... السماع يثير كل وجد كامن ، ويزعج كل قلب ساكن ....السماع معنى يصادفك بغتة ثم يفارقك فلتة، فلا لوروده سبب ولا**

[1] - انظر، عبد اللطيف الشاذلي ، **التصوف والمجتمع** ، م.س. ص 97

لزواله موجب مكتسب"[1]. ويعرف الفقهاء السماع بما يقع عندما يجتمع الصوفية، ويقوم رجل منهم حسن الصوت يغني لهم بأشعار من الجد والهزل، ويذكرون أن ذلك يرقق قلوبهم ويعينهم على التخشع والتفرغ للعبادة، وربما تكون معه آلات اللهو يستعين بها المنشد على تحسين صوته، ويقرأ عليهم بعض الآيات من كتاب الله بالتلحين[2] . أما الصوفية فقد اعتبروا السماع ركنا في الطريق؛ فالسماع غذاء الأرواح ، فاذا بدأ تحرك الروح في الرأس واضطربت الجوانح[3] .

وقد قسم "ابن الدراج السبتي "**الناس في السماع إلى : مستمع بعلم ومستمع بوجد ومستمع بحق، فمن كان سماعه بعلم قارن الشواهد بما اشارت إليه الأصول خط هنالك، ومن كان سماعهه بوجد ملكته البواده ولا يحتشم من اقتحام المهالك، ومن كان سماعه بحق انتشقته الحقائق"**[4] .

وقد كان السماع أمرا دارجا ومشهورا في بنية التصوف المغربي، خصوصا مع التطورات التي مست الحركة الصوفية ابتداء من القرن 16م ، ففي مؤلف "ممتع الأسماع" نجد إشارات لهذه المسألة، مثل: "**تساءل بعض الطلبة بفاس عن كيفية قضاء ليلتهم ، فقال بعضهم: هل لكم في المبيت معهم (أي المريدين) فنتفرج في حضرتهم (أي السماع) ونشبع من الكسكسو عندهم**"[5] .

كما وردت مسائل خلافية حول مسألة السماع، بين التحريم والكراهة والإباحة، فمن الفقهاء من أنكره، وهناك من أنكر طقوسه، إذ قدم اليوسي رسالة حول سؤال عما يباح وينكر في السماع جوابا عن سؤال شرعية السماع ، **فأجاب: "وأما السماع المذكور عند الصوفية المسمى اليوم بالحضرة ففيه اختلاف مشهور، أكثر الفقهاء ينكره ، وأكثر الصوفية يترخص فيه، والاتفاق على أنه ليس من فروض الدين ولا من سنته، وإنما هو رخصة لأهله عند توفر شرائطه بحسب الزمان والمكان والإخوان وبحسب المتعاطيه"**[6]، وفي رسالة أخرى يقول : **"وحاصل الأمر أن السماع منهل مورود قديما وحديثا، ولكنه قد يصفو وذلك لأهله ، فيستريحون به من الأثقال ويستفيدون به من نفائس الأحوال؛ والحال عندهم إذا نزلت قد تقتضي صياحا، وقد تقتضي بكاء، وقد تقتضي ضحكا وطربا، وقد تقتضي حركات للجسد إما دورانا، وإما رقصا وإما تصفيقا وإما غشيا، إلى غير ذلك مما هو مفصل عندهم"**[7] .

---

[1] - ابن الدراج السبتي ، **اتجاهات أدبية وحضارية في عصر بني مرين أو كتاب الإمتاع والانتفاع بمسألة سماع السماع**، دراسة وتحقيق محمد بن شقرون، مطبعة الأندلس، الرباط ، ط1 ، 1982م، ص 112

[2] - عبد اللطيف الشاذلي ، **التصوف والمجتمع..** ، م.س. ص 97

[3] - **المرجع نفسه** ، الصفحة نفسها

[4] - ابن دراج السبتي ، **اتجاهات أدبية ... م.س.**، ص 114

[5] - محمد المهدي الفاسي ، **ممتع الأسماع...** ، م.س. ص 38

[6] - فاطمة القبلي، **رسائل اليوسي** ، ج1، م.س. الرسالة الثالثة عشرة، ص430

[7] - **المصدر نفسه** ، الصفحة نفسها .

- **تعريف الآلة :**

إنها الكلمة التي استعملت في المغرب منذ أجيال للدلالة على نوع من الغناء المستعمل بالمدن، والمصحوب بآلات الموسيقى بقصد تمييزه عن غناء من نوع آخر يؤدي بدون مرافقة الآلات، ويسمى السماع[1]، وهي آلات إيقاعية جلدية تعمل على ضبط الإيقاع الموسيقي، وهي تستعمل إما لإبراز الأثر الإيقاعي أو لتقوية ذلك الأثر في بلوغ الذروة، أو لكي تضفي لونا جديّا على الآلات الأخرى[2]، ونميّز فيها بين:

- **التعريجة أو الدربوكة:** وهي آلة إيقاعية شعبية مغربية، تصنف ضمن التراث الموسيقي المغربي، مصنوعة من الخزف المطلي بأصباغ مختلفة، شكلها أسطواني مفتوح الطرفية، يميل إلى الضيق في الوسط، وأوسع طرفيها مغطى بقطعة من جلد الماعز. وهذه الآلة مشهورة لدى أهل المغرب – خصوصا- تستخدم في الغناء الشعبي[3]، وهي آلة تساعد على ضبط الإيقاع وتقويته[4] .

- **الأكوال** : وهي آلة إيقاع عربية الأصل، إيقاعية بامتياز، اسطوانية الشكل ، ضيقة مخرج الصوت ، لها قاعدة يشد عليها جلد خروف أو ماعز، وكلمة أكَوال تعني القوَّال وهو المغني، غير أن العامة تستعمل هذه الآلة فتضرب عليها وتغني على إيقاعها[5] .

- **الطار أو الطر:** آلة إيقاعية عرفت بأكثر من اسم واحد ، منها الدف والرق والمزهر ، وتختلف إشكال الطر باختلاف أسمائه ... وتجمع أغلب المصادر المغربية على جملة من المواصفات تقربه من الهيئة التي هو عليها اليوم في أوساط ممارسي الموسيقا الأندلسية بالمغرب ، وأهم ما يميز الطر المغربي خاصيتان: أولاهما: صغر حجمه بشكل يساعد على إدارته بخفة أثناء العزف، وثانيهما: احتواءه على قطع من الصفر مستديرة مركبة من جوانب مجاورة يسمع لها عند تحريكه وقرع بعضها بعضا، تصويت وجلجلة[6]، ويتولد من الطار أصوات متنوعة عن طريق القرع باليد اليمنى، والتي يتم إغناؤها بواسطة الأصوات المعدنية للطنطنات، أو الصنوج التي تلمس بواسطة أصابع اليد اليسرى، أو عن طريق اهتزازات الطار[7]، وهو يختلف عن مثيله المشرقي، سواء في هيئته أو وزنه وتقنيته المتميزة بالرشاقة والخفة والأداء بمعصم اليد، والأصوات المختلفة التي يصدرها، ويستوجب على

---

[1] - محمد زنيبر: مادة "الآلة" ، **في معلمة المغرب** ، المجلد 1 ، م.س. ص 66

[2] - خالد هلالي ، الجـوق في موسيقى الآلة المغربي، **مجلة الثقافة الشعبية** ، العدد 30 السنة الثامنة 2015 ، البحرين، ص 145 .

[3] - انظر، عبد العزيز بن عبد الله، مادة التعريجة ، **معلمة المغرب** المجلد 7 ص 2418

[4] - انظر، خالد هلالي ، **الجـوق في موسيقى الآلة المغربي**، م.س.، ص 145 .

[5] - انظر، محمد أبو حميد ، مادة "أوال" **في معلمة المغرب** ، المجلد الثاني ، ص635

[6] - عبد العزيز بن عبد الجليل ، **الموسيقا الأندلسية المغربية** ، كتاب في مجلة عالم المعرفة ، مجلة شهرية تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عدد 129 شتنبر سنة 1988م، ص 234 .

[7] - خالد الهلالي ، **الجوق في موسيقى...،** م.س. ، ص 145

الطرّار(الذي يضرب على الطار) أن يعرف الاختلافات الدقيقة للجملة الموسيقية، لكي يرافقها بشكل جيّد، ويؤدي ذلك كله مع الحفاظ على الإيقاعات[1] .

وقد استخدم أهل التصوف في ترديد مجموعة الأمداح والأذكار هذه الآلات التي تصنف ضمن الآلات الإيقاعيـة .

4- تعريف الرقص والشطح :

للشطح معنى خاص عند الصوفية، فهو ترجمة اللسان عن وجد يفيض عن معدنه مقرونا بالدعوى، وهو مرتبط عندهم " بالحال" الذي يعرفونه بما يرد على القلب من غير تعمد، كما أطلق على ما يصدر عن المجاذيب أثناء غيبتهم، لكن مدلوله اتسع عند المغاربة فخالط معنى الرقص وصار اللفظان يرتبطان للدلالة على حركة الجسم الناتجة عن تعبيرات الأعضاء، منضبطة أو غير منضبطة[2] .

وإن كان السماع محط خلاف بين جمهور الفقهاء والمتصوفة، فإن مسألة الرقص والشطح كانت أشد خلافا، حيث أثارت ردود فعل متباينة؛ فمنهم من أفتى بحرمتها، ومنهم من أفتى بالكراهة ومنهم من أفتى بالجواز، وذلك نتيجة ما كان يرافق الرقص من حالات مثل: البكاء، والأنين، والعويل، والتصفيق، والاهتزاز، والركض، والزفير، والصياح، وتقطيع الثياب، والسقوط على الأرض. وقد كثر في هذا الأمر الاستفتاء، من ذلك السؤال الموجه إلى عبد الرحمن الفاسي في أشياء ينكرها الناس، مثل الهز والرقص والدوران وما شابه ذلك، وكان جوابه بأنه غير محرم وليس بدعة، وأن الرقص والهز هي تعبيرات الأعضاء، فالعين تدمع واليد تمزق والرجل تهتز، كما أيد أحمد بن يوسف الفاسي ذلك، من خلال رده على إنكار البعض على الراقص، فقال: يحفر الموضع وتحرق حصره، أما اليوسي فقد أنكر ذلك[3].

وهذا المسألة ليست وليدة مرحلة القرنين 17 و18م، -وإن كان فيها اختلاف من حيث التمثل-، بل تضرب بجدورها في عمق التصوف المغربي، فلابن خلدون رأي بخصوصها، يقول فيه:"**وأما الألفاظ الموهمة التي يعبرون عنها بالشطحات ويؤاخذهم بها أهل الشرع، فاعلم أن الانصاف في شأن القوم أنهم أهل غيبة عن الحس، والواردات تملكهم حتى ينطقوا عنها بما لا يقصدونه وصاحب الغيبة غير مخاطب والمجبور معذور**"[4] .

---

[1] - انظر ، خالد الهلالي ، **الجوق في موسيقى...،** م.س. ، ص 145

[2] - انظر، عبد اللطيف الشاذلي ، **التصوف والمجتمع** ، م.س. ص 98

[3] - انظر، **المرجع نفسه** ، الصفحة نفسها .

[4] - عبد الرحمن ابن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، شرح وائل حافظ خلف، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، سنة 2013م، ص ص 727- 728

المبحث الأول : زوايا الطرق العلمية

1- زوايا الطريقة الفاسية

أ- زاوية أبي المحاسن الفاسي

أسسها الشيخ أبو المحاسن يوسف الفاسي عام (1006هـ/1597م)، وهي الزاوية الفاسية الأولى، وقد اتخذت منذ تأسيسها كمشروع ديني علمي وصوفي، فكانت مسجدا ومدرسة وزاوية، تقام فيها الصلوات الخمس وتدرس فيها العلوم وتمارس فيها الشعائر الصوفية، إذ ورد عن جلسات الشيخ أبي المحاسن من داخل الزاوية، أنه كان بعد صلاة الصبح يقوم فيجلس في الموضع الذي كثيرا ما يجلس فيه في صدر الزاوية.... فكان يجتمع فيه الناس لقراءة الأحزاب التي رتب قراءتها في ذلك الوقت[1]، كما دعا الشيخ إلى القيام بمجموعة من النوافل التي عرفت عند أهل الطريقة باسم "الورد الشرعي"، وقد حافظ على طقوس إحياء المناسبات الدينية على نفس العادات باستعمال السماع واللحون الحسنة بدون آلة[2] .

وبعد وفاة الشيخ أبي المحاسن (سنة 1013هـ)، انتقل تدبير أمور الزاوية إلى ابنه الشيخ أحمد الحافظ، وذلك إلى غاية خروجه من فاس بتاريخ (1020هـ). ورغم خفوت أمر الزاوية خلال هذه المرحلة، إلا أن الشيخ أحمد "الحافظ" حاول الحفاظ على الدور الديني والتعليمي لها، من إقامة الصلاة وإعطاء الدروس وإحياء سلوك الطريقة حيث قام بعد والده أحسن قيام ومضى على سمته في المجلس العلمي والكلام العرفاني[3]، إلا أن الزاوية، وبعد مغادرة الشيخ الحافظ مدينة فاس، أغلقت ولم تفتح إلا مرة واحدة حين قام الشيخ محمد بن عبد الله معن - وبعد أن مضى على وفاة شيخه العارف سنتين- بفتح الزاوية الفاسية في وجه المريدين، فقام بإحياء وظيفتها لمدة لا تتجاوز ستة أشهر، لتغلق مرة أخرى، ولم يعلم بعد ذلك، هل احتفظت بوظيفتها الصوفية أم توقف دورها عند وظيفة المسجد[4]. إذ لا تقدم المصادر أي معلومات حول مصير الزاوية بعد هذا التاريخ، فمنذ بناء الزاوية الفاسية الثانية بالقلقليين تحولت الأنظار إلى هذه الأخيرة، التي صارت تقوم بكل الوظائف والأدوار التي كانت للأولى، فصارت محط اهتمام المريدين والطلبة .

- **أوراد الزاوية:**

رتب الشيخ أبو المحاسن لأصحابه ولمريدي زاويته وطريقته أورادا وأحزابا تتصل بالطريقة الشاذلية، خصص لها أبي حامد العربي الفاسي، في كتابه "مرآه المحاسن" فصلا كاملا[5]، فقراءة الأحزاب والأوراد في الزوايا تعتبر من أولى الأولويات في جمع المريدين، وهي تقرأ جماعة على لسان واحد جهرا،

---

[1] - محمد العربي الفاسي ، **مرآة المحاسن** ...، م.س. ص 113

[2] - انظر، نفيسة الذهبي، **الزاوية الفاسية – الوظيفة والأدوار**، ص182

[3] - المولى سليمان العلوي، **عناية أولي المجد بذكر آل الفاسي ابن الجد** ، تحقيق خالد الصقلي ، دار الأمان الرباط ، ط1، 2018م، ص 20.

[4] - نفيسة الذهبي ، **الزاوية الفاسية..،** م.س. ص183

[5] - انظر، محمد العربي ، **مرآة المحاسن ،** م.س، ص ص 122 - 156 .

أما مكان الاجتماع فيكون في الزاوية لا في المسجد إلا لأمر عارض. وقد رتب لها ثلاثة أوقات: الأولى بعد صلاة الصبح، والثانية في العشي، والثالثة بعد المغرب[1]، وهي كالآتي:

- وظائف الصباح[2]: تضمنت حزب الفلاح، المسبعات العشر، المعشرات التسع، ووظيفة الشيخ زروق، والحزب الكبير للشاذلي .
- وظائف العشي[3]: وهي المسبعات، ووظيفة الشيخ زروق، إلا أنه يقال مكان: أصبحت وأصبحنا وما أصبح : **"أمسيت وأمسينا وما أمسى" .**
- وظائف ما بعد المغرب: تضمنت الصلاة المشيشية[4] .

كما اتخذ الشيخ أورادا خاصة للأيام والليالي الخاصة ، كوظائف يوم الجمعة ، ويوم عرفة[5] .

- **وضعية الزاوية:**

تعتبر الزاوية الفاسية الآن مؤسسة للصلاة تقام بها الصلوات الخمس بوجود المسجد المعلق الذي كان تابعا لها، وهو كل ما تبقى من الزاوية التي لم يعد يظهر لها أثر ولا أي شاهد يدل عليها، أو حتى شاهد لجامعها، فحين كنا بصدد البحث الميداني ونسأل سكان الحي عن الزاوية، كان الجميع يجيبنا عن تلك التي بالقلقليين، وعند البحث لم استدل عليها إلا من خلال تحديد الموقع كما جاء في المصادر، بأنها تقع بمدخل حومة المخفية، وكانت مئذنة المسجد هي الدليل على مكانها (انظر الصورة) .

وفيما يخص خبر اتخاذ الزاوية ضريحا، فهو خبر صحيح؛ فالشيخ أبو المحاسن حين توفي دفن بمقبرة باب الفتوح من فاس[6]، من الجهة العليا ، فتحول قبره بعد ذلك روضة لآل الفاسي .

---

[1] - انظر، محمد العربي ، **مرآة المحاسن ،** م.س،.ص ص 45-55

[2] - **المصدر نفسه** ، ص ص 122 - 129

[3] - انظر، **المصدر نفسه** ، ص 130

[4] - **المصدر نفسه** . الصفحة نفسها .

[5] - **المصدر نفسه** ، ص 131

[6] - سنخصها بالبحث ضمن الفصل الثاني الخاص بتراث الأضرحة .



منارة مسجد الزاوية (المسجد المعلق) بحي المخفية

ب- زاوية القلقليين (زاوية سيدي عبد القادر الفاسي)

تعرف هذه الزاوية **ب "زاوية سيدي عبد القادر الفاسي"**، وهي تقع بحومة القلقليين، وهي الفرع الثاني للزاوية الفاسية. تأسست على يد الشيخ عبد الرحمن العارف سنة 1027هـ فصارت هي الزاوية الرسمية للطريقة الفاسية، وصفها القادري "**بأنها من أعظم مزارات فاس**"[1] .

وقد جاء سياق تأسيسها بعد وفاة الشيخ أبي المحاسن، حين كثر الوافدون على زاوية المخفية الذين كانوا يأتون لوارث الشيخ وهو عبد الرحمن بالعارف، فانتقل بداية بأصحابه إلى المسجد المجاور لداره وهو المسجد المعلق الذي بوادي الشرفاء من فاس القرويين، قبل أن يأذن ببناء الزاوية، فبناها بمدخل حومة القلقليين أمام داره وحول المسجد المذكور[2]. يروي صاحب "المقصد الأحمد" عن بداية تأسيس الزاوية فيقول: "**وكان بعد وفاة سيدي يوسف يجلس (يقصد الشيخ عبد الرحمن العارف) بجامع القرويين ومعه سيدي محمد بن عبد الله هو أول من تبعه وعرف خلافته بعد وفاة سيدي سيدي يوسف، ثم جعل الناس من أصحاب أخيه وغيره يأتون إليه واحدا واحدا ، ويجتمعون عليه هنالك حتى كثروا، ثم انتقل عنهما لسبب اقتضى ذلك فجلس لأصحابه بالمسجد المجاور لداره وهو المسجد المعلق الذي بوادي**

[1] - محمد القادري ، **نشر المثاني...، م.س.** ج3 ص 152

[2] - محمد الصغير الفاسي، **المنح البادية ...،** م.س.ج1، (قسم الدراسة)، ص54

الشرفاء من فاس القرويين وابتدأ أصحابه قراءة الأحزاب هنالك، ثم أذن ببناء الزاوية فبناها بباب حومة القلقليين أمام داره وحول المسجد المذكور سنة سبع وعشرين وألف. وقيل له يوما إن فلانا رجلا من أهل الرياسة والفساد يهدد بهدمها لما يرى من عزة أهل ناحيتها بسببها، فقال ر ضي الله عنه: «إذا أنا بنيتها فالله يعطيها الهدم»، يشير إلى مضمون وما فعلته عن أمري"[1]. وقد كان أساس الأرض التي بنيت عليها الزاوية، دار في ملك علي البحري الأندلسي دفين روضة الأنوار خارج باب الفتوح وتهدمت بعد وفاته سنة 980هـ/ 1573م. وفي سنة 1027هـ وهبت لعبد الرحمن بن محمد الفاسي الذي بناها زاوية يجتمع فيها أصحابه للصلاة والذكر[2]، وجعلها تامة المرافق، فأجرى إليها الماء في سقاية بديعة الصنع ينصرف إلى المطاهر ومواضع الوضوء، ويجتمع الناس بذلك المجتمع للصلاة معه والأخذ عنه، وحضور مجالسه والتبرك به، وقراءة الأحزاب، وتلقين أصول الطريقة الفاسية[3] .

ولم يغفل الشيخ العارف عن الاعتناء بالجانب العلمي، بل إنه اجتهد في المحافظة عليه سائرا على نهج الطريقة الفاسية لزاوية المخفية، فكانت استمرارا لما درأت عليه من التعبد والتعليم وممارسة الشعائر الصوفية، إذ ظلت الزاوية مفتوحة لمجالس الدرس خاصة في علمي التفسير والحديث، فكان للشيخ العارف في ذلك مشاركة حقيقية "حيث **كان يجلس فيها لنشر العلم وإقرائه وتربية أصحابه وفقرائه فأفاد الطريقين ونفع الفريقين ، فكان يقرأ فيها الحديث والتفسير والتصوف وغير ذلك، ويفرد لأصحابه المنتسبين إليه مجلسا يدلهم فيه على الله ويرشدهم إليه .... .وكان يقول: [بب يشو] يعني سيدي يوسف أمكن مني وأنا استولت علي الحقيقة"**[4] .

ولاستمرار أدوار الزاوية حرص الشيخ العارف على تخصيصها بأوقاف ، ومنها الوقف الخاص بقراءة القرآن وقراءة الأحزاب والأوراد[5] ، كما فتحها لإطعام الفقراء والمساكين، وذلك من خلال المناداة في الناس فكان نداؤه يلقى الاستجابة، فيهب المانحون ويأتي الفقراء ويتم الإطعام فيها[6] .

وقد عرفت زاوية القلقليين أوج نفوذها مع تولي الشيخ عبد القادر الفاسي شؤونها بعد الشيخ العارف، فصارت بعده لا تعرف إلا باسمه، فحرص على أن تظل على نفس النهج العلمي والتربوي طيلة عهده بها، فازداد بذلك الإقبال عليها وعلى الطريقة الفاسية، من تربية المريدين، وتدريس العلوم، وإعمارها بالذكر والعبادة، فوقع فيها بث العلم ونشره وتدريسه، وانتفع فيها جم غفير، حيث كان الشيخ عبد القادر يحرص على الجلوس مع المريدين في الزاوية بين العشاءين، للإفادة والتعلم، وذلك بقراءة كتب الحديث، والتفسير، ورسالة أبي زيد القيراواني[7] . واستمر الحال مع ابنه الشيخ محمد بن عبد القادر

---

[1] - عبد السلام القادري، **المقصد الأحمد....** ، مخ الخزانة ، م.س. ص 525

[2] - عبد الله بن محمد الفاسي، **الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر**، م.س.(قسم الدراسة)، ص7 .

[3] - انظر ، محمد العربي الفاسي ، **مرآة المحاسن**...، م.س. ص209

[4] - عبد السلام القادري، **المقصد الأحمد....**، م.س. ص 526 -527

[5] - نفيسة الذهبي، **الزاوية الفاسية – الوظيفة والأدوار**، ص183

[6] - انظر، **المرجع نفسه** ص182- 183

[7] - انظر، عبد القادر الفاسي، **الأجوبة الصغرى...**، م.س. (قسم الدراسة) ص ،38

الفاسي، فمما رُوي عن جلساته داخل الزاوية من طرف معاصريه، ما جاء في نصوص الشيخ العربي بن أحمد الفشتالي، وأورده صاحب "المورد الهني" : "**الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله ، وفي ليلة 27 من رجب المبارك سنة 1082هـ ، بدأ شيخنا أبو عبد الله محمَد(بالفتح) ابن الشيخ أبي محمد عبد القادر الفاسي قراءة تفسير القرآن والرسالة بين المغرب والعشاء في أشهر الشتاء بزاويتهم الشهيرة بالقلقليين، وفي السنة التي قبلها كان يقرأ الرسالة فقط، وذلك فيما حدثني به غير واحد من أصحابنا بإذن الشيخ الإمام والده**"[1] ، كما أقيمت بها الصلوات لسائر الأوقات الخمس التي تصلى بها، ويتكرر ذلك منهم آخر الليل، وفيها الأوقاف على قراءة أحزاب القرآن[2]، فأمّها الحضري والبدوي على السواء، ونالت الصدارة بين الزوايا نظرا لنشاطها العلمي في عهده، لتزداد شعبيتها .

وقد عرفت الزاوية عدة تغيرات في معمارها، "**فحين اختطها عبد الرحمن بن محمد الفاسي كانت أصغر مما هي عليه بعد إعادة توسيعها نحو ربعها، فهدمها المولى إسماعيل بعد حصار أهل فاس وزاد فيها طولا مما هي عليه من إتقان البناء وقوة المياه، والمنافع والمرافق والأوقاف**"[3]، كما عرفت ترميما وتوسعة للمرة الثانية خلال عهد الشيخ عبد القادر الفاسي، بسبب الإقبال الكبير الذي لحقها، فضلا عن تزامن ذلك مع طبيعة العلاقة التي غدت لها مع السلطة[4]، حيث أصدر السلطان مولاي إسماعيل أمره إلى نائبه بشراء بعض الدور المجاورة لها فهدمت وزيد فيها[5]، فتضاعفت مساحتها أربع مرات مما كانت عليه في السابق مع بناء المنارة الخاصة بالآذان، وفتحت في وجه المصلين لتأدية الصلوات الخمس[6]، إذ لم يبق من مبانيها القديمة إلا حائطها المقابل للدار من البناء وحائط القبلة من البناء الأخير. وقد كانت الزيادة مرفقة بجلب الماء وتجهيز المرافق[7]، كما أمر بإنشاء منارتها وتخصيص الأوقاف لتسييرها[8]، فرجعت ذات حسن وتوسيع وإتقان بديع[9]؛ ولم يكن عمله ذاك إلا جزاء على صلاة الاستسقاء المجابة التي قام بها عبد القادر الفاسي، بعد جفاف عرفه المغرب، فمنحها اعترافا بامتياز الحرم[10]، وهذا الدور مكنها من القيام بأدوار سياسية في سبيل الحفاظ على التوازن داخل مدينة فاس، وذلك برد الأمور إلى نصابها في حالة التمرد والعصيان، ورأب الصدع بين الفئات الموجودة بالمدينة كونها غدت ملجأ يلوذ به كل ثائر أو شاق عصا الطاعة، بحيث يصبح بمنجاة من نقمة السلطان مادام محتميا بحرمها[11]، وإن هذا التطور على

---

[1] - امحمد بن أحمد الفاسي ، **المورد الهني**....، م.س. ، ص27

[2] - انظر ، محمد القادري ، **نشر المثاني..** م.س. ج3 ص 153

[3] - انظر ، **المصدر نفسه** ، الصفحة نفسها .

[4] - انظر، محمد العربي الفاسي، **مرآة المحاسن...** ، م.س. **(قسم الدراسة)**، ص29

[5] - عبد الله بن محمد الفاسي، **الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر** ...، م.س. (قسم الدراسة)، ص7 .

[6] - محمد القادري، **نشر المثاني...، م.س.** ج2 ص ص 251-252 ، محمد العمراني، **مؤسسة الحرم.في تاريخ المغرب ، دراسة تاريخية لمسألة الإحتماء بالمؤسسات الدينية والاجتماعية خلال الفترتين الحديثة والمعاصرة** ، مطبعة انفو – برانت فاس، ط1 ، سنة 2014م. ص 158

[7] - نفيسة الذهبي، مظاهر وتجليات ...، ضمن ندوة "**فاس والمجالات الحضرية بالمغرب**" م.س. هامش رقم 1 ، ص131

[8] - **المرجع نفسه ،** الصفحة نفسها

[9] - محمد القادري، **نشر المثاني**...، م.س. ج1 ص 269

[10] - **المصدر نفسه،** ج3 ص ص 152- 153 ؛ عبد الأحد السبتي ، **النفوذ وصراعاته في مجتمع فاس**، م.س. ص64

[11] - عبد الله بن محمد الفاسي، **الإعلام بمن غبر ...**، م.س. (قسم الدراسة) ص7

مستوى وظيفة الزاوية وفي إطار علاقتها بالسلطة المخزنية، مكنها من الاستفادة من بعض الإمتيازات المخزنية، كالأوقاف التي كانت في شكل ممتلكات محبسة على قراءة الأحزاب والأوراد وبث العلم ونشره[1].

وقد مرت هذه الزاوية بعد وفاة السلطان مولاي إسماعيل- طيلة مرحلة "الفترة"-، بمرحلة اختبار عسيرة، إلا أنها تمكنت من الصمود في وجه المحن والقيام بأدوارها العلمية والدينية؛ حيث يورد القادري نزرا مما عرفته خلالها قائلا: "**ولما ابتلى الله تعالى المسلمين بمسبغة عام خمسين ومائة وألف (1150هـ/1737م) وخرجت الناس من فاس إلى غيرها من البلاد ، كانت الزاوية تحت تصرف الشيخ محمد بن أحمد ابن عبد القادر الفاسي، الذي ثبت بفاس وصبر صبر المحتسبين لله ، فعمر زاويتهم التي في القلقليين وأخذ في مصالحها وإصلاح أوقافها ، وكلما كسر منه شيء جبره خشية أن تسقط أصولها كما نهبت كتبها، وإن باع قبرا بها اشترى به ربعا وصرفه وقفا عليها، لأنه كان يرى أن ثمن المقابر لايضم إلى الصدقة التي تجيء إلى الضريح ويصرف الجميع على أولاد صاحب الضريح (أي أولاد الشيخ عبد القادر الفاسي) ، لأن الزاوية وقف على أصحاب صاحب الضريح يجتمعون فيها ويتداولون فيها الأوراد والأحزاب، كما المدرسة وقف على طلبة العلم**"[2] .

كما عرفت هذه المرحلة أزمات داخلية بخصوص تدبير أوقاف وصدقات الزاوية، تمثلت في الخلاف الذي وقع بين أبناء أحمد بن عبد القادر الفاسي حول ثمن مقابر الزاوية التي تباع [3]، هل يجب اعتبارها وقفا على الزاوية، أم يجب أن تذهب صدقات على من تصرف عليهم من أولاد الشيخ عبد القادر الفاسي، حيث اعتبر الشيخ محمد بن أحمد بن عبد القادر أن كل ما يدخل للزاوية فهو وقف عليها، وذلك منذ أن أوقف عليها السلطان إسماعيل أوقافا مخالفا موقف أخيه أبي مدين الذي كان يرى أنها صدقات على أبناء صاحب الضريح، فكانت حجة الشيخ محمد أن الزاوية ليست من الميراث، وبالتالي كل ما يردها من أموال أو غير ذلك، أو ما بيع منها من مقابر مما يشكل موارد الزاوية، فهي وقف على الفقراء، فيجري الحكم في ثمن المقابر أن تشترى به الرباع وتوقف على الزاوية، وقد أيده في ذلك والده بعد أن رجع من تطوان، فكان والده يبيع المقابر ويشتري بثمنها الرباع وتوقف على الزاوية ، إلى أن توفي ، فأراد أخو الشيخ محمد بن أحمد وهو أبو مدين أن يجري ثمن المقابر على من تصرف عليه الصدقة التي تجبى إلى الزاوية، فامتنع من ذلك محمد بن أحمد وقال له:"**إن كانت الزاوية وقفا على الفقراء يجتمعون بها فليس لمن تصرف عليه الصدقة التي تجبى إليها أخذ ثمن المقابر التي تدفن بها وإنما هي وقف عليها مثلها ، وإن كانت ميراثا من سيدي عبد الرحمن فليس لمن تصرف عليه الصدقة إلا نصيبه من ذلك، وإن كانت ابتناها السلطان من بيت المال فليس لمن تصرف عليه الصدقة أن يبيع المقابر إلا بإذن السلطان**

---

[1] - انظر، القادري ، **نشر المثاني..م.س.** ج2 ،ص ص 251-252 ؛محمد الكتاني، **سلوة الأنفاس.....** ، م.س. ج1 ، ص ص 355 – 371 ؛ محمد العمراني، **مؤسسة الحرم...**، م.س. ص 158

[2] - محمد القادري ، **نشر المثاني**، م.س. ج4 ص 166

[3] - لمعرفة المزيد عن هذه الواقعة ، انظر، القادري ، **نشر المثاني** ، ج4 ، ص 166-167

وليس الآن عنده إذن في ذلك"[1] ، إلا أن الشيخ أبا مدين لم يقتنع بموقف أخيه، وبعد مشورة أهل العلم، تم الاتفاق على أن ثمن ما تباع به المقابر يشترى به الرباع وتكون وقفا على الزاوية المذكورة، وإن افتقرت الزاوية إلى الإصلاح يصرف من ثمن المقابر في مصالحها، إلا أنه، وبعد وفاة الشيخ محمد بن أحمد الفاسي، قام خليفته على الزاوية وهو الشيخ أبو مدين بضم ثمن المقابر إلى الصدقة التي تجبى إلى الزاوية ويصرف الجميع على من صرفت عليه[2].

- **أوراد الزاوية :**

سارت زاوية القلقليين على نهج الطريقة الفاسية في إقراء نفس الأوراد ، عدا بعض التغييرات التي أدخلها الشيخ العارف على وظيفة الصباح دون غيرها، **حيث** أسقط منها المعشرات، والوظيفة الزروقية، وحزب الشيخ أبي عبد الله الجزولي[3]، وأبقى على "**المسبعات"، و"حزب الفلاح"، و"الحزب الكبير"** للإمام الشاذلي ، وزاد فيها **الهيللة (أي لا إله إلا الله)،** والاسم المفرد **(أي اسم الجلالة)**، وكانت البداية هي قراءة الأحزاب، تليها قراءة الهيللة خمسمائة مرة، يقولون بعدها **"محمد رسول الله عليه سلام الله"** عشرا أو نحوا من ذلك، ثم يأخذون في ذكر "**الاسم المفرد**" خمسمائة مرة ، يقولون وسطها وآخرها "**محمد رسول الله عليه سلام الله** "، ثم يختمون بقولهم : "**اللهم احينا عليها وأمتنا عليها وثبتنا عليها عند الشدائد"** (كذا) ثلاثا، و"**لا إله إلا الله**" مرة واحدة، ثم يقرأون **"الفاتحة"** وينصرفون[4].

وأصل هذا التغيير الذي أقره الشيخ عبد الرحمن هو أنه أدى صلاة التراويح مع أصحابه ليلة السابع والعشرون من رمضان سنة 1015هـ/1607م، حيث صلوا صلاة الصبح، فأمرهم بذكر ما في حفظهم من حزب الشيخ أبي المحاسن، فلم يحضر فيهم من يحفظ "المعشرات" أو "الوظيفة الزروقية"، فقرأوا ما في حفظهم فلم تطلع الشمس، فأمرهم أن يزيدوا "لا إله إلا الله" خمسائة فنظروا فإذا الشمس لم تطلع بعد، فأمرهم أن يزيدوا اسم "الجلالة"، فاستمر العمل على هذا النحو بعد ذلك[5] .

وظيفة مابين العشاءين: تقرأ بعد صلاة المغرب، وقد اشتملت على "**حزب الفلاح" و"الجيلانية"** (وهو ذكر سيدي عبد القادر الجيلاني)، ثم "**الصلاة المشيشية"**. وقد حافظ الشيخ عبد الرحمن على إضافة عبارة "**حسبنا الله ونعم الوكيل"** سبعين مرة بين حزب الفلاح والصلاة المشيشية-وذلك بعد أن قررها الشيخ أبو العباس أحمد بن أبي المحاسن- . ويعرف هذا الحزب **ب"حزب الإدارة"** لكونهم كانوا يجلسون

---

[1] - القادري ، **نشر المثاني...** ،م.س. ج4 ، ص 167 .

[2] - انظر، **المصدر نفسه** ، ص 167

[3] - العربي الفاسي ، **مرآة المحاسن...** ، م.س. ص209

[4] - نفيسة الذهبي ، **الزاوية الفاسية –الوظيفة والأدوار** ، م.س. ص181

[5] - **المرجع نفسه** ، ص182

بشكل دائري أثناء القراءة[1]. أما طريقة القراءة فقد تميزت بنظام معين بحيث تبدأ قراءة "**حزب الفلاح**" بتخفيف غير مكلف ولايبدأ الجهر إلا مع ترديد "**الهيللة**"[2] .

ويرجع سبب قراءة حزب الشيخ عبد القادر الجيلاني داخل الزاوية الفاسية الشاذلية،-حسب محمد حجي-، إلى أمرين: أولهما، أن العديد من شيوخ الشيخ زروق يرتفع سندهم إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني، وثانيهما أن الشيخ عبد الرحمن العارف يتصل سنده بالشيخين الجزولي وزرق معا[3] .

وعموما، فإلى جانب هذه الأوراد والأحزاب، دعا الشيخ العارف إلى القيام بمجموعة من النوافل التي عرفت عند أهل الطريقة باسم "الورد الشرعي"[4]، تتمثل في إقامة ركعتين عند الفجر، وثلاث عشرة ركعة في الليل أولها الشفع والوتر، وست في الصبح، وأربع قبل الظهر، وأربع قبل العصر، وركعتان عند المغرب، وكانت النوافل الليلية تمدد أو تقصر حسب الفصول[5].

وقد استمرت الزاوية خلال عهد الشيخ عبد القادر الفاسي على نهج نفس السلوك الصوفي، من إقامة أحزاب الأوراد كما أقامها بها سيدي عبد الرحمن بن محمد الفاسي[6]، مع تصرف بسيط في بعضها إذ حاول الشيخ عبد القادر أن يقرب من خلال أسلوبه نهج الطريقة الفاسية، كما أنه لم يكن يتقيد في طريقته بورد معين[7]، حيث كان لا يتشدد في ترتيب الأوراد، ويعامل كلا حسب طاقته "**إذ كان يقول : الهر لا يطيق حمل جمل**"[8] ، دلالة وإشارة منه إلى أن بعض المريدين لا يقدرون على حفظ تلك الوظائف الطويلة والكثيرة، كما كان مع تحفظ أصحابه على حفظ أحزابهم لا يضيق كل التضييق لمن لا يطاوعه لسانه[9]، وهو ما استنتجه محمد حجي بالقول بأن الشيخ عبد القادر الفاسي كان صوفيا متحررا لكونه يختار من كل ما يراه صالحا، إذ كان كثيرا ما يستشهد بقوله تعالى "وأمر قومك يأخذوا بأحسنها"[10] .

وعموما، فقد كان المريدون يجتمعون في الزاوية الفاسية للذكر مرتين في اليوم، فيقرؤون وظائف الصباح بعد صلاة الصبح إلى طلوع الشمس، وقد يقرأ بعض المريدين حزبين من القرآن الكريم، ثم يجتمعون بعد صلاة المغرب فيقرؤون وظائف ما بين العشاءين، يقول أبو زيد عبد الرحمن الفاسي بخصوص الأوراد التي رتبها الشيخ عبد القادر لأصحابه: " **لهم العادة في الأوراد النهارية والليلية من حزب ونوافل... حيث يجلس الفقراء بعد صلاة المغرب لقراءة الحزب وهو حزب الفلاح للجزولي، وحزب**

---

[1] - نفيسة الذهبي ، **الزاوية الفاسية...،** ص182

[2] - **المرجع نفسه،** الصفحة نفسها

[3] - محمد حجي، **الزاوية الدلائية** ، م.س. ص 62- 63

[4] - نفيسة الذهبي ، **الزاوية الفاسية –الوظيفة والأدوار..،** م.س. ص 182

[5] - **المرجع نفسه** ، هامش رقم 33 ص182

[6] - انظر ، محمد القادري ، **نشر المثاني..، م.س.** ج3 ص 153 ،

[7] - انظر، الحسن الويشمي ، **تحفة الأكابر...، م.س.** القسم الأول، ص 82

[8] - **المصدر نفسه ،** القسم الثاني ، ص 323

[9] - **المصدر نفسه** ، الصفحة نفسها .

[10] - محمد حجي، **الزاوية الدلائية ..** ، م.س. هامش رقم 66 ص 62

سيدي عبد القادر الجيلاني، وصلاة عبد السلام بن مشيش"[1] ، وبعد صلاة الصبح "**يجلسون لقراءة حزب الغداة إثر صلاة الصبح إلى طلوع الشمس** "[2] ، وقد تضمن هذا الحزب "حزب الغداة " مجموعة من الصلوات والأحزاب وهي: قراءة "**حزب الفلاح للجزولي**" ، و"**المسبعات**"، و"**الحزب الكبير**"، ثم قراءة "**لا إله إلا الله**" خمسمائة مرة ، ثم "**محمد رسول الله**" عشرا ، ثم ترديد اسم "**الجلالة**" خمسمائة مرة ، ثم قول "**محمد رسول الله**" في أثنائه ما تيسر ، ثم قول "**اللهم احينا عليها يا مولاي وأمتنا عليها يا مولاي وثبتنا عليها يا مولاي عند الشهادة** "، والرجوع إليها ثلاثا ، ثم يختمون ب "**لا إله إلا الله**" مرة ، ويقرأون "**الفاتحة**" ، ثم يقرأ جماعة منهم حزبين من القرآن، وإن كان الشيخ يقرأ حديثا أو غيره من الكتب قبل حزب القرآن[3] .

أما طريقة القراءة فقد اتخذت شكلا مختلفا عما كان سابقا في عهد الشيخ عبد الرحمن العارف، وذلك بدمج السماع في قلب القراءة إذ **"كان قبل افتتاح الأوراد والتي كان ترتيلها بالسماع، رتب لأصحابه عن إذنه حزبا من القرآن بعد حزب الغداة يختمونه مع تمام كل شهر، ورتب جماعة آخرون بمرآى منه ومسمع حزبا آخر مثل ذلك بالعشي، وكان يبتهج بذلك ويستحسن قراءتهم ويصغي إليها، ولا يستعملون شيئا من السماع حتى يقدموا قبله قراءة القرآن أو بعده أو فيهما"**[4] .

- **السماع بالزاوية**

اعتمد السماع ضمن الطريقة الفاسية، وذلك منذ تأسيس زاوية القلقليين، أي منذ عهد الشخ عبد الرحمن العارف، يقول أبو زيد الفاسي في كتابه "تحفة الأكابر" :"**أن الشيخ العارف كان جماليا فكان أصحابه يكثرون السماع ويستعملونه بمحضره وتطيب فيه أوقاتهم وكان يعجبه منه كلما أشار إلى الوحدة والتحقيق، وله كلام بديع في الطريق وإشارات عالية وحكم سامية لا يسعنا إيرادها وتتبعها وتعدادها، وأكثر ما مبثوث في تصانيفه"**[5]. فكان بذلك هذا الأمر تمهيدا لما سيكون عليه الحال مع الشيخ عبد القادر الفاسي ومن بعده، حيث كان المنشدون يميلون لإضافة اللحون للترنم بالأمداح النبوية والأشعار الصوفية بحضرة الشيخ عبد القادر الفاسي، ولا يستعملون شيئا من السماع حتى يقدمو قبله قراءة القرآن، يقول صاحب "تحفة الأكابر": "**كان الشيخ يحب السماع وخاصة في المولد النبي**ﷺ **، وكان يجب كلام الششتري وقراءته باللحون، وكلام سيدي عبد الرحمن المجذوب وغيره ولا ينكر شيئا من ذلك ، ولا يحب آلة مع**

---

[1] - الحسن الويشمي ، **تحفة الأكابر...، م.س.** القسم الثاني ، ص 322

[2] **- المصدر نفسه** ، الصفحة نفسها

[3] - الحسن الويشمي ، **تحفة الأكابر**....، م.س. القسم الثاني ، ص325

[4] - **المصدر نفسه** ، ص ص 320- 321

[5] - عبد السلام القادري، **المقصد الأحمد...،** م.س. ص527

ذلك لا مكروهة ولا مباحة"[1] ، كما كان يرخص في الرقص ولكن لذى حال غالب، ومع ذلك يأمر بالسكون، وينهى عما يؤثر في العقول من السماع[2] .

أما في المناسبات الدينية فقد حافظ الشيخ على نفس العادات فكان يتم إنشاء المقطعات، ويستعمل السماع واللحون الحسنة بدون آلة[3] ، ففي عيد المولد النبوي كانت جماعة المسمعين تحضر قاطبة زاوية الشيخ عبد القادر الفاسي عند الصباح ويتمون فيها نوبة كاملة بدون آلات لكنهم كانوا يوسدون أي يضربون يدهم اليمنى على راحة اليسرى ...[4]، "**ولم يكن يمنع شيئا في الفرح بالمولد النبوي من الرقص والشطح... مستندا لموقف جده أبي المحاسن أنه قال ليلة المولد لأصحابه: واجب علينا فيه أن نخرج وأن نرقص فيه وأن نشطح ، فهام أصحابه وقاموا يشطحون، أما الصياح والزعق فكان يسكت عنه لمن يتوسم فيه الغلبة ، ويزجر عنه برفق ...**"[5] .

- **وضعية الزاوية :**

تعتبر الزاوية الفاسية الآن مسجدا وزاوية ومدفنا، حيث اتخذت مدفنا لمجموعة من الشخصيات الفاسية منذ دفن الشيخ عبد القادر الفاسي داخلها، من أولاده وأصحابه وغيرهم[6] .

أما بخصوص قسم الزاوية فقد عرفت خلال القرن 19م ، تراجعا عن أدوارها التي أنيطت بها، وهو ما انعكس على حجم الإشعاع الذي بدا خافتا من خلال غياب جانب التأليف عنها أو عن رجالها، فغياب مصادر تؤرخ لهذه المرحلة وما بعدها، لدليل على هذا التراجع، وهو واقع لم يكن يخص فقط الزاوية والطريقة الفاسية بقدر ما كان يخص تراجع الحركة الصوفية بالمغرب ككل أنذاك ، وهذا أثر على وضعها بالوقت الراهن، حيث أن ما بقي لها من مكانة لا يتجاوز قيامها ببعض الأدوار والوظائف؛ من إقامة الصلوات، و إحياء طقوس الطريقة الفاسية في المناسبات، من خلال مجالس الذكر والسماع في ليالي الجمعة وأيامها، و ليالي القدر وعيد المولد النبوي، وقد ذكر محقق "مرآة المحاسن"، أنه إلى غاية سنة (2002/1423) تعتبر الزاوية من أنشط الزوايا الفاسية بالمغرب، حيث يقام بها حفل المولد النبوي الشريف مرة كل عام (ضحى يوم 12 ربيع الأول)[7] ؛ ونضيف أنه وإلى غاية وقت قريب فقد كانت الزاوية لاتزال تقوم بهذه الأدوار، مع إيواء للطبلة، فخلال زيارتي لها عند سنة 2009م، كانت الزاوية مفتوحة للعموم للزيارة والصلاة، تقام بها الصلوات الخمس، وقد اعتني بها بشكل ملحوظ (**انظر الصورة**)، وقد سألت القائم بشؤونها حول أنشطتها الدينية[8]، فأخبرني أنها تشهد إحياء لليالي خلال المناسبات الدينية

---

[1] - الحسن الويشمي ، **تحفة الأكابر**....، م.س. القسم الثاني ، ص 321 ؛ انظر، محمد حجي ، **الزاوية الدلائية...**،م.س. ، ص63

[2] - عبد الرحمن الفاسي، **المصدر نفسه** ، ص 321

[3] - نفيسة الذهبي ، **الزاوية الفاسية- الوظيفة والأدوار...**، م.س. ص 182

[4] - عبد الهادي التازي ، **دور الطرق الصوفية في المحافظة على التراث الموسيقي العربي** ، مجلة **المناهل** ، عدد 13 ص ص 215- 216.

[5] - الحسن الويشمي ، **تحفة الأكابر ...**، م.س. ، القسم الثاني ، ص 321

[6] - انظر الفصل الثاني من الباب الثاني ، المخصص لتراث الأضرحة .

[7] - محمد العربي الفاسي، **مرآة المحاسن ..** ، م.س.، **(قسم الدراسة)**، ص29

[8] - كان لقائي به في تاريخ 14 يناير 2009م

بانتظام. إلا أنها حاليا لا تشهد أي نشاط، نتيجة أعمال الترميم والإصلاح التي تعرفها وذلك منذ سنة 2017م، وهو ما وقفت عليه خلال إحدى الزيارات الميدانية في شهر أبريل من سنة 2017م، ونفس الأمر وجدته عليها خلال زيارتي الأخيرة في شهر مارس من سنة 2021م.



الباب الخارجي للزاوية وشاهد اللوحةالموجودة على باب الزاوية





صحن الزاوية ، وباب مدخل سكن الطلاب للزاوية الفاسية (تعود لسنة 2009م)




صومعة مسجد زاوية القلقليين

2- زاوية الطريقة الفاسية المعنية

- الزاوية العبدلاوية (زاوية سيدي أحمد بن محمد بن عبد الله)

هي **الزاوية المعنية**، وهو الاسم الذي عرفت به منذ تأسيسها، إلا أنها الآن تعرف بالزاوية العبدلاوية، كما عرفت أيضا باسم **زاوية سيدي أحمد بن عبد الله** ، تقع بأقصى حومة المخفية. وقد أسست من طرف الشيخ محمد بن عبد الله معن الأندلسي، في حدود سنة 1048هـ/1638م[1]، وتعتبر الزاوية امتدادا للزاوية والطريقة الفاسية[2]. وعن الأصل في تأسيسها فيعود ، زمنيا، إلى لحياة الشيخ عبد الرحمن العارف الذي تروي المصادر : أنه كان يوما عند محمد معن الأندلسي بالعرصة المنسوبة إليه، فجعل ينظر في موضع الزاوية الآن – وقد كانت دارا لغيره- ويقول الأطراف موضع الأشراف[3]، فقام الشيخ معن بشراء الدار وبناء الزاوية على مساحة الدار والعرصة حينذاك[4]، وبعد بناء الزاوية بحومة المخفية

[1] - محمد القادري ، **نشر المثاني** ...، م.س. ، ج 3 ص 191- 192

[2] - سبق وتطرقنا إلى دور الزاوية المعنية في نشر التصوف الفاسي وعلاقتها برجال الزاوية الفاسية، انظر الفصل الأول من الباب الأول من الدراسة .

[3] - محمد المهدي الفاسي ، **ممتع الأسماع...** ، م.س. 197 ؛ ابن عيشون الشراط، **الروض العطر...**،م.س. ص 120

[4] - محمد المهدي الفاسي، **المصدر نفسه**، ص 198، عبد اللطيف الشاذلي ، **التصوف والمجتمع...** ، م.س. ص176

أُطلق على هذا الحي اسم" **رأس الزاوية**"، وقد جمعت الزاوية في أدوارها بين المسجد والزاوية، فنالت شهرة واسعة، نافست بها شهرة الزاوية الفاسية، فشكلت نقطة استقطاب بفضل دورها الديني والعلمي، ويمكن القول إن صيت الزاوية الفاسية، وعلاقة الشيخ محمد بن عبد الله معن بالشيخ عبد الرحمن الفاسي قد أفاد الزاوية المعنية، وإن كنا لا ننكر أهمية دورها العلمي والديني خلال القرن 17م بالخصوص.

وقد عرفت هذه الزاوية اهتماما بالجانب الديني والعلمي بالخصوص، وذلك على نهج الطريقة الفاسية، حيث يذكر صاحب "**مباحث الأنوار**" عن قيام الشيخ محمد للزاوية المعنية بالقول **"اذا حضرت زاويته رأيت فيها من العمارة ما يملأ السمع والبصر، فلا تخلو من كثرة علم وعمل دائما، وأصحابه مواظبون على أورادهم مشتغلون بما يعينهم ، .... وقد قام بوظيف الواردين ، مع أنه لا يقبل من أحد هدية ولا إرفاقا ، وإنما يطعم الناس مما رزقه الله تعالى ..."**[1]، كما لم تحد الزاوية في عهد الخلفاء على خط الشيخ المؤسس محمد بن عبد الله، فحافظت على الخط التربوي والتعليمي والديني لها، سائرة في ذلك على نهج الطريقة الفاسية التي جمعت بين العبادة والعلم والتصوف، خصوصا في عهد الشيخ أحمد بن محمد "**الذي أعاد بناء الزاوية المذكورة تجديدا من أساسها وسقفها واصلاحها سنة أربع بعد مائة وألف (1104هـ/ 1692م)، وصنع بها المحراب، ولم يكن بها قبل، وخزانة للكتب المحبسة عليها، وفتح الباب الأكبر الذي بغربها، وكان بناء ميضتها عام ثمانية وتسعين وألف (1098هـ/1687م)**"[2]، وبسبب هذا التجديد والإصلاح الذي قام به الشيخ أحمد صارت الزاوية تنسب له[3] .

وقد تمثل الدور الصوفي والعلمي والديني للزاوية، من خلال مناخ وأنشطة الزاوية اليومي، فبها تعطى الدروس، لاسيما في فنون الحديث والفقه والنحو، وتقام بها الصلاة، إذ كان من عادة محمد معن أداء صلواته في زاويته وجلوسه بعد الصلاة إلى أصحابه للنصيحة والتذكير[4]، كما استمر الحال مع خلفائه على الزاوية، حيث كان أحمد بن عبد الله يستقبل بها أصحابه، وتتلى بها أحزاب ووظائف وزعت على مختلف الأوقات وفق جدول محدد، وتعقد بها مجالس السماع، ويتذاكر في شؤون العلم مع الفقهاء، ففي كل خميس يزوره عدد من أعيان الفقهاء فيستضيفهم ليلة الخميس ويوم الجمعة، ويقيم المآدب بها، وهي عادة لم تكن تنقطع حتى حين كانت المدينة تعاني ويلات المسبغة[5]، حيث يروي القادري بعضا مما شاهده بخصوص هذه الزيارات، فيقول: **"كان فقهاء فاس يزورون الشيخ اليمني وأحمد بن معن ولاسيما يوم الخميس، ويجتمعون فيه كالموسم بالزاوية ، ولا يتخلف عنه أحد من أعيانهم، يبيت عنده**

---

[1] - أحمد الولالي ، **مباحث الأنوار ....**، م.س. ص 294

[2] - محمد القادري ، **نشر المثاني...م.س.** ، ج 3 ص 192

[3] - عبد الكبير الكتاني ، **روض الأنفاس العالية في بعض الزوايا الفاسية**، دراسة وتحقيق محمد العمراني ، الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس رقم 9 ، دار الأمان الرباط ، ط1 سنة 2014 ، م.س. ص234

[4] - انظر، محمد المهدي الفاسي ، **ممتع الأسماع**....،م.س. ص 173

[5] - انظر، محمد القادري ، **نشر المثاني..** م.س. ج3 ص 191

بالزاوية يوم الخميس وليلة الجمعة ويكرمهم بأنواع الأطعمة، ثم استمر مجيء بعض الأصحاب بعد موته يتعهدون ذلك"[1].

إلا أنه، وبعد وفاة الشيخ أحمد بن محمد معن، عرفت الزاوية المعنية مرحلة فتور وتراجع على مستوى أدوارها العلمية والصوفية، خصوصا في ظل الأزمة التي كانت تمر منها مدينة فاس، وحتى بعد انجلاءها (أي خلال مرحلة حكم سيدي محمد بن عبد الله)، لم يكن للزاوية حضور هام، بل استمر تراجعها طيلة القرن 18م ، وهو ما يفسر غياب جانب التأليف عنها وعن رجالها بعد الشيخ أحمد معن .

وعن القيام بتدبير شؤون الزاوية، فقد انتقلت المهمة بعد وفاة الشيخ محمد بن عبد الله معن إلى تلميذه وخليفته الشيخ قاسم الخصاصي، ومن بعده تولى الأمر ابن الشيخ محمد بن عبد الله وهو أبو العباس أحمد (ت1120هـ/1708م)، ومن بعده تولى شؤون الزاوية أبو بكر بن محمد بن محمد الخديم الدلائي (1149هـ/1737م) خلفا لشيخه أحمد بن محمد بن عبد الله معن، حيث قام بمصالح الزاوية، فخضع له كثير من أصحاب الشيخ أحمد[2] ، يقول القادري في شأنه "**فصاحب الترجمة ممن يقتدى به...لمعرفته بالطريقة، وبحثه عن المسائل العارضة ... وأخذه في كلها بالعلم عن أهله.."**[3]، وبعد وفاته توارث أبناء أحمد بن عبد الله معن القيام بشؤون الزاوية .

وعن تطور أدوار الزاوية ووظيفتها، فقد حافظت على نهجها العلمي، ولم تحد عنه، طيلة المرحلة الحديثة ، حيث رفض رجالها أن تصير الزاوية ضريحا لهم. ويمكن القول إن الشيخ ابن معن سار على نهج مؤسسي الطريقة والزاوية الفاسية؛ ونقصد الشيخين أبا المحاسن وعبد الرحمن العارف، اللذين حرصا على خلو الزاوية من الدفن. ولعل الأمر راجع لوجود المسجد للصلاة .

- **وضعية الزاوية :**

وعن تطور أدوار الزاوية بعد مرحلة القرن 18م ، يورد صاحب روض الأنفاس"عبد الكبير الكتاني" (المتوفى سنة 1350هـ/1931م)، أن الزاوية المعنية قد حافظت إلى وقت متأخر(حسب صاحب النص)[4] على بعض الوظائف، المتمثلة، خاصة، في التعبد، فهي لازالت معدة للصلاة، وإحياء شعائر التصوف[5] .

أما في في الوقت الحالي، فتعتبر الزاوية العبدلاوية مؤسسة للصلاة تقام بها الصلوات الخمس بوجود الجامع الذي غطى على دور الزاوية الطرقي وحتى الصوفي، حيث اقتصرت الزاوية على وظيفتها الدينية في حدود تخصيصها كمسجد للصلاة، مع إحياء الليالي والمناسبات الدينية بقراءة القرآن والذكر، كما تظل الزاوية مفتحة الأبواب مابين العشاءين من كل يوم. فكما أفادتنا به إحدى حفيدات الشيخ أحمد بن

---

[1] - محمد القادري ، **نشر المثاني..** م.س. ج3 ص 191

[2] - انظر، **المصدر نفسه** ، ج3 ، ص ص 383 - 384

[3] - **المصدر نفسه**، ج3، ص385

[4] - تاريخ الإنتهاء من تأليف الكتاب كان خلال سنة 1340هـ/1921م .

[5] - انظر ، عبد الكبير الكتاني ، **روض الأنفاس**... ، م.س. ص234

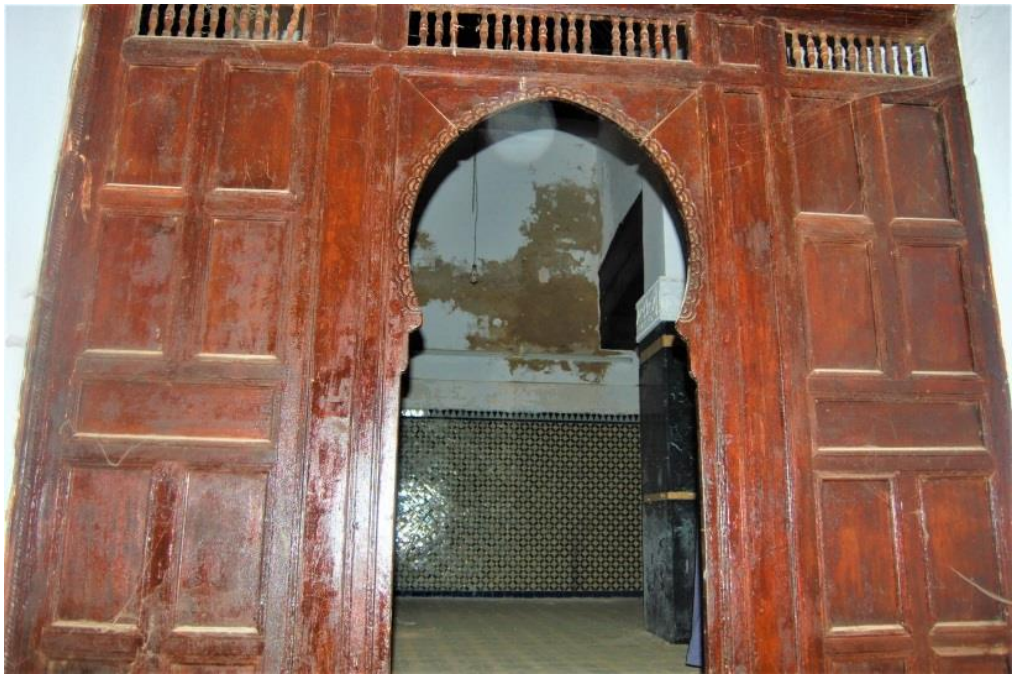
محمد[1]، وهي المسؤولة عن الزاوية، أن هذا ما كان عليه حال الزاوية قبل أن تغلق أبوابها في إطار المشروع الإصلاحي الذي تعرفه جل زوايا مدينة فاس، ومنها هذه الزاوية التي أغلقت قبل ثماني سنوات ولا تزال .

فخلال زيارتي الميدانية، لم أجد أي أثر أو شاهد يدل على الزاوية **(انظر الصورة)**، حيث صارت لا تعرف سوى بمسجد العبدلاويين؛ ومن خلال شكل الزاوية المعماري، فيبدو أنها قد حافظت على شكلها البسيط كما كان، وهو ما اتخذته الطريقة الفاسية من أول تأسيسها، محافظة على نهج التصوف العلمي ومجانبة البدع والمنكرات؛ وبخصوص المكتبة التي ذكرت بالمصادر، فهي لم يعد لها وجود سوى ما بقي من آثار مكانها على الحائط .



الباب الخارجي للزاوية العبدلاوية بحومة المخفية

[1] - كان اللقاء ، يوم 21 مارس 2021



الباب الداخلي للزاوية



محراب المسجد وخلوة الشيخ أحمد بن معن



صحن الزاوية والمسجد

المبحث الثاني: زوايا الطرق الشعبية

شهدت مدينة فاس خلال القرنين 17 و18م بروز عدد كبير من زوايا الطرق الشعبية، تلك التي لاقت شهرة واسعة فاقت شهرة الزوايا العلمية، خصوصا خلال القرن 18م، وهو ما يفسر انتشارها الكبير مع ما كان من شدة الإقبال عليها من عامة الناس، وحتى من خاصتهم. وقد ظهر هذا النوع من الزوايا منذ القرن 16م، إلا أن بروزه كظاهرة صوفية كان خلال القرن 18م، والذي يمكن تسميته ب"قرن التصوف الشعبي" .

وخلال هذا المبحث سنخص الحديث عن بعض الزوايا الشعبية التي تأسست بمدينة فاس خلال القرنين 17 و18م، ونقصد تلك الزوايا التي اعتمدت الطريق الصوفي كسلوك دون ربطه بالمدرسة العلمية التي تقوم على التدريس والتعليم لأصول الدين وفروعه، حيث تكتفي الزاوية بتلقين أصول الطريقة الصوفية، وإقراء الأوراد والأحزاب وتلقينها للأتباع والمريدين، وهنا لا نستثني فروع الطرق الصوفية الأم ذات الأساس العلمي كالناصرية والشرقاوية والوزانية، فبالرغم من السند العلمي الذي تأسست عليه، إلا أن فروع زواياها بمدينة فاس لم تلتزم به[1]، فحرصت على تبني الجانب السلوكي للتصوف، من قبيل جعل المسجد من مرافق الزاوية -وهي الخاصية التي ميزت الزوايا العلمية التي تأسست خلال القرن 17م-، وإقراء الأورارد والدعوة لنبذ المنكرات، إلى غير ذلك من سبل التصوف السني؛ وهو ما جعلها تبرز كزوايا شعبية، لذلك جعلناها ضمن هذا الصنف .

[1] - نشير في هذا الصدد وجود استثناء رافق تأسيس فرعي الزاوية الوزانية بفاس، وهي زاوية الحاج الرقعي، وزاوية قاسم بن رحمون، اللتان كانت تدرس بهما بعض أسس العلوم والفقه، لكن يبدو أن هذا الجانب لم يكن مؤسسا على المناهج التعليمية التي كان يعمل بها، مثلما كان الحال بالجوامع والمدارس المتخصصة والزاوية الفاسية في تحصيل الإجازات .

1- زوايا الطريقة الناصرية

نسبة للشيخ الناصري صاحب الزاوية الناصرية بتمكروت، وقد تمكنت الطريقة الناصرية من تأسيس قاعدة ناصرية بفاس، لتعرف توسعا وانتشارا عكس روح الطريقة الزروقية وتجذرها في مدينة فاس، باعتبار الانتماء الزروقي للطريقة الناصرية، وذلك من خلال استقطاب المريدين، فمن أتباعها نجد الشيخ القاضي العربي بن أحمد الفشتالي(ت1092هـ)، والذي بالرغم من أخذه العلوم عن مختلفي شيوخ الطرق الصوفية، ومنهم: الشيخ اليوسي، والشيخ عبد القادر الفاسي، إلا أنه اختار اتباع الطريقة الناصرية واتباع شيهخا أنذاك ألا وهو محمد بن محمد بن ناصر الدرعي(1085هـ)، وقد كانت له معه مراسلات، خاصة حين يستشكل عليه أمر من أمور دينه[1] .

وهذه المرحلة هي مرحلة الطريقة الناصرية في فاس من دون زاوية، ويمكن القول عنها، إنها كانت في سياق النهج العلمي للطريقة الناصرية الأم، وهو ما ستفتقده بعد تأسيس فروع لها بالمدينة .

وعموما، فقد توجه ذلك الاستقطاب بتأسيس عدد من الزوايا خلال القرن 18م، وهي: **الأولى**: بحومة زقاق الحجر. **والثانية**: بأوطا ابن فرقاشة بين حومة السياج وسويقة بن صافي، وهما من تأسيس الشيخ أحمد بن ناصر الدرعي[2]. **والثالثة**: وهي زاوية محمد بن إبراهيم الخياط، وإن كان في تأسيسها إشكال طرقي، كونها أسست دون إذن صاحب الطريقة أحمد بن ناصر الدرعي[3]. **والرابعة**: بحومة الزربطانة، والتي يجهل تحديدا تاريخ بنائها، إذ ورد ذكرها بالحوالة العبد الرحمنية سنة 1334هـ[4] .

وقد عبرت هذه الفروع عن ذيوع صيت الطريقة وكثرة أتباعها في فاس، كما عبرت عن التحول الذي مس عموم الطرق الصوفية خلال القرن 18م .

وقبل البدء في دراسة بعض هذه الفروع، لابد من تسجيل بعض الملاحظات حولها:

- إن الطريقة الناصرية في مدينة فاس، رغم كثرة فروعها حافظت على اسم الزاوية الأم، دون أن تحمل الفروع أسماء من أسسوها، وأشرفوا على نشر طريقتها .
- إن الطريقة رغم شهرتها وتمسكها بالنهج العلمي في سلوكها، إلا أنها ظلت محدودة الاستقطاب، حيث أن صيت وشهرة الطريقة الناصرية بمدينة فاس، لم يكن بحجم صيت الزاوية الفاسية والمعنية والوزانية .
- غياب التدوين عن هذه الفروع وعن رجالها، سواء ما اتصل الطريقة الناصرية الفاسية أو ما تعلق بسير رجالها، الأمر الذي يفسر تراجع شهرتها خلال القرن 19م .

---

[1] - انظر، نموذجا لهذه المراسلات ، القادري ، **نشر المثاني...** ، ج2، ص ص 298- 299

[2] - محمد القادري، **نشر المثاني...،م.س.** ج4 ص 211

[3] - **المصدر نفسه، ص** 212

[4] - انظر ، عبد الحق ابن المجذوب الحسبني، **الحالة الاجتماعية بفاس** ، م.س. ج1 ص 78

- إن هذا العدد الكبير من الفروع لم يعكس عمق الطريقة الناصرية الأم وروحها، إذ كانت هذه الفروع مجرد زوايا عبرت عن تصوف ظاهري .

وعموما، وكنتيجة لقلة المصادر التي تناولت هذه الزاوايا، فقد واجهتنا صعوبات في دراسة تطورها سواء خلال المرحلة المدروسة (17-18م) أو بعدها، لذلك سنركز حديثنا بشأن هذه الفروع على زاويتين: وهما زاويتي سيدي أحمد بن ناصر ومحمد بن إبراهيم الخياط، وذلك لأنهما الزاويتين المتبقيتان من الزوايا الناصرية في مدينة فاس من القرنين 17 و18م.

أ- زاوية سيدي أحمد بن ناصر الدرعي(ت1129هـ)

هي الزاوية الناصرية الأولى التي تأسست في مدينة فاس، أسسها ابن صاحب الزاوية الناصرية، وهو الشيخ أحمد بن محمد بن ناصر[1] ، وذلك بزقاق الحجر بدرب سيدي محمد الحاج بحومة العيون، وهي تقع تقريبا مواجهة للزاوية الدباغية. وقد حرص الشيخ أحمد في بناء الزاوية على بناء مسجد ضمن مرافقها، كدليل على أن زاويته هي زاوية دينية علمية صوفية، كما بلغ حرصه على أن يتولى بنفسه شؤون الزاوية والطريقة الناصرية بفاس، وذلك لمنح الطريقة بعدا روحيا ونفسا ناصريا؛ فمنذ تأسيسها تكلف الشيخ أحمد بتلقين أصول الناصرية لأتباعه بنفسه ، بدليل ما أورده القادري في "نشر المثاني" حين تناول سيرة الشيخ محمد بن الخياط (تلميذ أحمد بن ناصر)، بأن الشيخ أحمد كان موجودا بفاس حين أحدث زاويته وعنه أخذ تلميذه الخياط وجل تلاميذه أصول الطريق الناصري[2]. وحين عاد الشيخ أحمد إلى بلده درعة استمرت المراسلات أتباعه ولم تنقطع، مما يدل على الارتباط الذي كان لفرع الناصرية بفاس مع الزاوية الأم وشيوخها .

ولأن الطريقة الناصرية تقوم على نهج التصوف العلمي ومجانبة البدع، فقد التزم شيوخ هذه الزاوية ومريدوها بهذه الأسس، حيث تجنبوا حلق الذكر والرقص ولبس الخرقة، وكل المحدثات الأخرى مما أحدثها المتصوفة، وتمسكوا بقراءة الأذكار وقراءة القرآن والحديث النبوي والمحافظة على الأوقات[3].

وكما هي عادة أغلب زوايا القرن 18م، فقد خصت الزاوية الناصرية جزءا من مساحتها لدفم أتباعها .

وعموما، وكما سبق لا توجد معلومات كافية عن نشاط الطريقة الناصرية في فاس سوى ما ورد ضمن سير بعض الأعلام كشذرات متفرقة، الأمر الذي لا نستطيع معه معرفة مسار تطور هذه الزاوية من القرن 18م إلى الآن .

---

[1] - انظر ترجمته: محمد القادري ، **نشر المثاني ...**، م.س. ، ج3 ، ص ص 234- 235

[2] - انظر، **المصدر نفسه** ، ج4 ، صص 211- 212

[3] - انظر، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي، **طيب الأنفاس في تاريخ بعض زوايا وأضرحة فاس**، تحقيق عبد المجيد خيالي ، مطبعة الأمنية ، دار الأمان، الرباط ، ط1، دون سنة الطبع، ص ص69-70 .

والزاوية حاليا، وحسب ما أخبرنا القيم عليها[1]، بأنها تفتح للصلوات الخمس، وتحيى بها بعض بعض المناسبات، كليالي المولد النبوي، وليلة القدر، بترديد أذكار الطريقة الناصرية والصلاة على النبي المختار محمد ﷺ ، كما أنها على درجة من الاهتمام، سواء من حيث الأعتناء بمسجدها ومقبرتها ، أو من خلال ما يظهر من خلال الزخرفة التي تعلو معالمها على رأسها الزخرفة البديعة أعلى باب الزاوية، التي يبدو أنها تعود زمنيا للقرن الماضي .





مئذنة المسجد والباب الخارجي لزاوية سيدي أحمد بن ناصر الدرعي بدرب سيدي محمد الحاج بحومة العيون

[1] - كان اللقاء ، يوم 10 دجنبر 2019م .





النقش والزخرفة اللذان يعلوان الباب الباب الخارجي للزاوية



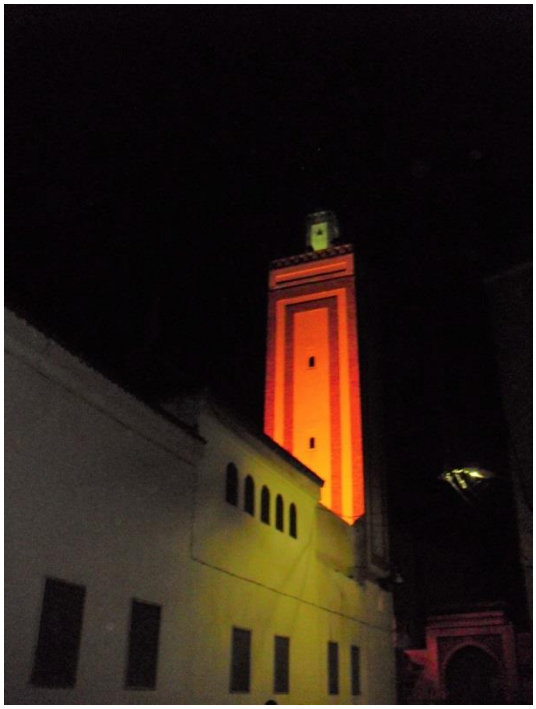
منبر المسجد ومحراب مسجد الزاوية



باب مسجد الزاوية



مدخل الزاوية حيث توجد العديد من القبور





مسجد ومئذنة سجد الزاوية

ب- زاوية محمد بن إبراهيم الخياط

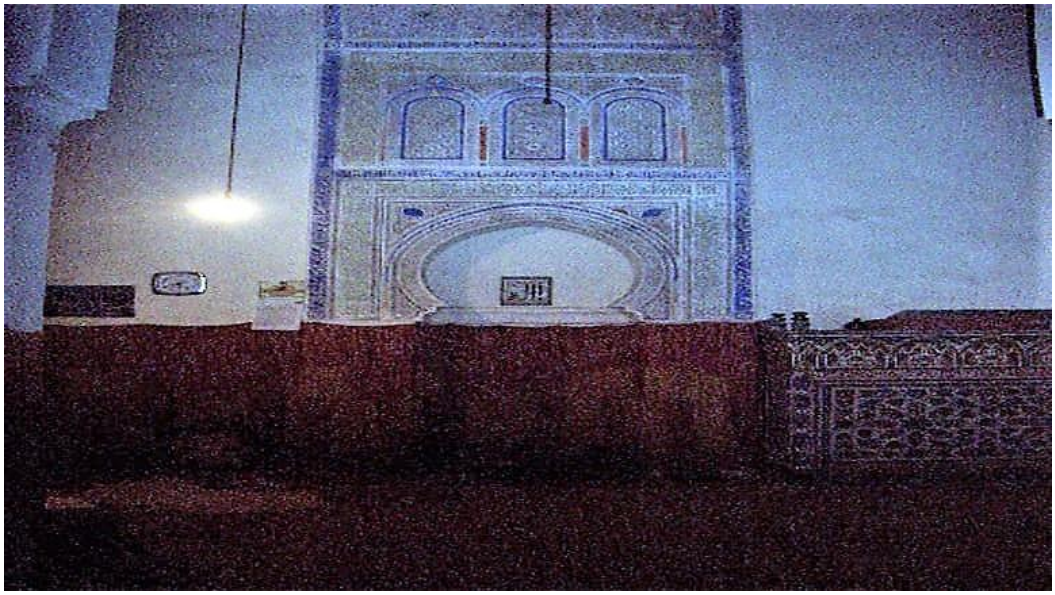
تقع بحومة السياج، وتنسب لمحمد بن إبراهيم الخياط، وهو من عقب عبد الله الخياط دفين زرهون، ابن عم أحمد الخياط[1]، وهو أحد مريدي الشيخ أحمد بن ناصر الدرعي؛ إذ أخذ عنه الطريقة الناصرية، وقد أحدث محمد الخياط زاويته بعد خروج شيخه ابن ناصر من فاس وعودته لدرعة، فأقامها بإزاء داره بدرب الحرة قرب زاوية شيخه أحمد بن ناصر التي بحومة السياج بغير إذن منه، لا في بناء الزاوية، ولا في جمع الفقراء وتلقينهم. فكتب الفقراء أصحاب الشيخ ابن ناصر يخبرونه ما صنع محمد بن إبراهيم ، فراسله ينهاه عن ذلك ويأمره أن يرجع إلى الزاوية الناصرية ويجتمع مع إخوانه، فامتنع الخياط من ذلك واستمر على حاله، وأكمل بناءها، إلا أنها لم تنل استقطاب أتباع الناصرية، فلم يجتمع له فيها أحد عدا أتباع جده ومن يخدمه على ماله، إلى أن توفي بفاس في العشرة الخامسة(1050هـ) ودفن بزاويته[2] ، التي صارت تُعرف كضريح ومقبرة. وقد ذكرها صاحب " طيب الأنفاس" بأنها الآن – يقصد خلال وقته - مسجد جمعة ومدفن[3]، لكن لا يعرف إن كان المسجد قد بني ضمن مرفق الزاوية منذ تأسيسها أم أنه ألحق بها بعد ذلك .

---

[1] - وزاني الطريقة ، صحب الحاج الخياط الرقعي، وأخذ الطريقة الوزانية عن الشيخ عبد الله الشريف ، توفي في الطريق إلى وزان في منطقة بالغرب ودفن هناك ، انظر ، محمد القادري ، **نشر المثاني** ، ج4 ص ص 201-202

[2] - **المصدر نفسه،** ج4 ص 211- 212

[3] - انظر، محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي ، **طيب الأنفاس....**، م.س. ص69





محراب مسجد الزاوية، وقبر الشيخ محمد بن إبراهيم القريب من محراب المسجد من جهة اليمين، الذي يعلوه دربوز من خشب منقوش ومزخرف

2- زوايا الطريقة الشرقاوية

- الزاوية القاسمية

الزاوية القاسمية الشرقاوية، هي فرع عن الزاوية الشرقاوية (الأم)، حلت محلها بعد تعرضها للتخريب والهدم؛ سميت بالقاسمية نسبة للشيخ "أبي القاسم بن أحمد بن عيسى بن عبد الكريم السفياني"، الشهير ب"ابن للوشة" (ت1077هـ) (او اللوشة او اللوشي)[1]، ويلقبه مريدوه وأصحابه وغيرهم

[1] - ترجم له: عبد الله الفاسي، **الإعلام بمن غبر ...، م.س.**، ص ص 214- 215، محمد الطيب القادري، **نشر المثاني**، ج2 ص 161؛ **التقاط الدرر**...،م.س. ص171 ؛ دفن بضفة وادي ارضم من بلاد ازغار .

ب"أبي عسرية"، أخذ الطريق الصوفي عن محمد الشرقي، وقد كان ذا مواهب عرفانية، بهلولا ملامتيا كثير الغيبة[1]، وبقدر ما تدل هذه الأوصاف على علو مقامه في عالم الولاية، بقدر ما تحدد التيار الذي يصنف ضمنه ابن للوشة، وهو تصوف أهل الأحوال والغيبة إلى حد البهللة وإثارة الملامة[2]. وقد صارت لابن لوشة الزعامة في الطريقة الشرقاوية بعد نكبة الزاوية الأم، خصوصا مع نهج التصوف الجديد الذي تبناه، ونتيجة لذلك صارت الطريقة تنسب له وتعرف ب"الطريقة القاسمية"، الأمر الذي زاد من شعبيته، وقد حقق تصوف ابن للوشة شهرة واسعة في مغرب القرن 11هـ/17م، فاستهوى كثيرا من المغاربة سواء كانوا في فاس أو مراكش أو البادية[3]، بدليل تأسيس وإنشاء عدد من الزوايا تتبع لطريقته في كل بلد من بلاد المغرب بما فيها فاس[4]، إلى جانب الزاوية الكبرى التي أسسها ببلدته أحروش على وادي ارضم في أزغار ببلاد الغرب[5].

وقد تأسست الزاوية القاسمية بمدينة فاس بإذن من ابن لوشة، فضمت مرفق المسجد، الذي كان يشير إلى محاولة ابن لوشة التمسك برموز التصوف السني ، بالرغم من طابع الجذب والملامتية الذي طغى في تصوف طريقته. حيث تبنت الزاوية الجانب السني في التصوف العلمي، وحرصت على أداء وظيفتها الدينيه، وأداء طقوس الطريقة القاسمية الشرقاوية، من إقامة الصلاة، وإحياء الليالي الصوفية .

أما وضعية الزاوية حاليا، فهي مغلقة، فكما أخبرنا بذلك رئيس جمعية إنقاذ مدينة فاس[6]، وهي في طور الإصلاح بسبب الخراب الذي أصابها؛ إلا أنها قبل عدة سنوات كانت مفتوحة للصلوات، وإحياء ليالي الذكر في المناسبات .

[1] - انظر، محمد القادري ، **نشر المثاني** ، ج2 ، ص161

[2] - أحمد الوارث ، تصوف العوام خلال القرنين 17-18 ، **مجلة الجمعية المغربية للبحث التاريخي** ، م.س. ص240

[3] - **المرجع نفسه** ، ص243

[4] - انظر ، محمد بن الطيب القادري ، **التقاط الدرر...م.س** ، ص 171

[5] - أحمد الوارث ، تصوف العوام.. **مجلة الجمعية المغربية للبحث التاريخي** ، م.س. ص 240

[6] - كان اللقاء ، يوم 22 أبريل 2021م .



الباب الخارجي للزاوية



صومعة مسجد الزاوية



صحن المسجد والزاوية

3- زوايا الطريقة الوزانية

تنسب الطريقة الوزانية للشيخ عبد الله الشريف الوزاني، صاحب زاوية وزان، المتوفي سنة 1089هـ وقد عرفت هذه الطريقة انتشارا واسعا بمدينة فاس خلال القرن 18م، حتى باتت تشكل جزءا من نسيج التصوف الفاسي وخريطة الطرق الصوفية؛ إذ كانت مدينة فاس محطة لتأسيس العديد من فروع الطريقة الوزانية (الأم)؛ ويعود تأسيس أول طريقة وزانية بفاس إلى زمن الشيخ عبد الله الوزاني. وكان

ذلك حين بعث الحاج الرقعي لمدينة فاس برفقة ابنه الشيخ محمد، كما جاء في رواية حمدون الطاهري: "**ولم يزل (أي الحاج الرقعي) مع الشيخ مولانا عبد الله إلى أن بعثه لفاس وجعله هو وولده سيدي محمد عريفا على الفقراء بها**"[1] ، لتعرف بذلك هذه الطريقة شهرة واسعة بمدينة فاس، خصوصا بعد تأسيس أول فروعها، والذي كان على يد الشيخ محمد الحاج الرقعي، الذي أخذ الطريق الصوفي عن شيخه عبد الله الشريف الوزاني، فتتلمذ في التصوف على يديه .

وقد تولى "محمد الحاج الرقعي" تقديم الطريقة الوزانية، وبعد وفاته تولى تقديم الطريقة "الشيخ قاسم بن رحمون"، وذلك بإذن وتكليف من الشيخ محمد بن عبد الله الشريف. ولما توفي هذا الأخير، وورثه ابنه مولاي التهامي. أقر بدوره الشيخ ابن رحمون على هذا الأمر، ثم بعد وفاة مولاي التهامي، أخذ ابن رحمون عن وصيه وأخيه الشيخ محمد الطيب بن محمد بن الشيخ اليملحي، الذي أذن له وولاه على أصحابه من أهل فاس، وبقي على ذلك إلى أن توفي (أي الشيخ ابن رحمون)[2]. وبعده تولى الطريقة بفاس الشيخ "التهامي بن علي البوعناني"[3] -والذي كان تحت يد مقدمه الشيخ ابن رحمون- ، فولاه الشيخ مولاي الطيب على الفقراء أصحابه في زاوية الشرشور (أي زاوية الخياط الرقعي)، ومنحه الإذن في تقديم الطريقة الوزانية بفاس، إلى أن توفي[4]. فتولى التقديم على الطريقة الوزانية بفاس بعده الشيخ "محمد بن عمر بن رحمون" حتى توفي[5] .

وقد تمكنت الزاوية الوزانية بمدينة فاس من تحقيق شهرة واسعة من خلال استقطاب العدد الكبير من الأتباع والمريدين، خصوصا زمن الشيخ الرقعي الذي نال شهرة واسعة، أسهمت في نشر السلوك الطرقي للزاوية الوزانية، يقول في ذلك صاحب "نشر المثاني": "**كان له أتباع كثيرون لا يحصون، ويحكون له كرامات وخوارق للعادة وتصريفات، وإخبار بمغيبات... ويحدثون عنه بعجائب، وأكثر عامة فاس وغيرها مطبقون على تعظيمه، ووصفه بالخصوصية العظيمة وتقديمه، والإذن له من شيخه مشهور وولايته مستفيض مذكور**"[6]. وقد استمر هذا الإشعاع مع التلميذ الأبرز للشيخ الرقعي، وهوالشيخ قاسم ابن رحمون الزرهوني .

كما يعتبر حدث انتقال أحد أحفاد الشيخ عبد الله الوزاني إلى مدينة فاس للاستقرار بها، عامل جذب وشهرة للطريقة الوزانية، وهو محمد بن التهامي بن محمد بن عبد الله الشريف الوزاني (ت1150هـ)، الذي "**استأذن والده في سكنى فاس، فأذن له ، فاشترى بفاس دارا بإزاء زاوية جده (أي زاوية الخياط الرقعي) وارتحل إليها، فكانت له بفاس الشهرة التامة والوجاهة الكبرى، وصارت داره حرما**

---

[1] - الطاهري الجوطي، **تحفة الإخوان...** ، م.س. ص 227

[2] - انظر، محمد القادري ،**نشر المثاني..**،م.س ، ج3 ص 391

[3] - انظر ترجمته : محمد الكتاني، **سلوة الأنفاس.....** ج1 ص ص 111- 112

[4] - **المصدر نفسه،** ص 111

[5] - انظر، **المصدر نفسه،** الصفحة نفسها

[6] - محمد القادري، **نشر المثاني...** ، ج 3 ص 149

يستجار به، ومقصدا للوفود، ومرتاعا للواردين، والضعفاء والمساكين والفقراء أصحاب أبيه، والفقهاء، وآل البيت وغيرهم من أبناء السبيل"[1] .

وقد منح شيوخ الطريقة الوزانية الأم بوزان، لعدد محدود من شيوخ فاس الإذن في تقدم ومشيخة الطريقة الوزانية بفاس، وهم الأتي :

مقدمي فرع الطريقة الوزانية بفاس، ومن كان بزمنهم من أولياء الطريقة الوزانية بوزان :

مقدمي الطريقة الوزانية بفاس	شيوخ الطريقة الوزانية
الحاج محمد الخياط الرقعي(1115هـ)	عبد الله الشريف(1089هـ)
قاسم بن محمد بن رحمون (1149هـ)	محمد بن عبد الله (1120هـ)
التهامي بن علي البوعناني (1154هـ)	التهامي بن محمد (1127هـ)
محمد بن عمر بن رحمون (؟)[2]	محمد الطيب بن محمد(أخ التهامي) (1181هـ)
	أحمد بن محمد الطيب (ت1196هـ)

أ- زاوية الحاج الخياط الرقعي الفاسي

تقع هذه الزاوية بدرب الشرشور، مجاورة لدار الدباغة، أسسها محمد المدعو "الحاج الخياط" بالقرب من منزله، إلا أنه لا يُعرف تحديدا متى بنيت، إذ لابد أن نميز بين تأسيس الطريقة وتأسيس الزاوية، فالطريقة -كما سبقت الإشارة- أسست أيام الشيخ عبد الله الوزاني، أما الزاوية فلم يرد نص صريح عن زمن تأسيسها، سوى ما ذكرته المصادر عند تطرقها لسيرة الشيخ الخياط الرقعي، حيث أورد صاحب "سلوة الأنفاس" بخصوص تأسيس زاويته: **"كان شيخه مولاي عبد الله الوزاني يعده ويقول: تكون لك زاوية بفاس وأصحاب وأتباع، فكان كذلك"**[3]، أما القادري في "نشر المثاني" فقد أورد مايلي: **"...أخذ الطريقة وعلم الحقيقة عن الشيخ مولاي عبد الله الشريف...، ثم بعد وفاته عن ولده الإمام محمد بن عبد الله، وفي أيامه اتخذ الزاوية الكائنة بالشرشور المدفون بها"**[4] .

و هنا لابد أن نتساءل، هل قصد القادري في هذه الرواية، أن الشيخ الرقعي اتخذ الزاوية أيام الشيخ عبد الله الوزاني أم أيام ابنه محمد ؟

[1] - محمد الكتاني، **سلوة الأنفاس.....** ، م.س. ج1 ص ص 260

[2] - لم نعثر على سنة وفاته ، إلا ما ذكره صاحب سلوة الأنفاس بأنه تولى تقديم الطريقة والزاوية من بعد وفاة التهامي بن علي البوعناني حتى توفي، انظر، محمد الكتاني ، **سلوة الأنفاس ...،** م.س. ج1 ص 105

[3] - **المصدر نفسه،** ص 257

[4] - محمد القادري، **نشر النثاني** ، ج3 ص 149

ونحيل هنا على مصدر "تحفة الإخوان"، فالطاهري حينما ذكر حدث وفاة الشيخ الرقعي ومدفنه، قال **"ودفن بزاوية شيخه سيدي محمد بن مولانا عبد الله الشريف"**[1] ، وهذا قد يجيب عن السؤال بأن الزاوية أسست زمن خلافة الشيخ محمد للطريقة الوزانية بعد أبيه، وندعم هذا بشهادة لتلميذ الشيخ الرقعي (وهو قاسم بن رحمون)، الذي يروي في بعض مشاهداته للشيخ عند خلوته، حيث قال **"كان هذا الشيخ يختلي بنفسه بمسجد قرب داره للصلاة على النبي** ﷺ**"**[2] . إذا يمكن أن نقول، لو كانت توجد زاوية – إلى حين صدور تلك الرواية- لكان الشيخ الرقعي يحيي فيها ليالي خلوته بدل المسجد الذي يخصص للصلاة. وبالتالي نقول إن الشيخ الرقعي حين ورد على مدينة فاس لم يؤسس زاويته مباشرة، بل اكتفى بإحياء طريقة شيخه في المسجد، وفي منزله وربما ببعض دور أتباع الشيخ الوزاني، لأن صاحب "تحفة الإخوان" يذكر شهادات بإحياء الشيخ الطريقة الوزانية ببعض دور الأصحاب وذلك بعد تأسيسه لزاوية "الشرشور"[3] .

وعموما، فالزاوية تأسست أواخر القرن 17م بدرب الشرشور من عدوة القرويين ، وكان يطلق عليها "**زاوية الشرشور"**، أو "**زاوية سيدي محمد بن عبد الله الشريف**"، من قبل الحاج الرقعي فكانت جارية على طريقة شيخه، يتلو بها الأوراد ، ويطعم الطعام للوارد ، ولما توفي عام 1115هـ دفن بالزاوية فنسبت له[4] .

وأما عن وظيفة الزاوية، ففضلا عن كونها كانت لإحياء مبادئ الطريقة الوزانية ، فقد كانت تضم مسجدا لإقامة الصلوات، كما كانت مكانا لتعلم العلوم الدينية. وهذا يذكرنا بوظيفة الزوايا العلمية التي تأسست خلال القرن 16م و17م، كالزاوية الناصرية والدلائية والفاسية، وهو ما تذكره بعض المصادر التي أرخت لسيرة مقدمي الطريقة بفاس وشيوخها، خصوصا سيرة الشيخين الحاج الرقعي وقاسم بن رحمون، حيث كان للزاوية برنامج للعبادة والعلم والحضرة الصوفية، إذ يذكر حمدون الطاهري في إطار حكاية لزائرين قدما عند الشيخ الخياط، عن الشيخ ابن رحمون قائلا: **"بينما نحن بالزاوية مع سيدي الحاج الخياط بعد الفراغ من الأحزاب في الصباح ..."**[5]، وفي موضع آخر يقول: **"...فلما صلينا العشاء بالزاوية.."**[6]، كما يذكر صاحب "السلوة" بخصوص مقدم الشيخ محمد بن التهامي بن محمد بن عبد الله الشريف الوزاني(ت 1150هـ) إلى فاس، فيقول "**كان يجلس في زاوية جده بفاس أي بالشرشور، مع أصحاب والده ومعه مقدمهم، فيقرأ الأحزاب صباحا ومساء معهم، ويحضر تدريس "الرسالة" و"المرشد" بين العشاءين**

---

[1] - حمدون الطاهري الجوطي، **تحفة الإخوان..،** م.س. ص 235

[2] - **المصدر نفسه** ، ص 227

[3] - انظر، **المصدر نفسه** ، ص 234

[4] - عبد الكبير الكتاني ، **روض الأنفاس...،** م.س. ص248

[5] - حمدون الطاهري الجوطي ، **تحفة الإخوان....** ، ص 229

[6] - **المصدر نفسه** ، ص234

من فصل الشتاء، وفي الصباح بعد قراءة الأحزاب يردد "ابن عباد"، و"القوت"، و"الإحياء" و"قواعد زروق" .. وغير ذلك"[1] .

- **إحياء الطريقة الوزانية بالزاوية :**

اعتمدت الطريقة الوزانية في سلوكها التصوف الجزولي ، حيث قامت على الذكر والصلاة على الرسول الأعظم محمد ﷺ، وقراءة الأوراد، والأحزاب، ومداولة اسم "**الجلالة**"، ففيما يروي القادري في "نشر المثاني" عن الفقيه أحمد بن حمدون الشديد[2] ، في إحدى زياراته للزاوية وللشيخ الحاج الرقعي برفقة الفقيه مولاي هاشم طاهر الشريف الجوطي، قائلا: **"فدخلا إليها فوجدا الشيخ جالسا والفقراء الذين لايعرفون القراءة يتلون الجلالة مداولة، والذين يعرفون القراءة بعضهم يتلو في المصحف وبعضهم يتلو في دلائل الخيرات .."**[3] ، كما احتضنت الزاوية ليالي الحضرة الصوفية بحضور السماع والرقص والضرب في الطاسة، إلا أنها لم تكن المكان الوحيد، بل يروى عن الشيخ الرقعي قيامه بإمكانية إحياء الطريقة الوزانية في أي مكان قد يكون فيه، كمنازل الأتباع والأصحاب، مثلما كان في دار الفقيه الكبير بن سودة (1136هـ/1724م) والذي استدعى الشيخ الرقعي لحضور عرس، فلما صلوا العشاء وانتصف الليل، "**قام الشيخ الرقعي في وسط وافتتح الذكر ...فجعل الحاج إبراهيم يذكر ويضرب بالطاسة ... حتى طلع الفجر**"[4]، أو أن يكون الإحياء في الخلوات ، ففيما يرويه الشيخ ابن رحمون في ذلك :"**وكنا إذا خرجنا للزيارة فحيثما بثنا يجلس رجل من أصحابه (يقصد الحاج الرقعي) يقال له الحاج إبراهيم السريفي، يذكر ونحن نرقص .،، فجلس الحاج إبراهيم يضرب في الطاسة ويذكر،...فقام الفقراء يرقصون على عادتهم..."**[5] .

ولم يتوقف إحياء الطريقة داخل الزاوية زمن الشيخ الرقعي ، بل استمر الأمر مع تلميذه وخليفة أمره على الزاوية، الشيخ ابن رحمون، الذي اتخذ زاوية شيخه محل اجتماعاته بالأصحاب والأتباع، فاحتضنت أنشطة الشيخ ابن رحمون الصوفية ، كون الشيخ ابن رحمون لم يؤسس زاوية خاصة به، أما التي نسبت له، فقد تاسست بعد وفاته (كما سنرى ذلك لاحقا) .

وتجدر الإشارة إلى أن الزاوية الوزانية، بعد وفاة قيمها الشيخ الخياط الرقعي، ودفن جثمانه داخلها، تحولت إلى مقبرة ومدفن لأهل وزان[6] .

وبخصوص مبنى الزاوية: فهو يلخص ويشهد على الأدوار التاريخية للزاوية وما مرت منه؛ فهي مقسمة لثلاثة أقسام: قسم للزاوية ومسجدها، وقسم لضريح الشيخ الحاج الرقعي ، وقسم لمقبرة

---

[1] - محمد الكتاني، **سلوة الأنفاس.....** ، ج1 م.س. ص ص 260

[2] - انظر ترجمته ، **نشر المثاني**... ، ج4 ص ص 204- 206

[3] - **المصدر نفسه**، ص 204

[4] - حمدون الطاهري الجوطي ، **تحفة الإخوان....**،م.س، ص234

[5] - **المصدر نفسه**، ص ص 232- 233

[6] - محمد الحجوي الثعالبي ، **طيب الأنفاس**.. ، م.س. 59

الوزانيين، وقد احيطت كل هذه الأقسام بسور خارجي ، وجعل لقسم الزاوية والضريح باب منفصل عن باب المقبرة .

أما عن حال الزاوية في الوقت الراهن ، فقد كانت إلى وقت ليس ببعيد في وضعية نشاط؛ تقام فيها الصلاة وتحيى فيها الليالي- كما أفادنا بذلك أحد الراعين لتلك الزاوية[1] - ، لكنها الآن، وبعد مدة من الإغلاق، توقف دورها الديني والتعليمي، واقتصرت على إحياء بعض الليالي الصوفية، كما أضحت أقرب إلى الروضة والضريح منها للزاوية، وهو ما لمسناه خلال زيارتنا الميدانية لها سواء خلال عام 2015 أو 2020.



الباب الخارجي للزاوية والمسجد والمقبرة



باب مسجد الزاوية الوزانية

[1] - كان هذا اللقاء خلال شهر أبريل من سنة 2017م .



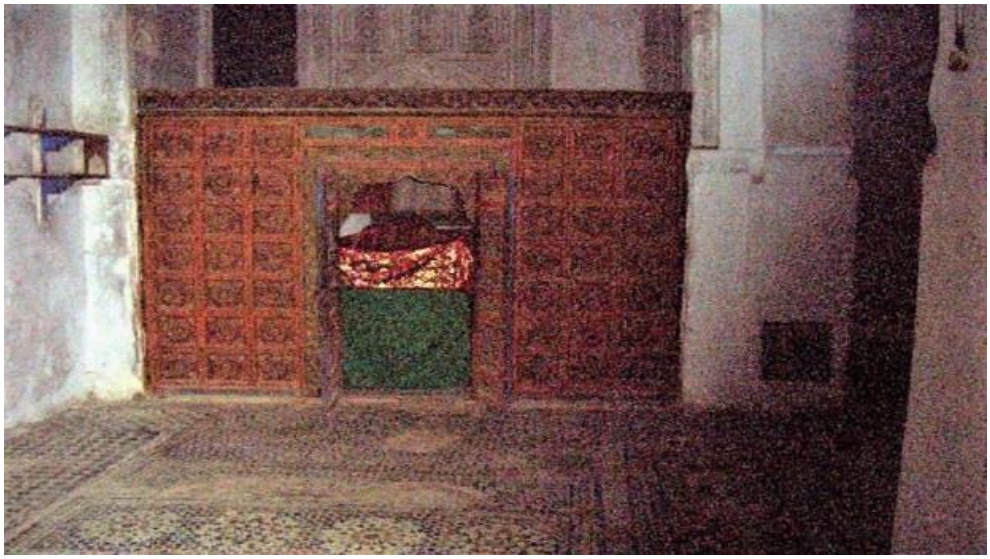
محراب مسجد الزاوية



الباب الداخلي للمقبرة



الحاجز الذي يفصل المسجد وضريح الشيخ الحاج الرقعي ومقبرة الزاوية



ضريح الشيخ الذي يقع بين المسجد والمقبرة

ب- زاوية محمد بن الفقيه الزجني (ت1136هـ/1724م)[1]

تقع الزاوية بالعقبة المسماة قديما بعقبة الجوزاء أسفل حومة العيون، قبالة جامع الحوت من حومة رأس الجنان من عدوة الأندلس[2]، وترجع في تأسيسها إلى الشيخ محمد بن محمد الفقيه الزجني[3]، أحد مريدي الطريقة الوزانية، ويجهل تاريخ تأسيسها تحديدا، إلا أن "القادري" يذكر أن هذا كان خلال مدة تولية علي بوعنان (ت1153هـ/1741م) قضاء فاس في أحوال وقعت بين الفقيه الزجني وبين جماعة تكلمت في مسألة إحدى الكرامات[4] .

وقد أخذ محمد الزجني عن الشيخ مولاي عبد الله الشريف، وعلى يديه تربى وتأدب وتهذب وسلك، وعليه قرأ[5]. وبعد وفاته استقل بنفسه فلم يأخذ عن أحد من أولاده ولم يعترف بولاية أحد من أولاده[6]؛ فأسس زاويته المذكورة، وجعل يعطي الأوراد بها دون استئذان من الشرفاء الوزانيين، وهم محمد ابن عبد الله الشريف وابنه التهامي، فلم يقع منهما إذن له فيما اتخذه من الزاوية، وجمع الفقراء عليه وتلقينهم الأوراد وتدويل الأحزاب والجلالة، وإنما أحدث ذلك من غير إذن من أحد إليه[7].

---

[1] - عبد الكبير الكتاني، **روض الأنفاس ...،م.س.** صص183-191 .

[2] - **المصدر نفسه** ، ص183

[3] - انظر ترجمته : حمدون الطاهري الجوطي، **تحفة الإخوان...** ، م.س. ص ص 275- 323 ؛ محمد القادري ، **نشر المثاني...**،م.س. ج4 ، ص ص 215- 217 .

[4] - انظر تفاصيل هذه الأحداث: محمد القادري ، **نشر المثاني...،** م.س. ج4 ص 216

[5] - **المصدر نفسه،** ص 215 .

[6] - **المصدر نفسه** ، الصفحة نفسها .

[7] - **المصدر نفسه** ، الصفحة نفسها .

وإن هذا الأمر لم يكن مانعا للتواصل الذي كان بين محمد الزجني وشرفاء وزان، والعلاقة الطيبة التي تجمعه بهم، إذ ظل حريصا على زيارته لهم، كما أن أولاد الشريف أثنوا عليه ولم ينكروا ما له من الفضل ، فاعترافوا له بالمعرفة والخصوصية،-كما كان أثنى عليه مولاي الشريف قبل ذلك- . فضلا عن تقدير جماعة من رجال فاس له، منهم: مولاي التهامي ومولاي الطيب والحاج الخياط الرقعي وسيدي قاسم بن رحمون[1]. لكن رغم هذا الثناء، لم يُعترف له بقبول الخلق والدعوة للطريقة، يقول "محمد الطاهري" في كتابه "تحفة الإخوان" : "**... ولم يُؤذن له في قبول الخلق ، وكنت أسمع ذلك من ساداتنا الموثوق بهم مع كثرة ثنائهم على هذا السيد ...فكان يبقى في نفسي شيء من ذلك، حتى سمعت ذلك من شيخنا مولانا الطيب قال...: كان سيدي الحاج الرقعي من أكابر أولياء الله ، وكان مأذونا له في قبول الخلق ، وكان سيدي محمد ابن الفقيه من أكابر أولياء الله ، ولم يكن مأذونا له في قبول الخلق**"[2] .

وهنا يجب أن نطرح سؤالا حول انتماء طريقة وزاوية محمد بن الفقيه الزجني؛ فهل تعتبران فرعا وامتدادا للطريقة والزاوية الوزانية، أم يمكن أن نقول إنهما انشقاق عن الزاوية الأم؟

فإذا قلنا أنها فرع للطريقة الوزانية الأم، فالجواب هو أنه لم يكن له الإذن في بناء زاويته وجمع المريدين؛ وإذا قلنا أنها فرع انشق عن الزاوية الأم، فالجواب أن الشيخ الزجني كان يعطي أوراد الطريقة الوزانية بزاويته المستمدة من أوراد شيخه عبد الله الشريف الوزاني[3]، كما نضيف أن الشيخ الزجني لم يترك خليفة له على الزاوية قبل رحيله، فلو ترك خليفة لكان ذلك إيذانا منه بإحداث انشقاق في صف الطريقة الوزانية .

وعموما، فقد كان لزوايته شهرة واسعة، احتضنت الكثير من الأتبا ، حيث كانت تقام بها الصلوات والأوراد والأذكار وحلق الذكر بالصلاة على النبي ﷺ، وكان يصغى للسماع فيها وقبلها، وكانت عمارة حلقة الذكر عنده بالسماع من أهل الأصوات الحسنة على المتعارف[4]، كما اشتهر أمره خارج فاس وحتى خارج المغرب؛ فكان له أتباع في الحواضر والبوادي[5]، حيث نسبت له في القرن 19م زاويتان: إحداهما بتطوان، والأخرى بالإسكندرية بمصر.

وقد حظي الشيخ محمد بن الفقيه الزجني وزاويته باحترام السلطان إسماعيل، الذي أصدر ظهير التوقير والاحترام له ولنسبه وقرابته[6]، فأصدر أمره بالزيادة في زاويته[7]، كما وقع التجديد للزاوية من طرف

---

[1] - **المصدر نفسه** ، الصفحة نفسها .

[2] - حمدون الطاهري الجوطي ، **تحفة الإخوان...،** م.س. ص 275

[3] - انظر، حمدون الطاهري الجوطي، **تحفة الإخوان،** هامش رقم 5 ، (قسم التحقيق) ص 188 ؛ انظر، **المصدر نفسه** ، ص ص 297- 301- 303 .

[4] -انظر، عبد الكبير الكتاني، **روض الأنفاس...،** م .س. ص 188

[5] - انظر، **المصدر نفسه** ، الصفحة نفسها .

[6] - انظر نص الظهير، **المصدر نفسه** ، م.س . هامش رقم 1 ، (قسم التحقيق) ص190 ، وهي في الأصل طرة كتبت في الهامش الأيمن من نسخة مخطوطة المكتبة الوطنية الوطنية المصور على شريط يحمل رقم 63 .

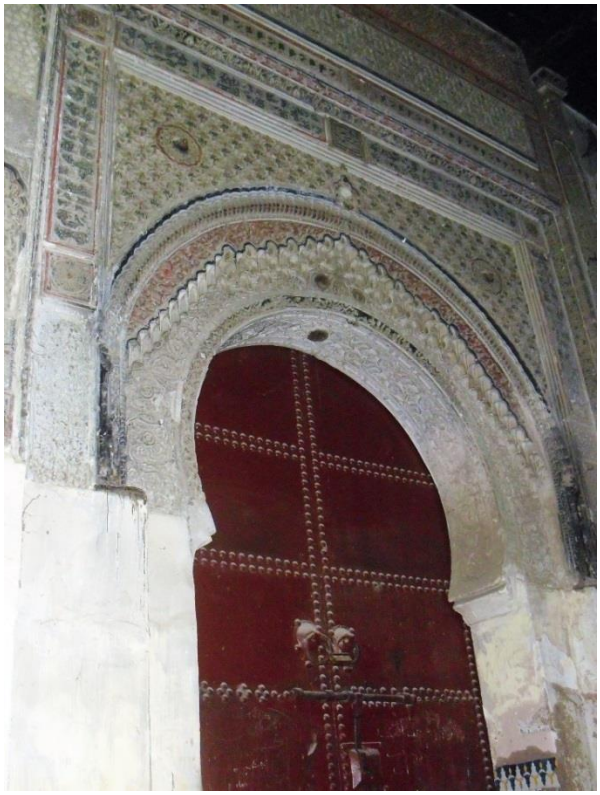
[7] - انظر، عبد الكبير الكتاني، **روض الأنفاس...،** م .س ، ص 190 .

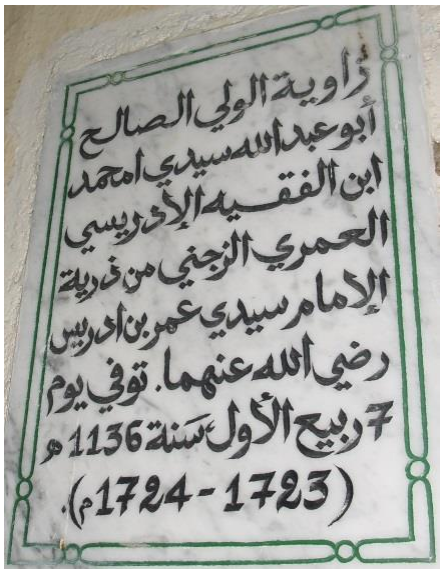
السلاطين الذين جاؤوا بعد السلطان اسماعيل بعد هذا التوقير السلطاني، فصارت على الهيئة التي هي عليها (الآن)[1] .

وقد عرفت الزاوية بعد وفاة شيخها بعض التغييرات، حيث أضيف لها قسم لضريح الشيخ محمد بن الفقيه الزجني الذي دفن بعد وفاته بزاويته بالبلاط الأول منها[2] ، فصار الضريح قسما تابعا للزاوية ، كما ضعفت الطريقة والزاوية عما كانت عليه ، فخف إشعاعها. يقول صاحب روض الأنفاس: " **بعد مدة من وفاة الشيخ، ضعفت الأتباع بالزاوية، ثم انقرضت وصارت معدة للصلوات بالإمام والمؤذن والحزابين لما عليها من الأحباس**"[3] ، ويعود سبب هذا التراجع – على الأرجح- إلى عدم ترك الشيخ خليفة له على الطريقة، مما أدى لرجوع أتباعها إلى زاوية قاسم بن رحمون، كونه كان هو مقدم الطريقة في وقته .

وعموما، فقد حافظت الزاوية على مكانتها من الشهرة كزاوية وضريح، فهي خلال القرن 20م كانت " **من أشهر الزوايا والمزارات بفاس وعقبه يتصرف في زاوية فاس كتصرفه في زاوية تطوان ، ولا يخفى ضريحه بفاس شهير معظم محترم**"[4] .

أما وضعيتها اليوم ، فقد أغلقت الزاوية وتوقف دورها ، فصارت مجرد مقبرة للدفن .





[1] - انظر، عبد الكبير الكتاني، **روض الأنفاس...،** م .س ، ص190، بخصوص عبارة (**الآن**) تعود لصاحب النص الذي انتهى من كتابة مؤلفه سنة 1344هـ/1927م.

[2] - محمد القادري ، **نشر المثاني...، ج4** ، ص 217، عبد الكبير الكتاني، **روض الأنفاس...، م.س.** ص 189

[3] - عبد الكبير الكتاني ، **روض الأنفاس...،** م.س. ص ص 190- 191

[4] - **المصدر نفسه** . ص 191

الباب الرئيسي للزاوية ، وشاهد الزاوية



الزخرفة التي تعلو الباب الرئيسي للزاوية

ت- زاوية قاسم ابن رحمون الزرهوني

تمثل هذه الزاوية نموذج الزاوية التي تأسست بعد موت صاحبها، لتشكل الانتقال من الضريح للزاوية. تقع بأقصى درب مينة بحومة النجارين بعدوة القرويين، نسبة لشيخها أبي محمد قاسم بن رحمون الزرهوني ثم الفاسي، ويعتبر ابن رحمون شيخ الطريقة الوزانية في وقته بفاس، حيث ارتبط نسبه الطرقي الصوفي بالطريقة الوزانية عبر الشيخ الخياط الرقعي الذي كان الفتح على يديه، إذ كان ملازما له لايفارقه[1] .

بلغ الشيخ ابن رحمون مكانة علمية وصوفية اعترف له بها كل من عاصره، كما اعترف له بها أشياخه بوزان، فكان بالرغم من ذلك لا يخرج قط عن حكم التقليد عن شيخه مدة حياته، فإذا مات له شيخ أخذ عن وصيه بعده حتى مات في حياة شيخه (محمد الطيب بن محمد بن الشيخ اليملحي)، إذ كان ذلك دأبه، وكان ابن رحمون تعتريه الأحوال مع ملازمة السنة، لاسيما عند الاجتماع ومداولة الأذكار، والإنشاد في مدح أولياء الله الأبرار، ومدح مولانا محمد رسول الله ﷺ ، فيحمي وطيسه عند سماع ذلك ويستعمل السماع هو أو يأمر به أصحابه[2]، كما كان كثير التواجد عند الذكر، إذ وصفه صاحب "السلوة":

[1] - انظر، الطاهري الجوطي ، **تحفة الإخوان...**، م.س. ص 240

[2] - محمد القادري ، **نشر المثاني** ، ج3 ص 390

"أنه موصوف بالولاية والصلاح، وقد صار له أتباع وتلامذة ، فكان اجتماعهم بالاشتغال ب "لا إلا الله " عليها اجتماعهم، وبها مبيتهم ومقيلهم"[1].

وفيما يخص الأماكن التي كان يجتمع فيها الشيخ ابن رحمون مع أصحابه، لأجل حلق الاجتماع وقراءة الأوراد وإحياء الطريقة من الذكر وحلقه، فهي تكن محصورة في مكان بعينه، فمما روى عن جلساته بمعية مريديه ، ما ورد بالمصادر "**من أنه كان يجلس كل يوم بالمستودع الذي بين باب حفاة القرويين وباب الشهود الكبرى، من صلاة الظهر إلى أن يصلي العصر ، ويجلس معه أصحابه، فكان يجعل للسارية القبلية وظهره إليهم ، وكلهم مواجهون للقبلة، وكل واحد منهم بمسبحته، ملازم ذكره، لا يتكلم هذا مع هذا ولا هذا مع ذاك ، حاطين أبصارهم إلى الأرض"**[2]. وبقي على هذه الحالة مدة طويلة إلى أن توفي سنة 1149هـ/ 1737م[3]، كما أن بيته كان محل استقبال الأصحاب، ناهيك عن أنه كان من أتباع ومريدي الشيخ الحاج الخياط وزاويته. وبالتالي كانت هذه الزاوية – أيضا- محل اجتماعاته للذكر .

- **تأسيس الزاوية**

تأسست الزاوية بعد وفاة الشيخ ابن رحمون، فدفن من الغد بداره بأقصى درب مينة من حومة النجارين ، من فاس القرويين[4] ، فصار قبره ضريحا ثم تحول لزاوية ، يروي القادري بخصوص تأسيس هذه الزاوية وما عرفته من تطور ، قائلا: "**أن الشيخ ابن رحمون دفن بدار براحا اشتراها هو قرب وفاته بقصد أن يدفن فيها ، فدفنه بها أصحابه إمضاء لقصده ، بأقصى درب مينة من حومة النجارين، ولها باب آخر بزقاق الحجر من فاس القرويين، ثم اشترى بعض قرابته بعد وفاته نائبا عن أصحابه دارا أخرى تجاورها ، وهي التي دفن بها سيدي القُليز** -الملامتي (ت1093هـ/1682م)- **وزاد فيها أصحابه، وبنوها زاوية ، وجعلوا عليها أوقافا تقام بها الأوقات ، وقراءة أحزاب القرآن ، ويدرس بها العلم في فصل الشتاء بين العشاءين ، ويؤذن بها صباحا"**[5] .

ولأجل قيام الزاوية بهذه الوظائف والاستمرار عليها، فقد خُصص لها منذ تأسيسها، أوقافا على ذلك، كما حبس عليها كتبا علمية وثريا ومصابيح، كما خصصت لتدريس العلم زمن الشتاء بين العشاءين، والوعظ به كل بكرة وعشي[6]، أما عن طقوس السماع، فيصف القادري ذلك في وقته، ويقول: **"هي (اليوم) أعظم من جميع زوايا فاس اتباعا واجتماعا على مداولة الهيللة واستعمال الرقص والسماع وقراءة**

---

[1] - محمد الكتاني،، **سلوة الأنفاس.....** ، م.س. ج1 ص 105

[2] - **المصدر نفسه** ، الصفحة نفسها .

[3] - انظر ، عبد الكبير الكتاني ، **روض الأنفاس**....،م.س. ص245

[4] - انظر ، **المصدر نفسه** ، الصفحة نفسها .

[5] - القادري، **نشر المثاني** ، ج3 ص 391 ،

[6] - محمد الكتاني، **سلوة الأنفاس**.....، م.س. ج 1 ص 100.

الأحزاب المأمور بها من شيخه المذكور، ولها صيت بفاس"[1] ، وفي كل جمعة يجتمع بها أتباعه للذكر وحلقته[2] ، كما تم - لاحقا - إدخال آلات طرب ترافق الحلقات منها الطبلة والطاسة[3] .

وإن هذه العناية والاهتمام التي عرفتها زاوية ابن رحمون، ما بين التوسعة والأحباس المخصصة لها، جعلها من بين أكبر الزاوايا في فاس، وأشهر الأضرحة وأفخمها وأكثرها بهجة وزخرفا بالحضرة الفاسية ، خاصة وأنها كانت تلقى إقبالا كبيرا لطلب الناس بالدفن داخلها .

■ وضعية الزاوية

ظلت الزاوية إلى غاية القرن 19م تحتفظ ببعض وظائفها ، ففما يذكره ابن سودة في كتابه" سل النصال" عن وظيفة العلم، يقول بأنها "**ظلت الزاوية لوقت طويل دون أن تنقطع، فقد شهدت إلى وقت قريب إقامة دروس العلم ، ومن بين من تصدر لذلك الشيخ محمد ابن علال الوزاني (ت1335هـ) الذي كان يجتمع به الناس للمذاكرة وخصوصا عشية كل جمعة، فأخذ عنه الطريقة الوزانية بفاس خلق كثير**"[4].

أما صاحب "السلوة"، وخلال زمن كتابة مؤلفه خلال سنة 1302هـ ، فيورد بأنه "(**لايزال) ضريح الشيخ وزاويته مزارة عظيمة ، يجتمع بها فقراء أشياخه السادة أهل وزان، وقد كبرت مساحتها بسبب الزيادات الواقعة فيها**"[5]. هذا ، ولم تتوقف الزيادة والتوسعة في مساحة الزاوية بل استمرت إلى غاية مرحلة صاحب "طيب الأنفاس" والمتوفى سنة 1376هـ/1956م، والذي يورد، أنه في وقته "**تمت الزيادة في المساحة بإدخال الفندق الذي كان متصلا بجامع الحجاج، الأولى يسرة المنعطف من النجارين لزقاق الحجر وغيره**"[6] ، كما فتح للزاوية بابان الأول بزقاق الحجر فوق جامع الحُجاج، والآخر بدرب مينة[7] .

أما عن سيرورة وظيفة الزاوية الدينية والصوفية إلى وقتنا الحاضر، فيورد "عبد المجيد خيالي" محقق كتاب "**طيب الأنفاس في تاريخ بعض زوايا وأضرحة فاس**"، ومن خلال زيارته للزاوية خلال سنة 2005م، ولقياه بمقدمها أنذاك وهو الشيخ المكي الشرايبي بن أحمد، أن الأخير أخبره أن الصلاة بالزاوية لا تكون إلا في وقتين وهما المغرب والعشاء؛ وبالنسبة للإحياء والذكر، فيخصص لذلك ليلة الجمعة إذ تتلى في المسجد الأذكار، ودلائل الخيرات في الصلاة على النبي المختار، ويعقد مرة في كل سنة حفل كبير ليلة عيد المولد النبوي ، وأيضا في ليلة 27 من رمضان، وفي كل يوم بعد صلاة العصر يجتمع الحزابون لقراءة

---

[1] - محمد القادري، **نشر المثاني...** ، ج3 ص 391 ،

[2] -انظر ، محمد الحجوي الثعالبي ، **طيب الأنفاس...** ، م.س. 62

[3] -**المصدر نفسه** ، الصفحة نفسها .

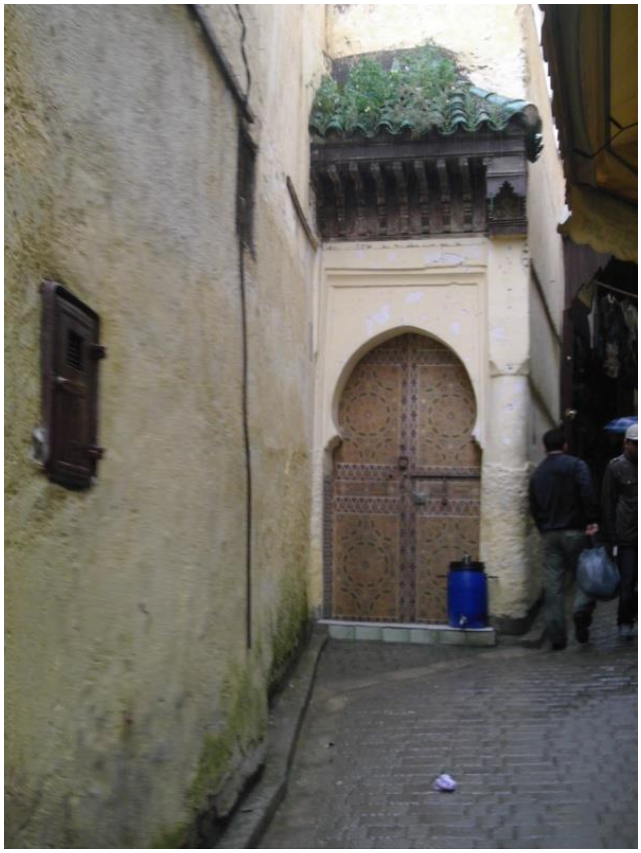
[4] - عبد السلام بن سودة ، **سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال**، تحقيق وتنسيق :محمد حجي، مطبعة دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1، 1997م ، ص 12

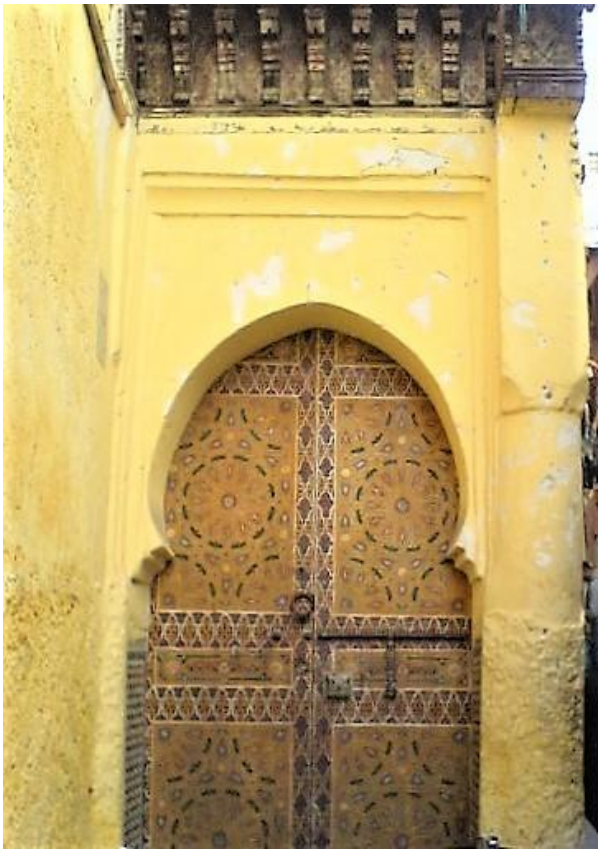
[5] - محمد الكتاني، **سلوة الأنفاس....** ، م.س. ص103

[6] -انظر ، محمد الحجوي الثعالبي ، **طيب الأنفاس...** ، م.س. 62

[7] - انظر، **المصدر نفسه، الصفحة نفسها**

حزبين من القرآن الكريم؛ أما عن دروس العلم والوعظ، فقد أخبر المقدم محقق المؤلف أن هذه السُنة لم يعد لها أثر في الزاوية حاليا[1].





زاوية الشيخ قاسم بن رحمون بدرب مينة – حومة النجارين

4- زوايا الطريقة الزروقية

أ- زاوية القاسم الدرعي الملقب بالغازي

تعرف بزاوية الغازيين، توجد برأس الشراطين بمحاذاة زاوية مسا الخير.

تنتمي الزاوية ل"الطريقة الغازية" التي أسسها الشيخ أبو محمد القاسم الملقب ب"الغازي" بن أحمد الدرعي بمنطقة تافيلالت في القرن 10هـ/16م، فنسبت إليه. وأبو محمد القاسم هو سجلماسي الدار والقرار توفي سنة 981هـ/1573م بتمكروت، وقبره بها مزارة[2]. وتعتبر الطريقة الغازية طريقة زروقية كون الشيخ الغازي أخذ طريقه الصوفي عن الشيخ أبي الحسن علي بن عبد الله السجلماسي عن الشيخ أحمد بن يوسف الرأشدي الملياني عن الشيخ زروق[3]، وتعتمد هذه الطريقة على قراءة الأوراد التي

[1] - انظر، عبد الكبير الكتاني، **روض الأنفاس**، م.س. هامش رقم 7 و8، (قسم التحقيق) ص 62 (الزيارة مؤرخة في شهر دجنبر سنة 2005م)

[2] - محمد محمد الكتاني ، **سلوة الأنفاس....** ، م.س. ج1 ص 135

[3] - **المصدر نفسه**، ص 135

حددها الشيخ القاسم لأتباعه، فيجتمعون على ذلك وتقام عندهم حلق الذكر[1]. وقد عرفت طريقته انتشارا كبيرا من خلال تأسيس عدد من الزوايا في الحواضر والبوادي[2] .

وأما الزاوية الغازية التي بفاس، فقد تأسست في القرن الثاني عشر الهجري/18م[3]، وترجع إلى تلميذ "الشيخ الغازي" أبي حامد الحاج العربي الرندي الأندلسي (ت1177هـ/1763م)، الملقب ب "الخراط" نسبة للحرفة التي كان يمتهنها، حيث التقى هذا الأخير بالشيخ الغازي بسجلماسة في إحدى الزيارات، وبهذا اللقاء أصبح من أتباعه، وهذه الزاوية لم تؤسس إلا بعد أن توفي الشيخ الخراط ، فتحول ضريحه إلى زاوية ، حيث دفن في دار برأس الشراطين ، فبدأ يعمرها أتباع الطريقة، الذين كانوا قبل ذلك يجتمعون بضريح مسعود الفيلالي خارج باب المحروق ، لأنه لم تكن لهم زاوية[4] .

يذكر صاحب "روض الأنفاس" جزءا من طقوس الطريقة الغازية، والتي تعود لعهد صاحب النص أي القرن 20م ، حيث يقول: "**وقد أصبحت الزاوية معدة لفقراء الغازي جيلا بعد جيل إلى (الآن)، تقام بها الصلاة وعليها أوقاف ، وبها الإمام والمؤذن والحزابون في سائر الأيام ، ووظيفة التدريس بين العشاءين، وعمارة فقراء الغازي كل يوم جمعة على الدوام، وآلة طرب عمارة حلقتهم الطبلة والطاسة المعهودتان بفاس**"[5] .

والزاوية يصعد إليها بالأدراج في مقابلة وجه الداخل للزنقة المواجهة لباب مدرسة الشراطين بانحراف، وهي المكتنفة بين زاوية سيدي مساء الخير بن جاء الخير المصمودي وبين دار الحُبس[6]، وأما ضريح الشيخ أبو حامد الخراط ، فمكانه يقابل الداخل للزاوية ، وضع عليه دربوز وكسوة ، كما أحيط بحوش من الخشب[7] .

ب- زاوية أحمد بن يحيى اللمطي

تقع هذه الزاوية بحومة النواعريين درب ابن زمام من عدوة القرويين، وهو المشهور الآن بدرب "**سيدي أحمد بن يحيى**" الواقع داخل باب عجيسة عدوة القرويين .

وصاحب الزاوية هو أحمد بن يحيى اللمطي، شيخ صوفي زروقي الطريقة، أخذ طريق السلوك الصوفي عن الشيخ أبي عبد الله محمد المطرفي، وأخذ عنه بدوره الشيخ أحمد الشاوي. خصصت زاويته لقراءة الأحزاب، مع استعمال السماع أحيانا[8] .

---

[1] - انظر ، عبد الكبير الكتاني ، **روض الأنفاس**... ، م.س. ص213

[2] - انظر ، **المصدر نفسه ،** الصفحة نفسها .

[3] - محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي ، **طيب الأنفاس....** ، ص50

[4] - انظر ، محمد محمد الكتاني ، **سلوة الأنفاس....** ، م.س. ج1 ص 135

[5] - انظر ، عبد الكبير الكتاني ، **روض الأنفاس....** ، م.س. ص ص 213-215

[6] - انظر ، **المصدر نفسه،** ص213

[7] - انظر ، محمد الكتاني ، **سلوة الأنفاس...** ، م.س.ج1 ، ص135

[8] - انظر، عبد الكبير الكتاني ، **روض الأنفاس....،**م.س. ص 265

توفي سنة 980هـ/1573م ، ودفن داخل زاويته .

عرفت الزاوية تجديدا سنة 1307هـ/1890م ، وذلك من طرف السلطان الحسن بن مولاي محمد (ت1311هـ/1894م)، حيث قام السلطان بشراء ما كان مواليا للزاوية ، كما بنى قبة على قبر الشيخ، وما عداه جعله مسجدا بصحنه لإقامة الصلوات ، فضلا عن بنائه لوميضة (الميضأة)[1] .

ت- زاوية أبو العباس أحمد بن محمد الشاوي

تقع الزاوية بحومة الجرف من عدوة القرويين، وتعود لصاحبها الشيخ أحمد الشاوي، الذي ينتسب لعرب الشاوية من أهل بلاد تامسنا[2]؛ عُرف بتعدد زواياه التي حملت كلها اسمه[3]، إذ أنشأ خمس زوايا يطعم فيها الطعام، منها ما كان بفاس ونواحيها ومنها ما كان بلمطة. يمثل الشيخ الشاوي تراثا صوفيا بدويا تمكن من أن يصبح جزءا من تراث فاس الحضري، وهو ما جعل عبد الأحد السبتي وحليمة فرحات يخلصان بأن هذه الزوايا عكست ظاهرة ترييف المدن[4] .

وتعتبر طريقة الشيخ الصوفية طريقة زروقية، كونه أخذ طريق السلوك الصوفي عن الولي أحمد بن يحيى اللمطي، فلازم خدمته وتتلمذ وأخذ عنه، فكان شيخه في الطريق[5] . وعند وفاة الشيخ اللمطي ورث طريقته وسره أحمد الشاوي ، فتصدى لتربية المريدين، وقد تبع نهج طريقة شيخه الصوفية، وهو ما تجسد واقعا في سير زاويته التي كانت تضم أتباعا يجتمعون على تدارس بعض العلوم والذكر والصلاة ، قال عنها القادري(ت1187هـ): "**وصارت زاويته (الآن) مأوى للتدريس، وقراءة أحزاب القرآن صباحا ومساء، وغير ذلك ، وإقامة الصلوات ومقصدا للحوائج**"[6] ، كما اتخذ عادة بالزاوية وهي إطعام الزوار والواردين إليها[7] .

قال عنه القادري "**أنه الولي المجذوب ...الكثير الكرامات والأتباع**"[8] .

توفي الشيخ الشاوي بفاس سنة (1014هـ/1605م)، ودفن داخل زاويته المذكورة بحومة الجرف[9]، دون أن يترك عقبا[10]، فصارت الزاوية بعد ذلك تضم قسما للضريح الذي زاد من شهرة زاويته، فقد رويت

---

[1] - انظر، عبد الكبير الكتاني ، **روض الأنفاس....**م.س. ص ص 266-267

[2] - انظر ، **المصدر نفسه** ، ص 269 .

[3] - عبد الله بن محمد الفاسي، **الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر**، ص ص 67- 68 .

[4] - عبد الاحد السبتي وحليمة فرحات ، **المجتمع الحضري والسلطة بالمغرب**، م.س. ص11

[5] - انظر، محمد الكتاني، **سلوة الأنفاس.....** ، ج1 ، ص ص 209- 210

[6] - محمد بن الطيب القادري، **الكوكب الضاوي في إكمال معتمد الراوي**...، م.س. ص 226 .

[7] - انظر ، عبد الكبير الكتاني ، **روض الأنفاس...** ،ص 269

[8] - محمد القادري ، **نشر المثاني ...،** ج1 ص 132 .

[9] - انظر ، **المصدر نفسه،** ص270

[10] - محمد الحجوي الثغالبي ، **طيب الأنفاس**... ، م.س. ص67

كرامات لذلك الضريح[1]، كما نال صفة قداسة "الحرم"، إذ سجلت كتب المناقب أخبارا عن حوادث جرى فيها التوسل وطلب الشفاعة بصاحب وكسوة الضريح[2] .

وقد عرفت الزاوية إصلاحات أيام السلطان الرشيد والسلطان المولى إسماعيل، إذ زيد في حرم ضريحه إلى باب جامع المزلجة ودار الصواف ، كما هو مكتوب عليها[3] ، ثم تعرض للتجديد أيضا في عهد السلطان سيدي محمد بن المولى عبد الرحمن ، الذي جدد روضته وزاد في مساحتها وجعلها جامعا تقام فيه الجمعة، وأتقن القبة التي جعلها على قبره أبدع إتقان، وذلك سنة 1282هـ/1865م. وأول جمعة أقيمت فيها كانت آخر جمعة من رمضان من العام المذكور[4]، فصارت -بذلك- الزاوية مسجدا جامعا تقام به الجمعة والصلوات الخمس[5] .

لم تنقطع الزاوية عن القيام بوظيفتها الدينية إلى حدود القرن 20م، فكما جاء عند صاحب كتاب "روض الأنفاس" الذي أرخ لها خلال عام 1921م: "**لا يزال الضريح والزاوية تقام فيه الصلوات الخمس والجمعة إلى الآن، وفتوحاته من إعطاء الملوك لمن هي بيدهم (ويقصد القادريون الأشراف)** "[6] .

أما في الوقت الراهن، فالزاوية هي على درجة من العناية بها ، وتشهد إقامة الصلاة ، كما تشهد إحياء ليالي الجمعة والمناسبات الدينية، حسب ما أفادنا به القائم بشؤون الزاوية[7] .

---

[1] - محمد بن الطيب القادري، **التقاط الدرر**، ص 45 ؛ الإفراني ، **صفوة ما انتشر...**، م.س. ص 92

[2] - أدرجنا بعضا منها في قسم الكرامات من الفصل الثالث من هذا الباب .

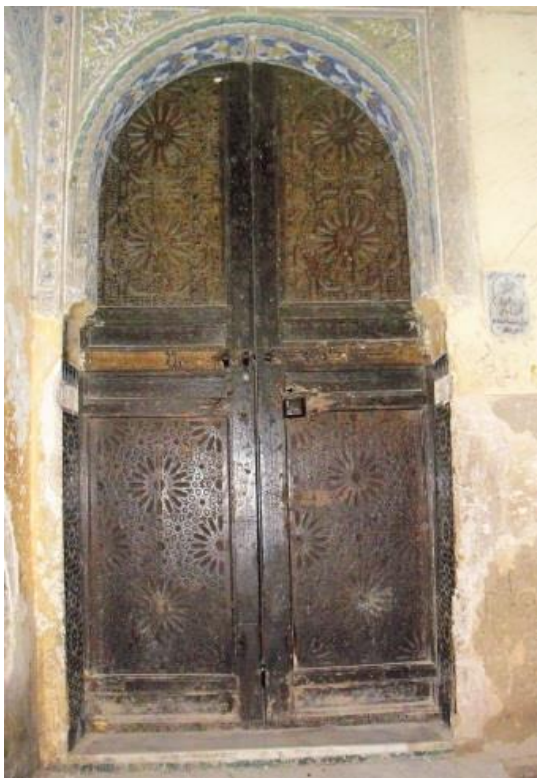
[3] - وذلك حسب : عبد الكبير الكتاني ، **روض الأنفاس** ...، م.س. ص270

[4] - انظر، **المصدر نفسه**، صص270- 271

[5] - محمد الحجوي الثغالبي ، **طيب الأنفاس...** ، م.س. ص67

[6] - عبد الكبير الكتاني ، **روض الأنفاس...** ، م.س. ص272

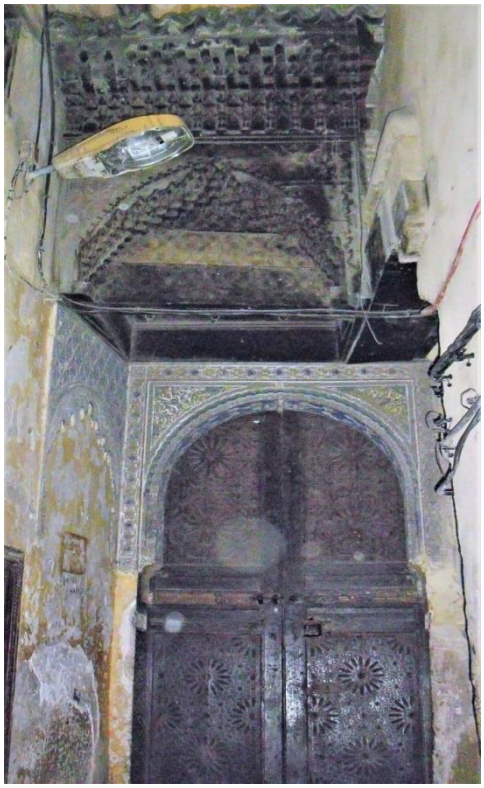
[7] - اللقاء كان خلال شهر أبريل من سنة 2017م .





الباب الخارجي للزاوية ومدخل الزاوية





نقش الباب الخارجي **مدخل الزاوية**

5- زوايا الطريقة القادرية

أ-الزاوية القادرية (خلوة عبد القادر الجيلاني بجامع القرويين)

أسس هذه الزاوية السلطان المريني سنة (762هـ/1361م)[1]، لكنها تحولت فيما بعد لخلوة الشيخ دون أن يُعرف زمن ذلك تحديدا ، سوى ما أورده القادري في "**نشر المثاني**" حيث قال: "**وهذه الزاوية التي يسمونها بفاس الخلوة**"، أي أنها زمن تأليف الكتاب كان يطلق عليها الخلوة، وهذه الخلوة لم يعد لها وجود الآن.

وأما السبب الذي جعلني أتطرق لها ضمن تراث الزوايا لمدينة فاس، فيرجع لكون هذه الزاوية وقع فيها لُبس كبير؛ بالنظر إلى غياب مصادر تؤرخ للزاوية القادرية بمدينة فاس. وقد انسقنا وراء هذا اللبس بداية لولا أننا انتبهنا لما ذكره القادري في "**نشر المثاني**" و"**التقاط الدرر**" من معلومات تكاد تكون يتيمة عن هذه الزاوية، ثم ما ورد ضمن "**سلوة الأنفاس**"، و "**طيب الأنفاس**"، و"**روض الأنفاس**"، حيث تم الحديث عن هذه الخلوة، كما تم الحديث عن زاوية رأس التيالين، فضلا عن التحري الميداني الذي قمنا به، وزيارة هذه الزاوية، حيث خلصنا للنتائج التالية:

هناك من اعتقد أن الزاوية القادرية التي أسست في عهد المرينيين هي نفس الزاوية التي برأس التيالين، وهذا غير صحيح؛ لأن الزاوية التي أسسها المريني لم تؤسس برأس التيالين، بل أسست داخل مسجد القرويين، ثم تحولت إلى "**خلوة**" نسبت للشيخ عبد القادر الجيلاني، وهو ما بينه القادري صاحب "**نشر المثاني**"، الذي كان أول من ذكر أمر الزاوية والخلوة، وقد أورد الخبر في سياق حديثه عن إزالة سارية داخل مسجد القرويين كانت تنسب لعبد القادر الجيلاني، والتي جاءت ضمن حوادث سنة 1104هـ ، حيث كتب قائلا: "**ففي عشرين جمادى الثانية أزيلت السارية التي كانوا ينسبونها لمولاي عبد القادر الجيلاني، وكانت بالصف الأول من مسجد القرويين قرب الخلوة المنسوبة للشيخ المذكور بأمر من قاضي الوقت أبي عبد الله بردلة**"[2] ، ثم يضيف موضحا أمر هذه "الخلوة" التي كانت بالأصل زاوية، قائلا: "**وهذه الزاوية التي يسمونها بفاس الخلوة، إنما هي زاوية بنيت لقراءة حزب القرآن، أمر ببنائها الأمير المستعين بالله أبو سالم إبراهيم بن أبي الحسن المريني، وتم بناؤها في أواخر رمضان عام اثنين وستين بمئناة وسبعمائة (762هـ/1361م)، ورتب فيها طلبة يقرأون القرآن ويختمونه بطول سبعة أيام، وأجرى لهم جرايات في كل شهر ينتفعون بها، وقد غيروا اليوم ذلك الختم بما هو عليه اليوم**"، ثم يضيف : "**فهذه حقيقة أمرها والله أعلم**"[3].

---

[1] - انظر، الفصل الأول من الباب الأول ، حيث تطرقنا لأصل وجود الطريقة القادرية في مدينة فاس من خلال هذه الزواية .

[2] - محمد القادري ، **نشر المثاني...** ، ج3 ص 61

[3] - انظر، محمد القادري، **نشر المثاني...** ، م.س. ج 3 صص61- 63 ، **التقاط الدرر**....، م.س. ص 264 – 265 .

وفي "التقاط الدرر"، يذكرها أيضا ، فيقول: "**وفي عشرين من جمادى أزيلت السارية المنسوبة لسيدي عبد القادر الجيلاني،التي كانت بالصف الأول من مسجد القرويين بفاس قرب "الخلوة" المنسوبة للشيخ المذكور التي على ساباط على محجة الموضع المسمى بالخلوة شرقي الجامع بأمر القاضي أبي عبد الله بردلة**"[1] ، ويضيف القادري "**أن هذه النسبة في السارية والخلوة من هذا المسجد وغيرها جارية منذ القديم على لسان عامة أهل فاس**"[2] .

إذا، ومن خلال هذه المعلومات، نستنتج أن الزاوية المقصودة هي التي داخل مسجد القرويين والتي أصبحت "خلوة". وهي غير "السارية" التي كان يتبرك بها أيضا ونسبت للشيخ الجيلاني، أما زاوية رأس التيالين فلا خبر عنها لحدود زمن محمد القادري (المؤرخ)، وحتى القريب منه؛ فهذا "الضعيف الرباطي" (ت 1233هـ/1818م)، والذي نقل معلومات الزاوية والخلوة عن "محمد القادري" ، لم يذكر أي خبر عن زاوية رأس التيالين، حيث أورد ذلك في كتابه "**تاريخ الضعيف**" ضمن مبحث: "**تحقيق القول في خلوة عبد القادر الجيلاني بجامع القرويين**"، قائلا "**وفي عام 1104هـ أُزيلت سارية بالصف الأول من شرقي مسجد القرويين، وكان العامة ينسبون السارية المذكورة للشيخ عبد القادر الجيلاني كما ينسبون أيضا الموضع الذي يختم به القرآن مرتين في الشهر للشيخ المذكور، ويقولون فيه خلوة مولانا عبد القادر..**"[3] .

أما محمد الكتاني(ت1345هـ) في "سلوة الأنفاس"، فقد أورد الخبر، فقال : "**كما كانت تنسب سارية أخرى للشيخ الجيلاني، وهي بالصف الأول من مسجد القرويين قرب الخلوة المذكورة على ساباط محجة الموضع المسمى شرقي الجامع، لكن سنة 1104هـ/1693م أمر القاضي أبو عبد الله بردلة بإزالتها**"[4]، والسبب في ذلك، كما يذكره "هاشم العلوي القاسمي" محقق "**التقاط الدرر**" : أنه عندما انتشر في المدينة أن العامة بالغوا في إشكال التبرك بالسارية الموجودة بالخلوة المنسوبة إلى الجيلاني، حيث أخذوا يأتون عليها بالنذور والتمائم ، خيف تطور الأمر إلى ما هو أخطر، فأمر القاضي بردلة - بعد حكم شرعي- بازالتها ونقلها إلى مكان آخر خارج جامع القرويين، وهو مرحاض جامع اللبارين. وعندما نفذ هذا الأمر تصدى خصومه لمعارضته مما جعل الأمر يتطور إلى أن رفعت القضية إلى السلطان مولاي إسماعيل، وكان ذلك أحد أسباب عزل القاضي بردلة عن قضاء المدينة. وهذا الحدث يعبر في حد ذاته عن مدى التغلغل الصوفي في نفوس الناس أنذاك[5] .

وقد استمرت بعض الطقوس المرتبطة بالخلوة التي داخل مسجد القرويين منها ما يذكره صاحب "**سلوة الأنفاس**"، فيقول : "**ومن المزارات بهذه الحومة : الخلوة المنسوبة للشيخ عبد القادر الجيلاني التي**

---

[1] - محمد القادري، **التقاط الدرر....**، م.س. ص 264

[2] - **المصدر نفسه**، صص264- 265

[3] - محمد الضعيف الرباطي، **تاريخ الضعيف**....، م.س. ص 77

[4] - محمد محمد الكتاني، **سلوة الأنفاس.....** ، م.س. ج1 ، ص150

[5] - القادري، **التقاط الدرر..**، م.س. هامش رقم 5 ، (قسم التحقيق) ، ص 264 .

بمسجد القرويين على الساباط القريب من فوقة حومة السبع لويات ، وهي مشهورة معروفة، معدة لقراءة الحزب من القرآن وغيره ، وعامة أهل فاس من قديم ينسبونها للشيخ المذكور، ويتبركون بها.."[1].

ويروي صاحب طيب الأنفاس "**محمد الحجوي الثعالبي**" والذي توفي سنة 1376هـ/1956م، وهو شاهد عيان لهذه الزاوية (الخلوة) ، فيقول: "**خلوة القادري بمسجد القرويين عن يسار المتوجه للمحراب بأقصى البلاط ، عليها أحباس لقراءة حزب قرآني هناك"** ، ويضيف: **"ولا أدري وجه التسمية ولا وجه غلقه عن الصلاة وفتحه للحزب فقط، إلا أن يكون اتباعا لشرط المحبس"**[2] .

أما الحديث عن زاوية التيالين (الحديثة العهد)، والتي يجهل تاريخ تأسيسها ، فأول من ذكرها كان هو محمد الكتاني صاحب "**سلوة الأنفاس**" والذي أورد الخبر في سياق الحديث عن خلوة الشيخ عبد القادر الجيلاني التي بجامع القرويين، فقال: "**وينسبون له (أي الشيخ الجيلاني) خلوة أخرى بالتيالين**"[3]. ويضيف في موضع آخر عند الحديث عن زاوية رأس التيالين: "**وهذه الخلوة (ويقصد الزاوية) هي إحدى الأماكن المزورة عندنا بفاس، ونسبتها للشيخ المذكور جارية منذ قديم على لسان عامة أهل فاس ،...وهي اليوم لا تنسب إلا للشيخ المذكور، ولا تعرف إلا به، والناس يقصدونها ويتطلبون بركاته منها، ويأتون غليها بالصدقات ؛ فيأخذها احفاده من الشرفاء القادريين، وكان سبب ذلك، اجتماع أصحابه بها وذكرهم لأوراده بناحيتها حتى صارت مشهورة به، ومقصورة عليه"**[4] .

كما ذكرها صاحب "روض الأنفاس" حين حديثه عن خلوة الشيخ القادري، إلا أنه خلط بينها وبين زاوية رأس التيالين، فقال:"**أما المحل الذي يجتمع فيه أهل طريقة جدهم بفاس من قديم جيلا بعد جيل، من القادم منهم المذكور إلى الآن بعد بنائه بمدة ، هو الزاوية المعروفة بخلوة جدهم الكائنة برأس التيالين ، عدوة فاس القرويين ، وكان أمر ببنائها الأمير أبو سالم المريني ..."**[5]، حيث يستشهد المؤلف بما قاله القادري في "التقاط الدرر" حول الخلوة، ثم يورد عنها ما يفيد أمر زاوية رأس التيالين ، من قبيل قوله "و**في الكلام على أربع ومائة وألف ، ثم لما قدم جدهم المذكور لفاس في تاريخه المذكور، وانتشرت الطريقة الجيلانية ، صار الفقراء يجتمعون فيها ، ويقيمون بها أورادهم وحلق الذكر، وتغير ما أسست عليه تلك الزاوية ، فصارت مع طول الزمان وعمارتها بها جيلا بعد جيل لا تنسب إلا للشيخ المذكور، ولا تعرف إلا به، فصارت شهيرة به، ومقصورة عليه، وسموها بخلوته وصار الناس يقصدونها ويتطلبون بركاته، ويأتون إليها بالفتوحات ، فيأخذها أحفاده الشرفاء القادريون، وبقيت على هذه الحالة منذ أعصار سلفت، وهي شهيرة بخلوة مولانا عبد القادر الجيلاني، ولازالت كذلك إلى الآن، ثم في كل جمعة**

---

[1]- محمد الكتاني ، **سلوة الأنفاس....** ، م.س. ج1 ص149

[2] - محمد الحجوي الثعالبي ، **طيب الأنفاس في تاريخ بعض زوايا وأضرحة فاس**، م.س. ص43

[3]- محمد الكتاني،، **سلوة الأنفاس.....** ، م.س. ج1 ، ص152

[4] - **المصدر نفسه**، ص 242

[5] - عبد الكبير الكتاني ، **روض الأنفاس** ، م.س. ص 205

يعتمرون بها، وآلة طرب حلقة عمارتهم الطبلة والطاسة المعروفتان بفاس"[1] ، كما يذكر في نفس الكتاب الخبر عن خلوة الشيخ القادري التي بمسجد القرويين بنفس المعلومات التي ذكرها عن زاوية رأس التيالين[2] ، ويظهر هنا اللبس الحاصل بين خلوة القرويين وزاوية رأس التيالين .

ب-زاوية رأس الجنان

تقع هذه الزاوية في حي رأس الجنان من عدوة فاس القرويين[3]، وتنسب للشيخ محمد بن علي القادري المدعو "علال"(ت1162هـ -1749م)[4]، لكن ليس تأسيسا وإنما مدفنا؛ حيث تأسست بعد وفاته، فأصل الزاوية هو ضريح الشيخ المذكور، ومنه تأسست الزاوية؛ وهنا لابد من أن نشير إلى رأي من يقول أن الزاوية أسسها هذا الشيخ بنفسه، هو خبر عار عن الصحة، إذ لا دليل بالمصادر يفيد بوجود هذه الزاوية في حياة الشيخ المذكور، حيث يفيدنا صاحب "سلوة الأنفاس" في هذا الشأن، قائلا:**"... ودفن في حومة رأس الجنان في دار اتخذت زاوية له، وهي التي عن يمين الهابط ويسار الطالع فيما بين المسجد الأعلى والحمام هناك"**، ثم يضيف، أنها "**تعرف (الآن) بزاوية القادريين"**[5]، وهذا يؤكد أن الزاوية كانت دارا، ولعلها كانت مدفنا لبعض أقارب الشيخ القادري، حيث يورد صاحب "**نشر المثاني**" إشارة عن هذا، وذلك في تقديمه لترجمة "عبد العزيز المدعو عزوز دالله" (ت1031هـ)، فقال عن مدفنه: **"ودفن بروضته القديمة في جوار جماعة من أعمامنا – رحمهم الله- لكونهم هم المالكين للدور..."**[6] ، باعتبار أن القادريين بعد دخولهم لفاس، اتخذوا رأس الجنان مسكنا بعد سكنى الجنجفور[7]، كما أن الشيخ محمد بن علي القادري، كان من أتباع ومريدي الطريقة الوزانية، إذ أخذ الطريقة عن مولاي التهامي الوزاني، انتفع به كما انتفع بالشيخ قاسم بن رحمون[8]. ويمكن أن نجزم بأن محمدا بن علي القادري لو كان له أن يؤسس زاوية لأسسها تبعا للطريقة الوزانية وليس القادرية .

ومن هنا يطرح كذلك إشكال تبعية هذه الزاوية: فهل هي زاوية وزانية أم قادرية؟

سبقت الإشارة إلى أن الشيخ "محمد بن علي القادري" – صاحب الزاوية- كان من مريدي الطريقة الوزانية، ولم يتوقف الأمر عنده فقط، بل نجد عددا من القادريين من أقربائه أخذوا الطريقة الوزانية عن شيوخها، من بينهم ابنه عبد الله بن محمد بن علي الملقب ب"الخياط" (ت1187هـ)، والذي كان أيضا من مريدي الشيخ الطيب الوزاني وطريقته، قال عنه الكتاني**"أخذ عن مولاي الطيب الوزاني وعن الشيخ**

---

[1] - عبد الكبير الكتاني ، **روض الأنفاس** ، م.س. ص206

[2] - انظر ، **المصدر نفسه** ، ص 207

[3] - محمد الحجوي الثعالبي ، **طيب الأنفاس في تاريخ بعض زوايا وأضرحة فاس** ، ص44

[4] - انظر ترجمته ، محمد الكتاني، **سلوة الأنفاس....،** م.س. ج1 ، ص 326

[5] - **المصدر نفسه،** الصفحة نفسها .

[6] - محمد القادري، **نشر المثاني** ، ج1 ص240

[7] - انظر، **التقاط الدرر**، م.س. ص 491

[8] - انظر، محمد الكتاني، **سلوة الأنفاس....** ، م.س. ج1، ص 326

قاسم بن رحمون.."[1]، إلا أنه في ذات الوقت لا يمكن نسبة هذه الزاوية للطريقة الوزانية، لأنه لم يرد أي خبر عن ذلك، فالزوايا التي نسبت للطريقة الوزانية كانت لها شهرتها، ولم تكن هذه الزاوية منها.

كما تطرح هذه الزاوية إشكالا آخر، وهو مرتبط بماهيتها: فهل يمكن اعتبارها زاوية فعلا، أم أنها كانت مجرد روضة وضريح لمدفن القادريين؟ فالقادريون كانوا يلجؤون للزوايا الوزانية، وهناك كانوا يحيون طقوس طريقتهم، بينما هذه الزاوية، كل ما ورد عنها أنها كانت مكانا لدفن أقرباء القادريين، غير أن بقايا المكان، يوحي بوجود آثار الزاوية. ولعلها صارت كذلك بعد القرن 18م، حيث أحيت بها طقوس الطريقة القادرية، كما أضيف لها قسم المسجد مثلما يظهر من بقاياها .

وعن وضعية الزاوية في الوقت الحالي، فقد كانت إلى وقت ليس ببعيد مفتوحة للزوار، حسب ما أفادنا به أحد الساكنة، وبسبب انهيار أحد جدرانها وجزء من سقفها تم إغلاقها، وهي الآن أشبه بخربة مهجورة (انظر الصور المرفقة). والأنكى أنها أصبحت مطرحا لنفايات سكان الحي، باعتبار أن لا أحد يتفقدها. وهذا من الأمور المحزنة، حيث لم تراعى قدسية المسجد الذي كان جزءا منها ولا حرمة أمواتها، ولا مكانتها التاريخية.



الطريق العابر للزاوية



الباب الخارجي المغلق للزاوية

[1] - انظر، **المصدر نفسه**، ص 326



بعض الآثار المتبقية من صحن الزاوية

ث- زاوية رأس التيالين من عدوة القرويين

تطرح هذه الزاوية- بدورها- العديد من الإشكالات حيث إن إشكال أمرها لا يقل إشكال عن شأن الخلوات، ولا عن زاوية القادريين السالفة الذكر؛ لا من جهة حقيقتها، ولا من جهة طقوسها وطرقيتها، فهل تعتبر زاوية القادريين زاوية أم ضريح أم خلوة؟

وقد سبق التطرق إلى هذه الزاوية خلال الحديث عن "خلوة الشيخ القادري"، فهي زاوية حديثة العهد، يجهل تاريخ تأسيسها، وقد أكدنا أنها لم تكن زمن "محمد القادري"، حيث لم يورد أي خبر بخصوصها، وقد شملناها ضمن تراث الزوايا – بالرغم من أنها أسست بعد القرن 18م-، لسبب أننا ذكرناها في إطار إزالة اللبس بينها وبين خلوة الشيخ القادري التي كانت بمسجد القرويين .

وقد قدم حولها صاحبي"سلوة الأنفاس"، و"روض الأنفاس"، بعضا عن أحوالها في زمنهما، من قبيل: إحياء طقوس الطريقة، وقراءة الأوراد، وإعمارها بالسماع ... أما في الوقت الحالي، ومن خلال زيارتنا لها، وحسب ما أفادنا القيم عليها[1]، فإنها تظل مفتوحة في وجه الزوار طيلة النهار، وخلال المناسبات الدينية تشهد إحياء لليالي المباركة بقراءة القرآن والصلاة على الرسول الأكرم ﷺ .

وفيما يخص مبنى الزاوية، فقد كتب على الباب الخارجي الذي يطل على رأس التيالين **"هذه زاوية القطب الرباني مولاي عبد القادر الجيلاني"**، وهي توجد بالطابق الثاني، وهي الزاوية الوحيدة بمدينة فاس التي جاءت على هذه الشاكلة، والأغرب أنها تضم ضريحا مغطى بدربوز، وفوقه ثوب أخضر بسيط. وهو الأمر الذي نطرح من خلاله سؤالا عن حقيقة هذا الضريح، الذي لا يمكن أن يكون ضريحا، بل لا يعدو أن يكون مجرد رمز لمعتقد "خلوات الشيخ الجيلاني" التي اشتهرت بها مدينة فاس منذ عهد

[1] - كان اللقاء يوم 25 نونبر سنة 2014

المرينيين، ولعل هذه الزاوية تأسست كبديل لخلوة الشيخ التي أزيلت من مسجد القرويين. وعموما بهذا المنطق أو بغيره، فهذه الزاوية التي لا تمثل زاوية بالمفهوم الطرقي، وهي ليست بضريح أو خلوة، تعكس عمق التصوف الشعبي الذي كان متغلغلا ضمن مجتمع فاس .

والمكان هو ذو مساحة صغيرة، وأبرز فضاء وأوسعه هو مكان الضريح (المزعوم)، المبني عليه دربوز ومغطى بثوب أخضر بسيط، بعد أن كان سابقا مغطى بثوب منقوش بوسطه آيات قرآنية (انظر الصورتين)؛ وتوجد خلفه شواهد من جهة الحائط وهي ثلاث رخامات، مدون عليها بعض أحداث عن حياة القطب الجيلاني ووالدته، فالرخامة الأولى بدون تاريخ، والثانية نقش بها تاريخ سنة 1319هـ والثالثة نقش بها تاريخ سنة 1321هـ ، ومن المرافق التي تتبع للزاوية ، حسب ما يذكرها خالد الصقلي[1]، خزانة كتب حائطية على يمين محرابها ونقش بجانبها في رخامة صغيرة: تاريخ 15 رجب 1313هـ ، لكنها فارغة ، ويؤكد أن هذه الخزانة لم يعد لها وجود .



(ضريح) الزاوية (14 أبريل من سنة 2017م)



(30 مارس 2021

[1] - انظر ، محمد الكتاني، **سلوة الأنفاس..**، م.س. ج1 ، ص61

المبحث الثالث: زوايا طرق الجذب والخلوتية

1- زوايا الجذب

أ- زاوية عبد الوارث بن محمد الياصلوتي

تقع هذه الزاوية بحومة زقاق الحجر. تنسب للشيخ عبد الوارث بن محمد الياصلوتي، الذي بناها قرب داره، فكان يقرأ فيها رفقة أصحابه الأحزاب، صباحا: "**المعشرات**"، و"**حزب الفلاح**"، و"**صلاة مولاي عبد السلام ابن مشيش**" ، و"**الحزب الكبير**" للشاذلي؛ ومساء: "**حزب الفلاح**"، و"**لا إله إلا الله** " مائتي مرة. كما كان يعمل الحضرة ولا تعمل إلا بمحضره، فلم يكن يتحرك إلا أنه يهتز عند السماع يمينا وشمالا وهو جالس؛ وقد نسبت زاوية الياصلوتي للطريقة الشاذلية الجزولية دون أن يعرف لها سند ، كون الشيخ الياصلوتي لم يتخذ سندا من عند شيخ[1] .

توفي الشيخ الياصلوتي سنة 1076هـ/1665م ودفن بزاويته المذكورة ، وقد اتخذت الزاوية مقبرة للدفن من بعده[2] .

ب- زاوية المجذوب مسا الخير بن جاء الخير المصمودي[3]

تقع هذه الزاوية بحومة الشراطين بعدوة القرويين محاذية لزاوية الغازيين[4] ، وهي تنسب للشيخ أبي عبد الله محمد بن جاء الخير المصمودي، الملقب ب " **امسى الخير** " لكثرة جريانها على لسانه[5] . وصفه القادري ب "**الولي المجذوب الموله البهلول المتبرك به**"[6]، كما وصفه صاحب "السلوة"، ب "**الولي الصالح المجذوب ، الغائب الموله المحبوب، البهلول المتبرك به**"[7] .

أسس مسا الخير هذه الزاوية لتكون مقرا لتلاوة أوراد الطريقة الوزانية[8]، وقد أخذ طريقته الصوفية عن الشيخ محمد بن عبد الله اليملاحي الوزاني[9] . لكن لا يعرف إن كانت هذه الزاوية أسست بإذن من شرفاء وزان أم لا ، وذلك لندرة المصادر حولها وحول شيخها .

وتجدر الإشارة، إلى أن هذه الزاوية، رغم أنها تستمد سلوكها من الطريقة الوزانية، إلا أنها تنسب لطريق الجذب أكثر من نسبها للطريقة الوزانية، لذلك أدرجناها ضمن هذا الصنف من الزوايا .

---

[1] - انظر، محمد القادري ، **نشر المثاني...** ، م.س. ج 2 ص 156

[2] - محمد القادري ، **نشر المثاني** ، م.س. ج 2 ص 156

[3] - انظر، محمد القادري، **نشر المثاني...**، م.س. ج3 ، ص158-159؛ محمد الكتاني، **سلوة الأنفاس...**،م.س. ج1،ص ص 134-135

[4] - محمد محمد الكتاني ،محمد الكتاني، **سلوة الأنفاس.....** ، م.س. ج1 ص137

[5] - محمد القادري، **نشر المثاني**... ، م.س. ج3 ص 158

[6] - **المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .**

[7] - محمد الكتاني ، **سلوة الأنفاس....**، م.س. ص134

[8] - انظر ، عبد الكبير الكتاني ، **روض الأنفاس** ، م.س. ص216

[9] - محمد الكتاني، **سلوة الأنفاس....**، م.س. ج1، ص136

وعموما ، فقد أُضيف للزاوية قسم للضريح؛ إذ بعد وفاة الشيخ مسا الخير **(1117هـ/1705م)** دفن داخلها[1]، فأصبحت تعرف باسمه[2]، كما صارت بعد مدة مقبرة ومزارة – لا غير-[3] .

ت- زاوية سيدي علي بن حمدوش[4]

تقع هذه الزاوية بحومة شيبوبة من عدوة الأندلس، بسيدي مغيث قرب درب اللمطي، وتنسب لمحمد بن يوسف الحمدوشي الحسناوي[5] .

تنتمي زاوية عبد الوارث للطريقة والطائفة الحمدوشية، التي أسسها أبو الحسن علي بن محمد الشريف المدعو "حمدوش" دفين جبل زرهون، المتوفى سنة 1135هـ (أو 1130هـ). وقد كان في ابتداء أمره بمدينة فاس يجلس بباب القرويين ، ثم انتقل إلى زرهون فأنشأ زاويته هناك، ليس لطريقته سند محدد؛ إذ أخذ عن غير واحد، وقد كان من أهل الجذب ساقط التكليف يحب السماع والأمداح ويرتاح للطرب ويصبو لسماع آلته، وهي الأكوال والتعريجة[6]؛ كما كان له ورد يشتمل على ثمانية عشر ألفا من "**الهيللة**"[7]؛ له زوايا وأتباع في حواضر المغرب وباديه. قال القادري عن طريقته: " **له أصحاب وأتباع يذكرون له خوارق وكرامات، ويؤثرون عنه أحوال ومقامات، وله طائفة (الآن) ينتسبون له**"[8] .

ويعتبر الشيخ محمد بن يوسف الحمدوشي - الذي صنف هو أيضا من أهل الجذب والأحوال- ، من بين أبرز تلاميذ سيدي علي بن حمدوش، أخذ الطريقة عن شيخه المذكور، وكان أقوى أتباعه، كما حرص على نهج خط شيخه، في اتخاذ حلقات الذكر و"الهيللة" مع استعمال آلة الطرب "الطبلة" و"الطاسة"، بخلاف شيخه .

توفي الشيخ محمد بن يوسف في حدود 1160هـ/1747م، ودفن بزاويته المذكورة[9].

وقد استمرت هذه الزاوية في نشاطها الطرقي، فصارت مقرا لاجتماع أتباع الطائفة الحمدوشية، الذين استمروا في إحياء طقوسها عبر استعمال آلة الطرب الأكوال والتعريجة، يقول الكتاني "**ولا زال أصحابه يجتمعون بالزاوية المذكورة إلى (الآن) وقبره بها شهير ومزارة يتبرك بها**"[10]. كما تفرعت هذه الطائفة وصارت طائفتين: طائفة تتبع للشيخ علي بن حمدوش، وطائفة تتبع لمريده محمد بن يوسف، وقد دون "**الكتاني**" ملاحظاته حول الزاوية في وقته:"**والفرق بين أتباعه وأتباع شيخه في آلة الطرب، هو أن**

---

[1] - انظر، محمد القادري، **نشر المثاني...** ، م.س. ج3 ص 158

[2] - انظر ، عبد الكبير الكتاني ، **روض الأنفاس** ، م.س. ص216

[3] - انظر ، **المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .**

[4] - انظر، الكتاني ، **روض الأنفاس....** ، م.س. ص ص 219- 223

[5] - **المصدر نفسه** ، ص 221

[6] - **المصدر نفسه ،** ص ص 220 – 221

[7] - عبد الرحمن بن محمد السجلماسي(ابن زيدان)، **إتحاف أعلان الناس ...،** م.س. ج 5، ص 536 .

[8] - القادري ، **نشر المثاني ...،** م.س. ج3 ، ص 263 .

[9] - انظر ، عبد الكبير الكتاني ، **روض الأنفاس** ، م.س. ص222

[10] - **المصدر نفسه،** ص 223

آلة طرب حلقته هي الآلة المعروفة بالطبلة والطاسة وأن آلة شيخه بفاس وسائر الحواضر والبوادي هي الآلة المعروفة بأكوال والتعريجة، وإن أتباع شيخه بفاس أصحاب هذه الآلة يعتمرون بزاوية بطالعة فاس إلى (الآن)"[1] .

وقد عرفت هذه الطريقة انحرافا في مسار تطورها من خلال ما لحقها من البدع والمنكرات، والتي ظهرت بعد وفاة شيخها، وهو ما يذكره "**ابن زيدان**" بالإشارة إلى: أن العديد من أعمال البدع والمنكرات نسبت ضلالا إلى طريقته، كضرب رؤوسهم بالمعاول والعصى وزبر الحديد، وهذه لا أصل لها بطريقته، وأصل هذه المنكرات "**ما يقال من أن بعض أتباعه وهو أحمد الدغوغي أحد أتباع المترجم (أي الشيخ الحمدوشي) من العوام الصرف لم يحضر وفاة متبوعه، فلما آب من سفره وعلم بوفاته صار يضرب رأسه مع الجدارات وبالأحجار آسفا على فقد شيخه...، فاتخذ الأخلاط من أصحابه ذلك عادة..."**[2] .

2- زوايا الطريقة الخلوتية

أ- الزاوية الصقلية :

تقع الزاوية الصقلية بأقصى درب سبع لويات من فاس القرويين، وتنسب للشيخ "**أحمد الصقلي**" صاحب "الطريقة الصقلية"، والتي استمدها من "الطريقة الخلوتية"[3] بمصر .

وقد تأسست الزاوية بعد وفاة الشيخ أحمد الصقلي، وذلك من خلال أصحابه الذين تولوا هذا الأمر، حيث ارتبط وجود الزاوية بمدفن صاحبها؛ فعند وفاة أحمد الصقلي **(1177هـ/1764م)** " **قام بعض أهله وأصحابه واشتروا دارا براحا بأقصى درب السبع لويات من فاس القرويين ودفنوه بها وبنوها روضة عليه، وفتحوا بابا آخرى من جهة باب النقبة، فاجتمع بها أصحابه على تداول الأوراد والأحزاب، كما اتخذوها مقبرة لدفن الأموات**"[4]، هكذا يصف صاحب "**نشر المثاني**" كيف وُجدت الزاوية الصقلية. وهنا لابد من التأكيد على أن الطريقة الصقلية كانت موجودة أيام حياة الشيخ الصقلي الذي وضع أسسها بنفسه، لكن من دون زاوية؛ فالمشهور هو أن الزاوية تسبق الطريقة، لكن بالنسبة لأحمد الصقلي، فقد سبقت الطريقة الزاوية؛ فالشيخ أحمد الصقلي، بعد أن برزت عليه مظاهر الولاية، وتبنيه الطريقة الخلوتية الشاذلية، لم يؤسس زاوية، ولم يكن له مكان محدد لممارسة طقوس طريقته الصوفية، كما لم تكن له كيفية محددة سلفا لطريقته، يقول الكتاني في ط**سلوة الأنفاس**": "**أن أحمد الصقلي اعتمد عليه (ويقصد محمد بن سالم الحفناوي صاحب الطريقة الخلوتية بمصر) فكمل له المقصود، ولاحت عليه**

---

[1] - **المصدر نفسه**، ص 223

[2] - ابن زيدان ، **إتحاف أعلام الناس...**، م.س. ج5 ، ص 537

[3] - انظر، المدخل العام من هذه الدراسة .

[4] - انظر ، محمد القادري، **نشر المثاني...** ج4 ، ص ص 156- 157 ؛ محمد الكتاني، **سلوة الأنفاس...**، م.س. ج1، ص 144

الأنوار ...ولما رجع من حجته هذه، فشا وشاع أمره، واجتمع عليه الناس وأخذوا عنه...يحيي مع أصحابه الليالي بالذكر، ويعطي الورد...."[1] .

وبالتالي نطرح السؤال التالي: أين كانت تمارس طقوس الطريقة الخلوتية الصقلية؟

أشار صاحب "**السلوة**" أنه كان يفعل ذلك "**في بعض النزهات، أو عند بعض الأصحاب والخلوات، وفي المواسم والأعياد، وكثيرا ما كان يجتمع مع أصحابه أيضا في المكتب الذي بالدرب الطويل، عند دار الشرفاء الصقليين، ولما كثروا طلبوا منه أن يبني زاوية، فقال: تكفينا روضة سيدي أبي عياد الورياجلي التي بالصاغة، فكانوا يذكرون فيها عشية يوم الجمعة، وأكثر ما تراه صامتا وهم يذكرون، ثم ينطق بالكلمة أو الكلمتين أو يقول قولوا كذا**"[2] .

كما نؤكد أن الشيخ لم يكن ينوي تأسيس زاوية لطريقته، بدليل جوابه عن سؤال مريده حول هذا الأمر، بأنه يكتفي بروضة أبي عياد الورياجيلي ، كما نضيف ما أورده"القادري"، أنه وقبيل وفاته "**ولما استحضر أوصى بأن يدفن إما في جبل الولي الرباني سيدي أحمد بن سيدي علي البرنسي خارج باب الفتوح، فامتنع الأهل والأصحاب من ذلك واشتروا دارا براحا..."**[3] .

وعموما، فقد مارست الزاوية الصقلية وظيفتها في جمع المريدين والدعوة للطريقة الصقلية، عبر إحياء حلقات الذكر، وتداول الأوراد التي سنها الشيخ أحمد الصقلي، خصوصا بعدما عززت ببناء المسجد، فصارت مخصصة للصلوات والتعبد فضلا عن وظيفتها الصوفية، كما خُصصت أوقاف وأحباس لأجل الإمام والمؤذن والحزابين والمصالح[4]. وقد قام بشؤون الزاوية والطريقة الصقلية بعد وفاة شيخها، ولده محمد بن أحمد الصقلي (1232هـ)[5]، كما توارث أبناء الشيخ الصقلي وأحفاده القيام بشؤون الزاوية عبر تاريخها.

وقد عرفت الزاوية بعض الفتور قرنا بعد قرن، فخلال القرن 19م، ظلت " **مجتمع المنتسبين له من الفقراء، ومن بقي من أتباعه من الفضلاء ، وقطب رحاهم الذي عليه المدار، في القيام بمجمع أفرادهم على حلق الأذكار**"[6] . أما خلال القرن 20م، فقد عرفت تراجعا من حيث المنتسبين، وهو ما يؤكده صاحب "طيب الأنفاس"، بالقول" **لا يزال لها أتباع، وإن كانوا قلة، يعمرون حلق الذكر كل جمعة**"[7]، وقد ظلت على هذا الوضع إلى وقت قريب من عصرنا الحالي، فمما أفادنا به بعض ساكنة الحي حيث مقر الزاوية[8]، أنه كانت العادة التي تسير عليها الزاوية هي اجتماع المريدين يوم الخميس من كل أسبوع بين العصر

---

[1] - انظر، محمد الكتاني، **سلوة الأنفاس...،** م.س. ج1، ص 142

[2] - **المصدر نفسه،** الصفحة نفسها .

[3] - محمد القادري، **نشر المثاني ...،** ج2 ، ص 157 .

[4] - انظر ، عبد الكبير الكتاني ، **روض الأنفاس ...،** م.س. ص278 .

[5] - انظر ، محمد الكتاني ، **سلوة الأنفاس** ، ج1 ، م.س. ص 146 .

[6] - **المصدر نفسه،** ص 145 .

[7] - محمد بن الحسن الحجوي الثعالبي ، **طيب الأنفاس ...،** م.س. ص71

[8] - كان اللقاء بتاريخ 03 مارس 2018م .

والمغرب لتلاوة الوظيفة الزروقية، وإنشاد الأمداح والأذكار، مع الاحتفال بذكرى مولد الرسول ﷺ كل سنة .

وعموما، تعتبر الزاوية – إضافة لدورها الديني والصوفي- روضة ومدفنا لأتباع الطريقة الصقلية .

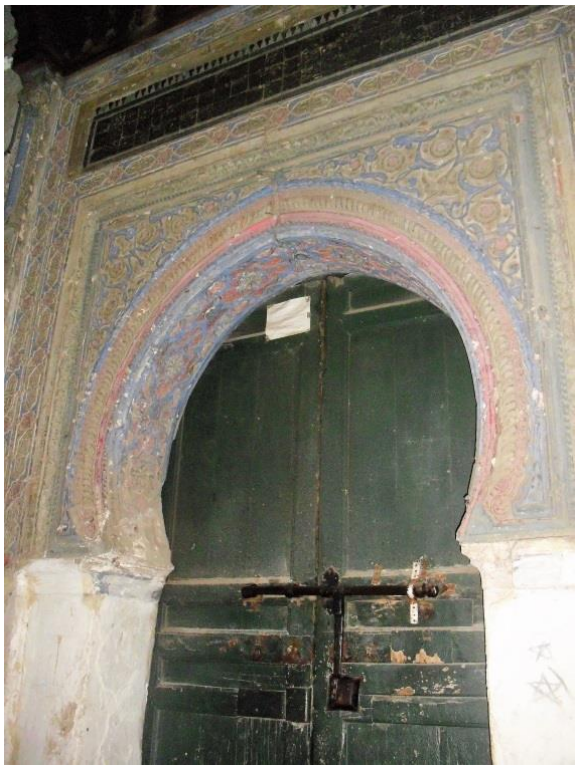
ب- زاوية التاودي بن سودة

تقع هذه الزاوية بحومة زقاق البغل أسفل العقبة الزرقاء ، قبالة محل سكنى الشيخ أيام حياته .

وهي تنسب للشيخ محمد التاودي بن سودة(ت 1209هـ/1795م)، الذي أسسها من أجل الاجتماع للذكر، وإحياء طريقته المستمدة من الطريقة الصقلية؛ فقد ورد أنه تبرك في طريقه الصوفي بالشيخ أحمد بن محمد الصقلي، لكن لم يذكر على وجه التأكيد هل اتخذ الطريقة الصقلية نهجا في سلوكه ، أم أنه اتخذ طريقة خاصة به.

ويعتبر المسجد الذي يجاورها من مرافق الزاوية، حيث تقام الصلوات الخمس. كما تضم الزاوية قبر الشيخ التاودي الذي دفن عندها، وهو يمين محراب المسجد ملتصق بجداره وعليه دربوز[1]، كما غدت الزاوية مدفنا لذريته فيما بعد .

وعن نشاط الزاوية فهو الآن متوقف في وظيفة المسجد بالقيام بالصلوات .



باب الزاوية



مئذنة مسجد الزاوية

[1] - محمد الكتاني ، **سلوة الأنفاس** ، م.س. ج1 ، ص 119

خلاصـــــة

من خلال هذا الفصل، والذي تم التطرق فيه لأهم زوايا مرحلة القرنين 17-18م، نسجل الملاحظات التالية:

- تُقسم الزوايا التي انتشرت خلال القرنين 17 و18م، إلى ثلاثة أصناف: زوايا علمية، وزوايا شهرة، أو زوايا شعبية، وزوايا البدع، فالزوايا العلمية شغلت مرحلة القرن 17م، أما نهاية القرن 17 والنصف الأول من القرن 18م، فقد عرف انتشارا لزوايا الشهرة، التي تجاوزت شهرة ومكانة الزوايا العلمية، فالعديد من مؤسسي تلك الزوايا، ورغم ضعف مكانتهم في العلوم الدينية، بلغوا شهرة كبيرة هم وزواياهم، فنافسوا بذلك الزوايا العلمية ورجالها في استقطاب المريدين وفي الانتشار داخل مدينة فاس، وهذا الأمر بدوره هو ما أسهم في انتشار وتفاقم ظاهرة زوايا البدع أواخر القرن 18م.

- أن تصنيف نطاقات الزوايا، خلق خريطة تصوف مجالية بمدينة فاس، فمن خلالها يتضح أننا أمام نطاقات مجالية صوفية .

- أن تطور الزاوية لم يكن دائما في اتجاه تصاعدي، فقد يحدث العكس، بأن تتأسس زاوية انطلاقا من ضريح، وقد تتحول زاوية مع مرور الوقت لضريح ثم مقبرة للدفن. فالعديد من الزوايا لم تؤسس إلا بعد وفاة أصحابها ودفنهم بها .

- احتلت فروع زوايا الطرق المغربية مساحة كبيرة من زوايا مدينة فاس، فصارت جزءا من خريطة التصوف الفاسي، وقد احتلت الزوايا من أصول غير حضرية نسبة هامة من مجموع زوايا مدينة فاس .

- أن أغلب التراث الصوفي المبني الذي يعود للمرحلة المخصوصة بالدراسة لايزال دون دراسة، فالعديد من الزوايا والطرق الصوفية بمدينة فاس ، لم تحض بدراسة منهجية أكاديمية نموذج الزاوية والطريقة الصقلية، وفروع الزاوية الوزانية، فعدا عن الزاوية والطريقة الفاسية، فقد ظلت العديد من زوايا القرن 17- 18م دون اهتمام أكاديمي؛ فالزاوية الصقلية، إلى الآن لم يحدد منهجها الصوفي بدقة، خاصة أنها لم تكن لا جزولية ولا زروقية، الأمر الذي يمكن القول معه أنها كانت مرحلة لبداية ظهور طرق وزوايا ليس لها الانتماء لهذين الفرعين؛ فبعد الزاوية الصقلية كان ظهور الطريقة التيجانية التي لا تنتمي لأي من الطرق المعروفة (الشاذلية والقادرية)، وهو ما حدث لأول مرة منذ ظهور الشيخ الشاذلي والقادري .

الفصل الثاني: تراث الأضرحة في مدينة فاس خلال القرنين 17 و18م

شكلت قبور الأولياء والصلحاء - إلى جانب الزوايا - تراثا صوفيا معماريا، إذ نالت مكانة القداسة وما اعتقد فيها، فحضيت باهتمام بالغ وإقبال على زيارتها. والبعض حرص على أن يدفن بعد موته بالقرب منها، مهما كانت تكلفة ذلك. كما نالت تلك الأضرحة عناية كبيرة، سواء من حيث أبنيتها ومعمارها، أو من حيث القيام بشؤونها، وذلك من خلال تعيين قراء لقراءة القرآن وإحياء المواسم وتعميرها بالذكر، فضلا عن وضع أحباس وأوقاف لكل ذلك، مع ما كان يأتيها من النذور والهدايا. وقد أطلق على الأضرحة أيضا مفهوم "**الروضات**"، في تطور لمفهوم الضريح، التي انتشرت في المغرب -عامة- منذ القرنين 9 و10هـ/15 و16م[1]؛ ففي مدينة فاس، والتي كانت حافلة بهذه المباني، نجد العديد منها، من قبيل: روضة أبي المحاسن الفاسي، وروضة محمد بن عبد الله معن، وروضة علي بن عبد المجيد المزالي، وروضة أبي يحيى الدخيسي، وغيرها، ولم يتوقف تشييد الروضات على الصلحاء والأولياء، بل ضمت أيضا جانب العلماء الذين نالوا احتراما وتقديرا من الخاصة والعامة على السواء .

كما شكلت الأضرحة مكملا لخريطة المقدس الصوفي لهذه المدينة، والتي نجدها داخل الزوايا والمقابر، وبالدور السكنية، وفي حالات نادرة نجدها بمساجد أو جوامع؛ فالتي اتخذت مكانا داخل الزاوية جاءت عن طريق دفن الشيخ المؤسس للزاوية داخل زاويته، ثم يتبعه عدد من أقاربه وبعض أتباعه، فتتحول بذلك إلى روضة، من قبيل روضة الزاوية الفاسية، وروضة الزاوية القادرية برأس التيالين، وروضة زاوية الحاج الخياط الرقعي....، فمن خلال دراسة التراث المبني المرتبط بالزوايا بمدينة فاس، وجدنا أن هذه المؤسسة ضمت أضرحة العديد من الأولياء، إذ كانت علاقة الضريح بالزواية علاقة اطرادية، وقد تجلت تمثلات هذه العلاقة عبر عدة أوجه، فمن الصلحاء من أسس زاويته ودفن بها، مثل زاوية التاودي بن سودة. ومنهم من دفن ثم تحول ضريحه إلى زاوية، مثل الزاوية الصقلية، والزاوية القادرية برأس الجنان... بل كانت بعض الروضات أساسا لوجود الزاوية، حيث يصبح مدفن الشيخ الصوفي لبنة لبنائها، وهذا النوع انتشر بشكل كبير في مرحلة **"التصوف الشعبي"** القائم على **"السلوك"**؛ وقد ارتبطت زاويا بعض الصلحاء بأضرحتهم وأصبحت لا تعرف إلا بهم. ومن الزوايا ما ضم أضرحة أبناء وأهل مؤسس الزاوية، مثل الزاوية الفاسية، ومن الزوايا ما ضم أكثر ممن ينتمي لأسرة واحدة، مثلا الزاوية الشاوية، ومنهم من ترك زاويته، ودفن بمقبرة خارج المدينة، لتحتضن زاويته ضريح بعض ذريته أو أهله - مثلا زاوية الشيخ العارف الفاسي (الزاوية الفاسية) .

أما التي اتخذت مكانا بين المقابر فغالبا ما كان تشييدها خارج أسوار مدينة فاس حيث تكون المقابر عادة، وتتوزع بين مقبرة باب الجيسة ومقبرة باب الفتوح، وقد نالت هذه الأخيرة حظا وافرا من مدافن وأضرحة مدينة فاس خلال مرحلة القرنين 17 و18م .

[1] - انظر، عبد اللطيف الشاذلي، **التصوف والمجتمع** ، م.س. ص191

وإن دراسة أضرحة مدينة فاس التي تعود لمرحلة القرنين 17-18م، دراسة تراثية هي من الصعوبة بمكان، ومرد ذلك وجود العدد الكبير منها، وندرة المعطيات التاريخية في المصادر، والتي اكتفى معظمها بذكر مكان دفن الصالح، ونادرا ما نجد بعض المعلومات والمعطيات حول بناء القبور والأضرحة وتجديدها. ونضيف أيضا أن من الأضرحة والروضات ما أُهمل ولم يعد له أثر أو دليل على وجوده، وهناك ما مسه التغيير سواء في وجوده أو في الشكل الخرجي من إصلاح وتوسعة دون أن يكون أي تأريخ لذلك، والأمر الأخير، أن عددا من الزوايا التي تضم أضرحة الصلحاء مغلقة وغير متاحة للزيارة، والبعض منها أغلق مكان الضريح حيث لا يفتح إلا في بعض المناسبات، الأمر الذي جعلنا ضمن هذا العنصر من الدراسة، نتخذ نماذج فقط من بين أبرز الأضرحة والروضات مما وقفنا عليه ضمن المصادر والمراجع وما استطعنا الوصول إليه والوقوف عليه ضمن البحث الميداني .

وقد سبقت الإشارة ضمن الفصل الأول من تراث الزوايا، أن زيارتنا الميدانية لهذه الروضات كانت خلال مرحلة البحث، فكل الصور الموثقة واللقاءات مع بعض القيمين كانت ما بين سنوات 2015 و2021م.

وقبل بداية التطرق إلى عناصر الدراسة ضمن هذا الفصل، لابد من تقديم مجموعة من التعاريف التي ارتبطت بمبنى الضريح وشكلت جزءا منه، وهي: "الروضة"، و"الضريح"، وما يبنى عليه من "القبة"، و"الحوش"، و"الدربوز" .

مبحث تمهيدي : تعاريف ومفاهيم ترتبط تراث الأضرحة

- **تعريف الروضة**: الروضة لغة هي الأرض ذات الخضرة والروضة هي البستان الحسن ، والروضة من الرياض أي الجنان[1]، واصطلاحا: استمد مفهوم الروضة من الجانب الديني المرتبط بمقام الرسول الكريم، وهي المنطقة ما بين قبر الرسول ﷺ ومنبره، وذلك وفقا لحديث شريف "**ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة**"، واستنادا كذلك إلى ما ورد في حديث آخر من "**أن قبر المؤمن روضة من رياض الجنة**"[2]؛ ومن هنا استمدت الروضات عند الصوفية معناها، فسميت قبور الصلحاء بالروضات.

[1] - أحمد رضا ، **معجم متن اللغة** – موسوعة لغوية حديثة، دار مكتبة الحياة ، بيروت لبنان ، ط 1 ، 1958م، المجلد الثاني، ص679؛ جبران مسعود ، **الرائد - معجم لغوي عصري** ، م.س. ، كلمة "**رياض وروض**"، ص 407 .

[2] - انظر، عبد الكبير الكتاني، **روض الأنفاس العالية..** ، م.س. (قسم التقديم) ، ص 90

- **تعريف الضريح :**الضريح لغة هو الشق الذي يكون وسط القبر وقيل هو القبر كله، و اصطلاحًا يطلق على البناء المشيد على القبر، ويتميز ببساطة الشكل والتصميم عادة، ولا يرقى إلى شكل العمارة الدينية كالمساجد، ولا العمارة المدنية كالقصور والمنـازل[1] .

- **القبة:** جمع قباب، والقبة هي الجزء الذي يعلو الضريح، وهو ذلك البناء الذي فوق بيت الضريح، والذي يكون بعد الدفن بمدة، وبخصوص شكل القبب، فقد كانت غالبا تمتاز بالبساطة وعدم التعقيد من الخارج، حيث تكون إما مدورة مصبوغة بالأبيض، أو على شكل مثلث وفوقها قرمود أخضر ، لكن الشكل الدائري البسيط من الخارج كان هو الشكل السائد والمتعارف عليه، وتختلف أحجام وإشكال وتركيبة الضريح والقبّة على السواء، فتكون كبيرة أو صغيرة، مربّعة أو أسطوانية، رخامية أو حجرية[2]، وقد تعرف بعض القبب اهتماما وزخرفة من الجانب الأجوف للقبة، إما بالجبس المنقوش أو الخشب المنقوش، أو الرسم. وتمثّل القبة بدورهـا رمـزًا ذا قداسة، كما تعتبر ملازمة للصلاح ودالة عليه بالكيفية المتميزة، فوجود القبة يعني وجود صالح أو ولي . وقد اتخذ البناء لتجسيم المدفن وتمييزه، وقد لا يرد تاريخ بناء القبة ولا كيفيتها بالمصادر ولا من تكفل بذلك ، فترد للمجهول لعدم تعين القائم به[3] .

- **الحوش: لغة:** من حاش يحوش، من الدار ساحتها[4]؛ **واصطلاحا:** هو ذلك البناء الذي يقع على القبر مباشرة، و يكون بعد الدفن بمدة، فيبنى إما بالخشب أو الطين أو مواد البناء بالإسمنت وغيره، وقد يمثل الحوش الشباك أيضا .

- **الدربوز:** أصل الكلمة فارسية من **"درابزين"** ويقابلها في اللغة العربية **"حُلفُق أو جلفق"**، وهو ما يثبت من حديد أو خشب أو غير ذلك في جانب السلم أو السطح ليقي من السقوط[5]، وقد استمد من هذا المصطلح معنى الدربوز الذي يوضع على القبور؛ فهو هو ذلك المجسم الذي يقع فوق حوش القبر ، وغالبا ما يخضع الدربوز للتلبيس أو الكسوة ، التي تكون بثوب مطروز عليه آيات من القرآن أو أحاديث نبوية أو أذكار، وتكون الألوان التي تختار لكسوة الدربوز على أضرحة الصلحاء بالمغرب، إما باللون الأخضر أو الأحمر الداكن ، والدربوز غالبا ما يتميز ببعض الزخرفات، ويمكن تغييره واستبداله، وذلك حسب المناسبات ودرجة العناية بالمكان.

---

[1] - سامي محمد نوار، **الكامل في مصطلحات العمارة الإسلامية من بطون المعاجم اللغوية**، دار الوفاء، مصر، د.ط. سنة 2002،ص. 112

[2] - انظر، صالح لمعي مصطفى، **القباب في العمارة الإسلامية**، بيروت، دار البهجة، ط1 ، دون تاريخ ، ص. 23.

[3] - عبد اللطيف الشاذلي ، **التصوف والمجتمع** ص 192

[4] - جبران مسعود ، **الرائد ...** م.س. ص 340

[5] - أحمد رضا ، **معجم متن اللغة** ، م.س. ، ص 394

المبحث الأول : أضرحة وروضات خارج أسوار مدينة فاس

شكلت مقابر مدينة فاس جزءا من منظومتها الدينية، وقد اشتهرت المدينة بوجود مقبرتين خارج أسوارها وهما مقبرتي باب الكيسة ومقبرة باب فتوح، اللتان ضمتا العديد من القبور والروضات والأضرحة، لدرجة أن أصبحت أجزاء منها مخصصة لمدفن عائلات بعينها، واشتهرت كمدفن أهل فلان، كما كان الشأن بمقابر آل معن، ومقبرة الدلائيين، وغيرهما .

1- روضات ومقابر باب الفتوح

تضم مقبرة باب الفتوح العديد من صلحاء وصوفية وعلماء مدينة فاس الذين شغلوا مرحلة القرنين 17 و18م، ما يصعب حصرهم وعدهم[1]، وقد تطرقنا إلى نبذة من حياة العديد منهم، فمنهم من كان قبره ذا بناء فكان روضة وضريحا، كروضة وضريح الشيخ أبي المحاسن الفاسي، وروضة الشيخ محمد بن عبد معن، ومنهم من كان قبره بسيطا لا يظهر منه أي تميز، كقبور: أحمد بن القاضي المكناسي (ت1025هـ/1616م)، وعبد السلام بن الطيب القادري (ت 1110هـ/1698م) الذي دفن بالقرب من قبر شيخه أحمد اليمني، ومحمد بن أحمد المسناوي، وغيرهم؛ ولأنه يصعب حصر الحديث حول شيوخ وعلماء وصلحاء مدينة فاس الذين أقبروا في هذه المقبرة خلال القرنين 17 و18م، سنخص البحث ضمن هذا الجزء من الدراسة عن أبرز روضات هذه المقبرة: وهما روضتا الشيخين أبي المحاسن ومحمد بن عبد الله معن .

- **روضة أبي المحاسن يوسف الفاسي**

توجد بأعلى منطقة بمقبرة باب الفتوح، وتقع تحديدا مباشرة على يسار الباب الشرقي، وأصل وجودها هو قبر الشيخ أبي المحاسن، حيث توفي ثامن عشر ربيع الأول سنة (1013هـ -1605م)، وصلي عليه بجامع الأندلس، فحمل ودفن خارج باب الفتوح[2] ، في الروضة المنسوبة له، تحت مصلى العيدين من شماله الشرقي، وفي جهة القبلة من جميع ما هنالك من تراب الصالحين وروضاتهم، في ذلك السفح الذي فيه الشيخ أبو الحسن علي حماموش، وأبو الحسن الصنهاجي، .. وأبو النعيم رضوان .. وغيرهم[3].

وعن الأرض التي دفن فيها، فقد وُهبت للشيخ أبي المحاسن قيد حياته، فقام بتجهيزها لأجل أن يُدفن بها، يورد محمد العربي الخبر حولها، قائلا: "**وقد كانت الأرض التي دفن فيها مملوكة لرجل من أصحابه وجيرانه، فوهبها له في وباء سنة ست وألف، وهي أرض واسعة نقية صلبة، لم يتقدم فيها دفن، فأمر الشيخ ببناء حائط دائر عليها، فبني ، وجعل لها بابان، أحدهما - وهو الأكبر- في الحائط الشمالي مما يلي المشرق والقبلة ، والآخر في الحائط الجوفي مما يلي الشمال، وطولها أكثر من عرضها بيسير، إلا أن**

---

[1] - انظر الجدول رقم1 ضمن الملحق

[2] - انظر، محمد العربي الفاسي ، **مرآة المحاسن**.، م.س. ص 192؛ القادري، **التقاط الدرر** ، م.س. ص 43

[3] - محمد العربي الفاسي، **مرآة المحاسن** ، م.س.ص192 .

عرضها في الشمال مما يلي الجوف نقص منه طرف مستطيل لسبب اقتضى ذلك، ودفن فيها كثير من أصحابه ممن توفي في الوباء وبعده"[1] ؛ كما أوصى الشيخ أبو المحاسن أن لا يتم فيها البناء عليه، إلا أن محمد العربي يعلل هذه الوصية للغلاء الذي كانت تعرفه مدينة فاس، وليس حُرمة منه، وهوما دفع أتباعه ليخالفوا وصيته، فقاموا ببناء قبره دون إتمامه؛ يقول محمد العربي "**وكان الشيخ قد عهد إلينا في مرضه أن لا نبني عليه في ذلك الوقت، وسكت عن غيره، وكان وقت غلاء، فقال: استحيوا من الله تعالى أن تنفقوا المال في البناء والمسلمون في الحاجة إليه... ثم وقع التأويل فيما عهد به ، ووقع الشروع في بناء قبة ضخمة البناء، رحيبة الفناء، وليس في القباب الدائرة بالمدينة ما يساويها في ذلك؛ فأسست ورفعت أركانها الأربعة، وصرف عنها القدر وجميع ما يحتاج إليها في بنائها حاضر، ورأينا أن ذلك بسبب مخالفة عهده"**[2]، ولن يعرف البناء تمامه بما هو عليه اليوم، إلا على يد مريده وهو "الشيخ محمد بن عبد الله معن"، وهو ما يؤكده محمد العربي بالقول"**فبقيت على ذلك إلى سنة إحدى وأربعين وألف، فحرك الله تعالى لإتمامها قلب تلميذه وخاصته الشيخ أبي عبد محمد بن عبد الله معن ، فنهض لها نهوض المأذون له، فتمت على أحسن وصف**"[3]، فكانت -بذلك- الروضة امتدادا لقبر وضريح صاحبها، وقد ضمت بعده العديد من القبور، لمن دفنوا بالقرب منه من بيت أبي المحاسن وغيره، نذكر منهم : الشيخ علي بن يوسف البيطار الأندلسي (ت1014هـ) الذي صحب الشيخ أبا المحاسن عند إقامته بمدينة فاس ولازمه، حيث دفن داخل سور روضة الشيخ أبي المحاسن[4]، ومحمد بن محمد أكرم السوسي (ت1045هـ/1635م) الذي كان منقطعا بفاس للقراءة على أبي محمد عبد القادر الفاسي[5]، ومحمد العربي بن يوسف الفاسي (ت1052هـ/1642م) ، وأحمد بن علي بن يوسف الفاسي (ت1062هـ/1652م) الذي مات ودفن بتطوان وظل مدة سنتين قبل أن يتم نقل جثمانه إلى جانب قبر أبي المحاسن[6]، ومحمد المهدي الفاسي (1109هـ/1697م)الذي دفن بداخل قبة جده يوسف الفاسي[7]، وعمر بن عبد الله الفاسي (ت 1188هـ/1774م)[8].

وقد وضع لقبر الشيخ أبي المحاسن دربوز موضوع عليه شباك خشبي[9]، كما بني على ضريح أبي المحاسن ومن بعده الشيخ العارف قبة لكل منهما، وإن كان يجهل تحديدا متى كان ذلك ، حيث اكتفى القادري بالقول حين عرج على ذكر وفاة الشيخ أبي المحاسن: "**ودفن خارج باب فتوح بروضته الشهيرة، وبنيت عليه قبة"**[10] ، لذلك عرفت هذه الروضة ب"القباب"، وذلك للقبب التي بنيت على ضريح الشيخ

---

[1] - محمد العربي الفاسي ، **مرآة المحاسن** ، م.س. ص192

[2] - **المصدر نفسه** ، ص193

[3] - **المصدر نفسه** ، الصفحة نفسها .

[4] - **المصدر نفسه** ، ص300

[5] - الإفراني ، **صفوة ما انتشر**....،م.س. ص162

[6] - امحمد بن أحمد الفاسي ، **المورد الهني** ،م.س. ،ص19

[7] - **المصدر نفسه**، ص7

[8] - انظر ، محمد الكتاني، **سلوة الأنفاس....**، ج1 صص384-386

[9] - امحمد بن أحمد الفاسي، **المورد الهني** ، م.س . ص18

[10] - القادري ، **نشر المثاني** ، ج1 ، م.س. ص 129

وعلى عدد من أقارب الشيخ وذويه، كما عرفت كذلك بقبة سبعة رجال[1] . وتظهر الروضة محاطة بسور وعليها باب رئيسي، وبين الباب الرئيسي للروضة وضريح الشيخ باب آخر، وقد خصص لضريح أبي المحاسن مساحة كبيرة من الروضة ، وقبره مقابل الداخل من الباب مباشرة، حيث يوجد من الوسط داخل قبته ، وصدر الروضة من ناحية المشرق ، إذ يستطيع الداخل إلى الروضة تمييز قبره من القبور الأخرى، وقد فُصل بين مدفنه والعديد من المدافن الأخرى بواسطة مدخل وباب ، وهو ما وقفنا عليه أثناء زيارتنا للمكان . (انظر الصور المرفقة) .

تعرض الضريح للإصلاح مرات عديدة، وذلك حسب ما أفادتنا به المقيمة بأمور الضريح والروضة[2] ، بأن الوضعية الحالية للمكان هي نفسها التي كانت عليها منذ السبعينات من القرن الماضي ، إذ كان قبر الشيخ أبي المحاسن مستويا على الأرض بدون بناء ولا دربوز، كما أخبرتنا بأنه كان يوجد على قبر الشيخ أبي المحاسن دربوز إلا أنه رفع مخافة سرقته، بعد أن تعرض للسرقة دربوز الشيخ عبد الرحمن العارف ، - وأضافت – أن هذا الدربوز هو الآن في عهدة أحد الأمناء القييمن على شؤون الضريح.

ويضم القبر زخرفات وكتابات متنوعة، ففي شريط بوسط الحائط والذي وضع بشكل أفقي من جهة الرأس (وهو من الجبس) نقش عليه بخط مغربي أبيات شعرية ، وهي :

" مشايخ الأطواد شيخ المشايخ قطب دايرة الرجال العارفين مناهل القصَّاد * الله عظمه قدوة واختاره لبساطه في سابق الإيجاد * من زاره إلا سعيد يا[3].... من زائر قد فاز بالأسعاد* فاخضع له متأدبا تنال المنا وسر الكريم بفضله المعتاد * إن القساوة لا دواء لضرها إلا زيارة ساكن الألحاد والخير عمال العباد* جلوسهم عند الولي هنيئة الصادق لرب زورة عارف ربى الفنا منها على العباد والزهاد*، فلكم نال أبو المحاسن نفحة قدسية اهازيج قد غاد* حتى تقفاه الإله لجنة الفردوس جيش كريم الناد* صلى الإله على الرسول خير الوجود وذو سيد الأسباط".

وفوق هذه الأبيات من جهة الرأس يوجد شاهد القبر ، كتبت عبارة "**لله العلى**" كإطار للشاهد ، وبقلبه كتب **"بشرا لك بالبركات والمدد وتزايد الخيرات (....) يا زاير الضريح فإنه قبر سبط النبي الهادي هذا مقام أبي المحاسن يوسف الفاسي المبارك"** (انظر الصورة) .

وفيما يخص قبة الشيخ أبي المحاسن ، فهي الأكبر بين القبب ، تعلو قبره مباشرة ، وهي ذات شكل بسيط من الخارج ومزخرفة من الداخل (انظر الصور) .

---

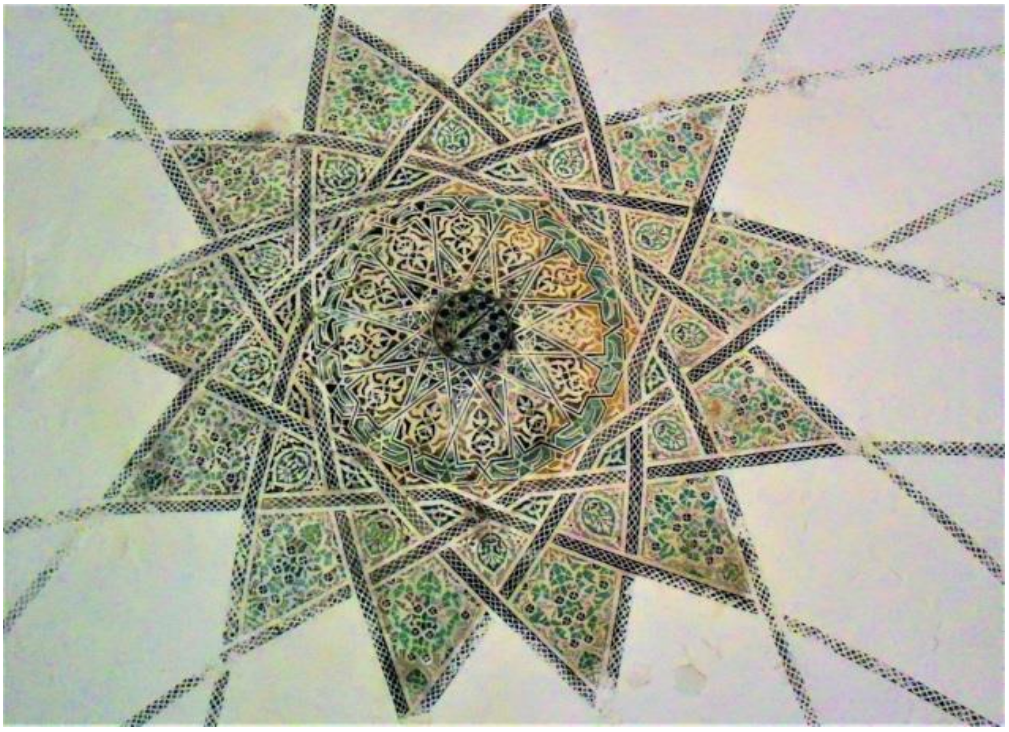
[1] - انظر ، محمد العربي الفاسي، **مرآة أبي المحاسن**...، م.س. **(قسم الدراسة)**، ص7

[2] - وهي سيدة طاعنة في السن تدعى فطومة المودني، لها مدة 50 سنة وهي تتقلد أمانة الضريح والروضة، كان لقاؤنا بها على الساعة 11 صباحا من يوم 25 نونبر سنة 2015م .

[3] - لم نستطع تحديد الكلمة لبهتان الخط



قبر الشيخ أبي المحاسن وشاهده



زخرفة تجويف قبة الشيخ أبي المحاسن

- **ضريح الشيخ عبد الرحمن بن محمد الفاسي :**

يوجد قبره داخل روضة الشيخ أبي المحاسن وخارج قبته، حيث دفن (1036هـ/1627م) وهو يمين الداخل إلى ضريح الشيخ[1]، وقد وضع عليه شباك خشبي[2] .

وللشيخ العارف قبة خاصة أصغر حجما من قبة الشيخ أبي المحاسن ، كما أن قبره أصغر حجما من قبر الشيخ أبي المحاسن (انظر الصور)، وهذا الأمر فيما يخص القبر والقبة، فهو يرمز لمقام كل منهما، ولاعتبار أن الشيخ أبا المحاسن، هو شيخ الطريقة الفاسية، وهو مؤسسها ، جاء البناء عاكسا لتلك المكانة .

وفيما يخص دربوز الشيخ العارف- وحسب إفادة المقيمة بالروضة- ، فقد تعرض للسرقة في السنوات الأخيرة .



قبر الشيخ عبد الرحمن العارف وشاهده

[1] - امحمد الفاسي، **المورد الهني..** ،م.س.ص 18؛ عبد الله التليدي ، **المطرب بمشاهير أولياء المغرب**، دار الأمان، الرباط،ط4،سنة 2003م ، ص 183 .

[2] - القادري، **نشر المثاني...** م.س. ج1، م.س. ص 266؛ امحمد الفاسي ، **المورد الهني..**، م.س. ص 18؛ عبد الله التليدي، **المطرب..م.س**. ص 183



روضة القباب حيث تظهر قبتا ضريحي الشيخين أبي المحاسن وعبد الرحمن العارف



الباب الخارجي للروضة التي تضم ضريح الشيخين أبي المحاسن والشيخ العارف وشاهد الضريح

- **روضة الشيخ محمد بن عبد الله معن**

توجد غير بعيد من روضة الشيخ أبي المحاسن، وأصل وجودها هو مدفن الشيخ محمد بن عبد الله، الذي "**توفي بعد طلوع الشمس بساعة يوم الأحد الثالث من جمادى الثانية سنة 1062هـ/1652م، وغسلته زوجته وابنته تهرق عليها الماء بعد أن غطت وجهها بساتر بايصاء منه، ودفن عند الزوال بالقباب ، أعلى مطرح الجنة خارج باب الفتوح...، وصلى عليه داخل قبة شيخه أبي المحاسن أمام قبره، الإمام ومن وسعه المكان وسائر الناس خلف القبر وخارج القبة والروضة، والإمام الذي صلى عليه هو الشيخ أبو محمد عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي**"[1] .

فكان بذلك للشيخ محمد بن عبد معن روضة خاصة به، وبنيت عليه قبة على شكل قبة شيخه سيدي يوسف[2]. وقد أورد "**محمد المهدي**" بعض التفاصيل عن بنائها فقال: "**أن مدة البناء لم تزد عن تسعة عشر يوما دون اعتبار أيام الراحة والجمع، والبناء لم يكن حفيلا معقدا**"[3] ؛ وقد دفن داخل القبة كل من ابن الشيخ، وهو"أحمد بن محمد معن" (ت1120هـ/1708م)، الذي توفي بداره من حومة المخفية، "**فحضر جنازنته جمع عظيم، وصلى عليه إمام زاويته أحمد بن الفقيه عبد الوهاب الوزير الغساني الأندلسي، ودفن بقبة والده عند رجلي أبيه**" [4] . كما ضمت الروضة كذلك جثمان تلميذ الشيخ محمد معن ، وهو قاسم الخصاصي "**الذي توفي ليلة الأحد التاسع عشر من شهر رمضان المعظم سنة (ت1083هـ/1673م)**[5] **، ودفن بجوار شيخه محمد بن عبد الله ..وبنيت عليه قبة**"[6]، كما دفن بجوارهم محمد العربي بن أحمد معن (ت 1166هـ/1753م)، وذلك خارج قبة أبيه وجده ، بالمباح المتصل بها.

ومن خلال زيارتنا للمكان، لاحظنا طابع البساطة الذي اتسمت به الروضة ومقابرها، فهي غير محروسة، ولم تبن بها قبور ولا حُوشٌ أو درابيز، بل اقتصر البناء على جدار وقبب خالية من أية زخارف أو كتابات أو نقوش، كما أن المقابر بدون أبواب، ولا يوجد عليها أي قيم أو حارس، مما جعلها معرضة للتخريب والإهمال الباد عليها. فالمكان ليس بتلك العناية والإهتمام الذي بدت عليه روضة الشيخ أبي المحاسن .

---

[1] - انظر، القادري ، **نشر المثاني...**، ج 2 ، ص ص 57 – 59- 60

[2] -انظر، **المصدر نفسه**، ص 60 ؛ عبد الكبير الكتاني ، **روض الأنفاس...** ، م.س. ص233

[3] - محمد المهدي الفاسي، **ممتع الأسماع...**، م.س. ص174

[4] - انظر، القادري، **نشر المثاني...** ج 3 ، ص 192؛ محمد فتحا بن أحمد الفاسي، **المورد الهني..** ، م.س. ص 35؛ محمد الكتاني، **سلوة الأنفاس....** ج2 ص 292 ؛ الإفراني، **صفوة...** م.س. ص 363

[5] - محمد القادري، **نشر المثاني..**م.س. ج2، ص ص 199- 200؛ **التقاط الدرر..** م.س. ص 309 ؛ امحمد الفاسي، **المورد الهني...** م.س.، ص 33

[6] - محمد القادري، **نشر المثاني...** ، ج2 ، ص 200





قبة ومدخل ضريح الشيخ محمد بن عبد الله معن







الشاهد والضريح الذي يضم قبور كل من محمد بن عبد الله، و أحمد بن عبد الله معن، وقاسم الخصاصي والعربي بن عبد الله

2- روضات ومقابر صلحاء باب الكيسة

شكلت مقبرة باب الكيسة المكان الثاني الذي قصده أهل فاس في دفن موتاهم، حيث ضمت مثلها مثل نظيرتها مقبرة باب الفتوح، العديد من الصلحاء والصوفية والعلماء[1]، منهم من كان قبره ذا بناء، فكان روضة وضريحا، كضريح مبارك بن عبابو(ت 1025هـ)، ومنهم من كان قبره بسيطا لا يظهر عليه أي تميز عن باقي القبور، كقبر مسعود بن محمد الشراط (ت1031هـ)، وعبد الرحمن التواتي(ت1104هـ)، ومحمد بن مسعود المريني(1145هـ)، وأبو بكر المجدوب، وعبد الرحمن بن علي المومناني، أحمد بن حمدون الشديد الأندلسي، أبو محمد سيدي عبد المجيد، وغيرهم، كما خصت بعض مساحات من هذه المقبرة لدفن أفراد أسر بعينها، مثلما كان حال الدلائيين الذين استوطنوا مدينة فاس.

وسنخص البحث في هذا الجزء عن أبرز روضات هذه المقبرة، وهما روضتي الشيخين مبارك بن عبابو، وسيدي علي بن حرزهم.

[1] - ممن ذكرهم القادري في مؤلفه **نشر المثاني** الذين دفنوا داخل باب الكيسة ، انظر الجدول رقم1 ضمن الملحق .

- **ضريح مبارك بن عبابو الكوش**

عرف "الشيخ مبارك بن عبابو" بالزهد والورع دون اتباع أي من الطرق الصوفية، وصفه القادري بأنه **"كان في غاية من الخمول والانقطاع عن الدنيا وأهلها، مجاب الدعوة وله بركات وكرامات ومكاشفات ؛ توفي في حدود سنة خمس وعشرين وألف(1025هـ) بفاس، ودفن خارج باب الجيسة بالقرب منها عن يمين الطريق الذاهبة إلى الحفارين"**[1]، وقد كان بناء قبره بعد مدة من ذلك، وتحديدا خلال مشيخة قاسم الخصاصي للزاوية المعنية، تكلف به الشيخ أحمد بن عبد الله معن، حيث يورد عبد السلام القادري في "**المقصد الأحمد**"، ومحمد بن الطيب القادري في "**نشر المثاني**" بما يفيد هذا الأمر بالقول: "**وقد بنى عليه سيدنا أبو العباس(أي أحمد بن محمد معن) بإذن شيخه قاسم الخصاصي وفي حياته، قوسا وجهه يقابل جبل زالغ وظهره إلى المدينة بخلاف الأقواس حوله، وخرج معه يوم الشروع في بنائه سيدي قاسم رحمه الله وحضر ذلك معه"**[2] ؛ كما نقش على قبره بيتين من الشعر كان "عبد السلام القادري" نظمهما في تاريخ وفاته، إذ يقول "**وقد كنت نظمت في تاريخ وفاته مشيرا إلى تمييز قبره بيتين نقشت من في زليج وهما:**

"هــذا ضريــح ولــي اللـه سـيدي مبــارك مفرد الزهــاد في الفــاني

في نحـو خمس عشرين وألف قضـــى وصار لله في روح وريحـــــان"[3]

- **ضريح سيدي علي بن حرزهم :**

يعود قبر هذا الضريح للشيخ علي بن حرزهم (المتوفي سنة 559 أو سنة 560 هـ)[4]، إلا أن تاريخ بناءه يعود للقرن 18م، وذلك حين أمر السلطان سيدي محمد بن عبد الله بهدم الضريح القديم وإعادة بنائه ، مما جعله جزءا من التراث الصوفي المعماري الذي ينتمي للمرحلة الحديثة، خصوصا أنه أصبح خلال القرن 17م مدفنا لعدد كبير من صلحاء وعلماء مدينة فاس خلال القرنين 17 و18م .

ويعتبر الشيخ علي بن حرزهم من أكابر صوفية فاس خلال القرن 6هـ/ 12م، قال عنه محمد الكتاني: "**ولد بفاس ونشأ بها، وكان فيها من كبار الفقهاء، حافظا للفقه، فاضلا ديّنا ورعا، زاهدا في الدنيا متقشفا، سالكا سبيل أهل التصوف.. وكان ينحو طريق الملامتية، ولم تكن تعرف إذ ذاك في المغرب.."**[5] ،

---

[1] - محمد القادري ، **نشر المثاني...** ، ج1 ، ص 211

[2] - عبد السلام القادري، **المقصد الأحمد....** ،مخ . م.و. م.س. ص 521 ، محمد القادري، **نشر المثاني...،** ح1 ، ص 212.

[3] - عبد السلام القادري، **المصدر نفسه،** ص ص520- 521 ، عبد الله الفاسي، **الإعلام بمن غبر...،** م.س.ص129؛ محمد القادري ، **نشر المثاني...** ، ج1، ص 212.

[4] - انظر ترجمته ، ابن عيشون الشراط ، **الروض العطر الأنفاس** ، م.س. ص ص 58 – 70 ؛ **التشوف إلى رجال التصوف** ، ص 94- 95؛ محمد الكتاني، **سلوة الأنفاس** ...، م.س. ج3 ، ص ص 90- 94 .

[5] - **المصدر نفسه** ، ص 90

وبخصوص مدفنه وقبره يقول : "**كانت وفاته بفاس آخر يوم من شعبان سنة تسع وخمسين؛ وقيل ستين وخمسائة ، ودفن في البلاد الموقوفة على دفن الغرباء، وبنيت عليه قبة؛ كان تاريخ بنائها واسم من بناها من أمراء بني مرين مكتوبا بنقش في رخامة على ضريحه**"[1].

أما البناء الحالي الذي يظهر عليه الضريح ، فهو يعود لمرحلة حكم "سيدي محمد بن عبد الله" ، وكان ذلك حين " **أمر السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي عامله على فاس محمد الصفار، أن يهدمها ويبني عليه أخرى أكبر منها؛ ففعل، وبناها عليه**"[2] .

ويصف "محمد الكتاني" ضريح علي بن حرزهم وقبة قبره، فيقول عنه: "**وهي القائمة البناء (الآن)، وهي قبة عظيمة، واسعة الفناء، حسنة الشكل والبناء، ليس بهذا الخارج قبة تماثلها في اتساعها وحسن تنمقيها، وضريحه بها ظاهر معلوم، يزار وهو مجرب البركة ، معروف لاستجابة الدعاء وقضاء الحوائج**"[3].

ويظهر الضريح اليوم - كما عايناه- ، بمساحة شاسعة ، ومقام مزخرف بألوان بديعة من الزليج الأخضر والأزرق ، وسقف من الخشب منمق ومنقوش بزخرفة بديعة ، تتوسطه ثريا من النحاس (انظر الصور المرفقة)، وقد شهد مؤخرا عملية ترميم ضمن المشاريع التي شملت عدة مباني تاريخية في مدينة فاس، كما يعرف أنشطة صوفية في بعض المناسبات الدينية، مثل إحياء ليلة المولد النبوي بقراءة أحزاب من القرآن والصلوات المحمدية – كما أفادنا بذلك المسؤول عن الضريح[4]- .

وقد دفن داخل هذه الروضة بعض أعلام مدينة فاس من علماء وسلاطين ورجال الدولة ، على رأسهم السلطان "**المولى الرشيد**" الذي توفي بمراكش ، فنقل ليدفن داخل ضريح ابن حرازم تنفيدا لوصيته، كما دفن داخلها كل من "**محمد بن أبي القاسم ابن سودة**"(ت 1076هـ) الفقيه العالم والصوفي، وقد أوصى أن تكتب أبيات على روضة علي بن حرزهم، وهي :

يا سالك المنهاج بالله العـــــلي قف ساعة واغنم زيارة الولي

علم المشايخ وابن حرزهم الحريز كبير حزبهم أبو الحسن علـي

واطلب أخي رحمات ربك دائما لمحمد نجل ابن سودة واســأل

واختم دعائك بالصلاة وسلمن ختما على خير الأنام المرسـل[5]

وكما دفن بها "**حمدون بن محمد المزوار**"(ت1084هـ)، الفقيه عالم وخطيب وقاضي، وهو الموجود بظهر مقام سيدي علي بن حرزهم[6] .

---

[1] - **المصدر نفسه**، ص 93

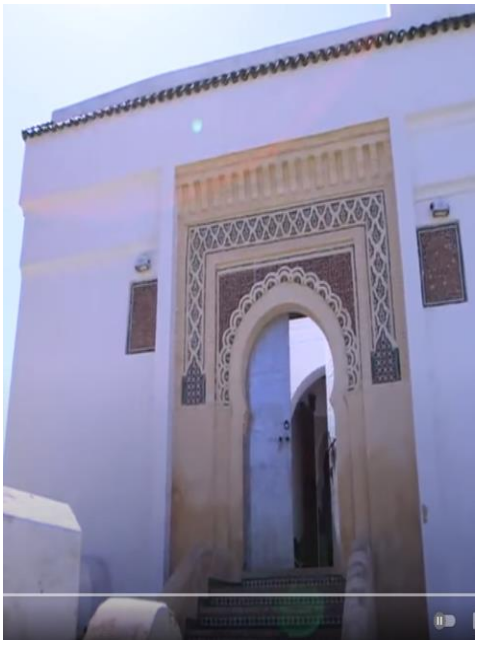
[2] - **المصدر نفسه، الصفحة نفسها .**

[3] - **المصدر نفسه** ، الصفحة نفسها .

[4] - كان اللقاء ، 12 يونيو 2119

[5] - محمد القادري، **نشر المثاني ...**، م.س. ج2 ص ص 150 - 151

[6] - **المصدر نفسه** ، ص 206





مقام الضريح بين مقابر باب الكيسة ، ومدخل بابه



فناء الضريح من الداخل



قبر الشيخ الشيخ علي بن حرزهم وشاهد القبر

المبحث الثاني: أضرحة ومقابر داخل أسوار مدينة فاس

عرفت مدينة فاس وجود العدد الكبير من القبور داخل أسوارها، فمنها ما كان داخل أبنية الزوايا، وهو أمر كان شائعا خلال مرحلة القرن 18م؛ ومنها ما كان داخل مساجد أو جوامع، وهو أمر كان نادر الحدوث والذي يرجع للعامل المرتبط بالصلاة داخل القبور؛ ومنها ما كان داخل منازل أصحاب من دفنوا فيها ، أو منازل اشتريت خصيصا لدفنهم بها .

وستذكر نماذج من أضرحة عن كل نموذج .

1- روضات وأضرحة الزوايا

شكلت الروضات جزءا من بناء مجموعة من الزوايا، منها ما كان أساس تأسيس وبناء الزاوية، ومنها ما أضيف كمرفق للزاوية وذلك بعد أن دفن بها صاحب الزاوية نفسه ، فتحول –بذلك- عدد كبير منها لروضات؛ ولأن مدينة فاس تضم عددا كبيرا من هذا الصنف من الروضات والأضرحة ، فقد اقتصرنا على أبرزها؛ وهي:

- **روضة الزاوية الفاسية بالقلقليين**

تقع داخل زاوية القلقليين، وهي تضم ضريح الشيخ عبد القادر الفاسي، الذي كان أول من دفن داخلها، وهو السبب الذي جعلها تعرف – بعد ذلك- ، باسم "**زاوية سيدي عبد القادر**" بعد أن كانت تعرف ب "**زاوية عبد الرحمن الفاسي**". وبخصوص مسألة دفن الشيخ عبد القادر فقد ذكر حولها قصة، رواها صاحب "**مباحث الأنوار**"، قائلا : "**سمعت بعض الناس رأى في المنان بعض أجداده مع الشيخ عبد الرحمن المجذوب الذي هو أصل كرامتهم يخوضون قبل موته في موضع دفنه، فقال لهم المجذوب: هنا**

يدفن في موضع تدريسه العلم، مشيرا إلى موضع من زاويته فدفن هنالك"[1] ؛ فكان بذلك الشيخ عبد القادر الفاسي أول من دفن بها، ومن بعده توالت عادة ردفن موتى الكثير من عائلة الفاسي داخل الزاوية؛ أما قبل ذلك فقد كانت الزاوية مخصصة للعلم والصلاة والتصوف .

وقد ضمت هذه الروضة العديد من رجال العلم والدين سواء من أهل الفاسيين أو من أتباع الطريقة الفاسية المقربين، نذكر منهم: **عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي (ت1096هـ/1685م)**، الذي توفي بدار والده عبد القادر الفاسي، ودفن بالزاوية عند رجلي رجلي أبيه ملتصقا بيمين المستقبل لمحرابها، على صف في حائط القبلة،وعليه مقبرة من خشب[2]؛و**محمد بن عبد القادر الفاسي (ت1116هـ/1704م)**[3]، الذي توفي بداره بفاس ودفن في المكان الذي كان يدّرس به من زاويتهم بالقلقلين[4] ؛ و**الطيب بن محمد بن عبد القادر الفاسي (تـ1113هـ/1701م)**[5] ، الذي توفي في حياة أبيه بفاس، ودفن بها ؛ **ومحمد الصغير بن عبد الرحمن الفاسي (ت1134هـ- 1722م)**[6]، الذي دفن بداخل محراب زاوية جده عبد القادر الفاسي؛ **وامحمد بن أحمد الفاسي (ت 1179هـ/1765م)**[7]، الذي توفي بفاس ، ودفن بزاوية جده عبد القادر ؛ **و محمد بن قاسم جسوس (ت1182هـ /1768م)**[8] ، توفي بفاس ودفن بها، وقبره يسرة الداخل للزاوية من البويبة الصغرى المقابلة لدار الشيخ عبد القادر[9] .

كما توالى دفن العديد من آل الفاسي فيما بعد، فاتخذت الزاوية مقبرة بعد ذلك، سواء لآل الفاسي- كما ورد بترجماتهم-، أو لعامة الناس، عن طريق شراءهم لقبور داخلها – كما سبق الإشارة لذلك في قضية بيع القبور وأوقافها بين الفاسيين بين أولاد محمد الفاسي-؛ حيث فقد دفن بالزاوية عدد كبير من رجال فاس وعلماءها، فضلا عن عدد من أصحابهم وخدامهم[10]، منهم الولي أبي عبد الله محمد بن الحفيد الدباغ[11]، ومحمد بن الطالب بن سودة المتوفى سنة 1345هـ[12] . فكانت زاوية ومزارة فيما بعد، مثلما عبر عن ذلك صاحب "المباحث" بالقول أن المكان الآن مزارة لأهل فاس[13] .

---

[1] - أحمد الولالي، **مباحث الأنوار** ...م.س. ص 298

[2] - عبد الله الفاسي، **الإعلام بمن غبر** ...، م.س. ص 306؛ محمد القادري، **نشر المثاني**، م.س. ج2 ص328؛ امحمد بن أحمد الفاسي، **المورد الهني**، ص22.

[3] - انظر، الإفراني، **صفوة ما انتشر** ، م.س.ص ص 357-359 ؛ محمد القادري ، **نشر المثاني** ، ج3 ص 152 ؛ امحمد بن أحمد الفاسي ، **المورد الهني**...، م.س.صص28-29،

[4] - الإفراني ، **صفوة ما انتشر**...، م.س.ص359

[5] - انظر ، محمد الكتاني، **سلوة الأنفاس...**، م.س. ج1 ص 361-162؛ محمد القادري، **التقاط الدرر..** م.س. صص282-283

[6] - مصادر ترجمته: محمد الصغير الفاسي ، **المنح البادية في الأسانيد العالية**، م.س. ج1،ص43؛ محمد القادري: **نشر المثاني..م.س.** ج3 صص254 – 260؛ **التقاط الدرر**، م.س. صص223-224؛ الإفراني، **صفوة ما انتشر**،م.س. صص371-373 .

[7] - انظر، امحمد الفاسي، **المورد الهني...، م.س.** (قسم التقديم) صص4-6 .

[8] - انظر، محمد الكتاني، **سلوة الأنفاس.....**، م.س. ج1 صص371 - 373

[9] - **المصدر نفسه** ، ص373

[10] - القادري ، **نشر المثاني.. م.س.** ج3 ص ص 152- 153

[11] - محمد الكتاني، **سلوة الأنفاس....** ، م.س. ج1 ص 133

[12] - انظر ، عبد السلام بن سودة ، **سل النصال للنضال...**، م.س ص42.

[13] - أحمد الولالي، **مباحث الأنوار** ...ص 298

ونشير هنا إلى أن زاوية عبد القادر ضمت قبرا وضع خارجها بالأساس، وهو قبر "**أحمد المدعو الحاج الشعير**"[1] ، وربما قد صار داخل الزاوية وذلك مع أعمال التوسعة التي تعرضت لها ، إذ أورد "محمد القادري" بخصوص ترجمته: "**أن له مزارة ومعه مقبرة، ملتصقة بزاوية عبد الرحمن بن محمد الفاسي بحومة القلقليين من فاس القرويين من جهة قبلتها**"[2] .

- **روضة الزاوية الناصرية**

وهي تقع داخل الزاوية الناصرية بباحتها بين باب المسجد والباب الخارجي، وأما القبر الذي بداخل قبة هذه الزاوية، وعليه دربوز وكسوة، فقد اختلف في شأنه، إلا أن صاحب "سلوة الأنفاس" يؤكد أنه من ذرية "**الشيخ سيدي محمد ابن ناصر"،** وذلك من خلال بحثه واستقصائه، حيث أبلغه بذلك بعض السادات الناصريين، منهم الفقيه العلامة المؤرخ "أحمد بن خالد الناصري"، بأن القبر يعود للعلامة الأديب محمد بن ناصر الدرعي، الذي ولد بفاس واستوطنها، وذلك خلال مرحلة المولى سليمان الذي حج معه سنة 1210هـ[3] .

وقد دفن داخلها العدد الجم من العلماء وأتباع الطريقة الناصرية منذ أن دفن داخلها الشيخ محمد بن ناصرالدرعي : منهم الشيخ الحاج الداودي التلمساني (ت1271هـ)[4] .



مقبرة الناصريين وهي بين التي بين الباب الخارجي لزاوية أحمد بن ناصر والمسجد

[1] - انظر ترجمته : **نشر المثاني** ، ج3 ص146-147، شهد له بالخصوصية ، كانت تعتريه الأحوال ، ولعله كان من المجاذيب .
[2] - **نشر المثاني** ، ج3 ص 146
[3] - انظر، محمد الكتاني، **سلوة الأنفاس.....** ، ج1 ص 296
[4] - **المصدر نفسه** ، ص ص 292- 293

- **روضة زاوية التاودي بن سودة :**

وهو يقع بداخل الزاوية التي أنشأها التاودي بن سودة بحومة زقاق البغل أسفل العقبة الزرقاء، قبالة مسكنه. وضريح الشيخ يقع يمين محراب المسجد ملتصق بجداره وعليه دربوز[1] ، وقد غدا المكان مدفنا فيما بعد لذريته؛ منهم: محمد المهدي بن سودة[2] ، والمهدي بن عبد الرحمن ابن سودة[3]، وهاشم بن عبد الهادي ابن سودة[4] .

- **روضة الزاوية القادرية برأس الجنان**

ضمت زاوية القادريين، على عادة زوايا المرحلة، ضريح الشيخ محمد بن علي القادري، كما أصبحت مقبرة لبعض أقاربه، مما جعلها زاوية ومقبرة للقادريين، مثلما صارت العادة بزوايا مدينة فاس، فالزاوية قد خصصت جانبا لدفن بعض الأشراف القادريين، إذ دفن داخلها: محمد بن إدريس القادري (ت1350هـ)[5]، كما دفن بها الشيخ الطايع بن إدريس القادري المتوفى سنة 1362 هـ[6]، كما تضم هذه الزاوية رفات أبناء الشيخ محمد بن علي القادري، على رأسهم ابنه الشيخ عبد الله الخياط (ت1197 أو 1198هـ/1783 أو 1784م)[7]، والهادي بن عبد الواحد القادري (ت1229هـ)[8]، وغيرهم .

- **روضة الزاوية الصقلية**

توجد بأقصى درب السبع لويات من عدوة القرويين، ويعتبر ضريح الشيخ الصقلي أساس الزاوية الصقلية، مما مهد الطريق لدفن مجموعة من أعلام فاس، فصارت بذلك روضة لأقارب الشيخ الصقلي وللعديد من الأولياء والصالحين، بل ولرجال الدولة، حيث دفن داخلها إدريس بن محمد العراقي الفاسي (ت1183هـ) أو 1184هـ/1769أو 1770م)[9]، وقبره عن يمين محراب الزاوية تحت الخزانتين الصغيرتين ، قبالة ضريح الشيخ أحمد الصقلي[10]؛ كما دفن بها ابن الشيخ أحمد الصقلي، وهو محمد بن أحمد الصقلي (1232هـ)، وذلك بإزاء والده، متصلا به من جهة القبلة[11]؛ فضلا عن ابني محمد، وهما: أحمد بن محمد الصقلي (ت1267هـ)، وذلك بإزاء أبيه وجده متصلا برأسيهما؛ وإبراهيم بن محمد الصقلي (1289هـ)،

---

[1] - محمد الكتاني، **سلوة الأنفاس...** ، م.س. ج1 ، ص 119

[2] - ابن سودة ، **سل النصال للنضال** ، م.س. ص 9

[3] - **المصدر نفسه ،** ص 35

[4] - **المصدر نفسه**، ص 21

[5] - عبد السلام بن عبد القادر ابن سودة ، **سل النصال للنضال** ،م.س. ، ص63

[6] - ابن سودة ، **سل النصال...**، م.س. ص 101

[7] - انظر ترجمته ، محمد الكتاني، **سلوة الأنفاس..** ،م.س. ج1، ص ص 326 – 327

[8] - **المصدر نفسه** ، ص327

[9] - انظر ، **المصدر نفسه** ، ص ص 151- 152 .

[10] - **المصدر نفسه** ، ص 152 .

[11] - انظر ، عبد الكبير الكتاني ، **روض الأنفاس...** ، م.س. ص278؛ محمد الكتاني ، **سلوة الأنفاس** ، ج1 ، م.س. ص 146 .

الذي دفن عند أرجل والده وجده؛ وقد بني عليهم جميعا درابيز متصل بعضها ببعض يزارون ويتبركون بها[1]؛ كما دفن معهم حفيده الماحي بن إبراهيم بن محمد الصقلي (1304هـ)[2] .

- **ضريح زاوية سيدي علي الجمل (ت سنة 1193 أو 1194هـ/1779م)**[3]

ينسب هذا الضريح ل "**الشيخ علي بن عبد الرحمن العمراني**" الملقب ب"**سيدي علي الجمل**"، الذي يقع داخل زاويته التي بناها بحومة "الرميلة" قرب مسجد سيدي أبي مدين الغوت. ويعود تاريخ تأسيس زاويته بعد وفاة شيخه العربي بن أحمد معن .

وحين توفي علي الجمل دفنه أصحابه داخل الزاوية، فبنوا على قبره قبة[4] .

ويعتبر الشيخ علي الجمل من أتباع الطريقة المعنية الفاسية، كونه أخذ الطريقة عن شيخه في وقته العربي بن أحمد معن ، وإن كان أخذ بداية رحلته الصوفية إلى وزان عن شيخها الطيب الوزاني، إلا أن إقامته بها لم تدم، إذ سرعان ما بعثه الشيخ الوزاني إلى فاس، فقدم عليها وذلك سنة 1153هـ/1739م، وخلال إقامته بفاس أصبح من أصحاب الشيخ سيدي العربي بن أحمد ابن عبد الله معن الأندلسي، فلزم خدمته مدة ستة عشرة عاما، حتى انتفع به[5] .

وقد كان الشيخ الجمل من أبرز شيوخ الشيخ العربي ين أحمد الدرقاوي[6] (صاحب الطريقة الدرقاوية)، الذي رفعه إلى مرتبة القطبانية والغوثية[7] . الأمر الذي يجعل الشيخ الجمل جزءا من مشيخة الطريقة الدرقاوية أيضا .

وهذا الجانب منح ضريح الشيخ مكانة الحركة الصوفية للقرن 19 و20م ، فكان للمقام عناية من أتباع الطريقة الدرقاوية، يقول صاحب "سلوة الأنفاس" عن وضعية الضريح في وقته: "**أن قبره مشهور معروف مزار، عليه دربوز من خشب، كما صار ضريحه مدفنا لعدد من أصحابه وأقاربه فيما بعد**"[8] .

والضريح اليوم يفتح للزيارة والفتوحات خصوصا أيام الجمعة والمناسبات الدينية ، كعيد الفطر والأضحى وليلة المولد النبوي .

---

[1] - محمد بن جعفر الكتاني، **سلوة الأنفاس،** م.س. ج1 ، ص 148

[2] - **المصدر نفسه** ، ص 149 .

[3] - انظر ترجمته ، **المصدر نفسه** ، ص ص 409 - 411

[4] - **المصدر نفسه**، ص 411

[5] - انظر، **المصدر نفسه** ، ص 409

[6] - صاحب الطريقة الدرقاوية التي تتصل في سندها عبر الشيخ علي الجمل ، توفي سنة 1239 هـ/1825م، تعتبر الطريقة الدرقاوية أحد أبرز الطرق التي مثلت أهم الانشقاقات التي حدثت ضمن الطرقية خلال الفترة المعاصرة ؛ انظر، دراسة أحمد بوكاري، **الإحياء والتجديد ...،** م.س. الجزء الثالث .

[7] - انظر ، المحمد الكتاني، **سلوة الأنفاس.....،** م.س. ج1 ص 410

[8] - **المصدر نفسه** ، ص 411



ضريح الشيخ علي الجمل وعليه دربوز



الباب الخارجي للضريح

- **ضريح وروضة زاوية محمد بن الفقيه الزجني**

يعتبر ضريح الشيخ محمد بن الفقيه الزجني والروضة التابعة له جزءا من زاوية الشيخ المعني ، إذ صارت الزاوية بعد وفاة صاحبها ودفنه بها، مقبرة لدفن بعض أقارب وعدد من أتباع الطريقة الوزانية من أعلام فاس، منهم: الشيخ العباس بن أحمد التازي (ت 1330هـ)[1]، والشيخ عبد الكبير بن هاشم الكتاني (ت 1350 هـ)[2].

[1] - ابن سودة ، **سل النصال...** ، م.س. ص 16

[2] - **المصدر نفسه** ، ص 66

- **ضريح وروضة زاوية قاسم بن رحمون الزرهوني**

كان ضريح الشيخ ابن رحمون أساس الزاوية التي بنيت عليه ، وذلك منذ سنة 1149هـ/1737م، حيث يعتبر ضريح الشيخ قاسم بن رحمون من بين أهم معالمها، وذلك نظرا للمكانة التي كانت له وللطريقة الوزانية في وقته بفاس ، فمنح لقبره العناية التي تليق به من حيث بناء الضريح " **فقد تكفل عبد الوهاب الفندوشي**(ت1160هـ)[1] **ببناء روضة شيخه قاسم بن رحمون ، إذ كان يتقن صنعة البناء"**[2] .

وقد بلغت شهرة الضريح مكانة فاقت من خلالها شهرة الزاوية، فتسابق الناس لشراء قبور داخلها، وهو ما عبر عنه "محمد القادري" بالقول**"فصارت القبور تباع فيها بثمن غال لا يدركه إلا من له وسع في المال ، فلذلك ترك الدفن فيها أصحابه الذين سعوا في اتخاذها زاوية وفي بنائها، لأن قريبه منعهم من الدفن بها إلا بالشراء منه وأخذه هو ثمن القبر ، فتركوا الدفن بها والكلام معه عليها، وجعلوا هجرتهم في ذلك لله ورسوله ، فجمع من ذلك أموالا"**[3] ؛ وهذه الوضعية زادت من شهرتها . يعبر عن ذلك صاحب "سلوة الأنفاس" بالقول: **"ولعظم الزاوية وشهرة ضريح الشيخ الذي صار من بين أشهر الأضرحة وأفخمها وأضخمها بهجة وزخرفا بالحضرة الفاسية،إذ أقبل الناس للدفن داخل الزاوية، حتى تغالى الأغنياء والوجهاء في شراء القبور به، ولم يألو أصحابه جهدا في الزيادة في توسعته، والتحبيس عليه لإقامة الأوقات وقراءة الأحزاب القرآنية"**[4] .

وقد صارت الزاوية بسبب هذه المدافن روضة، حيث يوجد بها قبور العديد من أتباع الشيخ ومريديه، ومريدي الطريقة الوزانية، على رأسهم : الشيخ "التهامي بن علي البوعناني" (ت1154هـ)، "**وقبره في الركن الذي عن يسار الداخل في أقصى الزاوية ، وهو ملتصق بجوار الفندق، ...وهو صاحب القبر الذي بباب القوس، الكائن تحت الباب المفتوح من ناحية حومة زقاق الحجر ، لأن هذا المحل هو الذي كان ركنا للزاوية في أقصاها، يسار الداخل من الباب الأصلية، وهي باب درب مينة، وكان مجاورا للفندق الكائن هناك قبل زيادة البلاطين المزيدين منه في الزاوية المذكورة، وأن أن أهل فاس اليوم يعضمون هذا القبر ويحترمونه"**[5] ، وقد كان هذا الشيخ قيد حياته " **أوقف على هذه الروضة ثلث ماله ، فحصل لها منه أوقاف هي بأيدي من عينت له"**[6]. كما يوجد بها قبر "عبد الوهاب بن عبد الواحد الفندوشي"، الذي بنى روضة الشيخ[7] ، و"محمد بن عمر بن رحمون"، الذي يقول حول قبره صاحب "سلوة الأنفاس": "**وغالب الظن أنه هو صاحب الدربوز والكسوة بداخل حوض الخشب الذي يدور**

---

[1] - من مريدي الشيخ مولاي الطيب بن محمد الوزاني ، دخل في تقليد قاسم بن رحمون ، انظر ترجمته: محمد القادري، **نشر المثاني**...، م.س. ج4 ص 245 .

[2] - **المصدر نفسه** ، الصفحة نفسها .

[3] - **المصدر نفسه** ، ج3 ، ص 391

[4] - محمد الكتاني، **سلوة الأنفاس....** ، م.س. ج1 ص 103

[5] - **المصدر نفسه** ، ص 112

[6] - **المصدر نفسه**، الصفحة نفسها.

[7] - القادري ، **نشر المثاني** ، ج4 245 ؛ محمد الكتاني محمد الكتاني، **سلوة الأنفاس....** ، ج1 ص 112

بسيدي قاسم متصلا برجليه بينه وبين القبلة، وأهل الزاوية يسمون صاحب الدربوز بسيدي محمد ومنهم من يعتقد أنه أخ لسيدي قاسم"[1] .

كما يوجد بها قبور مجموعة من أهل التصوف المتأخرين، منهم : الشيخ "إدريس بن الطايع ابن رحمون" (ت1349هـ)[2]، و الشيخ "محمد بن محمد النميشي"[3] .

ويمكن القول، أن ضريح الشيخ قاسم بن رحمون لم يتغير منذ بنائه، وذلك من خلال الوصف الذي قدمته المصادر، فخلال القرن 20م وصفه صاحب "سلوة الأنفاس" ، فقال : **"وضريحه محاط عليه بحوش من خشب، وفوقه دربوز وكسوة"**[4] ، وهذا الوصف ينطبق على الضريح اليوم .

2- قبور تحولت لزوايا وروضات

شكلت مجموعة من الأضرحة نواة لمجموعة من الزوايا خلال القرن 18م – بالخصوص- ، وقد سبق التطرق لذلك ضمن التعريف بمجموعة من الزوايا: كزاوية القادريين برأس الجنان ، والزاوية الصقلية، وأغلب هذا الصنف من الزوايا -فيما بعد- توقفت وظيفتها في حدود الروضات والمقابر ؛ نذكر منهم :

- **ضريح أبو حامد العربي الرندي الأندلسي (ت1177هـ/1763م):**

يقع هذا الضريح بزاوية الغازيين برأس الشراطين[5]، هو يعود للشيخ أبي حامد العربي الرندي الأندلسي الخراط حرفة ، إذ كانت دارا فصارت ضريحا ثم زاوية فمدفنا[6] ، وعن ضريح الشيخ أبي حامد الخراط، فمكانه يقابل الداخل للزاوية ، وقد وضع عليه دربوز وكسوة ، كما أحيط بحوش من الخشب[7] .

- **ضريح محمد بن عبد السلام بناني (ت1163هـ/1749م)**[8] :

توفي بفاس ، ودفن بدار بالزنقة المعروفة ب "درب القطان" ، بين الديوان والصاغة، من عدوة فاس القرويين ، ملاصقة لروضة أبي عياد بن جلون، وقد أورد "القادري" أن قبره بني عليه روضة اتخذوها مقبرة للدفن ، وأوقف عليها أقاربه أوقافا لحزب القرآن وللمؤذن والإمام للصلوات الثلاث[9] ، بينما أورد "امحمد الفاسي" ، بأن أولاده بنوا على قبره زاوية بوصية منه مجاورة لزاوية الولي الصالح سيدي بوعياد ابن جلون دفين حومة الصاغة المذكورة[10] .

---

[1] - محمد الكتاني، **سلوة الأنفاس.....** ، ج1 ص 111

[2] - ابن سودة ، **سل النصال للنضال** ، ص60

[3] - المصدر نفسه ، ص 22

[4] - المصدر نفسه ، **سلوة الأنفاس** ، م.س. ص103

[5] - بخصوص الزاوية ، انظر، الفصل الأول من الباب الثاني

[6] - الثعالبي ، **طيب الأنفاس** ، م.س. ص 50

[7] - انظر ، محمد الكتاني،، **سلوة الأنفاس.....** ، م.س.ج1 ص135

[8] - انظر، **المصدر نفسه** ، ص ص 153-155 ؛ امحمد بن أحمد الفاسي ، **المورد الهني**...، م.س. صص90-92

[9] - القادري، **نشر المثاني**.، ج4، م.س. ص81 .

[10] - امحمد بن أحمد الفاسي الفهري ، **المورد الهني** ، ص 92

- **ضريح الشيخ علي بن محمد الحارثي** (ت ما بين 1010 و1016هـ)

يوجد هذا الضريح بأسفل الرميلة، لم أجد بالمصادر أي معلومات عنها ، سوى ما تعلق بسيرة وترجمة الشيخ علي بن محمد الحارثي عند "محمد الصغيرالإفراني" ، الذي قال: " أنه أخذ عن الشيخ أحمد بن موسى السملالي عن التباع، ولقي عبد الله بن حسين المصلوحي ، وقد كان له أتباع وزاوية حيث ضريحه"[1] .

توفي في فاس، دون أن يحدد تاريخ وفاته بدقة، حيث أورد الإفراني أنه ما بين سنة 1010هـ و1016هـ .

- **روضة أبي عياد ابن جلون الورياجلي(ت**1162هـ/1748م)

هذه الروضة توجد بحي الصاغة من عدوة فاس القرويين، بها كان يرأس الشيخ الصقلي الأتباع أثناء مزاولة الأوراد والقيام بحلقة الذكر .

3- صلحاء وصوفية تحولت منازلهم لمقابر وروضات

يمكن القول عن قضية دفن الموتى بمنازلهم خلال الرقنين 17 و18م ، أنها ليست غريبة في الأعراف الدينية الإسلامية أو المغربية، إذ كان يوصي بعض العلماء بدفنهم داخل منازلهم ، أو كان ذلك نتيجة قرار أهل المتوفى الذين يجعلون مسكن الشيخ قبرا له ؛ نذكر نماذج من علماء أقبروا في منازل وسط أحياء فاس؛ منهم :

- **ضريح سيدي يدير (أو ايدير)**(ت1042هـ) :

يوجد برأس التيالين، بأعلى بير علون من فاس[2] ، قبالة الزاوية القادرية ، كان رجلا بهلولا تعتريه الأحوال ، وتظهر عليه مكاشفات ، كان يعده قاسم الخصاصي فيمن لقيه[3]؛ توفي في فاس، ودفن بداره التي أصبحت زاوية، فقبرا للتبرك .

- **ضريح محمد بن أحمد ميارة الفاسي (ت1072هـ/ 1661م)**

توفي بفاس ودفن بداره التي صارت روضة له ومقبرة لغيره، وضريحه معروف بدرب الطويل من عدوة القرويين[4]، بمقربة من ضريح سيدي محمد بن عزيز[5] ؛ يذكر القادري في كتابه "نشر المثاني" خلال وقته " **أنه زيد على ما بني عليه خربة أخرى واشتروا مساحة متسعة اتخذوها مقبرة للدفن ، ثم في هذه**

---

[1] - انظر، الإفراني ، **صفوة ما انتشر** ، م.س. ص ص 120-121

[2] - انظر، محمد القادري ، **نشر المثاني..**، م.س. ج1 ص 306؛ محمد الحجوي الثعالبي ، **طيب الأنفاس** ، م.س. صص51-52.

[3] - محمد القادري ، **المصدر نفسه** ، الصفحة نفسها .

[4] - انظر، محمد الكتاني ، **سلوة الأنفاس....** ، ج1 صص165-167

[5] - عبد الله بن محمد الفاسي ، **الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي** عشر ، ص 183 ، الإفراني ، **صفوة ما انتشر** ، م.س. ص251

الأزمنة تأنق في البناء عليه بعض قرابته "، ويضيف مخبرا عن مصدر تلك الأموال بالقول :"**ولا أدري هل من ثمن المقابر التي تباع من تلك المساحة أم من أموالهم"**[1] .

دفن بالقرب منه ، **ابنه محمد بن محمد الصغير ميارة (ت1156هـ/1743م)**[2] **.**

- **ضريح محمد بن عبد السلام بناني (ت 1163هـ1749م)**[3]

توفي بفاس، ودفن بدار بالزنقة المعروفة ب "درب القطان"، بين الديوان والصاغة، من عدوة فاس القرويين، بوصية منه بنى عليه أولاده زاوية مجاورة لزاوية الولي الصالح سيدي بوعياد بن جلون دفين حومة الصاغة [4] .

- **ضريح أحمد بن العربي ابن الحاج (ت1109هـ/1697م):**

يقع داخل روضة سيدي عزيز[5] من درب الطويل من عدوة القرويين، وهو قريب من روضة ميارة[6].

- **ضريح الشيخ سيدي الحسن الصنهاجي (ت 1146هـ) :**

دفن في دار براحا برحبة الزبيب - زعموا أنها كانت له - ، وهي تقع بين مسجد الرحبة ، ومسجد عقبة الزرقاء المعلق ، وقد اتخذت الدار التي دفن بها بعد ذلك مقبرة ... وضريحه هو المتصل بالقوس المقابل للداخل من الباب المفتوحة ، عليه مقبرية من رخام[7] .

- **ضريح محمد بن التهامي بن محمد (ت1150هـ) :**

نوفي بفاس ودفن في دار له براحا من حومة الشرشور، وقد بنوا عليه قبة، وقد اتخذت الدار والضريح بعد ذلك مقبرة للدفن ، وضريح الشيخ هو الذي يقع وسط المقابر ، عليه بناء خفيف مطبق عليه به [8] .

- **ضريح عبد الله بن إبراهيم القليز (ت 1093هـ)**

هو عبد الله بن إبراهيم بن هلال الشهير ب (القُلّيز)، كان من أهل الجذب والملامة، توفي في فاس ودفن بداره قرب رحى الحناء من زقاق الحجر[1]، وقد أضيفت هذه الدار مع زاوية قاسم بن رحمون .

---

[1] - محمد القادري، **نشر المثاني**... ، ج2 ص 121 ؛ الإفراني ، **صفوة ما انتشر** ، م.س. ص251

[2] - امحمد بن أحمد الفاسي الفهري ، **المورد الهني**، م.س. صص86-87

[3] - انظر، الكتاني ، **سلوة الأنفاس ،** م.س. ج1 ص ص 153-155 ، القادري ، **نشر الثاني**، م.س. ج4، ص ص: 80-81؛ امحمد الفاسي **، المورد الهني** ، م.س. ص ص90-92

[4] - محمد القادري ، **نشر المثاني ،** م. ج4 ص 81 ؛ امحمد الفاسي ، **المورد الهني** ، ص 92

[5] - هو محمد بن أحمد مصرف التجبي الشهير بابن عزيز، توجد بقايا من روضته اليوم بجانب روضة ميارة؛ انظر، محمد الشراط، **الروض..**،م.س. ص303

[6] - امحمد الفاسي الفهري ، **المورد الهني...**، م.س. ص 31

[7] - محمد القادري ، **نشر المثاني...**، م.س، ج 3 ، ص 366؛ محمد الكتاني **، سلوة الأنفاس.... ، م.س. ص 343**

[8] - محمد الكتاني، **سلوة الأنفاس**.... ، ج1 م.س. ص ص 260- 261

- **ضريح محمد بن عبد الصادق الدكالي (ت 1176هـ)**

علامة وفقيه نوازلي، ولى خطبة مسجد القرويين ، توفي بفاس ، وصلى عليه الفقيه أبو العلاء ادريس بن محمد الشريف العراقي الحسني بجامع الجنائز المتصلة بمسجد القرويين ، بوصية من محمد بن عبد الصادق -. دفن بدار بعض أصهاره بجوار جامع المزلجة بأوطا فرقاشة ، ومن الناحية الأخرى درب العزفي في القديم، وتقع الدار بأقصى زنقة غدير الجوزة من عدوة القرويين[2] .

4- صلحاء دفنوا داخل مساجد وجوامع

هذا النوع من المقابر والروضات – كما سبق الإشارة- أنه كان نادرا ما يكون، لما هو متعارف عليه بكراهة الصلاة في بيوت القبور؛ وعموما، وما يهمنا هو الوقوف عند هذه الأضرحة التي بنيت داخل مساجد وجوامع ، لكونها مثلت انموذجا ميز التصوف خلال القرنين 17 و18م ، من بينها:

- **علي الهيري الواريثني(ت 1027هـ)**

يقع هذا الضريح بمسجد الفخارين داخل باب الفتوح. وهو ينسب لأبي الحسن علي الهيري الواريثني، أحد مشايخ الصوفية بفاس. قال عنه القادري بأنه "**ولي مجذوب يعتريه الحال...قوي الحال ، فائض النور متوسما بالشريعة حافظا لها، تعتريه أحيانا غيبية... له أتباع ومريدين ...له مكاشفات وأخبار وكرامات** "[3]. لقيه قاسم الخصاصي وانتفع به .

توفي في فاس، ودفن بالمسجد المذكور، وإليه ينسب أحد أزقة حي باب الفتوح[4] .

- **ضريح الشيخ أبو عمران سيدي موسى (ت1042هـ)**

يقع هذا الضريح بجامع حومة جرنيز من عدوة القرويين . وهو ينسب لأبي عمران موسى، الملقب ب"موسى البهلول"، كان بهلولا ساقط التكليف، آخر عمره يأوي بحانوت بجرنيز يغلق عليه بابه ولا يخرج منه، فكان الناس يقصدونه فيه للزيارة، ويأتونه بالطعام كل يوم فيأكله . كان يعده قاسم الخصاصي فيمن لقيه.

توفي في فاس، ودفن بالجامع المذكور[5] .

---

[1] - محمد القادري، **نشر المثاني ،** م.س. ج2 ص 304

[2] - **المصدر نفسه** ، ج4 ، ص 143

[3] - محمد القادري، **نشر المثاني...،** م.س. ج1 ، ص 225 .

[4] - انظر، **المصدر نفسه،** الصفحة نفسها؛ القادري ، **التقاط الدرر**،..م.س. ص.73؛ محمد الكتاني، **سلوة الأنفاس..،** م.س. ج2، ص.5؛ ؛ المهدي الفاسي، **ممتع الأسماع...،** م.س.، ، ص.117.

[5] - انظر، محمد القادري ، **نشر المثاني...،** م.س. ج1 ، ص 306 ؛ **التقاط الدرر**، ص.95؛ ابن عيشون، **الروض العطر الأنفاس**، ص.85.

سيتخذ هذا الفصل من الدراسة طابع التحليل للفصلين السابقين من حيث دراسة ما ارتبط بالأولياء والزوايا والأضرحة، وذلك بالبحث ضمن ما روي عنهم من مناقب وكرامات وخوارق وبركات، مما تضمنته الذاكرة الجمعية، وتوارثته ذاكرة الأفراد والجماعات، ودونته كتب المناقب بالخصوص، لأنها آداب اختصت بهذا النوع من التراث، سواء منه ما يدخل ضمن دائرة الإمكان أو الإستحالة؛ وكذا مكانة هذه المرويات لدى المجتمع بمدينة فاس، وانعكاس ذلك في الذاكرة الشعبية خاصة في الشق الاعتقادي في التصوف لدى عامة الناس وخاصتهم، والتي تجلت في ترسيخ معتقدات ارتبطت بالولاية والأولياء من قداسة، وامتدت إلى أن يتم وصفهم بأوصاف خارقة تتجاوز القدرة البشرية، من منح الرزق والذرية والأمن والشفاء والغفران واستجابة الدعاء والنداء وغير ذلك من أمور الدنيا والآخرة، بل تجاوز الاعتقاد بذلك حتى بعد مماتهم، مما جعل هذا الموروث الاعتقادي في الأولياء والصوفية يصل إلى درجة الأسطورة والتمجيد اللاشعوري، فيما يدخل ضمن **مفهوم الميتولوجيا**[1]، حيث صورة الصوفي ترتبط بنوع من التبجيل والتقديس تصبح أقرب إلى الخيال منها إلى الواقع، وإن هذا الاعتقاد جعل التصوف يخرج من علميته ويدخل في نطاق من الخرافة والبدع.

ولا بد هنا من القول، إن هذا الوضع الذي عرفه المجتمع الصوفي بمدينة فاس كان من أسبابه الأساس التحول الذي عرفته الحركة الصوفية، ونقلها من "**التصوف العلمي أو السني**" إلى "**التصوف الشعبي**"، مع ما رافق ذلك من بروز ظاهرة تكاثر وتفريخ الزوايا، فاختلطت مكانة الصوفي العلمية بمكانة البهلول ساقط التكليف، لدرجة أن صار لهذا الأخير قداسة فاقت مكانة العالم الصوفي، وذلك بسبب ما روي فيهم من خوارق تتجاوز العقل والإمكان، فانتقل التصوف ومعه جانب التأليف، من الاهتمام بعلم وفقه الصوفي إلى الاهتمام بكرامات الصوفي، وخوارق المجذوب والبهلول، وقداسة أضرحتهم، وهذا ما يفسر الدافع الذي أدى إلى إنتاج الكم الكبير من المؤلفات المناقبية، والتي جمعت جملة من المناقب المتداولة في محيط الولي أو في المغرب كله .

ومن هذا المنطلق، خصصنا الدراسة في هذا الفصل، لموضوعين يدخلان ضمن التراث اللامادي لصوفية فاس وزواياهم وأضرحتهم، فجعلناها في قسمين : قسم أول مرتبط بكرامات ومناقب أولياء فاس، وقسم ثان مرتبط بدور زوايا وأضرحة فاس في الاعتقاد المجتمعي لمدينة فاس تجاهها ، فجعلناه في مبحثين : المبحث الأول : الكرامات والبركات والخوارق وقداسة الولي

المبحث الثاني : المجتمع الفاسي وقداسة الأضرحة والزوايا

[1]- الميثولوجيا، أصل الكلمة يونانية، هو مفهوم يطلق على علم الأساطير، الذي يختص بالقص ص التاريخية القديمة التي ترتبط ارتباطا وثيقا ببعض الثقافات والمجتمعات القديمة، وهو علم يهتم بالظواهرالتي يصعب تفسيرها والتوصل إلى فهم صحيح بشأنها، وذلك بسبب ما تتضمنه من تعقيدات في روايتها يتحقق معها عدم القدرة في التعرف على المعنى الحقيقي لها، وفي بعض الأحيان تكون واقعية حدثت بالفعل في الماضي، كما يمكن أن تكون خرافية لا أساس لها من الصحة .

وقد اعتمدنا في بحثنا هذا على المصادر المناقبية خلال القرنين 17 و18م، واخترنا نماذج من هذه المناقب والكرامات والخوارق لصوفية فاس، لأنه يستحيل حصرها مع العدد الكبير من المؤلفات التي تناولت هذا الموضوع، والتي كانت إما في مؤلفات مخصوصة للمناقب، أو وردت كشذرات ضمن كتب التراجم والفهارس .

وتجدر الإشارة، أن طبيعة الموضوع يتداخل فيها جانب المعقول واللامعقول، والإمكان والمستحيل، وهو ما تضمنته جل المصادر التاريخية من كتب المناقب، فكان محتوى خطابها خليطا بين الواقع والمتخيل، وبين التاريخ والأسطورة، مما جعلها تصنف إلى ثلاثة أنماط: نمط يعبر عن الواقع بوضوح، ونمط ثان يجمع بين الواقع والخيال، ونمط ثالث هو الذي يجد فيه القارئ انزياحا كبيرا عن الواقع[1] ، وهذا ما يعقد مهمة البحث ضمن التراث المناقبي، وهي الخلاصة التي خلص لها عبد اللطيف الشاذلي[2] بالقول: **"وقد يكون من المجازفة محاولة عقلنة هذا الخليط، واعتبار أن الجانب التاريخي منه يشكل مادة توثيقية تعتمد، وأن الجانب الأسطوري لا يفيد، ذلك أن ترسبات الابداع الخيالي تتراكم فوق الحدث وتغلفه باستمرار، مما يجعل منه مادة متماسكة تستغل باعتبارها كذلك دون امكانية تفتيتها بالتحليل"[3].**

وعموما، فقد حاولنا قدر الإمكان تقصي الموضوعية، ومحاولة تحليل هذه الظواهر وفق السياقات التي انتجتها، فبعض القضايا وإن ينكرها العقل قد أقرها الدين، وبالتالي لابد من البحث عن الأساس الديني الذي نشأت فيه ظواهر الإيمان بالخوارق، لكن منها ما لا يقره لا عقل ولا دين، لكنها وجدت بيئة للتكاثر والنمو في مجتمع أُشرب الخرافة بسبب ما شهده من أزمات جعلته يبحث عن حلول وتفسير لها عبر تلك الكرامات .

وقبل الدخول في صلب الموضوع، فلابد من تقديم تعريف لمفهوم الكرامات وما ارتبط بها مناقب وخوارق .

مبحث تمهيدي: مفهوم الكرامة ومكانتها ضمن التراث الصوفي اللامادي

الكرامة لغة: من كرم، مكرمة، تكريما، واكراما ، يقال: كرم الشيء كرمًا أي: نفس وعز؛ فهو كريم، والجمع: كرام والاسم منه: الكرامة، ولا يقال في الإنسان كريم حتى تظهر منه أخلاق وأفعال محمودة[4] .

أما **اصطلاحا**، فقد اجتمع الفقهاء والصوفية في تعريف الكرامة، على أنها كل فعل خارق للعادة ظهر على يدي عبد صالح، حيث عرفها الجرجاني بالقول أن: "**الكرامة هي ظهور أمرٍ خارقٍ للعادةِ من قبل شخص غير مقارنٍ لدعوى النبوة، فما لا يكون مقرونًا بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجًا، وما**

---

[1] - انظر، محمد مفتاح ، الواقع والممكن في المناقب الصوفية ، ضمن ندوة **:التاريخ وأدب المناقب**،م.س. ص 32

[2] - الذي خص جزءا من بحثه : **التصوف والمجتمع... م.س.** ، في دراسة وتحليل التراث المناقبي لبعض رجال التصوف خلال القرن 16م، انظر، صص113-121

[3] - عبد اللطيف الشاذلي ، **التصوف والمجتمع...** ، م.س. صص112-113

[4]- عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**، ط6 سنة 1996م ، (عدد الأجزاء16)، ج8 ص 289 .

يكون مقرونًا بدعوى النبوة يكون معجزة"[1] ، ويعرفها الوزاني، فيقول **"وأما حد الكرامة فهو ظهور أمر خارق للعادة غير مقارن لدعوى النبوة على يد من عرفت ديانته واشتهرت ولايته باتباع نبيه في جميع ما جاء به، وإلا فهي استدراج أو سحر وإذلال"**[2]، أما صاحب **"الأجوبة النجدية"** فيعرفها بأنها **"أمر يجريه الله تعالي علي يد ولي، تأييدًا له أو إعانة أو تثبيتًا أو نصرًا للدين"**[3]، كما يقرنها أبو العباس العزفي بضرورة التمسك بالدين ، فيشرط في صاحب الكرامة **"أن يكون متمسكا بطاعة الله في أحواله، مستقيم الطريقة في تصرفاته، إذ قد حصل الاجماع على أن الكرامة لا تحصل إلا على يد متمسك بطاعة الله تخصيصا له وتفضيلا، كما أجمعوا أنها لا تظهر على يدي فاسق"**[4] .

إذا، الكرامة هي طاقة وقوة ربانية، قال العلماء بوجودها على أساس صلاح صادق، وهي غير المعجزة، التي اختص بها الأنبياء .

وقد تناول أغلب المتخصصين في التصوف مفهوم الكرامة وماهيتها، بل هناك من أفرد الموضوع بالتأليف[5]، لذلك اهتمت الكتابات الصوفية بها جمعا ورواية وتبيانا؛ حيث تشكل كتب المناقب أغلب كتب التصوف ضمن مجموع المؤلفات، خصوصا المؤلفات التي دونت خلال المرحلة الحديثة، فكان لها دور في التمهيد لتجويز وقوع الكرامة، وذلك من خلال الحديث في حقيقتها وموجباتها واحكامها وأنواعها وأقسامها[6] ، حيث أثيرت قضايا ترتبط بحدوث الكرامة وإنكارها، فنوقشت بين العلماء والفقهاء والصوفية، الذين قالوا بجوازها لكونها جزءا لا يتجزأ من المنظومة الدينية الإسلامية، نذكر على سبيل المثال، **الفقيه ابن عيسى المهدي الوزاني** الذي ناقش مسألة كرامات الأولياء والرد على من أنكرها، فلخص إلى أن الكرامات جائزة عند أهل السنة[7]، وأن إنكارها والتكذيب بها بدعة وضلالة، يبثها في الناس أهل الزيغ والتعطيل، الذيم لا يقرون بالوحي والتنزيل، ويجحدون آيات الأنبياء والمرسلين[8]، كما ذهب ابن خلدون إلى إثبات الكرامات، فقال:"**وأما الكلام في كرامات القوم وإخبارهم بالمغيبات، فأمر صحيح غير منكر، وإن مال بعض العلماء إلى إنكارها فليس ذلك من الحق**"[9]، وفي هذا الإتجاه سار كل من كان من

---

[1] - الجرجاني ، **تعريفات...،** م.س. ص 154 .

[2] - المهدي الوزاني ، م.س. 344

[3] - عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، **الدرر السنية في الأجوبة النجدية**، م.س. ج8 ص 289

[4] - أبو العباس العزفي ، **دعامة اليقين في زعامة المتقين** ، تحقيق أحمد التوفيق ، الرباط مكتبة خدمة الكتاب ، 1995 ، ص23

[5] - كنماذج لهذه المؤلفات ، انظر، يوسف النبهاني: **جامع كرامات الأولياء**، تحقيق محمد المسوتي، دار ضياء الشام ط1 سنة 2015م؛ عبد القادر بن الحسين بن على الشاذلى ابن مغيزيل (ق 10 هـ) : **الكواكب الزاهرة فى اجتماع الأولياء يقظة بسيد الدنيا والآخرة، ومعه الأجوبة عن الأسئلة فى كرامات الأولياء، لشيخ الإسلام شمس الدين الشوبرى الشافعى** ، تحقيق محمد سيد سلطان وعلي عبد الحميد عيسى ، ومراجعة عبد القادر حسين ، القاهرة : دار جوامع الكلم ، 1999م؛ شهاب الدين أحمد الحسينى الحموى (ت 1098هـ): **نفحات القرب والاتصال بإثبات التصرف لأولياء الله تعالى بعد الانتقال**، تقديم وتحقيق محمد سيد سلطان عبد الرحيم، دار جوامع الكلم، القاهرة ، ط1، دون سنة الطبع ؛ الجوهرى الخالدى (ت 1181 هـ) : **كرامات الأولياء فى الحياة وبعد الانتقال** ، تحقيق سعيد عبد الفتاح، دار الآفاق العربية، ط1، سنة 2002م .

[6] - انظر، أبو العباس العزفي، **دعامة اليقين في زعامة المتقين(مناقب الشيخ أبي يعزى)** ، تحقيق أحمد التوفيق، مكتبة خدمة الكتاب ط1 ، سنة 1989م ، حيث خص جزءا كبيرا من الكتاب ، للدفاع عن جواز الكرامة وحقيقتها وما يشهد بوقوعها ، ص ص 6- 31.

[7] - انظر، المهدي الوزاني ، **النوازل الجديدة** ، م.س. ص ص 341- 454

[8] - المهدي الوزاني ، **النوازل الجديدة...** ، م.س. ص 342

[9] - عبد الرحمن بن خلدون، **مقدمة ابن خلدون**، م.س. ص728

أهل هذا التيار، فكان مرجعهم في ذلك هو الكرامات التي جاء بها القرآن، منها ما كان من اختصاص الأنبياء ومنها ما كان لغيرهم، كحديث الطفل الرضيع من آل فرعون، والآيات التي كانت للسيدة مريم عليها السلام[1]، من خلال قوله تعالى في قصتها: **"كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَاب"**[2] .

إن تعريف الكرامات، يحيلنا بدوره لمفهوم آخر هو: **"الخوارق"**، فما معنى الخوارق؟

هناك من يعرف الخوارق كمرادف للكرامات، أو يجعلها من المظاهر الحسية للكرامات، بمعنى الكرامات الظاهرة والتي تعنى بكل ماهو مرئي وملموس، في مقابل الكرامات الباطنية التي تعنى بأثرها في الروح والنفس، وقد تتطور الكرامة وتتجاوز نطاقها الإمكاني لتتحول إلى خوارق، وهذه المسألة أثير حولها الخلاف بين الفقهاء والصوفية، إذ يقبل أغلب الفقهاء الكرامات بينما يرفضون الخوارق، لكون الأولى تدخل في إطارها السني، بينما تخرج الثانية عن ذلك، وقد تصل لحد التبدع واتباع المنكرات، وهنا كان مكمن الاختلاف بين الفريقين .

وفي خضم هذه النقاشات أثيرت عدة قضايا، على رأسها: قضية التبرك بآثار الصالحين بين العلماء والمتصوفة، فإن كان الأصل في الموقف هو تأييد الفريقين، وحجتهم في ذلك ماكان من سيرة الصحابة والتابعين في تتبع آثار الرسول ﷺ والتبرك بها. إلا أنه، وبسبب ما صار إليه التصوف في مرحلة من المراحل وما دخله من بدع وخروجه عن مساره السني خلال القرنين 17 و18م، قد برزت مظاهر لتبرك بدعي، جعلت العلماء -تحديدا – ينتقدون ويتحفظون بشأنها، فإن أجازوها أجازوها بشرط صحة العقيدة، ونذكر في هذا الصدد موقف الشيخ اليوسي –وهو الفقيه الصوفي- ، إذ يقول **:"نعم التبرك باثار الصالحين مع صحة العقيدة لابأس به وله أصل في فعل الصحابة"**[3] .

وعموما، فقد خلفت المصادر العديد من صور التبرك بآثار الصالحين، والتي يمكن تقسيمها إلى قسمين، منها ما ارتبط بالمكان، ومنها ما ارتبط بالأشخاص، ومنها ما ارتبط بهما معا، من قبيل ما كان يفعله الصوفي في المكان أو تلك الأماكن التي كان يعتكف فيها فغدت مقدسة بتقديس من وجد فيها، أو ما كان يرتديه أو يستعمله الصوفي أو غير ذلك، وهو عنصر يعطي قيمة مادية لأشياء قد تبدو بخسة، لكن إن ارتبطت بشخص الولي تصبح ذات قيمة لا تقدر بثمن ، نذكر على سبيل المثال ما أورده "**القادري**" بشأن الحصيرة التي خلفها الشيخ رضوان الجنوي "**والتي كان يصلي عليها والخيط الذي كان يشمر به اكمامه للوضوء، فيبيعه بثمن غال يزيد على السبعين مثقالا... فاشتريت به البقعة المذكورة،**

[1] - انظر، المهدي الوزاني ، **النوازل الجديدة...** م.س. ص 343

[2] - القرآن الكريم ، **سورة آل عمران** ، الآية 37

[3] - اليوسي، **المحاضرات...** م.س. ج1 ، ص 102

فجعلت زاوية وبنيت كما هي الآن"[1] ، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الاعتقاد في الولي سواء كان حيا أو ميتا .

وخلاصة القول، أن كرامات الأولياء، اصطبغت بطابع القداسة ضمن التيار الصوفي، وعلى هذا المبدأ أُسست باقي المضامين التي تربط بين المجتمع وبين رجال التصوف، والملاحظ عن هذا التقديس أنه مستمد أساسا من جذور الدين، فتم استنباط ما للذات المقدسة **"الله"** وما اختص به النبي الأكرم محمد (ﷺ) ومقامه الكريم، وأسقط على هذا التيار وما ارتبط به. وقد امتد هذا التقديس ليشمل كذلك مقامات الأولياء من زوايا وأضرحة، فحملت معاني الحرمة، مع ما شمل ذلك من مفاهيم الحماية والدعاء المستجاب عند القبر والشفاء ورزق الأولاد والذرية وإنزال المطر والاستغاثة...، وهذه المعاني تحتل مساحة واسعة ضمن كتب المناقب التي تعد بالمئات، كما مثلت الكرامة في رأي الباحثين المعاصرين دلالة ورمزا لإعادة توازن بيئي أو اجتماعي يكون مترديا[2]، في إحداث علاقة دينامية بين العالم الواقعي والعالم الممكن، حيث يمكن الذهاب من العالم الواقعي لبناء العالم الممكن، ويمكن أيضا الانطلاق من معطيات العالم الممكن لتكييفها مع الواقع وتطبيعها معه[3] .

المبحث الأول: الكرامات والخوارق وقداسة الولي في مدينة فاس

1- دور الكرامة في تعزيز مكانة الأولياء

شكلت الكرامات والخوارق جزءا من بنية الحركة الصوفية بمدينة فاس خلال القرنين 17 و18م، كما اعتبرت علامة على صدق الولي؛ فتصديق الولي وتكذيبه رهين بما يظهر عليه من كرامة وبركة، وقد ارتبط المجتمع الفاسي بالأولياء ارتباطا وثيقا، فمكنوا لهم أنفسهم وعقيدتهم، للحد الذي صار هذا الاعتقاد جزءا لا يتجزا من عقيدتهم الإسلامية، فكان لهم في اعتقاد العامة من الناس والخاصة سلطان باطني على الأرواح، فنسجوا حولهم المعجزات والروايات التي تبعد أحيانا عن العقل والمنطق، ونسجوها وفق حياتهم الاجتماعية، فمن يرفض لهم طلب ولا يستجيب لهم، فإن اللعنة والعقاب الإلهي هو مصير ذلك الشخص، إذ تذكر العديد من المصادر أن لهم القدرة على سلب المكانة الاجتماعية للبعض، وتهجير آخر من بلده، وزوال رزق آخر، وتعرض آخر للسرقة أو السجن أو القتل، وفي هذا الجانب نماذج لا تحصى ممن تملأ به روايات كتب الأعلام والكرامات، حيث تعج مؤلفات التاريخ والمعاجم والمناقب بقصص العديد من رجال التصوف الذين كانوا مجاذيب وبهاليل وملامتيين، ورويت في سيرهم قصصهم وكراماتهم وهيبتهم. وقد وجدت تلك الروايات صدى اجتماعيا خصوصا أثناء الأزمات؛ فكلما اشتدت الأزمات إلا

---

[1] - القادري ، **نشر المثاني...** ، ج1 ص 90

[2] - محمد مفتاح: السياسة الحيوانية ، قراءة في كرامات أبي يعزى - **في التاريخ واللسانيات** : النص ومستويات التأويل، منشورات كلية الآداب 1992، الرباط، ص74

[3] -انظر، محمد مفتاح ، الواقع والممكن في المناقب الصوفية ، ضمن ندوة **:التاريخ وأدب المناقب**، منشورات عكاظ ، 1989م، ص31.

وانتشرت أخبار الكرامات والخوارق، فحملت بحمولات غيبية، وفسرت في ارتباط بغضب ولي أو ترك أوراد أو تدنيس حرمة حرم أو ولي، مما يفسر الجانب النفسي والابستيمولوجي للمجتمع الفاسي خلال القرنين 17 و18م في التعاطي مع الأحداث أو في البحث عن الحلول لأزماته ومشاكله .

ومما يدل على ارتباط المجتمع الفاسي برجال التصوف، وأن هذا متجدر فيهم، هو العلاقة التي كانوا ينسجونها بين دعوة الأولياء وبركاتهم، وبين وقوع أحداث سياسية واقتصادية واجتماعية؛ ولا أدل عن ذلك ما أورده "الإفراني" في مؤلفاته التاريخية، والذي -بالرغم من كرنها مؤرخا عالما وفقيها- لم يستطع الخروج من جبة البركات والكرامات، فيذكرها أحيانا كتفسير لبعض الأحداث والوقائع؛ ففي مؤلفه "**الإفادات والإنشادات**"، وحين أراد الإخبار عن سبب هجرة الشيخ "أحمد المقري" من مدينة فاس إلى مصر سنة 1027هـ/1617م، ربطها بدعوة مجذوب، بالرغم مما قيل من وجود أسباب أخرى، يذكرها الإفراني في نفس الحدث، وهي اتهامه بالميل إلى الشراكَة أيام السلطان محمد الشيخ السعدي، إلا أن الإفراني المؤرخ يخضع لنزعة الفكرة الكراماتية، فيورد سببا آخر، كان حدّثه به صاحبه أحمد الوزير الغساني عن شيخه أحمد بن عبد الله معن عن شيخه أبي القاسم الخصاصي (ت1083هـ/1673م)، وكان الوزير الغساني محترفا بحرفة الخرازة ، قال "**كنت قاعدا بحانوتي يوما فجاءني رجل من البهاليل المجاذيب، فوقف بباب الحانوت وقال لي ، إني ذاهب إلى الفقيه أحمد المقري ، أطلب أن يشتري لي جلابية ، فإن لم يشترها أخرجناه من فاس ، قال أبو القاسم : فقعدت أسأل الله أن يوفق الفقيه لإشترائها، حتى ينتفع المسلمون ببقائه بين أظهرهم، فلم يكن إلا كلمح البصر أو أقرب حتى رجع المجذوب إلي، وقال لي : أبى أن يشتريها ، وقد نزعنا مسماره من الحائط وانكسرت شاشيته**"، ويضيف الإفراني، أن **"ما جرى على الشيخ المقري من أحداث باتهامه بالميل لشراكة ضدا على أهل فاس، فلما رأى المقري ذلك خرج من فاس بإتجاه مصر"**[1] .

أما من خلال"**نزهة الحادي**"، وحين عرج الإفراني على سبب فشل عبد الله بن الشيخ بن المنصور في حكم فاس، لجأ إلى ما كان يقال حول دعوة وغضب مجذوبين ملامتيين وأنها كانت سببا في خروج عبد الله بن الشيخ من فاس، بالرغم من وجود أسباب منطقية متعددة لهذا الفشل، تمثل في انتشار النهب والسلب وسيادة الظلم، إذ قال في ذلك: "**وذكر بعضهم أن سبب هذه الشرور ما حكى أن عبد الله بن الشيخ في بعض غلباته لأهل فاس في ثورانهم عليه، استشفعوا له خوفا منه وطلبا لرضاه عنهم بالوليين والصالحين المجذوبين سيدي جلول بن الحاج وسيدي مسعود الشراط، وكانا على قدم الملامتية، فلما وقفا بين يديه، قال ما وجد أهل فاس شفيعا يقدمونه إلي غير هؤلاء الخرائين في ثيابهما، فغضب سيدي جلول، وقال والله لا تصرف فيها – يعني فاس- إحدى وأربعين سنة، وانصرفا**"[2]، ويضيف الإفراني **"أن هذا ماكان**

[1] - انظر، عبد الله نجمي ، الإفادات والإنشادات لمحمد الصغير الإفراني، **متنوعات أحمد حجي** ، م.س. ص 112

[2] - محمد الصغير الإفراني ، **نزهة الحادي**... ، ص 344

حيث كملت المدة وتحققت النبوة"[1]، كما يؤكد أن **"هذه حكاية صحيحة، سمعتها من عند غير واحد بفاس وملخصها ما ذكرناه"**[2] .

ومما رواه الإفراني أيضا، ما قاله الشيخ عبد الرحمن بن محمد الفاسي(ت 1036هـ-1626م) عن بركة **"حزب الشاذلي"** وأن مواظبة اللمطيين على قراءته بزاوية سيدي رضوان هي السبب في غلبتهم على أهل عدوة الأندلس – وذلك في إطار الصراع الذي نشب بينهم بعد وفاة أحمد المنصور- ، حيث قال "**لا يغلب أحد اللمطيين ماداموا مواظبين على قراءة حزب الشاذلي، وكانت طائفة من اللمطيين يقرآونه صباحا بزاوية سيدي رضوان من عدوة اللمطيين، فسمع بذلك أهل عدوة الأندلس، فاحتالوا على إبطال قراءة ذلك الحزب....إلى أن طلعت الشمس فخرجوا ولم يقرأوا الحزب ذلك اليوم، فأخبر أهل الأندلس فحملوا على أهل عدوة اللمطيين فهزموهم..."**[3].

وكثير من غير هذه القصص والروايات يذكرها الإفراني، كما يخبر عن أحوال بعض المجاذيب والبهاليل، فخلال إقامته بمدينة فاس، أورد الكثير من أحوالهم، إذ حكى له بعض الطلبة بمدينة فاس عن البهلول الذي كان يضرب الناس ويلطمهم في وجوههم ويصفعهم على أقفيتهم، وهم يتحاشونه خوفا من دعوته، فلما سأله الشيخ "محمد بن عبد القادر الفاسي" حول فعله، أجابه المجذوب بأن يختبره هل هو مجذوب أم أحمق، وأباح له أن يرد له الصاع صاعين إن تيقن من حمقه[4] .

من خلال ما سبق، نجد أن الإفراني، وهو المؤرخ المستقصي للواقع، لايجد مفرا من ربط الأحداث بالبركات، فإن كان هذا حاله وموقفه ، فكيف – إذن- كان حال عامة الناس من المجتمع الفاسي مع هذه القضايا.

أما بخصوص موقف العلماء، فقد تم التعاطي مع هذا المكون (أي البركات)، بحسب الطرق الصوفية ورجالها؛ فبعض الأولياء أصروا على إظهار كراماتهم، بينما نأى البعض عن ذلك ، بل حاول قدر الإمكان أن تظل كراماتهم من الكرامات الباطنة التي حباهم الله بها، كون الأولياء حقا كانوا يتجنبون إظهار الكرامات وما ارتبط بها من البركات والخوارق، بينما أرباب طرق الشهرة، والمبتدعة من الدجالين كانوا يسعون لها، وذلك بهدف جمع أكبر عدد من الأتباع والمريدين حولهم؛ إذ وقعت حوادث كثيرة تدونها كتب المناقب، في ادعاء العديد من المدعين حصول خوارق على أيديهم، وهم مجرد دجالين؛ ونذكر في هذا الصدد ما أورده "حمدون الطاهري الجوطي" في كتابه **"تحفة الإخوان"** في قصة طويلة وقعت لمريد من أتباع الشيخ الخياط صاحب الزاوية الوزانية بفاس[5]، وهو "**محمد بن عبد الجبار**"، إذ كان يزعم أنه وارث سر الشيخ الخياط بعد موته، وفي محاولة منه لإثبات ذلك، أخذ في إظهار نوع من الخوارق،

---

[1] - محمد الصغير الإفراني ، **نزهة الحادي**... ، ص 344

[2] - **المصدر نفسه** ، الصفحة نفسها

[3] - محمد الإفراني، **نزهة الحادي...** ، ص ص 343- 344

[4] - انظر، عبد الله نجمي، المرجع نفسه الإفادات والإنشادات لمحمد الصغير الإفراني، **متنوعات أحمد حجي** ، م.س. ص90

[5] - انظر، حمدون الطاهري الجوطي، **تحفة الإخوان...** ، ص ص 245- 247

سماها الجوطي **"خنقرت"** ويدعي أنها كرامات، وبالرغم من كذبه إلا أنه كان يأتي بخوارق شهد عليها أصحاب الشيخ محمد بن قاسم، ويظهر من خلال القصة أن هؤلاء أخذوا يصدقونه خصوصا بعد أن حاولوا تعجيزه، فحقق لهم ما طلبوه، إذ خاطب أحد أتباع الشيخ قاسم بن رحمون فقال له: **"السيد هو هذا- يعني ابن عبد الجبار – بتنا عنده قبل اليوم وأرانا من خوارق العادات كذا وكذا، حتى أني أطلعت الحليب من البئر بيدي، وأي كرامة لك أنت؟"**[1]. وهذا الخطاب، وإن كان يبدو بسيطا في ظاهره، إلا أنه عميق في أبعاده ، فهو من جهة يظهر تأثر خاصة المريدين بكذب بعض المدعين، وعدم قدرتهم على التمييز بين الكرامة والدجل ، ومن جهة أخرى يظهر أهمية عامل الكرامة في تصديق الولي التي صارت عليه بعض الطرق الصوفية خلال القرن 18م بالخصوص، وهو ما نستنتجه من الاستنكار الذي وجه للشيخ قاسم بن رحمون **"وأي كرامة لك أنت؟"**، حيث نفهم أن الشيخ قاسم لم يظهر كرامات لأصحابه ، مما أوقعه في دائرة الشك والاستنكار.

وهنا نطرح السؤال حول موقف الشيخ قاسم من استنكار أصحابه له؟ فهل عليه أن يظهر كرامات لأصحابه حتى يتبعوه، أم عليه مواجهة هذه الظاهرة حتى لا تستغل من طرف أصحاب الادعاء والدجل، وإن الموقف الثاني هو ما صار عليه الشيخ قاسم، فاستكمالا للقصة ، طلب الشيخ قاسم من ابن عبد الجبار استدعاءه كما استدعى أصحابه **"....ومن الغد أو بعد الغد طلب منه الفقراء المبيت، واعلموا مولاي قاسم فجاء معهم، وجعلوا يذكرون الله على العادة، وابن عبد الجبار بينهم يتمايل ويظهر لهم أن به حالا ، فما شعروا بمولاي قاسم حتى وثب من الأرض وركب على قفا ابن عبد الجبار ...إلى أن سقط على الأرض كأنه ميت ...إلى أن قام ابن عبد الجبار من سكرته، فانتظروا العشاء على العادة فلم يجد ما يخرج لهم ، وظهر كذبه وبهتانه فيما كان يدعيه ...وقتل مولاي قاسم به ذلك الجني الذي كان يخدمه"**[2].

نستخلص من هذه القصة، مسألتين:

الأولى: إن الولي الصوفي لكي يصدق في دعواه، أصبح لابد أن يظهر كرامات، حيث اتخذت الكرامة دليلا على ولاية الولي، فإذا لم تظهر منه فولايته مشكوك فيها، وهو ما كان من التحول في النهج الصوفي والذي هيمن على التصوف خلال القرن 18م .

والثانية: إن الخوارق والكرامات ليست علامة على صدق الولي أو كذبه، إذ ليس من الضرورة أن تصدر عن الأولياء والصلحاء، بل يمكن أن تظهر على من هم عكس هذه الطريق من الدجالين والمشعوذين ممن يلجؤون لأعمال السحر، وما ورد بالقرآن الكريم من سحرة فرعون إلا مثال عنلى هذا.

وعموما، فقد تباين موقف العلماء حول هذه المسألة، إذ إن الصوفية العلماء الذين اهتموا بكرامات الباطن، تجنبوا تسليط الضوء على كراماتهم الظاهرية ، بل منهم من إذا ما حدث وشاهد أحد أصحابه شيئا من هذا عليه، يأمره بأن لا يتكلم فيه، وما ذلك إلا حرصا منه على تطهير الباطن وترك الرياء

[1] - حمدون الطاهري الجوطي، **تحفة الإخوان...** ، ص 246

[2] - **المصدر نفسه** ، ص 247

والعجب بالنفس، أو الخوف من أن تصبح الكرامة بدعة وشركا، فقد قال التادلى **"سمعت أبا على الصواف يقول: سمعت أبا مدين يقول: الملتفت إلى الكرامات كعابد الأوثان، فإنه إنما يصلى ليرى كرامة"**[1] .

2- صور من كرامات ومناقب وخوارق أولياء فاس

تعددت صور الكرامات التي حملتها كتب المناقب وذلك حسب دورها الوظيفي، حيث لا تخلو سيرة أحد من الصلحاء من الكرامات، والتي جاءت كتعبير عن حاجات المجتمع أكثر مما جاءت كتعبير عن رمزية الولي الصوفي. وقد انقسمت هذه الكرامات إلى كرامات دنيوية وأخرى أخروية، إلى ما هو ظاهري في مقابل ماهو روحي وعلوي، كما ارتبطت إما بإبراز ذاتية الصوفي أو الولي، أو إبراز قدراته وأفعاله، وقد كان الهدف من هذه الكرامات هو إبراز تميز الولي عن غيره من الناس سواء بصفات أو قدرات مادية أو معنوية .

أ- الكرامة المرتبطة بذات الولي:

وهي تلك الكرامات التي أضفت على الولي طابع الكازيما الصوفية، ولأنها ارتبطت بذات الولي فقد صيغت في سياق البركات، حيث اعتبرت البركة قسما تابعا للكرامة المرتبطة بذات الولي، إذ تميزت جل الروايات الكراماتية برمز الولي المختار الذي بدأ طريقه الصوفي بكرامة حولت حياته من الضلال إلى الهداية والولاية، فكان هذا بداية البركة التي ستفتح له طريقا للكرامات طيلة حياته، وتعج كتب الفهارس والتراجم والمناقب، بآلاف الصور من البركات والكرامات التي تنسب لأصحابها، والتي تجاوزت المعقول إلى اللامعقول، تكون حتى للبهاليل ساقطي التكليف الشرعي، بمعنى أنهم يصنفون ضمن فئة المجانين ، ورغم ذلك فحتى هذه الفئة تعج بأخبار كراماتها كتب الفهارس والتراجم .

وعموما، فقد تضمنت المصادر العديد من صور الكرامات مما لا يعد ولا يحصى، لكن يمكن القول، بالرغم من كثرة تلك الكرامات إلا أنها اقتصرت على عدد محدود من المواضيع، والتي جاءت في سياقات حاجاتية؛ نذكر بعضا من هذه الصور مع تصنيفها حسب أغراضها :

- **من يؤذي الولي يتأذى:** وردت هذه الكرامة في صيغ مختلفة ، إلا أنها ارتبطت بالمجاذيب والبهاليل وساقطي التكليف أكثر مما ارتبطت بالمتصوفة العلماء، ولعل ما اتصفوا به من الفقر والانسلاخ عن الدنيا كان له دور في ذلك، أو لأن ضعفهم وعجزهم في الدفاع عن أنفسهم، جعل المجتمع ينظر إليهم كمن لا حيلة له، فربطوا بين أذية **الولي** أو المجذوب، وبين المصيبة التي تصيب ذلك المؤذي، إذ يذكر صاحب "السلوة" ما كان من حال المجذوب أحمد بن يحيى البادسي (ت1100هـ)، فيقول عنه **"الشيخ الملامتي البهلول المجذوب صاحب الأحوال الربانية ، أبو الغنائم المشهور بأبي كموسة ، كان بهلولا ساقط التكليف ، ظهرت له كرامات ، وسبب تلقيبه بأبي كموسة أنه كانت عنده كموسة من الدراهم فيها**

[1] - يوسف التادلي(ابن الزيات)، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**، تحقيق أحمد التوفيق، منشورات كلية الأداب جامعة محمد الخامس الرباط، سلسلة دراسات وبحوث رقم 22 ، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، ط2، سنة 1997م، ص 323

مائة مثقال رشيدية أعطاها له السلطان وكانت دائما على كتفه وكان الناس يجتنبون أذيته ... فأغفله بعض الطغاة وأخذها ففطن بذلك، فأراد أن يردها له فامتنع عن قبولها ، فقال له : حيث فعلتها فلا تردها بل خذها قد كان ما كان، فاتفق أن قتل ذلك الشخص الآخذ من يومه في اروى ودفن فيها"[1] .

- **المشي فوق الماء والطيران في الهواء:** صنفت هذه الكرامة ضمن الخوارق التي رويت عن عدد قليل من المتصوفة ، نذكر على سبيل المثال ما روي عن الشيخ أبي محمد عبد الله الدروي المعروف بالحداد دفين خارج باب الفتوح قرب روضة علي حماموش، يقول فيه صاحب **"المقصد": " كان رحمه الله قوي الحال ملامتيا تصدر منه أمور لا يفهم ظاهرها وكان من أهل الخطوة والطيران في الهواء، وله كرامات ومكاشفات"**[2] .

- **العلم بخفايا الأنفس والسرائر ومظان الأرواح:** وردت هذه الكرامة في سيرة عدد كبير من المتصوفة، فمثلت جانب **"المكاشفة"** التي حبي بها الأولياء كدليل على صفاء النفوس والقلوب، نذكر مما أورده صاحب **"المقصد"** في سياق القصة المذكورة سابقا " **... لقيه سيدي قاسم مرارا وتبرك به، وكان يوما سيدي قاسما جالسا بحانوته المقابلة لباب للقرويين فرأى سيدي عبد الله بجامع القرويين فاستعظم أمره وقوة حاله وجعل ينظر إليه ويقول في نفسه: ما أقواك يا رجل، أو كلمة نحوها فكاشفه بذلك وأتاه من القرويين حتى وقف عليه بباب الحانوت وقال له: يا أخي قلبك مراك كيف تراني أراك"**[3] .

كما نذكر قصة أوردها عبد السلام القادري في "نشر المثاني" في سياق ذكره لكرامات "الشيخ الملامتي عبد العزيز المدعو عزوز دالله"، وهي عن أحد أصحاب الشيخ محمد بن عبد الله، الذي التقى بتاجر فقص عليهم ما وقع لهم بعرض البحر، وكيف تدخل الشيخ عزوز دالله لإنقاذهم ، حين تدخل لإنقاذ سفينة ركاب بعرض البحر، فسمع بالقصة أحد أصحاب الشيخ محمد بن عبد الله ، فأضمر صاحب الرواية في نفسه نية لم يخبر بها أحدا ، وما أن بلغ مدينة فاس وقصد ما كان ينوي حتى فاجأه الولي عزوز دالله بما أضمر ؛ يقول في ذلك القادري: **"قال لي المحدث المذكور: فلما سمعت هذه القضية أضمرت في نفسي أني إذا وصلت إلى فاس أعطيه مزونة ، وذهبت للبردعيين من باب السلسلة ، اذا به أتاني ، وقال : أعطيني موزونتي ، ولم يكن اطلع على ذلك أحد إلا الله تعالى ، فاعطيته إياها ومضيت"**[4].

- **الانتفاع بزيارة الولي حيا، وحدوث الهداية والصلاح:** وردت هذه الكرامة في حق من قام بزيارة الأولياء، وقد جاءت في سياق إبراز بدايات الولي، وأن هذه البركة علامة على الفتح الرباني، ونذكر في هذا الصدد مما أورده صاحب **"تحفة الإخوان"** في زيارة لأهل الحاج الخياط الرقعي للشيخ عبد الله الوزاني صاحب زاوية وزان، حين كان صبيا: **"أنه حين عادوا من زيارة الشيخ، بات كل واحد يروي ويتكلم بما**

---

[1] - محمد الكتاني، **سلوة الأنفاس....**، ج1، م.س. ص 307

[22] - عبد السلام القادري، **المقصد الأحمد....**، م.س. ص536

[3] - **المصدر نفسه،** الصفحة نفسها .

[4] - القادري، **نشر المثاني** ، ج1 ص 241

حصل لهم مع الشيخ المذكور ، بينما الحاج الخياط ساكت وحين سألوه ماذا رأيت أنت ، قال لم أرى شيئا وإنما زرته لله وحسابي في ذلك على الله ، فلما أقبل الليل ...أيقظ الله غفلته فبات يتهجد ويصلي ليلته حتى ختم القرآن عند طلوع الفجر ، ويضيف : فكانت تلك الزيارة المباركة سببا في الفتح عليه وفي وصول الخيرات إليه"[1] .

- **ظهور نور على الولي:** هذه الصفة وردت كثيرا ضمن كرامات الأولياء، وقد كان الهدف منها هو نشر تجلي قوة الأيمان على صاحب من ذكرت فيه، بما يمثله النور من دلالات دينية وروحية، وقد وردت في عدة صور، مثل أن يصدر من الصوفي أو الولي نور خفي، أو يخرج من فيه نور وهو نائم، أو أن يضيء مكان بنور وجهه، أو أن يرى نور من القبر، ونذكر مثالا مما أورده صاحب "**تحفة الإخوان"**، في قصة تتعلق بالشيخ الرقعي حين دخل مدينة فاس واستوطنها بأمر من شيخه عبد الله، أنه فيما كان نائما ضيفا عند أحد أصحابه، وخلال الليل وبعد العشاء ، إذ يروي قائلا : **"فتعشيت معه وجلسنا ساعة نتحدث ، ونمنا بعد أن نحيت المائدة في ركنة المسكن وأطفأت القنديل ، فاستيقظت فوجدته مستلقيا على ظهره نائما ، وفمه مفتوح ، ونور خارج من فمه حتى أبصرت ما في البيت من الحوائج كأنه ضوء النهار .."**[2] .

- **صدور صوت القرآن من القبر:** هذه الكرامة ترتبط بالولي بعد موته، وهي تبرز مكانته ودرجة ايمانه وصدق أعماله في الحياة الدنيا، ونذكر مثالا مما أورده صاحب **"تحفة الأكابر"** في وفاة الشيخ عبد القادر الفاسي ودفنه : **" وبعد أيام من دفنه حدث غير واحد أنه سمع القراءة من القبر فناديت بعض من كان قريبا فاستمع فقال :هذا الذي كنا نسمع قبل هذه الليلة ، ثم ناديت آخر ثم آخر إلى أن وقف جماعة والصوت يرتفع حتى كان يسمع من بعيد فتيقنت الجماعة أن ذلك صوت قراءته ، وحصل ما يفيد التواتر بذلك ولم يسكت حتى اجتمعنا للقراءة بالمصاحف هداة من الليل بقراءة جهرية"**[3] .

ب- الكرامة المرتبطة بقدرات الولي

وردت هذه الكرامات في سياق إبراز مكانة الأولياء على مستوى الأفعال والقدرات، من قبيل علاج الأمراض والاستشقاء، والإيواء والحماية، ومنح الذرية، وتجاوز العوائق النفسية والروحية والمادية، وقضاء المآرب الخاصة، ورد الغائب...، وقد امتد هذا الاعتقاد في مقدرة الولي في حياته وبعد مماته، وتجدر الإشارة أن ورود هذه الكرامات جاء في سياق الأزمات المجتمعية وحاجات الناس الفردية، فرأى الناس في الأولياء باب أمل في إيجاد حلول لمشاكلهم .

ومن أبرز صور هذه الكرامات :

---

[1] - حمدون الطاهري الجوطي : **تحفة الإخوان** ...، م.س. ص 223

[2] - **المصدر نفسه** ، ص228

[3] - الحسن الويشمي **، تحفة الأكابر**.. ، ج2 ، ص 313

- **حصول البركة في الطعام:** ارتبطت هذه الكرامة بأوقات الحاجة للطعام، فوردت في سياق قلة الطعام وكثرة الضيوف، ليكون الحل في بركة الولي الذي يعمل على استكثاره أو إحضاره من غير سبب، أوإيجاده من غير انتظار او تهييء أو بغير وقته. وتعج كتب المناقب بصور من هذه الكرامة ، نذكر منها ما أورده صاحب "السلوة" في كرامات الشيخ الخياط الرقعي دفين زاوية الشرشور **" أنه كان يطعم الجم الغفير من الطعام اليسير"**[1] .

ومما أورده "محمد العربي الفاسي" من كرامات الشيخ أبي المحاسن في مؤلف "مرآة المحاسن" في سياق حديثه عن بعض كراماته، قائلا "**ومنها أن الشيخ كان مرة في زيارة سيدي أبي سلهام ...فقدم زوار من الفاسيين زهاء سبعين رجلا ...، فوافقوا قصعة من الطعام المألوف بالمغرب، المعروف بالكسكسو وعليه مؤخر خروف مما يكفي عشرة رجال أو ما يقرب منهم ، فأمر الشيخ بتقديمها للواردين ، فأكلوا منها بأجمعهم طائفة بعد طائفة حتى شبعوا وبقي الطعام على حاله ، وما من واحد منهم إلا ذكر عن نفسه أنه أكل من اللحم قطعتين أو أكثر**"[2] .

- **فك الكربات وحل المشاكل:** شكلت هذه الكرامة جزءا من الحياة اليومية للناس، فكلما وقع شخص في كربة أو نزل به بلاء، فالحل سيكون بيد أحد الصلحاء أو الأولياء، وتعج كتب المناقب بصور من لجوء أهل فاس للأولياء بحثا عن حلول لمشاكلهم اليومية، سواء بالتدخل لإصلاح ذات البين أو لطلب شفاعة، أو توسطا بينهم وبين رجال المخزن، أو طلبا لدعاء في أمر متعسر، نذكر على سبيل المثال ما أورده صاحب "النشر" من خلال ترجمة القاضي أبي محمد بن أحمد التماق الأندلسي الغرناطي، الذي رأى الرسول ﷺ في المنام فسأله حلا لمعضلته فأجابه الرسول الأكرم قائلا **"عليك بالخياط الرقعي، فإنه يخيط الثياب الممزقة"**[3]، والقصد من العبارة أن الشيخ الرقعي له قدرة في حل المعضلات وإصلاح المفاسد، كما يصلح الأثواب الممزقة، ويضيف صاحب النشر ، أن هذا القاضي من الصبح قصد زيارة الشيخ الرقعي ، فما كان إلا أن تحقق طلبه بعد مدة يسيرة[4] .

- **نزول الغيث وإجابة الدعاء:** ارتبطت هذه الكرامة بعنصر هام يقوم عليه مصير الأفراد والمجتمع، ألا وهو نزول الغيث، وإن أي تأخير لهذا المورد يكون له انعكاسات وخيمة على حياة الناس والمجتمع وعلى السياسة وسيادة الأمن، مما يدفع بعموم الناس وخاصتهم إلى اللجوء للدعاء وصلاة الاستقساء، فشكل المطر بذلك موضوعا تتجلى فيه التصورات والممارسات المرتبطة بالبركة، وإن الشدة والقلق من تأخر الغيث يدفعان المجتمع إلى الاستعانة بحاملي البركة، كي يتوسطوا عند الله لصالح

---

[1] - محمد الكتاني، **سلوة الأنفاس.....** ، ج1 ص 258

[2] - محمد العربي الفاسي ، **مرآة المحاسن...،** م.س. ص ص 143- 44

[3] - القادري ، **نشر المثاني.....** ، 41 ص 213

[4] - انظر، **المصدر نفسه**، ص ص 213 - 214

الجماعة[1]، وهذه الكرامة منحت الولي الذي يستجاب دعاؤه مكانة وحظوة خاصة، عند الناس؛ ونذكر على سبيل المثال ما أورده "القادري" في كرامات الشيخ "أحمد بن محمد معن": **"أنه رضي الله عنه كان معنا في حزب الغداة من يوم جمعة وكان المطر في ذلك الوقت قد حبس أياما كثيرة ومدة طويلة، واحتاج الناس إليه احتياجا كثيرا حتى قنطوا وكادوا يخرجون للاستسقاء، فلما فرغنا من قراءة الحزب نادى رضي الله عنه وقد اعتراه حال بقوله قولوا اللهم اسقنا آمين، فقالها الناس دفعة واحدة فأعادها عليهم ثانيا فقالوها ثم ثالثا كذلك، فنشأ سحاب يومئذ ولم يظهر للشمس فيه شعاع ونزل عندما انتصف النهار مطر خفيف استبشر الناس به، ثم بعد يومين أرسلت السماء مدرارا وهطلت أمطارا وتتابع مطرها نحوا من عشرة أيام حتى رويت البلاد ورحم العباد وفرح الحاضر والباد ببركة دعائه رضي الله عنه وأرضاه"**[2].

- **القدرة على اختراق الجدار:** هذه الكرامة تصنف في صنف الخوارق، وذلك لأن الولي يتمثل من خلالها في صفة من يتجاوز الماديات، سواء من خلال جسده أو الحواجز المادية من جدار وغيره، حيث يتلاشى كلا الحاجزين أمام إرادة الولي، ونذكر في هذا الصدد مثالين أوردهما صاحب "السلوة"، كان السلطان إسماعيل طرفا فيهما، ولعل القصد من ذلك هو مقارنة جاه السلطان أمام جاه الولي:

المثال الأول: **" حضر يوما مولاي إسماعيل لزيارة سيدي علي ابن حرزهم، وأمر باغلاق الروضة عليه وترك صاحب المجذوب أحمد بن يحيى البادسي(1100هـ) خارجها، واذا به وجده داخل الروضة معه بازائه فعلم أن ذلك من خوارقه"**[3] .

أما المثال الثاني ، فهو: **"أن السلطان إسماعيل كان قد سخط على أهل الزوايا وشدد عليهم، وبعث من وراء مولاي التهامي الوزاني، وذلك في حياة والده مولاي محمد فجاء من وزان ودخل جامع الخضراء من مكناس ، والناس خائفون من أجل ذلك ، فبينما السلطان المذكور نائما نهارا استيقظ ونزل الغداء بين يديه ، وهو في أثناء الأكل، إذ دخل عليه صاحب الترجمة لقبه وبيده شاقور مطحونة، فوقف عليه وقال له : والله لو تغيرت في ولد سيدي شعرة واحدة لشققتك بهذه الشاقور، فقال له السلطان من انت ؟ قال "الخياط" قال له: ومن ولد سيدك؟ قال مولاي التهامي، هاهو ذا بجامع الخضراء ، وانصرف، فقام السلطان للبوابين فقالوا: لم يدخل أحد قط، فسأل من في الدار ، فقالوا : ما رأينا أحدا ، فخرج مغضبا وأمر بفرسه وركب، فجعل الفرس يرجع وراء ، فنزل عنه وقال: قولوا للمرابط مولاي التهامي يمشي لداره"**[4] .

---

[1] - انظر، عبد الأحد السبتي ، **النفوذ وصراعاته ...**، م.س. ص 42

[2] - عبد السلام القادري ، **المقصد الأحمد ...** ، م.س. ص ص 438- 439

[3] - **محمد الكتاني، سلوة الأنفاس....**، ج1 ص307

[4] - **المصدر نفسه** ، ص 258

- **طي الأرض:** ارتبطت هذه الكرامة غالبا بالسفر للحج والعمرة، أو بالصلاة بمكة أو المدينة المنورة، فوردت كعلامة على ما حبي به الولي من قبول، والذي يمثل مستويين، **المستوى الأول:** وهو التمكين له في الأرض، بالقدرة على تجاوز المكان، مما يلغي عامل المسافات التي تتلاشى أمام كرامته؛ **والمستوى الثاني:** وهو الصلاة بأقدس مسجد ومكان وجد على الأرض، وما تمثله تلك الصلاة في العقيدة الإسلامية، وقد وردت هذه الكرامة في سيرة كثير من الصلحاء، كإشارة على خصوصيتهم الصوفية، وهو ما نلمسه من خلال ما جاء في مؤلفات التراجم والمناقب، فمثلا الكتاني في"سلوة الأنفاس"، خص بعض الأولياء بهذه المكانة من قبيل الشيخ الحسن الصنهاجي فقال فيه **"أنه كثيرا ما يشاهد بمكة"**[1] ، كما أوردها بخصوص الشيخ "عبد القادر الفاسي" ، بالقول "**وله كرامات منها ما أخبر به جمع من الحجاج المجاورين للحرمين الشريفين من حضوره للصلوات الخمس في المسجد الحرام بمكة أو بمسجد النبي ﷺ ، وحكى بعض الثقات أنه:رآه يطوف بالبيت جهارا ..."**[2] .

كما أوردها صاحب **"نزهة النادي"** من خلال سيرة "أبو محمد عبد المجيد"، إذ تبعه أحد العاملين برحبة الصفارين يدعى أحمد بن ناصر: **" فذهب خلفه إلى أن لقيه شريفين من أشراف سجلماسة بباب القرويين ، فسألاه قائلين: ياسيدي سألناك بجاه جدنا رسول الله ﷺ إلا ما أخبرتنا أين تصلي؟ فسكت هنيهة وأحمر وجهه ، فقالا لهما بمكة أو المدينة"**[3]، وما كان بعد ذلك من عزم الرجل "أحمد بن ناصر" في أن يتبع "أبو محمد عبد المجيد" حتى ينظر ما يفعل خلال صلاة الجمعة **"فذهب خلفه يتبعه حتى قطع سوق العطارين ثم الطالعة ثم ذهب خارج باب المحروق .... إلى أن بلغ جامع القرويين ...فدخل المحل المعد للوضوء والرجل بأثره يتبعه، فوجد ميضات فارغة فدخلها فوقف الرجال على بابها ينتظر خروجه ، ثم دفع الباب يريد الإشراف عليه فوجدها كالحائط لم يستطع هزها ، فبينما هو كذلك إذا به مشرفا عليه من الناحية التي أتيا منها ، فقال له : صلى الناس صلاتهم قطع الله يده ، فعرف الرجل حلول العقوبة به..."**[4] . وهذه القصة لا تفيد فقط إخبار "أبي محمد عبد المجيد" عن كراماته التي تجعله ينتقل من مدينة فاس لمكة أو المدينة المشرفة كل صلاة ، بل تفيد بأن هناك من ذهب للتأكد، وأنه - حسب القادري – تيقن فعلا من أن هذا الشيخ المعني يغيب عن فاس خلال أوقات الصلاة، بل ويعزز صاحب "نزهة النادي" هذه الكرامة بالقول : "**وهذه حكاية شهيرة ، قد اشتملت على خمس كرامات ، وجود باب الميضات كالحائط ، وخروج سيدي عبد المجيد منها وهي مغلقة من غير فرجة ولا حل باب ، وإشرافه على الرجل من ناحية أخرى ، وقبول دعائه عليه وصدق ما وعد به ...، وصلاته بمكة أو المدينة"**[5] .

---

[1] - **محمد الكتاني، سلوة الأنفاس....،** ج1 ، ص 342

[2] - **المصدر نفسه** ، ص 352

[3] - عبد السلام بن الطيب القادري، **نزهة النادي** ...، م.س. ص 125

[4] - **المصدر نفسه** ، ص ص 125 – 126

[5] - **المصدر نفسه** ، ص 126

- **قدرة الولي على استجابة النداء ودفع الضرر:** تدخل هذه الكرامة ضمن صنف الخوارق، لأنها جسدت قدرات غير بشرية للولي، وذلك من خلال سماع نداء الاستغاثة مهما كان بعيدا، ودفع الضرر مهما كان كبيرا، وقد تعددت صور هذه الكرامة فوردت ضمن المصادر كخصوصية لبعض الأولياء أو الصلحاء، فحملتها الثقافة الشعبية حتى بعد وفاتهم، إذ ارتبطت بالاعتقاد في الولي حيا وميتا، وقد تضمنت كتب المصادر العدد الكبير من الرويات التي تبرز هذا الاعتقاد ، مثلا ما ذكره صاحب كتاب **"المرقي"** عن الشيخ امحمد الشرقي "**اشتهر بالنفع بعد مماته ، كما وقع في حياته**"[1]. ويضيف صاحب الكتاب "**وأما قول بعضهم : إن الولي إذا مات انقطع تصرفه من الكون، وما يحصل لزائره إنما على يد صاحب الوقت بحسب درجة ذلك الولي ؛ فذلك في الأغلب**"[2] ، وإن هذه المقولة كانت مشهورة إذ أوردها اليوسي مع اختلاف بسيط قائلا " **نعم رأيت لبعضهم أن الولي إذا مات أنقطع تصرفه من الكون، وما يحصل لزائره مثلا إنما يحصل له على يد قطب الوقت بحسب درجة ذلك الولي، والله تعالى أعلم**"[3]، والملاحظ عن هذه المقولة أنها تنسب للمشهور دون معرفة صاحبها .

وسنذكر في هذا الصدد روايتين تبرزان كلا الجانبين من هذا الاعتقاد.

✓ **الأول عن استجابة النداء عن الولي الحي :** ونضرب مثالا مما أورده القادري في نشر المثاني حين عرج على ذكر ترجمة الشيخ الملامتي عبد العزيز المدعو عزوز دالله (ت1031هـ): **"قال حدثني بعض الفضلاء من أصحاب الشيخ محمد بن عبد الله معن ، أنه ذهب مرة إلى بلاد تطاون بقصد التجارة ...كان هناك مسافر وقدم إليهم صحنا من الكسكس ..وقال لهم: أقص عليكم خبر هذا الدقيق الذي صنع منه هذا الكسكس ...، فقال: قدمنا من مدينة الجزائر في سفينة البحر إلى سبتة ، فلما أشرفنا عليها هبت علينا ريح صاعقة ازالتنا من مكاننا وردتنا إلى الموضع الذي منه اتينا ، وارتج البحر علينا بالأمواج حتى أشرفنا على الغرق، وقاسينا من ذلك مقاساة عظيمة ، فجعل من في السفينة ينادون بصالحي بلدهم وجعلت أنا أقول يا سيدي عزوز، أكررها ، يعني سيدي عزوز دفين رأس الجنان ، وكان إذ ذاك حيا ، قال واذا به قد أتى على الهيئة التي أعرفه عليها بجلابة في يده وتاكرة مقلوبة على رأسه، وكانت عادته أن يفعل ذلك ، حتى وصل إلى السفينة، وردها بيده فسكنت إذ ذاك وزال ما بنا ، ومررنا ببلاد العناب حيث ألقانا البحر ، فاشترينا منه هذا الدقيق ..."**[4] .

من خلال هذه الرواية، يمكن أن نستخلص العديد من الأبعاد التي يحملها الجانب العقدي المجتمعي في قدرات الأولياء، وهي :

---

[1] - عبد الخالق العروسي ، **المرقي...**، م.س. ص 197

[2] - **المصدر نفسه**، الصفحة نفسها .

[3] - الحسن اليوسي ، **المحاضرات ...**، م.س. ج1 ص 185

[4] - القادري ، **نشر المثاني** ،م.س. ج1 صص240- 241

- **تجاوز الزمان والمكان وتعطيل الأسباب**: وذلك بالقدرة على الانتقال من بر فاس إلى بحر الشمال القريب من سبتة، والذي كان في وقت قياسي، مثلما عبر عنه الراوي في كلمة "وإذا به" .

- **سماع النداء**: بقدرة الولي على سماع الصوت البعيد ، بحيث إن الراوي نادى على الولي الذي سمعه رغم بعد المسافة ، فاستجاب لندائه .

- **القدرة الجسدية الخارقة:** وذلك بقدرة الولي بمفرده على رد السفينة للبحر ونجدتها من الغرق.

- **ركوب البحر من غير وسيلة:** إذ بقدرة الولي على الوصول للسفينة وهي في قلب البحر.

✓ **الثاني عن استجابة النداء عن الولي المتوفي:** ونذكر مثالا مما أورده الكتاني في "**سلوة الأنفاس**" من خلال سيرة الشيخ "الحسن الصنهاجي":"**كان من جملة من صحبه وسكن إليه وانحاش إلى جانبه ، وعول عليه الفقيه ....أحمد بن محمد الصقلي الحسني، فقال له صاحب الترجمة بعد مدة: إذا كنت أنت أو أحد من أولادك في شدة فادعوني أخلصكم منها**"[1].

وقد حاول الكتاني إثبات واقعية هذا الخطاب من خلال أحداث وقعت لأولاد الصقلي أوردها في ذات الترجمة، قائلا:"**ولازالت عنايته فيهم عند الأزمات واضحة ، ولا برحت هذه المنقبة لهم من المتجر الرابحة، فمما شاع من ذلك أن أخوين من أبناء هذا الشريف خرجا مسافرين في زمن قل فيه أمر السبيل لتوالي الفتن ، فاستقبلهما الليل في بعض الفلوات المخوفة ، والوقت نهاية في اشتداد الظلمة بتراكم السحاب وانهمار الأمطار ، فذهبا في طلب العمران كل مذهب، فلم يجدا أثرا لإنسي بحال ، فوقعا في شدة عظيمة تذكرا معها مقالة صاحب الترجمة لأبيهما ؛ فحينذاك دعياه (يا سيدي الحسن الصنهاجي) مرتين أو ثلاثا ، وكان قد توفي بسنين ، فينما هما قد فرغا من دعائهما ، أبصرا خيمة في القرب منهما بمحل كانا قد مرا به مختبرين قبل ذلك فلم يكن به شيء ، فذهبا إذ ذاك إليها، فإذا هي مفروشة بحصير ، فحطا بها رحلهما ، ووجدا من أنفسهما الأنس الذي لا خوف معه ، ثم بعد ساعة ؛ آتاهما رجل بعشاء طيب من طعام الحاضرة، ولا يعهد مثله في البادية ، سيما في ذلك المحل؛ فأكلا وغلبهما النوم ، فلما استيقظا عند إسفار الصبح حملا أثقالهما وارادا الانصراف عن الخيمة وما فيها ، فبقيا في رجاء رب الخيمة ، وكبا في طلبه ، فلم يقفا له على خبر ولا أثر ؛ فلم يمكنهما إلا ترك الخيمة وما فيها من الحصير وإناء الطعام والشراب عن يقين بأن ذلك إنما أتيح لهما من عناية صاحب الترجمة (أي الحسن الصنهاجي) تحقيقا لما قاله لوالدهما**"[2].

هذه القصة تبرز ما ذكرناه سابقا من خوارق ، كما تبرز الاعتقاد في استمرار كرامة الولي حتى بعد وفاته، وذلك بقدرة الولي على استجابة النداء ودفع الضرر عبر تسخير أشخاص آخرين لفعل ذلك، مثلما حدث مع أولاد الشيخ أحمد حين استضافهما رجل لم يعرفا عنه شيئا ولم يجدا له أثرا .

[1] - محمد الكتاني ، **سلوة الأنفاس ...** ، م.س. ج1 ص 342

[2] - **المصدر نفسه** ، الصفحة نفسها .

المبحث الثاني: المجتمع الفاسي وقداسة الأضرحة والزوايا

1- مكانة الأضرحة والزوايا في المعتقد الجمعي

ارتبط المجتمع الفاسي بالزوايا والأضرحة ارتباطا وثيقا، ومرد ذلك إلى قوة الحضور الذي كان للأولياء والصلحاء ورجال العلم والتصوف في تاريخ مدينة فاس، فاعتقدوا فيها ما اعتقدوه في أصحابها، إذ إن الاعتقاد في كرامات الأولياء لم يتوقف عند شخوصهم، بل امتد لزواياهم وقبورهم أو أضرحتهم، حيث تقمصت تلك الأماكن أرواح من شغلها منهم حيا كان أو ميتا، وقد أسقط المجتمع صفات القداسة على تلك الأماكن، فكانت الرابطة بينهم وبين ما يعتقدون؛ حيث انتقلت القداسة من الولي إلى أمكنته، فصارت في ذكرها فضائل وكرامات، حملت مضامين عكست ما نسب لأصحابها، من الحماية واستجابة الدعاء وغيرها، إذ إن المجتمع مثلما اعتقد في قدرة الولي حيا فقد اعتقد في قدرته ميتا[1] ، مما أدى إلى أن تتحول بعض تلك الزويا والأضرحة "حرما"، بما تحمله من دلالات الحرم في عقيدة المسلمين، يستجار بها ويستغاث بها من أي خطر قد يهدد حياة الفرد والمجتمع ماديا كان أو معنويا، فشكل ،بذلك، ضريح الولي أو المزار فضاءا لانتعاش كثير من المعتقدات والممارسات التي تكون أحيانا لا عقلانية مما يجعلها تدخل ضمن دائرة "الميتولوجيا الصوفية" ، حيث ساد الاعتقاد لدى فئة عريضة من المجتمع الفاسي، بقدرة الولي على تحقيق المعجزات، وقد ربط بعض الباحثين دور الأضرحة – بالخصوص- بأهمية "الوسيط" في معتقدات المغاربة ما قبل المرحلة الإسلامية، وتصور أناسها أن ثمة قوى "فوق حسية" تخضع الوجود لإرادتها[2].

إلا أن ما يمكن قوله أن هذا المعتقد له جذور بالتراث الإسلامي الذي وجد فيه بعض العلماء سبيلا في الدفاع عن بعض مظاهره، فمثلا الشيخ اليوسي له رد على من يسأل عن صحة التبرك بآثار الصالحين حيث أجاب قائلا: أن "**التبرك بآثار الصالحين مع صحة العقيدة لابأس به، وله أصل في فعل الصحابة رضوان الله عليهم "**[3]، كما لا يجد حرجا في طلب الحاجات من الصلحاء الأموات وقصد مقاماتهم وقبورهم والاعتقاد بتوسطهم لحاجات الطالبين واستجابة طلبهم، ويفسر اليوسي حقيقة وقوع ذلك بتوسط القطب

---

[1] - عبد اللطيف الشاذلي ، **التصوف والمجتمع..** م.س. ص189

[2] - انظر، محمد جنبوني: **الأولياء في المغرب ،الظاهرة بين التجليات والجذور التاريخية والسوسيوثقافية** ، حياة وسير بعض مشاهير أولياء المغرب، ط1 ص9

[3] - الحسن اليوسي، **المحاضرات...**، م.س. ج1، ص 102

الحي، إذ أورد في كتابه "المحاضرات": " **نعم رأيت لبعضهم أن الولي إذا مات أنقطع تصرفه من الكون، وما يحصل لزائره مثلا إنما يحصل له على يد قطب الوقت بحسب درجة ذلك الولي، والله تعالى أعلم**"[1].

ويعزز الشيخ اليوسي موقفه المؤيد هذا بتقديم بعض مشاهداته فيصرح في كتابه "المحاضرات"، قائلا: "**وقد شاهدت المولى إدريس بن إدريس رضي الله عنه أيام مقامي بمدينة فاس ترياقا مجربا في كل ما أنزل به من حاجة**"[2]، كما يروي صورا من تجارب علماء أكدوا له عن حقيقة اللجوء لطلب الحاجات من قبور الصلحاء وهذا أمر يرويه الشيخ اليوسي عن واقع يعيشه وبيقين العالم الصوفي دفاعا عن هذا الموقف ، فيقول "**حدثني بمدينة مراكش الفاضل أبو العباس أحمد بن أبي بكر الهشتوكي قال: رأيت ذات ليلة فيما يرى النائم أني دخلت مقام الشيخ محمد الجزولي ، فإذا هو جالس وهو يقول: من كانت له إلى الله حاجة فيأتنا، قال فلما أصبحت وكان أمير الوقت قد بعث إلى أهل المدينة أن يعطوا الرماة ، وشق عليهم ذلك كثيرا ، وكان قوم قد ذهبوا إليه وعزموا أن يسعوا في إذايتي ، فجئت إليه(يقصد قبر الشيخ الجزولي) فقلت : إنك قلت كذا، وها أنا ذا قد جئت في هاتين الحاجتين، قال: فقضى الله الحاجتين معا** "[3]، ويضيف في رواية أخرى: "**وحدثونا في درعة عن الشيخ سيدي أحمد بن إبراهيم أنه كان يقول لهم: أن سيدي أبا القاسم الشيخ وهو معروف هنالك يقضى عنده ما يقضى عند الشيخ أبي يعزى**"[4]، كما يذكر "**وحدثني أيضاً الأخ الصالح أبو عبد الله محمد بن أحمد الهشتوكي قال: بلغني عن الفقيه سيدي عبد الواحد الشريف أنه حدث أصحابه فقال لهم: كنا خرجنا ونحن نفر ثلاثة لزيارة الشيخ عبد الخالق بن ياسين الدغوغي، فلما كنا ببعض الطريق قلنا: تعالوا فليذكر كل واحد منكم حاجته التي يريدها، قال: فأما أنا فقلت لهم: إني أريد كرسي جامع المواسين، وأما الثاني فقال: أريد أن أتولى الحكومة في البلد، وأما الثالث فقال: أريد محبة الله تعالى، قال: فزرنا، فأما أنا وصاحبي فقد تولينا ما طلبنا، وأما الآخر فبخروجه من مقام الشيخ تحرك وفغر فاه واستقبل البرية، فكان ذاك آخر العهد به، وقد قضى الله الحاجات كلها**"[5]

.

كما يعزز موقفه بما يرويه عن شيوخ طرق مشهود لهم بالعلم، فيقول "**عن محمد الحاج بن أبي بكر الدلائي.. كان يحدثنا عن أسلافه أن ثلاثة من صلحاء الغرب ، قد جرب عندهم قضاء لحاجات، وهم الشيخ عبد السلام بن المشيش ، والشيخ أبو يعزى يلنور، والشيخ أبو سلهام ، غير أنهم اختلفوا ، فالأول في أمور الآخرة ، والثالث في أمور الدنيا ، وأبو يعزى في الكل**"[6] ، ويعقب : "**نفعنا الله بهم وبأمثالهم**"[7] ، ويضيف معززا رأيه بالرجوع إلى موقف الشيخ أحمد زروق وما له من أبعاد وما يمثله ضمن الطريقة

---

[1] - **المصدر نفسه** ، ص 185

[2] - الحسن اليوسي، **المحاضرات...**، م.س. ج1، ص 183

[3] - انظر، **المصدر نفسه** ، ص 184

[4] - **المصدر نفسه** ، ص 183

[5] - **المصدر نفسه** ، ص 184

[6] - **المصدر نفسه** ، ص 183

[7] - **المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .**

الزروقية ، فيقول: "**وقد ذكر غيره كالشيخ زروق أن هؤلاء الثلاثة أبا يعزى وأبا العباس السبتي وأبا مدين قد وقع الانتفاع بهم بعد الموت**"[1] ، ويختم اليوسي موقفه بالقول: "**وهذا بحسب ما اشتهر وانتشر، وإلا فالانتفاع واقع بأولياء الله كثيرا في الأرض**"[2] . وقد عبر الشيخ اليوسي عن موقفه من هؤلاء الأولياء عبر تخصيصه قصيدة مطولة يمدح فيها "**القطب الشهير سيدي أبا يعزى**" وهي قصيدة "**الدالية**" فأفصح من خلالها عن هدي السيرة الكرامية التي تواترت عن هذا الصالح، فهو في التصور الكرامي ملاذ للضارع الملهوف، ومغيث لمن التهمته أنياب الدواهي والصروف، وهو الطبيب الشافي عندما يعز الدواء وينعدم الشفاء[3] .

ولم يتوقف موقف اليوسي الذي يمثل صف العلماء عند موافقة هذا الرأي قولا، بل يقر بفعله ولجوئه لأضرحة بعض الأولياء، والتوسل بالصلحاء وطلب حاجته منهم أو عبرهم في محاولة منه لإقرار موقفه، إذ يقول: "**وكانت أهلي (ويقصد زوجته) أيام كنا بالزاوية البكرية قد تراخت عنها الولادة، فدخلها من ذلك غم عظيم، فأصبحت ذات يوم فأخبرت أنها رأت أنها ذهبت إلى مقام سيدي أبي علي الغجاتي، فقالت فوجدته جالساً وأنا في غاية العطش، فإذا حوله عين يرشح منها ماء قليلٌ. لا يغني، فقلت: يا سيدي ما هذا؟ جئت إليك عطشى رجاء أن أشرب، أفأرجع كما جئت؟ قال: لا، إن الماء ثمَّ، انبشي يخرج، فقالت: فنبشت بيدي فخرج الماء وشربت حتى رويت، وطلبت مني أن نزوره وأن نطعم عنده طعاماً ففعلنا، فولد ولدنا محمد الكبير أصلحه الله وأمتع به**"[4] .

وفي موقف آخر، يقول: "**ولما نزلنا بالزاوية (يقصد مقام سيدي أبي علي الغجاتي بالزاوية البكرية) المرةَ الثانيةَ مقفلنا من حضرة مراكش كانت لنا بُنية عجزت عن النهوض وهي في سن من يمشي، فظنناها مقعدةً ، فذهب بها الخدم إليه وزوروها فقامت بالفور على رجلها تمشي، وأمثال هذه الأمور لو تتبعنا منها ما رأينا وما سمعنا لملأنا بها الدواوين**"[5].

كما اتخذت هذه المعتقدات عدة طقوس منها التمسح بالقبور والدوران على القبر وغيرها، والتي رغم تحفظ اليوسي عن بعضها ، إلا أن مبرره في هذا التحفظ ليس الموقف الشرعي بالتحريم، بل موقف من يحتاط في الفعل، وهو ما أكده بالقول الصريح، كما أكد قيامه ببعض منها، إذ يقول اليوسي في محاضراته: "**ورأيت في بلاد المصامدة وخصوصا في بلاد رجراجة من هذا كثيرا بقي عندهم موروثا خلفا عن سلف عندما يدورون على صلحائهم زائرين ، ولما حضرت معهم في الدور في هذه السفرة ... سنة**

---

[1] - **المصدر نفسه ، الصفحة نفسها .**

[2] - **المصدر نفسه، الصفحة نفسها .**

[3] - أحمد الطريبق ، **الخطاب الصوفي...** ، ج2 ص 689

[4] - الحسن اليوسي، **المحاضرات** ...، م.س. ص ص 184- 185

[5] - **المصدر نفسه** ، ص 185

خمس وتسعين وألف لم أرافقهم في فعل كثير مما يفعلون مخافة أن يتخذني العوام حجة فيتغالون في ذلك، ومع ذلك لم أخل نفسي من التبرك بأمور قريبة لا بأس بها"[1] .

إن هذه المواقف تتبث بما لا يدع مجالا للشك أن العلماء خلال مرحلة القرنين 17 و18م لم يكن له موقف معارض من هذه الممارسات ، وإن كان هناك من يفسرها انطلاقا من موقف اليوسي الذي مثل صف العلماء والفقهاء، بالارتباط بالتحولات التي شهدها التيار الديني بشكل عام والتيار الصوفي بشكل خاص، وبالظروف السياسية والاجتماعية التي عاشها المغرب خلال هذه المرحلة، حيث يعلق "عباس الجراري" على موقف "الشيخ اليوسي"، بأنه كان ينطلق من حافزين اثنين: أحدهما يتمثل في إيمانه الصوفي العميق، والثاني هو تأثره بعادات وتقاليد اجتماعية مهما كان موقفه من انحرافاتها، فهو يسايرها ويحاول أن يظل ماسكا بزمام المبادرة فيها والتوجيه[2] ، كما يربطها أحمد الطريبق بالحقيقة الثقافية التي كانت تحرك المدارات التي كانت تستقطب النخبة من رجال العلم والأدب، وأن تعامل اليوسي مع الرموز الصوفية كان ينطلق من موقع الخبير بالتجربة الروحية ومزالقها في عصره[3] .

ويمكن القول، إن هذا الجانب -أي تعاطي العلماء مع الأضرحة لقضاء الحاجات- منح هذه المعتقدات أبعادا اجتماعية أخرى، زادت من ترسيخ مفهوم "المقدس" لدى مجتمع العصر الحديث الذي عانى من مختلف الأزمات .

وعموما، إن هذه القداسة كانت هي الدافع الذي أدى إلى إنتاج الكم الكبير من المؤلفات التي جمعت جملة من المناقب المتداولة في محيط الولي، التي ضمت العديد من صور الاعتقاد بقضاء الحاجات من أضرحة الأولياء وزواياهم؛ منها ما كان ضمن مؤلفات المناقب ، ومنها ما كان ضمن صنف الآداب من خلال مواضيع: التوسل، والتضرع بالأولياء، والمديح.، منها ما كان لعلماء كبار كاليوسي والتاستاوتي[4]، وغيرها؛ فاليوسي خلف العديد من الدواوين والقصائد التي يتوسل فيها ببعض الصلحاء، والتي يمكن القول بشأنها إنها فاقت ما خلفه في غيرها من المواضيع؛ فبالنظر لمجموع أشعاره خلص "أحمد الطريبق" إلى أن قصائد التوسل بالأولياء والصلحاء والوقوف بين مزاراتهم، تحتل مكانة لافتة للنظر، بالقياس إلى المدائح النبوية والحجازيات[5] .

2- صور عن المعتقد الجمعي المرتبط بزوايا فاس وأضرحتها

تعددت صور الكرامات التي ارتبطت بالزوايا والأضرحة في مدينة فاس ، مثلما تعددت صور كرامات أوليائها، حيث لم تكن هذه الأخيرة سوى انعكاس للأولى، فاستعملت في قضاء الحاجات المتعددة

---

[1] - **المصدر نفسه ،** ص 102

[2] - عباس الجراري ، **عبقرية اليوسي ،** دار الثقافة ، الدار البيضاء ، ط1 سنة 1981، ، ص79

[3] - أحمد الطريبق أحمد، **الكتابة الصوفية ...** م.س. ج3 ص 688

[4] - انظر ، دراستي أحمد الطريبق أحمد، **الكتابة الصوفية في أدب التستاوي**، م.س. ، **الخطاب الصوفي في الأدب المغربي على عهد السلطان المولى اسماعيل** (الرسائل والشعر)، م.س.

[5] - انظر، أحمد الطريبق أحمد، **الكتابة الصوفية ...** م.س. ج3 ص 688

التي لجأ إليها الفرد الفاسي، من أغراض دنيوية وأخروية، من الحماية والشفاعة وطلب الأمن في السفر وطلب الذرية والاستغاثة...، الأمر الذي أذكى مظاهر التقديس للأولياء ضمن المجتمعع الفاسي، وقد جاءت كتب المناقب لتعبر عن مكنونات المجتمع الفاسي تجاه الأضرحة والزوايا فعكست العديد من مظاهر الالتجاء لتلك المقامات وقضائها لحاجات الطالبين ، إذ أورد "القادري" في "المقصد الأحمد" عند تعرضه لسيرة أبي محمد عبد العزيز "المدعو عزوزا ذا الله" دفين رأس الجنان من فاس القرويين، مايلي: **"كان رحمه الله بهلولا مولها ساقط التكليف ملامتيا تشير حاله إلى الغيبة في التوحيد وكان من أهل الإغاثة والخطوة وله مكاشفات وكرامات، لقيه سيدي قاسم مرارا توفي في شهر ربيع الثاني سنة إحدى وثلاثين وألف وقبره ظاهر يزار، مجرب لقضاء الحاجات"**[1] . وهذه العبارات التي تفيد قضاء الحاجات نجدها في سيرة العديد من صلحاء القرنين 17 و18م، والتي ارتبطت بالمعتقد الجمعي الصوفي لمجتمع فاس .

وفي هذا السياق سنذكر صورا مما مثل هذا المعتقد الشعبي في بعض أضرحة وزوايا أولياء فاس ، وما عكسته من وظائف ومهمات، من خلال :

- **العلاج والاستبراء :**

تعددت صور الحاجة للعلاج والتداوي والاستبراء في كتب المناقب، خصوصا إذا نظرنا للقضية من زاوية أن المجتمع الفاسي عانى من آفة الأمراض والأوبئة بشكل كبير خلال القرنين 17 و18م، في مقابل غياب المعالجين والأطباء أو ندرتهم، إذ إن مدينة فاس وابتداء من المرحلة الحديثة، شهدت تراجعا على مستوى التكوين الطبي والصيدلاني في مدارس فاس وجامعتها، وقد عمق من هذا النقص الأزمات السياسية والاجتماعية وانتشار الأوبئة والأمراض، فأمست الحاجة إلى من يقوم بهذا الدور؛ وفي ظل هذا الوضع لم يجد المجتمع الفاسي مفرا من اللجوء للأولياء والأضرحة على أمل أن يكون الحل على أيديهم؛ وهو ما عكسته كتب المناقب بشكل كبير. ونذكر على سبيل المثال : ما أورده "محمد بن الطيب القادري" ضمن كرامات "ضريح الشيخ أحمد الشاوي" ، والذي قال عنه "**فمن أراد الاستشفاء فعليه به**"[2] ، ولإثبات حقيقة ذلك، يذكر حكاية لمقعد لجأ إلى ضريح الشيخ أملا في الشفاء، فكان له ذلك، ويروي القادري هذه الرواية نقلا عن صاحب القصة، وبيقين الشاهد للوضع الصحي له قبل الحادث وبعده ؛ إذ يقول: "**ومما حفظته عن رجل من أصحابنا أنه كان يصيبه ألم كثير في رجليه معا، وكثيرا ما يمنعه من القيام ، ودام به حتى عاين المنية، فلازم ضريحه أياما ، وأكثر الاستغاثة به، فإذا هو في النوم، إذ رأى كأنه في بعض أزقة فاس ، ورجل أمامه قفة مملوءة من سميد القمح ، ومطروح عليها ميزان على نية كأنه معرض لبيع ذلك السميد ، وكأنه ناوله موزنة وقال له: أعطني قسطها سميدا، فأخذ يزن له...فلما أزعجه أفرغ له من ثوبه**

[1] - عبد السلام القادري **المقصد الأحمد....**، م.س. ص ص 537- 538

[2] - محمد بن الطيب القادري ، **الكوكب الضاوي في إكمال معتمد الراوي ....**، م.س . ص 226 .

فأفاق الرائي ويده مضمومة على ثوبه ، فوجد من نفسه خفة ، فاستراح وقام على رجليه.."[1] ، ويضيف "القادري"معقبا على القصة كأنه يريد أن يؤكد للقارئ حقيقة كرامة ضريح الشيخ، بالقول: "**سمعت هذه الحكاية من هذا الرجل الذي وقعت له، مرارا، ووقع لي من مشبه هذا مرارا مما لا أحصيه، ولا زال مثل هذا يقع لمن يقصده ويستغيث به**"[2].

كما يروي في نفس السياق "عبد السلام القادري" في كرامات شفاء ضريح الشيخ "سيدي أبي غالب" ، والتي سردها ضمن كرامات الشيخ "أحمد بن محمد معن"، الذي كان سببا غير مباشر في شفاء أحد مريديه، فإن كان المقصود الشيخ أحمد معن ، إلا أن من حقق العلاج كان هو ضريح الشيخ المقصود، الذي تقدمه مجموع من الرويات في صفة الطبيب المعالج. يقول القادري:"**ومنها أن بعض الفقهاء من العدول ممن له محبة فيه رضي الله عنه(يقصد أحمد بن محمد معن)، وهو صاحبنا الفقيه الفاضل... أبو محمد عبد الله بن الفقيه الخطيب الخير المرضي سيدي أحمد ابن زيان، كان أصاب إحدى عينيه مرض علاه بسببه بياض قل معه بصره وضعف من أجله نظره، فتخوف عليها خوفا شديدا واهتم لأجلها اهتماما كبيرا فذهب إلى الأطباء فلم يقدروا له بشيء واستعمل ما تيسر من الدواء فلم ينفعه شيء، ففزع إلى سيدنا أحمد رضي الله عنه وجعل يقصده في ذلك ويذكر له خشيته لذهاب بصره وتخوفه، ويستعطفه على نفسه بما أمكنه أن يستعطفه، فعطف رضي الله عنه عليه، وتوجه بقلبه إليه وأرسله إلى ضريح الولي سيدي أبي غالب نفعنا الله به، فعافاه الله عز وجل وعاد ينظر بعينيه معا كما كان من أول. وكم نازلة تقع مثل هذه فتعرف بها فضل الله وكرامته لهذا السيد المبارك رضي الله عنه ونفعنا به**"[3].

هنا نشير إلى رواية القادري بخصوص ذكره لذهاب هذا المريض للأطباء، فنقول لعله يقصد أولئك من يتعاطون لهذا المجال من خلط بعض مكونات الأعشاب، لأن المرحلة التي نحن بصددها عرفت ضعفا كبيرا على مستوى تخريج الأطباء، بخلاف مرحلة حكم الموحدين والمرينين الذين كانوا آخر من اهتم بهذا العلم، وهو ما تثبته المصادر .

- **طلب الإرشاد :**

شكلت قبور بعض الأولياء والصلحاء ملاذا للحيران في أموره الدينية أو الدنيوية، فكانت مكانا لطلب الاسترشاد في كل أمور الحياة ، فأين يقصد من احتار في أمره ولم يسترشد في حياته، سوى أن يقصد قبور أحد الصلحاء ويطلب منه السداد، اعتقادا منهم في أن أصحاب تلك الأماكن لا يردون من لجأ إليهم وطلب معونتهم؛ فمما أورده القادري في كتابه "المقصد" كنوع من كرامات ضريح الشيخ العارف الذي سدد خطوات قاسم الخصاصي وهو في بداية طريق السلوك ، إذ لجأ هذا الأخير لقبر الشيخ العارف طالبا منه أن يجمعه بشيخ يخدمه، مستندا في ذلك لحقيقة مقام الشيخ (العارف) وسائلا إياه بذلك المقام؛

---

[1] - **المصدر نفسه** . ص ص 224- 225

[2] - **المصدر نفسه ،** ص 225 .

[3] - محمد بن الطيب القادري ، **الكوكب الضاوي في إكمال معتمد الراوي ...،** م.س . ص ص 454- 455

يقول القادري : **" ذهب قاسم الخصاصي لزيارة بعض الأولياء خارج باب الفتوح وهو سيدي الحسن الجزولي من أصحاب الشيخ الغزواني رضي الله عنهما، كانت أمه أرسلته لزيارته لأنه كان لهم إسناد إليه، فلم يعرفه فجاء إلى ضريح الشيخ العارف الكبير سيدي أبي المحاسن يوسف الفاسي رضي الله عنه، ووقف عليه وهو لا يعلم صاحبه فقال: «يا صاحب هذا القبر إن كنت وليا لله حقا فنطلب منك أن يجمعني الله بشيخ أخدمه لله لا يشاركني في خدمته»، ثم رجع من عنده وذهب إلى جامع القرويين فدخله فرأى به رجلا كوشا مسنا جدا فألقى الله في قلبه محبته وقال في نفسه: «مثلي من يخدم هذا الرجل لله »، فجاءه وسلم عليه وجلس إليه فلما تكلم معه واطمئن بين يديه، قال له الرجل المذكور: «إني موصى برجل سبطري»، أي ذو حرفة الخرازة من سوق القرافين أو من عقبة السبطريين"**[1].

- **الاستغاثة والحماية :**

كانت هذه الكرامة مخصوصة لبعض الزوايا والأضرحة، التي اشتهرت في هذا الغرض ، فكانت قبور بعض الصلحاء والزوايا ملاذا من قطاع الطرق والمعتدين والطالبين بالدم، والمطلوبين عند السلطان وما دونه ، وأبرز من مثل هذه الصفة، كانت الزاوية الفاسية والمعنية وضريح الشيخ أحمد الشاوي.

الزاوية الفاسية: سواء الأولى بحومة المخفية، أو الثانية بحومة القلقليين، ففي حياة الشيخ أبي المحاسن الفاسي، كان الخائفون ممن يطلب دمهم أو مالهم يلوذون بجواره ويستحرمون بحماه[2] ، أما زاوية القلقليين فقد اتخذت منذ عهد صاحبها الشيخ "العارف"، لحماية معارضي المخزن أو الملاحقين من طرفهم[3] ، كعبد الرحمن العوفي، والثائر الخطيب وأولاده ، خصوصا بعد أن منحت صفة "الحرم"، هذه الصفة التي جعلت منها حصنا لا يمكن اختراقه من قبل أيا كان؛ وقد منحها هذه الصفة السلطان إسماعيل، وذلك كتكريم لصاحبها الشيخ عبد القادر الفاسي ، يقول في ذلك "القادري": "**ولم يكن عمله ذاك إلا جزاء على صلاة الاستسقاء المجابة التي قام بها عبد القادر الفاسي، بعد جفاف عرفه المغرب، فمنحها اعترافا بامتياز الحرم"[4]**، كما يعزز هذه المكانة باعتراف في موفع آخر، بالقول: " **فاحترُم بها أهل الجنايات ومن طلب بالتكاليف المخزنية، وقد كان المولى إسماعيل يجير من استجار بها، ولا يقدر أحد من عماله أن يتجاسر على أحد ممن لجأ إليها ولو جنى ما جنى"**[5].

وقد توالى الاعتراف بحرم الزاوية الفاسية من طرف سلاطين الدولة العلوية، فالسلطان سيدي محمد بن عبد الله، بمقتضى ظهير شريف أصدره خلال مارس سنة 1758م ، أقر لها بذلك[6]؛ ومما قاله عنها: "**وزاويتهم الجديرة بالتعظيم والإيثار، والمشهورة بالإعتصام لمن أوى إليها والانتصار، محفوظة الأنحاء،**

---

[1] - **المصدر نفسه** ، ص ص 498- 499

[2] - انظر، محمد العمراني ، **مؤسسة الحرم في تاريخ المغرب...** ، ص155-156

[3] - محمد بن الطيب القادري، **نشر المثاني..** ج2، ص294

[4] - **المصدر نفسه،** ج3 ، ص ص 152- 153 ؛ عبد الأحد السبتي ، **النفوذ وصراعاته في مجتمع فاس**، م.س. ص64

[5] - انظر، **محمد القادري، المصدر نفسه،ج1،** ص 153

[6] - فيما ارتبط بالزاوية الفاسية كمؤسسة حرم ، انظر، دراسة محمد العمراني ، **مؤسسة الحرم في تاريخ المغرب، م.س.** ص ص 158-162

ملحوظة الأرجاء ، مؤمن نزيلها... بيد أن كل من استجار بزوايتهم ، واستظل بظل عنايتهم ينهى إلينا خبره"[1] .

هذا الدور مكن الزاوية الفاسية من القيام بأدوار سياسية في سبيل الحفاظ على التوازن داخل مدينة فاس، وذلك برد الأمور إلى نصابها في حالة التمرد والعصيان، ورأب الصدع بين الفئات الموجودة بالمدينة كونها غدت ملجأ يلوذ به كل ثائر أو شاق عصا الطاعة، بحيث يصبح بمنجاة من نقمة السلطان مادام محتميا بحرمها[2] ، وإن هذا التطور على مستوى وظيفة الزاوية وفي إطار علاقتها بالسلطة المخزنية، مكنها من الاستفادة من بعض الإمتيازات المخزنية، كالأوقاف التي كانت في شكل ممتلكات محبسة على قراءة الأحزاب والأوراد وبث العلم ونشره[3] .

زاوية وضريح الشيخ الشاوي: والتي اتخذت لنفس الغرض وكانت مشهورة في ذلك ، مثلما كان الحال مع الثائر عبد الكريم الليمان، الذي أحرم بزاوية سيدي أحمد الشاوي قبل أن يخرج منها إلى زاوية عبد الرحمن الفاسي[4] ، لما رأى من عناية مولاي إسماعيل وتقديره لها[5] .

الزاوية المعنية : والتي اتخذت لذات الغرض، إذ يذكر القادري: "**ومنها أن بعض أصحابنا وهو الخير الصدوق أبو عبد الله محمد بن عبد المجيد الربيب الأندلسي كان مختفيا بالزاوية بعد إخراج السلطان إياه مع من أخرج من أهل فاس بعد مضي الثورة، وبقي كذلك مدة طويلة نحوا من عامين ثم رأى نفسه مناما بجامع القرويين والناس جالسون بها في حلقة مستديرة كبيرة وسطهم رجل جالس كقطب الرحى وهم يقولون ذلك هو السلطان، قال فجئته فإذا هو سيدنا أحمد رضي الله عنه، فجعلت أقول له يا مولاي العفو، فقال لي: «ما تريد»، فقلت له: «يا سيدي أردت السراح مما أنا فيه وأن يرجع أبي إلى فاس»، فأمر بكتب السراح لي ولأبي، فاستيقظت فرحا مستبشرا فبعد ذلك دخل رجل على سيدي أحمد وأنا جالس معه فقال له: «أما يسرح هذا الرجل»، وأشار إلي فقال له سيدنا أحمد: «أني أحببت أن يسرح في هذه الأيام». وفق ما فعل رضي الله عنه مناما، فما مر بعد ذلك يوم أو يومان حتى جاءه رجل وقال له: «أريد أن أشفع فيك عند خليفة السلطان وتذهب معي إليه»، فتخوف من ذلك ثم استأذن سيدنا أحمد فأذن له وقال له: «مر ولا تخف»، فسار معه فأطلق سراحه وحرك الله قلب الخليفة حينئذ فكتب للسلطان يستأذنه في سراح أبيه، ومن معه من المخرجين من فاس فأذن له وأطلق الله سراح الجميع وردهم إلى مواطنهم، وظهر مصداق الرِؤيا قريبا، وما كان أنفذه سيدنا أحمد رضي الله عنه غيبا مما تدل صورته على أنه صاحب وقته، والمتصرف في قطره من بين سائر أهل عصره رضي الله عنه ونفعنا به"**[6] .

---

[1] - للاطلاع على نص الظهير كاملا، انظر، عبد الرحمان ابن زيدان ، **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار مدينة مكناس** ، ج3، ص ص 187-188

[2] - عبد الله الفاسي، **الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر** ، م.س. (قسم الدراسة)، ص7

[3] - انظر، القادري ، **نشر المثاني..م.س.** ج2 ،ص ص 251-252 ؛محمد الكتاني، **سلوة الأنفاس.....** ، م.س. ج1 ، ص ص 355 – 371 ؛ محمد العمراني، **مؤسسة الحرم...**، م.س. ص 158

[4] - **المصدر نفسه ،** الصفحة نفسها؛ محمد القادري، **نشر المثاني...،** ج2، م.س. ص294

[5] - انظر، محمد العمراني ، **مؤسسة الحرم...، م.س.** صص156-161 .

[6] - عبد السلام القادري، **المقصد الأحمد.....** م.س. ، ص ص 474- 475

كما جعل زاويته ملجأ للحماية، اذ كان ممن قصدها رئيس الزراهنة علي بن عبد الرحمن، كما استقبل فيها بعض الرؤساء الذين أثاروا غضب السلطان بسلوكهم...[1] .

- **الشفاعة بكسوة الضريح**

ترتبط الشفاعة ب"الاستغاثة والحرم" من حيث جهة تحقيق النجاة ، والحصول على العفو ، ويتم إسقاط الشفاعة -غالبا- على العلاقات الاجتماعية، حيث يتم اللجوء إليها حين طلب العفو أو انهاء خلافات، وقد ارتبطت الشفاعة ببيت النبوة اكراما للرسول ﷺ ، فامتدت بذلك للشرفاء من الأولياء[2]؛ وقد عكست هذه الخاصية مكانة الأولياء عند المجتمع عامتهم وخاصتهم، فحين يتم تقديم أحد الأولياء كوسيط لتحقيق احدى المطالب، أو التقدم بشيء من ملابسه أو حاجياته (كعصاه أو مسبحته...)، أو حتى بما يصير لضريحه من فتوحات أو هدايا ونذور ، فلابد من القبول بها، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على حرمة ذلك الولي وقداسته حيا كان أو ميتا؛ ونضرب مثالا على ذلك، من خلال قضية طويلة أوردها القادري في مؤلفه "المقصد"، وقعت بين الشيخ أحمد بن محمد معن والقيّم على "روضة الشيخ سيدي أحمد الشاوي" والذي يدعى "رضوان"، ملخصها هو قيام هذا الأخير بالتعدي على حرمة الشيخ أحمد، مما أدى بالشيخ أحمد أن يدعو عليه، ويروي بعد ذلك – القادري- ما وقع ل"لمدعو رضوان" من فقدانه لوظيفته المخزنية، وما لاقاه من غضب السلطان مولاي إسماعيل عليه، فانتهى به الأمر إلى السجن، فما كان من أهله إلا أن لجؤوا لطلب الشفاعة بكسوة ضريح أحمد الشاوي عند الشيخ أحمد. يقول القادري: **"وعلموا أنه ما بلغ ذاك المبلغ إلا بمبالغته في عناد سيدنا أحمد رضي الله عنه، جاءوه إلى داره نساء وصبيانا مستشفعين له مع كسوة سيدي أحمد الشاوي ، فأشفق من حالهم ورق لهم وقال: لا قدرة لنا على خلاصه إلا أن ندعوا الله له. فلما كان من الغد أتى سيدنا أحمد الزاوية وقال لمن حضر: «ألم يطلق رضوان»، كأنه استبطأ سراحه، فعلم الحاضرون أنه يطلق لا محالة، فأطلق بعد يومين من دون شفاعة أحد فيه..."[3] .**

---

[1] - نفيسة الذهبي، **الزاوية الفاسية – الوظيفة والأدوار...**، ص 191

[2] - عبد الأحد السبتي ، **النفوذ وصراعاته...**، م.س. ص 42

[3] - القادري ، عبد السلام القادري، **المقصد الأحمد.....**، م.س. ص ص 388- 389

خاتمــة

في ختام دراستنا حول **"الحركة الصوفية وتراثها في مدينة فاس خلال القرنين 17 و18م"**، نؤكد أن مرحلة القرنين 17 و18م، كانت مرحلة فاصلة ضمن الحركة الصوفية ، إذ شهد التصوف تحولا في نسقه؛ فانتقل من جانبه العلمي، الذي طبع إشكال التعبير عنه طيلة القرن 16م ، إلى نسق شعبي ، فغلب عليه الطابع البسيط من التعبير عن روح هذا التصوف. ويعود ذلك إلى عدة عوامل ، منها ما ارتبط بالظرفية التاريخة التي عرفها المغرب خلال القرنين 17م و18م، ومنها ما ارتبط بالتيار الصوفي نفسه، والذي ساهم من خلال التعبير عن روح التصوف إلى فئة عريضة من المجتمع ، عبرت عنه بطرق مختلفة .

وقد تجلى عمق التحول الصوفي في مدينة فاس بفضل الوظيفة التي أدتها مؤسسة الزاوية وهي الوظيفة الدينية التي كانت منطلقا للتطور الطرقي ، كما تجلى في الوظيفة العلمية ، حيث كان الجمع بين التصوف والعلم ، هذا الجمع برز عند الزوايا العلمية التي شغلت مرحلة القرن 17م، مع الزاوية الفاسية والناصرية والمعنية ، لكن خلال مرحلة القرن 18م أخذ هذا التيار في الانحصار ، لتبرز الزوايا ذات التوجه الطقوسي الشعبي كالزاوية الغازية والصقلية والصادقية...، التي احتفظت بوظيفة العبادة وإحياء طقوس الطريقة ، وهو ما مثل مسار التحول في نهج الطرق الصوفية .

وقد تميزت مدينة فاس بخصوصية طبعت تاريخها العلمي والصوفي ، فكان لها دور مؤثر ومتأثر بكل التحولات والتطورات التي شهدتها الحركة الصوفية. ونسجل في هذا الصدد مجموعة من الاستنتاجات والخلاصات، نبرزها في التالي:

- إن الحركة الصوفية في مدينة فاس لم تكن منفصلة عن الحركة الصوفية في المغرب، فهي عبرت عن مضامينها من خلال التنوع الطرقي الذي عرفته، فوجود العدد الكبير من الزوايا ذات الفروع الجازولية والزروقية في فاس لم يكن سوى انعكاس للحركة الصوفية بالمغرب، والتي تمثلت من خلال احتضان المدينة لكل الطرق الصوفية المغربية من خلال فروعها، كما أن هذا التمازج الطرقي أسهم في إثراء هذه الحركة بالمغرب، من خلال التنافس والتبادل والتعايش الصوفي والطرقي .

- دور الطرق والزوايا في مدينة فاس في نشر التصوف في المغرب، وذلك من خلال تأسيس العدد الكبير من الزوايا التي ميزت مدينة فاس خلال هذه الفترة، فمن خلال دراستنا لهذه الزوايا وقفنا على حجم الظاهرة الصوفية وعلى مستوى التأثير الصوفي الذي مارسه رجال فاس ضمن هذه الحركة، خصوصا دور الزاوية والطريقة الفاسية في الداخل والخارج، وكيف أسهمت في نشر التصوف الفاسي، من خلال فروعها بتطوان والقصر الكبير، ودورها كذلك في تأسيس الزاوية المعنية والتي كانت امتدادا للطريقة الفاسية .

- دور الأسر غير الفاسية في خلق الحركة الصوفية بمدينة فاس خلال القرنين 17 و18م ، حيث نجد توغل أسر في عمق البنية المجتمعية لفاس حتى أصبحت تنسب إلى هذه المدينة ، فمنها من انتسب

للأندلس ، الشيء الذي كان له تأثير في انقراض جل البيوتات العلمية الفاسية التي اشتهرت قبل القرن الحادي عشر؛ كآل المكودي ، والونشريسي ، والسراج ، والمواق والزقاق ... وظهور أخرى ذات جذور أندلسية أو منتمية لبعض الأقليات كالفاسي الفهري ، وابن سودة ، وجسوس، وميارة ... وغيرها، ومنها الأسر التي تنتمي للوسط البدوي، خاصة أبناء منطقة الدلاء والذين أسهموا في إنعاش مدينة فاس صوفيا وعلميا، وتأثيرهم الكبير في بلورة الفكر الصوفي بمدينة فاس خلال القرن 18م ، وهذا التمازج أسهم في التغيير الذي مس الحركة الصوفية أثناء هذه المرحلة، مما سيؤدي إلى دمج التصوف البدوي مع التصوف العلمي الحضري ، وهذا سيساهم بشكل كبير في تحول التصوف من "التيار العلمي" إلى "الشعبي" .

- تأثير العلاقات بين رجال التصوف، والتي اتسعت وشملت فئات اجتماعية متنوعة، سواء داخل فاس أو خارجها ، وهي علاقات أغنت التصوف الفاسي ، وظهرت آثارها من خلال تبادل التأثيرات بين رجال فاس وغيرهم، إذ لا يمكن الحديث عن التصوف الفاسي دون الحديث عن كل رجال الطرق الصوفية الأخرى ، من شيوخ الطريقة الشرقاوية والناصرية والوزانية وغيرها .

- أهمية الشخصية الصوفية من رجال فاس، ودورهم في الاستقطاب الكبير للمريدين من جميع مناطق المغرب، من خلال دور المشيخة للعديد من رجالها، فمدينة فاس ضمت العدد الكبير من العلماء والفقهاء المتصوفة ، حيث جمعت هذه الشخصية بين العلم والتصوف، كما جمعت بين الجمال والاعتدال، لموافقة الظروف التي طبعت بعض الفترات من تاريخ فاس، وهو ما لمسناه في تدبير خليفة الشيخ أبي المحاسن للزاوية الفاسية ، عبر التغيير الذي أدخله على أوراد الطريقة الفاسية، فكان لهذا دوره في ملاءمة وتناغم التصوف المغربي مع الظرفية السياسية .

- دور الظرفية التاريخية في تطور الحركة الصوفية في مدينة فاس، ورسم معالمها خلال هذه الفترة، إذ تعرضت المدينة خلال القرنين 17 و18م، لأزمات سياسية واقتصادية واجتماعية مست التيار الصوفي في عمقه، من خلال الانتشار الكبير للزوايا والطرق الصوفية، وذلك عبر الانشاقاقات التي شهدها تيار الصوفية، متمثلا في فروع الزوايا الكبرى: كالفاسية، والمعنية، والناصرية، والشرقاوية، والوزانية، وفي بروز طرق جديدة كالقاسمية، والغازية...، وفي تطور طوائف صوفية كالملامتية، والمجدوبية، وغيرها، فكان لذلك دور في نقل الحركة الصوفية من الجانب العلمي إلى الجانب الشعبي، وهو ما أسهم في انتشار الجانب الكرامي بمفهومه المادي ضمن التصوف، فالتيار الشعبي كان متأثرا بهذا الجانب من التصوف، وأبدى ارتباطه الكبير به، وهو ما تضمنته الكتب والمؤلفات التي أرخت لرجال الزوايا والطرق الصوفية لتلك المرحلة .

وفما يخص جانب التراث ، فقد وقفنا على مجموعة من الاستنتاجات، تتلخص في وجود علاقة وطيدة بين الحركة الصوفية والتراث، فكل منهما عبر عن الآخر، وعكس مضامينه، فبقدر ما كنا نبحث عن الحركة الصوفية لتأريخ التراث الصوفي في مدينة فاس ، بقدر ما كنا نجد أن هذا التراث هو وسيلة لتأريخ

هذه الحركة، بل وتصحيح بعض المضامين والأفكار الخاطئة التي يتم تداولها دون تمحيص واستقصاء، فالتراث هو استقصاء للتاريخ ، وهو ما خلصنا إليه من خلال مضامين الباب الثاني من الدراسة، وذلك عبر التنوع الصوفي التراثي لمدينة فاس خلال القرنين 17 و18م ، سواء المادي أو اللامادي، عكس حصيلة الحركة الصوفية فمثل كل التطورات والتحولات التي شهدتها، كما عكس مضامينها ، فكان تجليا لتطور هذه الحركة وتحولها من تيارها **"العلمي"** لتيارها "**الشعبي" .**

كما نسجل، في هذا الصدد، المشترك التراثي ضمن الحركة الصوفية في فاس، خصوصا في الشق اللامادي منه، من خلال الطقوس وإحياء المناسبات والليالي، بل وحتى في جانب الكرامات، التي تشابهت مضامينها، فكل عناصر التعبير عن الكرامات والمناقب التي امتاز بها شيوخ الطرق من الأولياء أو المجاذيب، كانت هي نفسها تلك التي تعبر عن مقدراتهم في الاستجابة لدعوات السائلين من الشفاء والإغاثة والحماية، وإنزال البركات وغير ذلك، وقد عبرت تلك الكرامات عن واقع اجتماعي وسياسي واقتصادي عاشه المغرب بشكل عام ومدينة فاس بشكل خلص خلال القرنين 17 و18م ، إذ بقدر ما كانت الكرامة وسيلة لإثبات صدق ولاية الصوفي وتميزه الروحي، بقدر ما كانت في ذات الوقت، تعبيرا عن مكنونات مجتمع يعاني من الكثير من الأزمات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فكانت الكرامة وسيلة للخلاص من أزمته .

وفي الأخير ، نسجل أن هذا التراث الصوفي لم يأخذ حقه من البحث والدراسة، فالتراث هو دليل التاريخ بقدر ما أن التاريخ هو أصل التراث، فلا يزال البحث ضمن التراث يعتبر نوعا من الكماليات وينظر إليه كمخلف تاريخي لا غير ، بينما يمكن عبر هذا التراث فهم حركة التاريخ ، فإن كان التاريخ أنتج التراث، فإن هذا الأخير هو الدليل عليه. كما نسجل- من خلال ما وقفنا عليه – أن هذا التراث مهدد بالضياع، نتيجة التهميش والإهمال الذي يتعرض له، إذ إن عددا كبيرا من الزوايا والأضرحة معرض للانهيار، وبعضها أغلق تماما وأصبح مجرد خرب، الأمر الذي ينذر بفقد ذاكرة فاس الصوفية .

ملحق

جدول رقم 1

صوفية مدينة فاس من خلال بعض المصادر التاريخية : الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر- صفوة ما انتشر- نشر المثاني- سلوة الأنفاس

الأعلام (سنة الوفاة هـ)	الأصل أو المنشأ	المدفن	المصدر والصفحة
الحاج محمد الرامي التواتي (أوائل القرن 11هـ)	فاس	دفن خارج باب الجيسة	سلوة الأنفاس/ج3/ص125
مسعود بن مبارك الفلالي (أوائل القرن11هـ)	استوطن م. فاس	دفن خارج باب الشريعة بالقرويين، اتخذ قبره روضة	سلوة الأنفاس/ج3/ص238
علي بن محمد الحارثي الشيظمي (1004هـ)	أصله من سوس	توفي بفاس ودفن بزاويته بحومة الرميلة وهي متصلة بزاوية تلميذه محمد بن عطية من عدوة الأندلس	نشر المثاني/ج1/ ص 59 صفوة ما انتشر/ص 120 سلوة الأنفاس/ج1/ص419
علي بن أحمد الجيبوتي الحصار (1005هـ)	فاس	داخل باب الفتوح بروضة قرب سيدي الهزميري	نشر المثاني/ج1/ ص 61 سلوة الأنفاس/ج3/ص110
الحسن بن أحمد الهداجي الدراوي (1006هـ)	درعة	توفي بفاس ودفن خارج باب الفتوح بنيت عليه قبة	صفوة ما انتشر/ص 48 نشر المثاني/ج1/ ص 63 سلوة الأنفاس/ج3/ص 104
أحمد اللوزى الأندلسي الفاسي (1004 أو1008هـ)	فاس	فاس	صفوة ما انتشر/ص 80 نشر المثاني/ج1/ ص 75
أبو سالم ابراهيم الصياد السريفي القصري (1008هـ)؛ (1027هـ في الإعلام)	القصر الكبير	توفي بفاس ودفن حيث دفن شيخه أبي المحاسن، فيكون قبره داخل الروضة	الإعلام بمن غبر/ص143 صفوة ما انتشر/ص 118 نشر المثاني/ج1/ ص 73 سلوة الأنفاس/ ج2/ص366
أبو يحيى الدخيسي (1010هـ)	فاس	دفن بالقرب من قبر رضوان الجنوي	صفوة ما انتشر/ص 100 نشر المثاني/ج1/ ص 83 سلوة الأنفاس/ج2/ص 296

مسعود بن محمد الدراوي (1011هـ)	القصر الكبير	توفي بفاس ودفن في سفح المصلى بالقرب من ضريح علي حماموش خارج باب الفتوح	صفوة ما انتشر/ص 120 نشر المثاني/ج1/ ص 84 سلوة الأنفاس/ج2/ ص265
محمد بن قاسم القصار (1013هـ)؛ (1012هـ في كتاب النشر والصفوة والسلوة)	فاس	مات في الطريق إلى مراكش من فاس ودفن بمراكش إزاء باب روضة أبي العباس السبتي	الإعلام بمن غبر/38 صفوة ما انتشر/ص 61 نشر المثاني/ج1/ ص 86 سلوة الأنفاس/ج2/ص 72
أحمد بن محمد حبيب الأندلسي(1013هـ)	الأندلس ثم فاس	دفن خارج باب فتوح ، قبره مقابل لضريح الشيخ أبي المحاسن من أسفله	الإعلام بمن غبر/ ص63 صفوة ما انتشر/ص 153 نشر المثاني/ج1/ ص 117 سلوة الأنفاس/ج2/ ص 414
أبو المحاسن يوسف الفاسي (1013هـ)	القصر الكبير	توفي بفاس ودفن بمطرح الجنة خارج باب الفتوح	الإعلام بمن غبر/ص 60 صفوة ما انتشر/78 نشر المثاني/ج1/ ص 119 سلوة الأنفاس/ج2/ص345
عمر الفخار (1013هـ)	فاس	دفن بروضة شيخه أبي المحاسن	الإعلام بمن غبر/65 سلوة الأنفاس/ج2/ص371
أحمد بن محمد الشاوي (1014هـ)	بلاد تامسنا	دفين حومة الجرف بزاويته من عدوة القرويين	الإعلام بمن غبر/ص 66 نشر المثاني/ج1/ ص 132 سلوة الأنفاس/ج1/ص 309
علي بن يوسف الأندلسي المعروف بالبيطار (1014هـ)	أصله من دجن	توفي بفاس ودفن داخل سور روضة شيخه أبي المحاسن	الإعلام بمن غبر/ص 69 صفوة ما انتشر/ ص132 سلوة الأنفاس/ج2/ ص 369
سيدي حمادي (1014هـ)	؟	توفي بفاس ودفن بالقرب من ضريح علي البيطار	الإعلام بمن غبر/ص 68 صفوة ما انتشر/ ص132 سلوة الأنفاس/ج2/ ص 370

محمد الأكحل أقمقام (1014هـ)	؟	توفي بفاس ودفن بروضة شيخه أبي المحاسن خلف إبراهيم الصياد خارج باب الفتوح	الإعلام بمن غبر/ص70 صفوة ما انتشر/ص135 نشر المثاني/ج1/ ص 134 سلوة الأنفاس/ج2/ص368
أحمد الدقون (1014هـ)	؟	فاس	الإعلام بمن غبر / ص73
أحمد الونشريسي (1014هـ)	فاس	فاس	الإعلام بمن غبر /ص73
محمد بن أبي القاسم بن سودة الفاسي الأندلسي المري الغرناطي (1015هـ)	فاس	دفن بقرب روضة سيدي علي ابن حرزهم خارج باب الفتوح	الإعلام بمن غبر/ص78 صفوة ما انتشر/ص155 نشر المثاني/ج1/ ص 136 سلوة الأنفاس/ج3/ص 99
محمد بن عبد الله البعاج الصبيحي (1015هـ)	استوطن م. فاس	فاس	نشر المثاني/ج1/ ص 136 سلوة الأنفاس/ج1/ص215
علي ورزك السوسي (1015هـ)	أصله من سوس ومنشأه في فاس	دفين أعلى سوق الحميس القديم خارج باب المحروق	الإعلام بمن غبر/ص 75 صفوة ما انتشر/ص 87 نشر المثاني/ج1/ ص 137 سلوة الأنفاس/ج3/ ص 263
محمد الخلطي (1016هـ)	؟	توفي بفاس ودفن قرب مصلى باب الفتوح	الإعلام بمن غبر/ص81 نشر المثاني/ج1/ ص 139 سلوة الأنفاس/ج2/ص269
محمد الحصار (1016هـ) (1010هـ في نشر المثاني، و1005هـ في السلوة)	؟	دفن قريبا من روضة سيدي أبي زيد الهزميري	الإعلام بمن غبر/ص81 نشر المثاني/ج1/ ص 81 سلوة الأنفاس/ج2/ص80
محمد بن علي الاغصاوي (1017هـ)	؟	مات شهيدا ودفن بالطالعة	نشر المثاني/ج1/ ص 140
أبو عبد الله محمد بن علي بن ريسون (1018هـ)	جبل العلم	فاس	الإعلام بمن غبر/ص86 صفوة ما انتشر/ص135 نشر المثاني/ج1/ ص 148 سلوة الأنفاس/ج3/ص361

أحمد بن أبي المحاسن يوسف الفاسي (1021هـ)	القصر الكبير	دفن بالمنيزلة ببني بوزيري في روضة سيدي محمد السبع	الإعلام بمن غبر/ص96 صفوة ما انتشر/ص 105 نشر المثاني/ج1/ ص 161 سلوة الأنفاس/ج2/ص 321
علي الزرهوني المعروف بالدشيش (1021هـ)	أصله من زرهون	توفي بفاس ودفن بزقاق الرمان بعدوة القرويين	نشر المثاني/ج1/ص173 سلوة الأنفاس/ج1/ص233
أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن عزيز الأندلسي التُجيبي (1022هـ)	أصله من سرقسطة	توفي بفاس ودفن بالدرب الطويل	الإعلام بمن غبر/ص105 صفوة ما انتشر/ص 112 نشر المثاني/ج1/ ص 177 سلوة الأنفاس/ج1/ص 163
عبد الوهاب بن عبد الواحد الحميدي (1022هـ)	فاس	فاس	الإعلام بمن غبر/ص106 نشر المثاني/ج1/ ص 181
أبو القاسم بن محمد بن القاضي (1022هـ)	فاس	فاس	الإعلام بمن غبر/ص104 صفوة ما انتشر/ص177 نشر المثاني/ج1/ ص 181
ادريس بن أحمد العمراني (1022هـ)	فاس	فاس	نشر المثاني/ج1/ ص 193
أبو الطيب الحسن بن يوسف الزياتي (1023هـ)	استوطن مدينة فاس	جبل كورت من بلاد عون	الإعلام بمن غبر/ص113 صفوة ما انتشر/156 نشر المثاني/ج1/ ص 198
محمد بن زمام الرياحي (1024هـ)	واد الآزار (ضواحي مدينة فاس)	دفين روضة شيخه أحمد الشاوي بفاس	الإعلام بمن غبر/ص122 صفوة ما انتشر/ ص 123 نشر المثاني/ج1/ ص 205 سلوة الأنفاس/ج1/ص 315
مبارك بن عبابوا (1025هـ) مجذوب	استوطن مدينة فاس	دفن خارج باب الكيسة	الإعلام بمن غبر/ص128 صفوة ما انتشر/59 نشر المثاني/ج1/ ص 211 سلوة الأنفاس/ج3/ص174

محمد بن سعيد الكومي (1026هـ)	؟	دفن بالقلعة داخل باب الفتوح	الإعلام بمن غبر/ص 131 صفوة ما انتشر/ص132 نشر المثاني/ج1/ ص 217 سلوة الأنفاس/ج2/ص55
أبو محمد عبد الله بن عبد الرزاق العثماني (1027هـ)	استوطن مدينة فاس	فاس	الإعلام بمن غبر/ص132 صفوة ما انتشر/134 نشر المثاني/ج1/ ص 222 سلوة الأنفاس/ج2/ص370
أبو عبد الله محمد بن حكيم الأندلسي (1027هـ)	فاس	فاس	الإعلام بمن غبر/ص133 صفوة ما انتشر/ص133 نشر المثاني/ج1/ ص 223 سلوة الأنفاس/ج2/ص66
علي الهيري الوريتني (1027هـ)	؟	دفن بمسجد الفخارين داخل باب الفتوح	الإعلام بمن غبر/ص135 نشر المثاني/ج1/ ص 225 سلوة الأنفاس/ج2/ص7
أبو سالم إبراهيم بن قاسم الأندلسي (1027هـ)	؟	توفي بفاس ودفن بالقرب من ضريح محمد بن عباد داخل باب الفتوح	الإعلام بمن غبر/ص137 صفوة ما انتشر/ص 193 سلوة الأنفاس/ج2/ص171
عبد الله بن أحمد الصبيحي المعروف بالبعاج (1027هـ)	؟	توفي بفاس ودفن داخل باب الجيسة	الإعلام بمن غبر/ ص143
أحمد بن محمد شرون الفخار الأندلسي الفاسي (1028هـ)	فاس	دفن بروضة شيخه أبي المحاسن خارج باب الفتوح	صفوة ما انتشر/ص121 نشر المثاني/ج1/ ص 228 سلوة الأنفاس/ج2/ص371
مسعود بن محمد الشراط (1031هـ)	أصله من زناتة	توفي بفاس ودفن خارج باب الجيسة	صفوة ما انتشر/ص109 نشر المثاني/ج1/ ص 239 سلوة الأنفاس/ج3/ص147

عبد العزيز المدعو عزوز دالله (1031هـ)	أصله من الريف	توفي بفاس ودفن في رأس الجنان من فاس القرويين	نشر المثاني/ج1/ ص 240 سلوة الأنفاس/ج1/ص329
الحسين الزرويلي (1031هـ)	استوطن مدينة فاس	دفن بعقبة سيدي علي المصالي بباب عجيسة	نشر المثاني/ج1/ص248 سلوة الأنفاس/ج1/ص231
أبو العباس أحمد بن موسى المرابي الأندلسي (1034هـ)	استوطن مدينة فاس	توفي بفاس	صفوة ما انتشر/ص227 نشر المثاني/ج1/ ص 263 سلوة الأنفاس/ج2/ص261
عبد الرحمن بن محمد الفاسي (1036هـ)	القصر الكبير	دفن بروضة أبي المحاسن	نشر المثاني/ج1/ ص 266 سلوة الأنفاس/ج2/ص 341
عبد الجليل جلول ابن الحاج (1036هـ)	أصله من توات	توفي بفاس ودفن بداره بباب الجيسة ، صار قبره روضة للدفن	صفوة ما انتشر/ص111 نشر المثاني/ج1/ ص 269 سلوة الأنفاس/ج1/ص227
أبو عبد الله محمد بن عبد الوهاب بن ابراهيم الدكالي الفاسي (1036هـ)	فاس	توفي ودفن بفاس	صفوة ما انتشر/ص 254 نشر المثاني/ج1/ ص 277
أبو محمد عبد الواحد الدراوي المعروف بالحداد (1038هـ في صفوة ما انتشر، و1032هـ في نشر المثاني وفي السلوة)	فاس	؟	صفوة ما انتشر/ص 119 نشر المثاني/ج1/ ص 258 سلوة الأنفاس/ج2/ص264
علي بن عمر البطوئي (1039هـ)	فاس	دفن بالجرف بالقرويين	نشر المثاني/ج1/ ص 280 سلوة الأنفاس/ج3/ص219
عبد الله الحداد الدراوي (1040هـ)	؟	دفين خارج باب الفتوح قرب روضة سيدي علي حماموش	نشر المثاني/ج1/ ص 282 سلوة الأنفاس/ج2/ص262
عبد الواحد بن أحمد ابن عاشر الأنصاري(1040هـ)	فاس	دفن بأعلى مطرح الجنة مقابلا لروضة أبي المحاسن	نشر المثاني/ج1/ ص 283 سلوة الأنفاس/ج2/ص310
أبو عمران موسى بن علي	فاس	دفن بجامع حومة جرنيز	صفوة ما انتشر/ص 121

السوسي البهلول (1042هـ)		بالقرويين	نشر المثاني/ج1/ ص 306
سيدي ايدير (1042هـ)	أصله من سوس	دفن بداره قريبا من عين علول بالتيالين	صفوة ما انتشر/ص342 نشر المثاني/ج1/ ص 306 سلوة الأنفاس/ح1/ص239
محمد بن محمد القادري (1043هـ)	فاس	دفن داخل باب الفتوح بازاء روضة سيدي أبي خزار	نشر المثاني/ج1/ ص 307 سلوة الأنفاس/ج2/ص59
محمد بن محمد أكرم السوسي(1045 هـ)	أصله من سوس	توفي بفاس ودفن بضريح أبي المحاسن	صفوة ما انتشر/ص162
أحمد بن علي السوسي الهشتوكي الصنهاجي (1046هـ)	سوس ثم فاس	توفي بفاس ودفن بالكغادين بروضة الشرفاء الطاهرين من الجوطيين الحسنيين	صفوة ما انتشر/ص138 نشر المثاني/ج1/ ص 356 سلوة الأنفاس/ج95/2
محمد أكَمكَام (1050هـ)	؟	توفي بفاس دفن بضريح أبي الذياب	الإعلام بمن غبر/ص146 صفوة ما انتشر/ص173 سلوة الأنفاس/ج1/ص321
علي المرابط الوارثيني (1050هـ)	؟	توفي بفاس دفن خارج باب الفتوح	الإعلام بمن غبر/ص147 صفوة ما انتشر/ص155 سلوة الأنفاس/ج2/ص196
محمد العربي بن يوسف الفاسي (1052هـ)	فاس	توفي بتطوان ونقل إلى فاس بعد نحو عامين، فدفن بجانب قبر أبيه باب الفتوح	الإعلام بمن غبر/ص150 صفوة ما انتشر/ص142 نشر المثاني/ج2/ ص 10 سلوة الأنفاس/ج2/ص352
محمد بن محمد بن عطية السلوي (1052هـ)	استوطن مدينة فاس	دفن بزاويته بالرميلة المتصلة بروضة شيخه علي الحارثي بعدوة الأندلس	الإعلام بمن غبر/ص151 صفوة ما انتشر/155 نشر المثاني/ج2/ ص 24 سلوة الأنفاس/ج1/ص421
محمد البعاج الصبيحي المدعو بوشامة (1053هـ)	فاس	دفن بروضة مسعود الدراوي خارج باب الفتوح	سلوة الأنفاس/ج2/ص267

الحسن بن محمد ابن ريسون (1055هـ)	أصله من جبل العلم	دفن بالروضة الموقوفة لهم قرب الفخارين داخل باب الفتوح	نشر المثاني/ ج2/ص30 سلوة الأنفاس/ج 2/ص9
أحمد بن عثمان الجابري (عرف بلقب حمدون البهلول) (1056هـ)	استوطن مدينة فاس	توفي بفاس، ودفن قريبا من روضة أولاد المشاط	صفوة ما انتشر/157 نشر المثاني/ج2/ ص 35 سلوة الأنفاس/ج3/ص160
محمد بن عبد الله معن (1062هـ)	فاس	دفن خارج باب الفتوح بالقباب أعلى مطرح الجنة	صفوة ما انتشر/ص 212 نشر المثاني/ج2/ ص 55 سلوة الأنفاس/ج2/ ص 322
أحمد بن علي يوسف الفاسي (1062هـ)	القصر الكبير	توفي بالقصر الكبير ونقل إلى فاس ودفن قريبا من قبر جده أبي المحاسن بباب الفتوح	نشر المثاني/ج2/ ص 58 سلوة الأنفاس/ج2/ص354
علي بن محمد المقنا الأندلسي (1064هـ)	استوطن م. فاس	دفن بروضة شيخه محمد بن معن	سلوة الأنفاس/ج2/ص338
أحمد بن عمرو الشريف البهلول (1066هـ)	؟	توفي بفاس ودفن داخل باب الكيسة قريبا من جامعها	الإعلام بمن غبر/ص163 صفوة ما انتشر/ص 211 نشر المثاني/ج2/ ص 77 سلوة الأنفاس/ج1/ص216
محمد العابد (1070هـ)	؟	توفي بفاس ودفن بدار برحاة الحناء بالنجارين	سلوة الأنفاس/ج1/ص245
عبد الله بن أحمد المسلَّم (1071هـ)	استوطن م. فاس	دفن بفاس	الإعلام بمن غبر/ص175
أحمد بن حم الدخيسي (1071هـ)	فاس	فاس	الإعلام بمن غبر/ص175
أبو بكر الشريف (1071هـ)	فاس	دفن قرب سقاية الجيارين خارج باب الجيسة ببالقرويين	الإعلام بمن غبر/ص175 سلوة الأنفاس/ج3/ص171
حمدون بن عبد الرحمن	فاس	دفن بزاويته (الزاوية	الإعلام بمن غبر/ص185

الملاحفي (1072هـ)		الملاحفية) بدرب الحرة من طالعة فاس	صفوة ما انتشر/ص248 نشر المثاني/ج2/ ص 122 سلوة الأنفاس/ج1/ص288
محمد المنقوشي (1072هـ)	فاس	توفي في اصطنبول بتركيا	الإعلام بمن غبر/ص177 نشر المثاني/ج2/ص124
محمد مولاي سنانوا (1072هـ)، (1074هـ في السلوة)	فاس	دفن بإزاء ضريح شيخه سيدي يدير بالتيالين بالقرويين	الإعلام بمن غبر/ص187 سلوة الأنفاس/ج1/ص240
عبد الله بن محمد العياشي (1073هـ)	؟	فاس	الإعلام بمن غبر/ص188
أحمد الميسوري(1075هـ)	؟	توفي بفاس ودفن بضريح مسعود الدراوي خارج باب الفتوح	الإعلام بمن غبر/ص207 سلوة الأنفاس/ج2/ص268
محمد بن محمد بن سودة الغرناطي المري (1076هـ)	فاس	دفن بداخل روضة سيدي علي بن حرزهم	الإعلام بمن غبر/ص211 صفوة ما انتشر/ص278 نشر المثاني/ج2/ ص 150 سلوة الأنفاس/ج3/ص 95
عبد الوارث بن محمد الياصلوتي (1076هـ)	فاس	دفن بزاويته قرب زقاق الحجر	الإعلام بمن غبر/ص210 نشر المثاني/ج2/ ص 156 سلوة الأنفاس/ج1/ص246
أبو عزة بن ريان (ت1076هـ)	؟	توفي بفاس ودفن قريبا من ضريح شيخه مسعود الشراط	الإعلام بمن غبر/ص213 نشر المثاني/ج2/ ص 157 سلوة الأنفاس/ج3/ص149
أحمد السايح (1076هـ)	استوطن م. فاس	توفي بفاس ودفن بالقليعة عدوة الأندلس	نشر المثاني/ج2/ ص 157 سلوة الأنفاس/ج2/ص45
محمد السايح (1076هـ)	استوطن م. فاس	دفن مع أخيه أحمد السايح	نشر المثاني/ج2/ ص 157 سلوة الأنفاس/ج2/ص46

قاسم السفياني المعروف بابن اللوشي (1077هـ)	؟	دفن ببلاد أزغار	الإعلام بمن غبر/ص214 نشر المثاني/ج2/ ص 161 سلوة الأنفاس/ج1/ص207
عبد الوهاب بن العربي الفاسي (1078هـ) ، (1079هـ في كتاب الإعلام)	فاس	فاس	الإعلام بمن غبر/ص 220 صفوة ما انتشر/ص292 نشر المثاني/ج2/ ص 172 سلوة الأنفاس/ج2/ص324
عبد الله بن موسى المطرفي (1080هـ)	؟	توفي بفاس ودفن	نشر المثاني/ج2/ ص 187 سلوة الأنفاس/ج2/ص269
أبو زيد عبد الرحمن بن أبي القاسم بن القاضي (1082هـ)	فاس	توفي بفاس ودفن بضريح علي الصنهاجي متصلا به خارج باب الفتوح	الإعلام بمن غبر/ص227 صفوة ما انتشر/291 نشر المثاني/ج2/ ص 194 سلوة الأنفاس/ج2/ 252
قاسم بن الحاج قاسم الخصاصي (1083هـ)	فاس	خارج باب الفتوح بالقرب من قبر شيخه أحمد بن عبد الله معن	الإعلام بمن غبر/ص232 صفوة ما انتشر/ص295 نشر المثاني/ج2/ ص 199 سلوة الأنفاس/ج2/ ص319
محمد بن أحمد بن يوسف الفاسي(1084هـ)	فاس	توفي بفاس ودفن بروضة أبي المحاسن	الإعلام بمن غبر/ص235 نشر المثاني/ج2/ ص 205 سلوة الأنفاس/ج2/ ص359
محمد الصغير بن أحمد بن القاضي (1089هـ)	فاس	توفي بفاس ودفن بسقيف سيدي علي الصنهاجي	الإعلام بمن غبر/ص253 نشر المثاني/ج2/ ص 247
أحمد بن ادريس العمراني (1089هـ)	فاس	دفن بخربة بالكغادين	نشر المثاني/ج2/ ص 249 سلوة الأنفاس/
محمد بن محمد عاصم الأندلسي (1090هـ)	فاس	دفن خارج باب الفتوح	نشر المثاني/ج2/ص 253 سلوة الأنفاس/ج2/ص399
الحسن بن علي الجابري (1090هـ)	؟	فاس	الإعلام بمن غبر /ص 262

علي بن عبد الوارث اليلصوتي (1090هـ)	؟	دفن بزاوية أبيه بزقاق الحجر من فاس القرويين	نشر المثاني/ج2/ ص 264 سلوة الأنفاس/ج1/ص
يحيى بن محمد الزكاري (يعتقد أن وفاته كانت 1090هـ)	فاس	قبره بالقرب من ضريح علي الجمل بحومة الرميلة	سلوة الأنفاس/ج1/ص418
عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي (1091هـ)	القصر الكبير	دفن بالقلقليين	الإعلام بمن غبر/ص291 صفوة ما انتشر/ص310 نشر المثاني/ج2/ ص 270 سلوة الأنفاس/ج1/ص351
أحمد بن حمٌّ الدخيسي (1091هـ)	فاس	توفي بفاس ودفن بباب محروق	الإعلام بمن غبر/ص 291 نشر المثاني/ج2/ ص 289
أحمد الخبزي السفياني المعروف بالحاج العجالي (1091هـ)	فاس	دفن بخربة بزقاق الرمان	الإعلام بمن غبر/ص 290 صفوة ما انتشر/ص321 نشر المثاني/ج2/ ص 292 سلوة الأنفاس/ج1/ص234
محمد بن المبارك المغراوي (1092هـ)	؟	توفي بفاس ودفن في روضة الكغادين بعدوة الأندلس	الإعلام بمن غبر/ص 295 صفوة ما انتشر/ص322 نشر المثاني/ج2/ ص 300
محمد العربي الفشتالي (1092هـ)	استوطن مدينة فاس	توفي بفاس ودفن بروضة سيدي علي حماموش	الإعلام بمن غبر/ص 297 نشر المثاني/ج2/ ص 297 سلوة الأنفاس/ج2/ص257
عنتر الخلطي (1093هـ)	استوطن مدينة فاس	دفن قرب سيدي أبي غالب وبنيت عليه قبة	الإعلام بمن غبر/ص299 صفوة ما انتشر/ص322 نشر المثاني/ج2/ ص 303 سلوة الأنفاس/ج2/ص34
عبد الله بن ابراهيم القليز (1093هـ)	؟	دفن بداره قرب رحى الحناء من زقاق الحجر	الإعلام بمن غبر/ص300 نشر المثاني/ج2/ ص 304 سلوة الأنفاس/ج1/ ص113

أحمد بن سعيد المجليدي (1094هـ)	استوطن مدينة فاس	توفي ودفن بفاس	الإعلام بمن غبر/ص 301 صفوة ما انتشر/ص323 نشر المثاني/ج2/ ص 306
عبد الواحد بن علي بن أبي المحاسن الفاسي (1094هـ)	القصر الكبير	توفي بفاس ودفن بروضة جده أبي المحاسن	الإعلام بمن غبر/ص301 نشر المثاني/ج2/ ص 308
علي بن سعيد اللملوشي (أو اللوشي) (1094هـ)	؟	توفي بفاس ودفن بداره بالطرافين بالقرويين	نشر المثاني /ج2/ص309 سلوة الأنفاس/ج1/ص250
عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي (1096هـ)	فاس	دفن بالقلقليين عدوة فاس القرويين	الإعلام بمن غبر/ص306 صفوة ما انتشر/ص337 نشر المثاني/ج2/ ص 325 سلوة الأنفاس/ج1/ص357
منصور أبو حفرة (1096هـ)	؟	ذكر صاحب الصفوة أنه دفن بالأصدع داخل باب الجيسة؛ وذكر صاحب نشر المثاني أنه دفن بداره بحومة الحفاريين بالقرويين	الإعلام بمن غبر/ص 308 صفوة ما انتشر/ص335 نشر المثاني/ج2/ ص 329 سلوة الأنفاس/ج1/ص206
محمد العربي بن أحمد بن علي بن أبي المحاسن الفاسي (1096هـ)	فاس	توفي ودفن بفاس	الإعلام بمن غبر/ص307 نشر المثاني/ج2/ ص 329
الدخيسي مسعود (1096هـ)	؟	توفي بفاس ودفن بالكغادين	الإعلام بمن غبر /ص308
محمد بن محمد المضغري (1096هـ)	استوطن م. فاس	توفي بالمدينة المنورة	الإعلام بمن غبر/ص309 صفوة ما انتشر / ص335
الحسن بن ابراهيم السفياني (1098هـ)	؟	دفن بزاويته بعين اصلتين من عدوة فاس القرويين	الإعلام بمن غبر/ص312 نشر المثاني/ج2/ ص 337 سلوة الأنفاس/ج1/ص269
أبو القاسم بن محمد الدكالي (1098هـ)	؟	دفن بالروضة المدفون فيها غازي باب الفتوح	نشر المثاني/ج2/ ص 338

علي الخياط بن إبراهيم الرفاعي (1098هـ)	زرهون	توفي بفاس ودفن بداره بالمنية الفوقية من حومة قنطرة أبي الرؤوس	سلوة الأنفاس/ج1/ص255
أحمد بن يحيى البادسي المشهور بأبي كموسة (1100هـ)	؟	توفي بفاس ودفن بروضة سيدي الخياط بزنقة الدوح	الإعلام بمن غبر/ص315 نشر المثاني/ج2/ ص 356 سلوة الأنفاس/ج1/ص306
عبد الله بن ناصر(1100هـ)	درعة	توفي بفاس ودفن برحبة القنديل بالطالعة	نشر المثاني/ج2/ 406 سلوة الأنفاس/ج1/ص283
محمد الحسيني (أوائل القرن الثاني بعد الألف)	؟	توفي بفاس ودفن بروضة الشرفاء المنجريين	سلوة الأنفاس/ج2/ص304
أحمد بن محمد الشريف التونسي (1102هـ)	؟	دفن داخل ضريح علي حماموش خارج باب الفتوح	نشر المثاني/ج3/ ص 24
عبد الرحمن المعروف بمعاذ التواتي (1104هـ)	استوطن مدينة فاس	توفي بفاس ودفن بباب الجيسة من فاس وروضته ملتصقة بسورها قرب ضريح يوسف المصمودي	نشر المثاني/ ج3/ص60 سلوة الأنفاس/ج3/ص183
محمد العربي بن الطيب القادري (1106هـ)	؟	دفن بأعلى مطرح الجنة في الجنان الموقوف على أصحاب أحمد بن معن	نشر المثاني/ ج3/ص67 سلوة الأنفاس/ج2/ص389
محمد بن الحسن (1107هـ)	؟	دفن بباب الزاوية الفاسية بالقليقليين	نشر المثاني/ ج3/ص76
محمد المهدي الفاسي (1109هـ)	القصر الكبير	دفن بداخل قبة جده أبي المحاسن	صفوة ما انتشر/ص352 نشر المثاني/ ج3/ص80 سلوة الأنفاس/ج2/ص355
أحمد بن العربي المعروف بابن الحاج السلمي الفاسي (1109هـ)	فاس	دفن بروضة سيدي عزيز بالدرب الطويل	صفوة ما انتشر/ص353 نشر المثاني/ ج3/ص83 سلوة الأنفاس/ج1/ص164

محمد بن عيشون الشراط (1109هـ)	فاس	فاس	نشر المثاني/ ج3/ص84
محمد بن الحسن المعروف بالفالتي(1109هـ)	؟	توفي بفاس ودفن بباب الزاوية الفاسية بالقليقليين	سلوة الأنفاس/ج1/ص374
عبد الرحمن بن علي المقنا الأندلسي (1109هـ)	فاس	دفن بالجنان خارج باب الفتوح	سلوة الأنفاس/ج2/ص400
عبد السلام بن الطيب القادري (1110هـ)	فاس	توفي بفاس ، ودفن قرب قبة أحمد اليمني	نشر المثاني/ ج3/ص86 سلوة الأنفاس/ج392/2
الحسين بن محمد القواس (1111هـ)	فاس	دفن بداره بالقلقليين	نشر المثاني/ ج3/ص118 سلوة الأنفاس/ج1/ص379
قاسم فنجيرو (1111هـ)	استوطن م. فاس	توفي بفاس ودفن بداره من قوس جزاء بن عامر بالقرويين	سلوة الأنفاس/ج1/ص331
أحمد بن محمد اليمني(1113هـ)	اليمن	دفن خارج باب الفتوح	صفوة ما انتشر/ص361 نشر المثاني/ ج3/ص121 سلوة الأنفاس/ج2/ص377
محمد الطيب الفاسي (1113هـ)	فاس	دفن بزاوية جده عبد القادر الفاسي	نشر المثاني/ ج3/ص131 سلوة الأنفاس/ج1/ص361
أحمد الصمداني ابن مسعود المشهور بالحاج الشعير (1115هـ)	؟	دفن بظهر ضريح عبد القادر الفاسي بالزاوية الفاسية	صفوة ما انتشر/ص367 نشر المثاني/ ج3/ص146 سلوة الأنفاس/ج1/ص377
محمد المدعو الحاج الخياط الرقعي (1115هـ)	فاس	دفين الشرشور منعدوة فاس القرويين	نشر المثاني/ ج3/ص149 سلوة الأنفاس/ج1/ص257
محمد بن عبد القادر الفاسي (1116هـ)	فاس	دفن بزاوية عبد القادر الفاسي	صفوة ما انتشر/ص357 نشر المثاني/ ج3/ص151 سلوة الأنفاس/ج1/ص359
محمد بن أحمد القسطنطيني (القسمطيني حسب صاحب نشر المثاني) (1116هـ)	استوطن مدينة فاس	دفن قريبا من ضريح أبي غالب وبنيت عليه قبة	صفوة ما انتشر/ص359 نشر المثاني/ ج3/ص154 سلوة الأنفاس/ج2/ص30

محمد بن العربي العراقي (1116هـ)	فاس	دفن في روضة سيدي أبي جيدة خارج باب المسافرين	نشر المثاني/ ج3/ص155 سلوة الأنفاس/ج3/ص121
محمد بن أحمد المنجرة (1116هـ)	فاس	دفن بروضتهم بالقرب من ضريح ابن عاشر	سلوة الأنفاس/ج2/ص309
محمد الملقب امسى الخير المصمودي (1117هـ)	فاس	دفن بالمقبرة المقابلة لمدرسة الشراطين	نشر المثاني/ ج3/ص158 سلوة الأنفاس/ج1/ ص136
أحمد بن محمد المسناوي الدلائي (1117هـ)	تادلا	توفي بفاس ودفن بجنان أصحاب أحمد بن عبد الله معن	نشر المثاني/ ج3/ص158 سلوة الأنفاس/ج1/ ص395
أحمد بن عبد الله معن (1120هـ)	فاس	دفن بقبة والده خارج باب الفتوح	صفوة ما انتشر/ص362 نشر المثاني/ ج3/ص182 سلوة الأنفاس/ج2/ص325
أحمد بن عبد الحي الحلبي الفاسي (1120هـ)	حلب	دفن بمطرح الجنة خارج باب الفتوح من فاس	نشر المثاني/ ج3/ص197 سلوة الأنفاس/ج2/ص184
محمد بن قاسم بن زاكور (1120هـ)	فاس	خارج باب االجيسة	نشر المثاني/ج3/ص201 سلوة الأنفاس/ج3/ص220
عبد السلام بن أحمد جسوس (1121هـ)	فاس	توفي قتيلا في سجن فاس ودفن بروضة قرب علي بن أبي غالب	نشر المثاني/ ج3/ص207 سلوة الأنفاس/ج2/ص17
الطيب بن عبد الرحمن ابن القاضي (1124هـ)	فاس	دفن في جنان أصحاب أحمد بن عبد الله معن	نشر المثاني/ج3/ص213 سلوة الأنفاس/ج2/ص400، وج3/ص 331
محمد (حمّ) الراموش (1123هـ)	؟	توفي بفاس ودفن بدار كانت له بأقصى حومة القليقلين، اتخذت روضة ومقبرة بعده	نشر المثاني/ ج3/ص212
أحمد بن علي الجرندي (1125هـ)	فاس	دفن قرب ضريح أبي الغالب بحومة سريوة داخل باب الفتوح	نشر المثاني/ ج3/ص215

محمد بن محمد الدريج الأندلسي (1126هـ)	تطوان	توفي بفاس ودفن بالساحة المتصلة بقبة محمد بن عبد الله معن	نشر المثاني/ج3/ ص 217 سلوة الأنفاس/ج2/ص336
محمد بن العربي ابن مغلب الفاسي (1129هـ)	فاس	دفن بفاس؛ حسب السلوة ربما دفن بروضة سيدي الشعير المجاورة للزاوية الفاسية	نشر المثاني/ ج3/ص236 سلوة الأنفاس/ج1/ص379
أحمد بن محمد بن عطية السلوي(1129هـ)	استوطن مدينة فاس	دفن بزاوية جده بالرميلة	سلوة الأنفاس/ج1/ص423
عبد الله بن محمد الفاسي (1131هـ)	فاس	فاس	نشر المثاني/ ج3/ص239
عبد العزيز بن مسعود الإدريسي الشهير بالدباغ (1132هـ)؛ في سلوة الأنفاس (1131هـ)	فاس	دفن خارج باب الفتوح قرب روضة الأنوار	نشر المثاني/ ج3/ص245 سلوة الأنفاس/ج222/2
علي النحام الحجام (1132هـ)	؟	دفن بزاويته التي بناها بداخل باب بني مسافر	سلوة الأنفاس/ج1/ص426
أحمد بن عبد القادر القادري (1133هـ)	فاس	دفن بالجنان الموقوف لدفن على أصحاب أحمد اليمني وأحمد بن عبد الله معن	نشر المثاني/ ج3/ص248 سلوة الأنفاس/ج2/ص397
محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي (1134هـ)	فاس	توفي بفاس	صفوة ما انتشر/ص371 نشر المثاني/ ج3/ص254 سلوة الأنفاس/ج1/ص362
محمد بن أحمد ابن عبد الله معن(الحفيد) (1134هـ)	فاس	دفن بباب قبة جده خارج باب الفتوح	نشر المثاني/ ج3/ص260 سلوة الأنفاس/ج2/ص333
محمد المسناوي الدلائي (1136هـ)	تادلا	توفي بفاس ودفن بروضة سيدي العايدي بمطرح الجنة	نشر المثاني/ ج3/ص265 سلوة الأنفاس/ج3/ص59

عزوز بن مسعود (1136هـ)	؟	توفي يفاس ودفن بالطالعة بباب السراجين، اتخذ قبره روضة	نشر المثاني/ ج3/ص278 سلوة الأنفاس/ج1/ص 277
ادريس بن محمد المنجرة (1137هـ)	فاس	دفن بجوار عبد الواحد بن عاشر خارج باب الفتوح	سلوة الأنفاس/ج2/ص307
محمد بن علي الصقلي (1141هـ)	فاس	دفن بالمزارة التي على رأس الشيخ ابن عباد خارج الروضة بباب الفتوح	نشر المثاني/ ج3/ص315 سلوة الأنفاس/ج2/ص167
العربي ابن عيشون (1141هـ)، (1142هـ في السلوة)	فاس	توفي قتيلا يوم عاشوراء بفاس	نشر المثاني/ ج3/ص315 سلوة الأنفاس/ج3/ص393
الطاهر بن عبد السلام القادري (1142هـ)	فاس	دفن بقرب روضة روضة محمد بن عباد داخل باب الفتوح	سلوة الأنفاس/ج2/ص168
العربي بن أبي زيان(1143هـ)	استوطن مدينة فاس	توفي بفاس ودفن بسيدي الزرهوني بزقاق الرمان	سلوة الأنفاس/ج1/ص 234
محمد بن عبد الرحمن بن زكري (1144هـ)	فاس	دفن في دار بأقصى الدرب الطويل بجوار روضة سيدي عزيز، اتخذت روضة .	نشر المثاني/ج3/ص338 سلوة الأنفاس/ج1/ص171
محمد الطيب بن مسعود المريني(1145هـ)	فاس	دفن خارج باب الجيسة حوز سيدي الشراط	نشر المثاني/ ج3/ص357 سلوة الأنفاس/ج3/ص150
أحمد بن عبد الرحمن الفاسي (1145هـ)	فاس	دفن بالزاوية الفاسية بالقلقلين	نشر المثاني/ ج3/ص363
أحمد بن عبد الوهاب الوزير الغساني (1146هـ)	فاس	دفن بالساحة المتصلة بقبة محمد بن عبد الله معن	نشر المثاني/ ج3/ص364 سلوة الأنفاس/ج2/ص337
الحسن الصنهاجي (1146هـ)	استوطن م. فاس	توفي بفاس ودفن بدار برحبة الزبيب بفاس	نشر المثاني/ ج3/ص366 سلوة الأنفاس/ج342

محمد بن محمد المدرع الأندلسي (1147هـ)،(1156هـ في السلوة)	فاس	دفن متصلا بقبر سيدي الغرابلي بالقليعة	نشر المثاني/ ج3/ص367 سلوة الأنفاس/ج2/ص41
محمد بن الحسين الكندوز (1148هـ)	أصله من مصمودة	توفي بفاس ودفن في مقبرة الوزانيين قرب الزاوية الوزانية بالشرشور	نشر المثاني/ ج3/ص 374 سلوة الأنفاس/ج1/ ص 262
محمد السوسي (1148هـ)	فاس	مات بالشام وبنيت عليه قبة	نشر المثاني/ ج3/ص378
أبو بكر بن محمد بن محمد الخديم الدلائي(1149هـ)	تادلا	توفي بفاس ودفن في قبة شيخه أحمد اليمني متصلا به	نشر المثاني/ ج3/ص383 سلوة الأنفاس/ج2/ص382
قاسم بن محمد بن رحمون (1149هـ)	فاس	دفن بدار بعدوة القرويين	نشر المثاني/ ج3/ص389 سلوة الأنفاس/ج1/ص103
علي بن أحمد الأغصاوي (1150هـ)	؟	توفي بفاس ودفن بباب الفتوح	نشر المثاني/ ج3/ص401 سلوة الأنفاس/ج3/ص111
ادريس بن محمد العراقي (1150هـ)	؟	دفن بروضة أحمد الشاوي	نشر المثاني/ ج3/ص402 سلوة الأنفاس/ج1/ص318
أحمد بن محمد الصقلي (1150هـ)	فاس	دفن بروضة شيخه الحسن الصنهاجي برحبة الزبيب	سلوة الأنفاس/ج1/ص342
قاسم بن عبد السلام القادري (1151هـ)	فاس	دفن في زاوية سيدي أحمد الشاوي القديمة من حومة الجرف	نشر المثاني/ ج4/ص11 سلوة الأنفاس/ج 1/ص317
سعيد المرابط بن محمد السبع (1151هـ)	أصله من درعة	توفي بفاس ودفن بزنقة الجياد من حومة البليدة بضريح رضوان الجنوي خارج باب الفتوح	سلوة الأنفاس/ج1/ص200
محمد الصنهاجي (1154 هـ)	فاس	دفن داخل روضة سيدي دراس خارج باب الفتوح	نشر المثاني/ ج4/ص27 سلوة الأنفاس/ج2/ص200

التهامي بن أبي عنان (1154هـ)	؟	توفي بفاس ودفن داخل روضة قاسم بن محمد بن رحمون	نشر المثاني/ ج4/ص248
عبد السلام التواتي (1155هـ)	أصله من توات	دفن في دار اشتريت له بقصد الدفن، قرب أبي الرجاء من طالعة فاس، اتخذ ضريحه مقبرة للدفن	نشر المثاني/ ج4/ص32 سلوة الأنفاس/ج 1/ص279
عبد الكريم الكرزازي (1155هـ)	فاس	فاس	سلوة الأنفاس/ج3/ص221
أحمد بن أبي القاسم الصبحي (1156هـ)	نواحي فاس	دفن بروضة محمد بن جاه الخير المصمودي الكائنة برأس الشراطين المقابلة لمدرسة الرشيد	نشر المثاني/ ج4/ص40 سلوة الأنفاس/ج 1/ص137
أحمد بن مبارك اللمطي السجلماسي(1155 أو 1156هـ	سجلماسة	توفي بفاس ودفن مع شيخه عبد العزيز الدباغ خارج باب الفتوح	نشر المثاني/ ج4/ص40 سلوة الأنفاس/ج 2/ص228
محمد بن يوسف الحمدوشي الحسناوي (1156هـ)	استوطن مدينة فاس	دفن بزاويته بحومة شيبوبة بالقرب من درب اللمطي بالأندلس	سلوة الأنفاس/ج1/ص400
الطيب بن عبد السلام القادري (1157هـ)	فاس	دفن بالجنان الموقوف على دفن أصحاب أحمد بن عبد الله معن	نشر المثاني/ ج4/ص47 سلوة الأنفاس/ج2/ص394
المهدي بن الطيب اليونسي الشلوشي (1157هـ)	فاس	دفن بداره بجزاء ابن برقوقة، بالقرب من جامع سيدي خليل	سلوة الأنفاس/ج1/ص383
عبد الوهاب أدراق (1159هـ)	فاس	دفن داخل روضة محمد الطالب بالقليعة داخل باب الفتوح	نشر المثاني/ ج4/ص53 سلوة الأنفاس/ج 2/ص39
أحمد بن الهواري الفاسي (1161هـ)	فاس	دفن خارج باب الكيسة	نشر المثاني/ ج4/ص64 سلوة الأنفاس/ج 3/ص222

عبد الله بن يخلف الأندلسي (1162هـ)	فاس	دفن بزاوية شيخه محمد ابن الفقيه الكائنة بعقبة العيون بالقرويين	نشر المثاني/ ج4/ص67
أبو عياد بن جلون الفاسي (1162 هـ)	فاس	دفن في دار بحومة الصاغة بالقرويين، بنيت عليه روضة اتخذت مقبرة الدفن	نشر المثاني/ ج4/ص67 سلوة الأنفاس/ج 1/ص160
عبد المالك الدقاق (1162هـ)	استوطن مدينة فاس	توفي بفاس ودفن بخربة إزاء حمام قنطرة أبي الرؤوس	سلوة الأنفاس/ج1/ص252
محمد بن علي القادري (1162هـ)	فاس	دفن بحومة رأس الجنان بزاوية القادريين	سلوة الأنفاس/ج1/ص326
محمد الهادي القادري العراقي (1163هـ)	فاس	فاس	نشر المثاني/ ج4/ص70 سلوة الأنفاس/ج 1/ص428
أحمد بن علي الشدادي (1163هـ)	فاس	دفن بالقبة التي بنيت على عمه وأبيه بجوار مسعود الفلالي خارج باب الشريعة	نشر المثاني/ ج4/ص77 سلوة الأنفاس/ج3/ص244
عبد المجيد الزبادي (1163 هـ)	فاس	دفن قرب سيدي دراس بن اسماعيل خارج باب الفتوح	نشر المثاني/ ج4/ص78 سلوة الأنفاس/ج2/ص207
محمد بن عبد السلام بناني (1163هـ)	فاس	دفن بدار بدرب القطان بين الديوان والصاغة ملاصقة لروضة أبي عياد بن جلون بالقرويين، وقد بنى عليه أولاده زاوية	نشر المثاني/ ج4/ص80 سلوة الأنفاس/ج 1/ص156
عبد الله بن أبي طالب الكتاني (1163هـ)	استوطن م. فاس	دفن بزاوية شيخه محمد بن الفقيه	سلوة الأنفاس/ج1/ص339
عبد الله بن الطيب اليونسي الشلوشي (1163هـ)	فاس	دفن بضريح أخيه المهدي بن الطيب بجزاء ابن برقوقة	سلوة الأنفاس/ج1/ص384
محمد الكبير السرغيني	تادلا	دفن بأصل الجدار داخل قبة	نشر المثاني/ ج4/ص84

(1164هـ)		شيخه أحمد اليمني خارج باب الفتوح .	سلوة الأنفاس/ج 2/ص383
أحمد بن محمد بن عبد القادر الفاسي (1164هـ)	فاس	دفن بالزاوية الفاسية بالقلقليين	نشر المثاني/ ج4/ص90 سلوة الأنفاس/ج 1/ص364
محمد بن مبارك الجابري الورديغي (1164هـ)	أصله من تادلة	دفم بطالعة فاس في ضريح شيخه سيدي عبد السلام التواتي	نشر المثاني/ ج4/ص92 سلوة الأنفاس/ج 1/ص282
عبد السلام بن أحمد برادة (1164هـ)	فاس	دفن بخربة بفندق اليهودي، بني عليه ضريح وزاوية لأتباع الطريقة العيساوية	سلوة الأنفاس/ج1/ص202
العربي بن أحمد ابن عبد عبد الله معن (1166)	فاس	دفن بروضة أبيه وجده خارج باب الفتوح	سلوة الأنفاس/ج2/ص334
عبد الله بن علي المنالي الزبادي (1167هـ)	فاس	دفن خارج باب الفتوح قريبا من سيدي دارس	سلوة الأنفاس/ج2/ص212
أبو بكر المجذوب (1169هـ)	؟	توفي بفاس ودفن بفدان الغرباء خارج باب الجيسة	نشر المثاني/ ج4/ص112 سلوة الأنفاس/ج 3/ص167
عبد الوهاب بن عبد الله ابن عبد الله معن (1169هـ)	فاس	توفي في رحلته للحج ودفن بالبقيع	سلوة الأنفاس/ج2/ص403
محمد بن زيان (1170 هـ)	؟	توفي مقتولا بفاس ودفن بها	نشر المثاني/ ج4/ص116
أحمد بن حمدون الشديد (1170هـ)	فاس	دفن في روضة بإزاء سيدي جلول داخل باب الجيسة	سلوة الأنفاس/ج1/ص229
أحمد بن ادريس الصقلي (1171هـ)	فاس	دفن بزاوية رضوان الجنوي بزنقة الجياد	سلوة الأنفاس/ج1/ص200
محمد السفياني (1171هـ)	فاس	دفن خارج باب الفتح قريبا من ضريح سيدي دراس	سلوة الأنفاس/ج2/ص213
عمر السطي (1173هـ)	استوطن م. فاس	توفي بفاس ودفن قرب ابن عباد داخل باب الفتوح	نشر المثاني/ ج4/ص135

عبد السلام الركال الزرهوني (1174هـ)	أصله من زرهون	دفن بروضة شيخه محمد بن التهامي الحسني الكائنة بحومة الشرشور بالقرويين	نشر المثاني/ ج4/ص140 سلوة الأنفاس/ج 1/ص261
عبد الواحد الزنبور الملقب بالغندور (1175هـ)	استوطن مدينة فاس	دفن بداره بعقبة الفران، صار قبره زاوية لأصحابه	سلوة الأنفاس/ج1/ص223
الحاج العربي الرندي (1176هـ أو 1177هـ)	أصله من الأندلس	توفي بفاس ودفن بدار برأس الشراطين بجوار زاوية مسا الخير بالقرويين، وقد اتخذ قبره زاوية لأصحاب الشيخ الغازي	سلوة الأنفاس/ج 1/ ص 135
علي بن ناصر الورياجلي (1176هـ)	استوطن مدينة فاس	توفي بفاس ودفن قرب ضريح محمد بن الحسن	سلوة الأنفاس/ج3/ص161
عبد الله السوسي (1177هـ)	أصله من سوس	توفي بفاس ودفن بها	نشر المثاني/ ج4/ص155
العربي بن عبد الكريم العراقي (1177هـ)	فاس	دفن داخل باب المسافرين بجوار روضة أبي الحسن الحجام	سلوة الأنفاس/ج1/ص430
أحمد بن محمد الصقلي (1177هـ)	فاس	دفن بدار بأقصى درب السبع لويات بفاس القرويين	نشر المثاني/ ج4/ص156
محمد بن طاهر بن أحمد بن علي ابن يوسف الفاسي (1178 هـ)	فاس	دفن في الجنان المدفون فيه جده أبي المحاسن خارج باب الفتوح	نشر المثاني/ ج4/ص159
محمد بن أحمد بن عبد القادر الفاسي (1179هـ)	فاس	دفن بالزاوية الفاسية بالقلقليين	نشر المثاني/ ج4/ص163 سلوة الأنفاس/ج 1/ص365
عبد القادر بن العربي القادري(1179هـ)	فاس	دفن بقبر ملتصقا بقبر والده بالجنان خارج باب الفتوح	سلوة الأنفاس/ج2/ص391

الحاج أبو بكر الطرابلسي (1180هـ)	فاس	دفن بمطرح الجنة خارج باب الفتوح	سلوة الأنفاس/ج3/ص 83
محمد بن طاهر القادري (1181هـ)	فاس	دفن بمقبرة أسلافه ، أعلى الجنان قريبا لقبر أحمد اليمني	سلوة الأنفاس/ج2/ص399
أبو مدين محمد الفاسي بن محمد بن عبد القادر الفاسي(1182هـ)	فاس	دفن بالزاوية الفاسية بالقلقليين	نشر المثاني/ ج4/ص181
محمد بن قاسم جسوس (1182هـ)	فاس	دفن بالزاوية الفاسية بالقلقليين	نشر المثاني/ ج4/ص188
محمد بن محمد بن عبد السلام بناني (1182هـ)	فاس	دفن مع والده بدار بدرب القطان بالقرويين .	سلوة الأنفاس/ج1/ص157
العربي بناني (1182هـ)	فاس	دفن بزاوية محمد بن عبد السلام بناني	سلوة الأنفاس/ج1/ص158
بوعزة بن علي الحريشي (1183هـ)	فاس	دفن بروضة قرب سيدي علي بن أبي غالب داخل باب الفتوح	نشر المثاني/ ج4/ص193
الحاج محمد التواتي (1183هـ)	استوطن مدينة فاس	دفن بفاس، قريبا من قبر أبي بكر ابن العربي خارج باب الشريعة	سلوة الأنفاس/ج3/ص254
علي بن محمد قصارة (1185هـ)	فاس	توفي بفاس ودفن داخل الحوش الموقوف على دفن أصحاب الشيخ رضوان الجنوي	نشر المثاني/ ج4/ص198 سلوة الأنفاس/ج2/ص297
محمد البطيوي (1185هـ)	فاس	فاس	سلوة الأنفاس/ج3/ص366
محمد بن علي الصقلي (1186هـ)	فاس	دفن بالزاوية الصقلية	سلوة الأنفاس/ج1/ص 149

محمد بن العربي بن منصور (1187هـ)	استوطن مدينة فاس	توفي بفاس، ودفن بزاوية شيخه الحسن السفياني قريبا من قبره	سلوة الأنفاس/ج1/ص270
عبد الله الخياط بن محمد القادري (1187هـ)	فاس	دفن بزاوية القادريين بحومة رأس الجنان	سلوة الأنفاس/ج1/ص326
محمد بن الطيب القادري (1187هـ)	فاس	دفن بمقبرة أسلافه بأعلى الجنان خارج باب الفتوح	سلوة الأنفاس/ج2/ص396
عبد الله بن العربي ابن عبد الله معن (1188هـ)	فاس	دفن بالجنان قريبا من قبة أحمد اليمني	سلوة الأنفاس/ج2/ص402
عبد الهادي بن محمد الإدريسي (1188هـ)	فاس	دفن بروضة بحومة العيون	سلوة الأنفاس/ج1/ص322
ادريس ناصح(1189هـ)	فاس	دفن داخل حوش الشيخ أبي المحاسن	سلوة الأنفاس/ج2/ص374
محمد بن حميدة (1190هـ)	استوطن مدينة فاس	توفي بفاس ودفن بمقبرة الغرباء خارج باب الجيسة	سلوة الأنفاس/ج3/ص169
عبد الواحد بن محمد الفندوشي الأندلسي(العشرة الثالثة من القرن12هـ)	استوطن مدينة فاس	دفن عن يمين المار لباب الحمراء داخل باب الفتوح	نشر المثاني/ ج4/ص245 سلوة الأنفاس/ج 2/ص115
عبد الهواب الفندوشي الأندلسي (العشرة الثالثة من القرن12هـ)	استوطن مدينة فاس	توفي بفاس ودفن بروضة قاسم بن رحمون	نشر المثاني/ ج4/ص245
أحمد الطرمباطي الأندلسي (في العشرة الرابعة من القرن12هـ)	؟	دفن قرب سيدي محمد بن عباد داخل باب الفتوح	نشر المثاني/ ج4/ص202 سلوة الأنفاس/ج 2/ص170
المهدي الصحراوي الأموي (العشرة الرابعة من	أصله من الأندلس	دفن بحومة رأس الجنان من فاس الأندلس	نشر المثاني/ ج4/ص234 سلوة الأنفاس/ج 2/ص40

القرن12هـ)			
أحمد بن حمدون الشديد الأندلسي (خلال القرن12هـ)	فاس	دفن في روضة بازاء سيدي جلول داخل باب الجيسة بالقرويين	نشر المثاني/ ج4/ص204
المرابط الحنصالي (خلال القرن12)	استوطن مدينة فاس	توفي بفاس ، ودفن بفدان الغرباء خارج باب الجيسة	نشر المثاني/ج4/ ص 207 سلوة الأنفاس/ج3/ص167
محمد بن ابراهيم الخياط (العشرة الخامسة من القرن12هـ)	جبل زرهون	توفي بفاس ودفن بزاويته التي أسسها بإزاء داره بدرب الحرة	نشر المثاني/ ج4/ص211 سلوة الأنفاس/ج 1/ص286
محمد التماق الأندلسي (العشرة الخامسة من القرن12هـ)	فاس	توفي بفاس ودفن داخل باب الفتوح بقرب باب الحمراء	نشر المثاني/ ج4/ص213 سلوة الأنفاس/ج2/ص140
أحمد الخياط (في حدود الخمسين من القرن12هـ)	فاس	توفي في الطريق إلى وزان ودفن في منطقة الغرب	نشر المثاني/ ج4/ص201
محمد بن الفقيه الزجني (خلال النصف الأول من القرن 12هـ)، بالسلوة (1136هـ)	أصله من أزجن	توفي بفاس ودفن بزاويته بعقبة العيون بالقرويين	نشر المثاني/ ج4/ص215 سلوة الأنفاس/ج/ص331
محمد بن العربي بوطالب (أواخر العشرة الرابعة من القرن12هـ)	فاس	دفن بفاس	نشر المثاني/ ج4/ص223
مالك بن عبد السلام المومناني (العشرة الرابعة من القرن12هـ)	نواحي وزان	توفي بفاس ودفن بزاوية الحاج الخياط بالشرشور عن يمين محرابها	نشر المثاني/ ج4/ص226 سلوة الأنفاس/ج 1/ص 259
مسعود طاهر الجوظي (العشرة الخامسة من القرن12هـ)	فاس	دفن بالزاوية الفاسية بالقلقليين	نشر المثاني/ ج4/ص232 سلوة الأنفاس/ج1/ص371

محمد بن التهامي الوزاني (العشرة الخامسة من القرن 12هـ)	وزان	توفي بفاس ودفن في داره بإزاء زاوية الشرشور بالقرويين، بنيت عليه قبة واتخذ ضريحة مقبرة للدفن	نشر المثاني/ ج4/ص260 سلوة الأنفاس/ج 1/ص260
عبد الرحمن بن علي المومناني (أواخر القرن 12هـ)؛ في سلوة الأنفاس (1070هـ)	مصمودة الغرب	توفي بفاس ودفن خارج باب الجيسة بالباب الحمراء	نشر المثاني/ ج4/ص242 سلوة الأنفاس/ج3/ص173
محمد بن الحاج الحسن بناني (أواخر العشرة السادسة من القرن12هـ)	فاس	توفي بفاس	نشر المثاني/ ج4/ص214
هاشم الطاهري الجوطي (العشرة السادسة من القرن12هـ)	وزان	توفي بفاس دفن بروضة الكغاطين من فاس الأندلس	نشر المثاني/ ج4/ص248 سلوة الأنفاس/ج2/ص98
عبد الرحمن بن محمد الشامي (النصف الثاني من القرن12هـ)	فاس	دفن بمطرح الجنة خارج باب الفتوح	سلوة الأنفاس/ج3/ص24
أحمد بن رحمون (أوائل القرن12هـ)؛ السلوة (1112هـ)	فاس	دفن بروضة أولاد ابن جلون خارج باب الجيسة	نشر المثاني/ ج4/ص251 سلوة الأنفاس/ج 3/ص211
أحمد الخضر الوزاني(أوائل العشر السادسة من القرن12هـ)	وزان	توفي بفاس ودفن مع أبيه محمد بن التهامي	نشر المثاني/ ج4/ص263 سلوة الأنفاس/ج 1/ص 261
أحمد الأغصاوي (النصف الثاني من القرن 12هـ)	؟	توفي بفاس ودفن بزاوية شيخه محمد بن يوسف الحمدوشي بحومة شيبوبة	سلوة الأنفاس/ج1/ص402
محمد بن منصور التواتي (القرن الثاني عشر)	فاس	دفن بجوار قبر شيخه أحمد اليمني	سلوة الأنفاس/ج2/ص386

حمدون بن مسعود الطاهري (1191هـ)	فاس	دفن بروضة الكغادين، قرب أبي زيد الهزميري داخل باب الفتوح	سلوة الأنفاس/ج2/ص81
علي بن أحمد طورة الأندلسي (1191هـ)	استوطن مدينة فاس	توفي بفاس ودفن بزاوية علي بن علي المجذوبي بدرب سيدي علي بالطالعة	سلوة الأنفاس/ج1/ص273
محمد بن جامع (1191هـ)	استوطن مدينة فاس	دفن داخل روضة أبي ميمونة دراس بن إسماعيل	سلوة الأنفاس/ج2/ص203
محمدبن الحسن البناني 1194هـ)	فاس	دفن بأقصى الدرب الطويل	سلوة الأنفاس/ج1/ص 174
علي بن عبد الرحمن العمراني المعروف بعلي الجمل(1194هـ)	فاس	دفن بزاويته بحومة الرميلة بالأندلس	سلوة الأنفاس/ج1/ص409
محمد بن محمد الصنهاجي (1194هـ)	فاس	دفن خلف قبر أبيه محمد الصنهاجي بضريح سيدي دراس	سلوة الأنفاس/ج2/ص202
محمد بن علي الطور(1194هـ)	استوطن مدينة فاس	توفي بفاس ودفن قريبا من ضريح أبي عبد الله التاودي	سلوة الأنفاس/ج3/ص147
المجذوب محمد خنسوس (لقب بأي شكال)(1194هـ)	مكناس	فاس	سلوة الأنفاس/ج3/ص366
أحمد بن محمد بن الحاج السلمي (1195هـ)	فاس	دفن عند رأس عبد المجيد المنالي داخل باب الفتوح	سلوة الأنفاس/ج2/ص210
محمد البوعصامي (1195هـ)	مكناس	فاس	سلوة الأنفاس/ج3/ص367
أبو القاسم الحلو (1196هـ)	فاس	دفن بالقرب من شيخه علي الجمل تحت قبته	سلوة الأنفاس/ج1/ص411

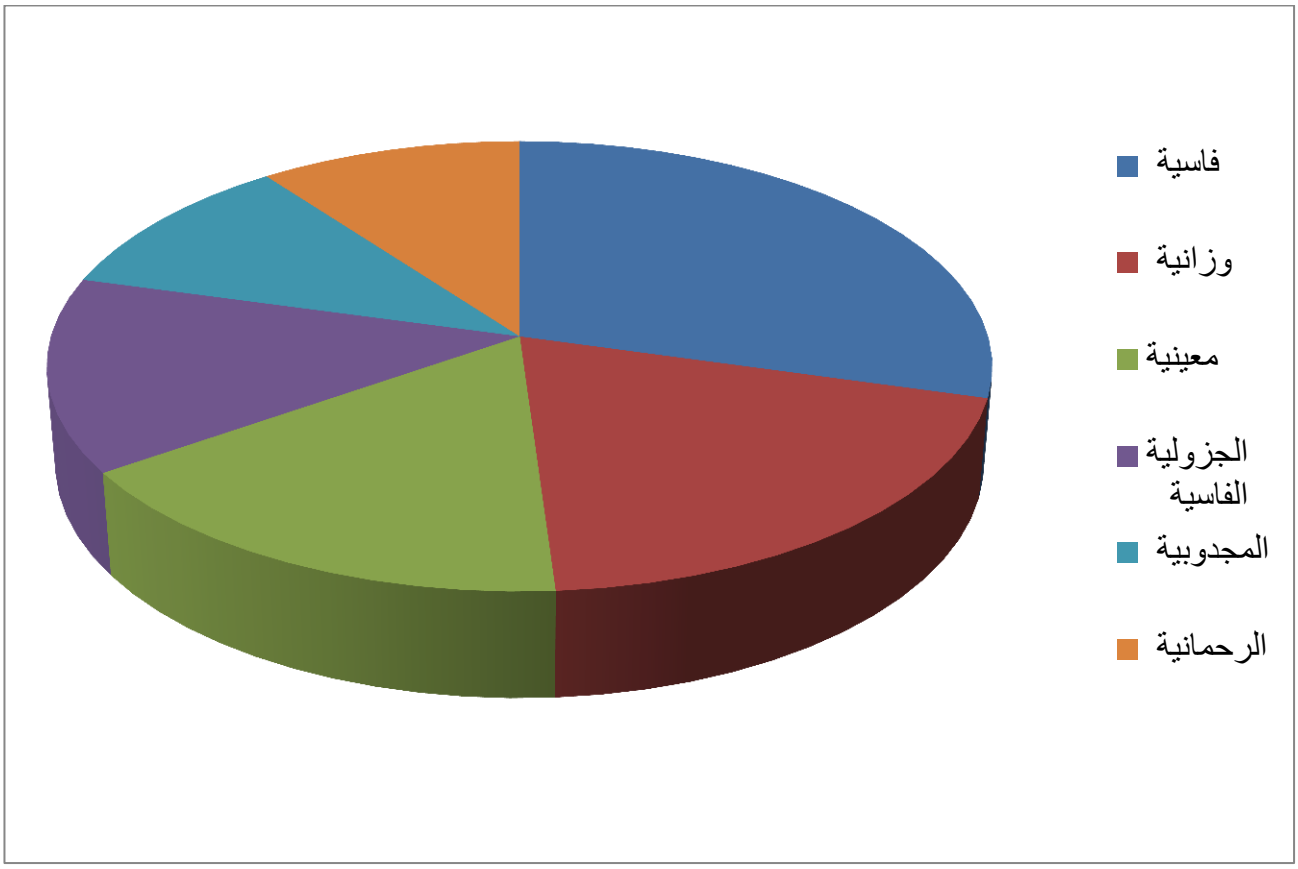
علي بن الحسن البناني(1199هـ)	فاس	دفن بأقصى الدرب الطويل	سلوة الأنفاس/ج1/ص177
عبد الله بن محمد يزرور (1199هـ)	أصله من الشرق	توفي بفاس ودفن بداره بزقاق الرمان	سلوة الأنفاس/ج1/ص235
علي بن علي المجذوبي (1200هـ)	أصله من صرصر	توفي بفاس ودفن بزاويته، لكن بعد مدة أخرج وحمل إلى بلده صرر ودفن هناك	سلوة الأنفاس/ج1/ص272

جدول رقم 2

ترتيب الطرق الصوفية بمدينة فاس حسب أتباع الطرق الصوفية، من خلال أطروحة "الأولياء والمتصوفة ودورهم الاجتماعي والسياسي في المغرب خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر" لأحمد الوارث"

الطرق الصوفية	عدد الأتباع بمدينة فاس	%النسبة ب
فاسي	96	21
وزاني	62	14.03
معيني	53	11.74
جزولي فاسي	45	9.97
مجذوب	34	7.53
رحماني خلوتي	33	7.31
ناصري	29	6.42
قاسمي	22	4.87
حمدوشي	15	3.32
بهلول	11	2.43
زروقي فاسي	10	2.21
خلوتي	9	1.99
ناصري دباغي	5	1.10
وزاني مجذوب	4	0.88
ملامتي	3	0.66
عيساوي	3	0.66
صادقي	2	0.44
جميلي	2	0.44
زروقي	2	0.44
شرقاوي	1	0.22
غير ذلك	4	0.88

مبيان: توزيع الطرق الصوفية بمدينة فاس



قائمة المصادر والمراجع

❖ المصادر والمراجع باللغة العربية :

- **القرآن الكريم** (رواية ورش عن نافع)

- **المصادر المخطوطة**

- القادري الحسني (عبد السلام)، **المقصد الأحمد في التعريف بسيدنا ابن عبد الله أحمد**، مخطوط المكتبة الوطنية الرباط ، رقم 445ق .

- الفاسي (أبو زيد عبد الرحمن بن عبد القادر)، **أزهار البستان في مناقب الشيخ أبي محمد عبد الرحمن** ، مخطوط مؤسسة الملك عبد العزيز أل سعود ، الدار البيضاء ، رقم 016 .

- **المصادر والمراجع المطبوعة**

- إبراهيم حسن (حسن)، **تاريخ الإسلام** ،دار الجبل، بيروت، الطبعة 14 ،1996م، الجزء الثاني .

- ابن الأحمر (إسماعيل)، **بيوتات فاس الكبرى**، دار المنصور للطباعة والوراقة- الرباط، عام 1972م .

- الإفراني (محمد الصغير)، **نزهة الحادي باخبار ملوك القرن الحادي** ، تقديم وتحقيق عبد اللطيف الشاذلي ، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء الطبعة الأولى، 1998م .

- الإفراني (محمد الصغير)، **صفوة ما انتشر من صلحاء القرن الحادي عشر**، تقديم وتحقيق عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي الدار البيضاء المغرب، الطبعة الأولى ، 2004.

- الأخضر (محمد)، **الحياة الأدبية في المغرب على عهد الدولة العلوية**، دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء الطبعة الأولى ، 1977م .

- .ابن خلدون (عبد الرحمن)، **مقدمة ابن خلدون**، شرح وائل حافظ خلف، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، دون طبعة ، 2013م .

- بنعبد الله (عبد العزيز)، **معلمة التصوف الإسلامي** ، مطبعة المعارف الجديدة ، دار نشر المعرفة، الرباط، الطبعة الأولى ، 2001م ، الأجزاء : الأول والثاني والثالث .

- بنصر العلوي (عبد الله)، **أبو سالم العياشي – المتصوف الأديب** ، من أعلام الفكر والأدب في فجر الدولة العلوية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط ، الطبعة الأولى ، 1998م .

- التادلي (ابن الزيات يوسف) ، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**، تحقيق أحمد التوفيق، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس الرباط، سلسلة دراسات وبحوث (22) ، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، الطبعة الثانية ، 1997م .

- التازي (عبد الهادي)، **جامع القرويين- المسجد والجامعة بمدينة فاس** ، موسوعة لتاريخها المعماري والفكري،، دار نشر المعرفة ، الرباط المغرب، الطبعة الثانية، 2000م، الجزآن الأول والثاني .

- بروفنصال (ليفي)، **مؤرخو الشرفاء، تعريب عبد القادر الخلادي** ، مطبوعات دار المغرب للتأليف والنشر – سلسلة التاريخ (5)، دار المغرب للترجمة والنشر الرباط، الطبعة الأولى ، 1977م .

- بوشنتوف (لطفي)، **العالم والسلطان- دراسة في انتقال الحكم ومقومات المشروعية-العهد السعدي الأول**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2004م.

- التليدي (عبد الله عبد القادر)، **المطرب بمشاهير أولياء المغرب** ، دار الأمان الرباط، الطبعة الرابعة ، 2003م .

- بوكاري (أحمد)، **الإحياء والتجديد الصوفي في المغرب (1204-1330هـ/1790-1912م)** ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، المغرب 2006م . الجزآن الأول والثاني .

- بوكاري (أحمد)، **الزاوية الشرقاوية – زاوية أبي الجعد** ، **اشعاعها الديني والعلمي** ، ضمن سلسلة مساهمة في دراسة الزوايا والتصوف بالمغرب (1)، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء ، الطبعة الأولى، 1985م.

- بوكاري (أحمد) ، **الزاوية الشرقاوية – زاوية أبي الجعد ، دورها الاجتماعي والسياسي** ، ضمن سلسلة مساهمة في دراسة الزوايا والتصوف بالمغرب (2) ، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 1989م .

- بوكاري (أحمد)، **الزاوية الشرقاوية والمخزن – تأطير المجتمع واكراهات الوساطة -** ، المطبعة والوراقة الوطنية – مراكش ، الطبعة الأولى ، 2017م

- التميمي الفاسي (محمد)، **المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس ، وما يليها من البلاد**، دراسة وتحقيق محمد الشريف، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي، تطوان، سلسة الأطاريح الجامعية (4) ، مطبعة طوب بريس، الرباط، الطبعة الأولى، 2002م.

- الحجوي الثعالبي (محمد بن الحسن)، **طيب الانفاس في تاريخ بعض زوايا وأضرحة فاس**، تحقيق عبد المجيد خيالي، منشورات دار الامان الرباط، الطبعة الأولى ، دون تاريخ الطبع .
- حجي (محمد) : **الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين** ، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، سلسلة التاريخ (2) ، مطبعة فضالة، المحمدية (1977- 1978)، الجزءان الأول والثاني .
- حجي (محمد)، **الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي**، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، الطبعة الثانية 1988م .
- حركات (إبراهيم)، **التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنين ونصف قبل الحماية**، ملحق المغرب عبر التاريخ (الجزء الثالث)، دار الرشاد الحديثة الدار البيضاء، الطبعة الأولى 1985م .
- الخطيب (أبي العباس أحمد الشهير بابن قنفذ القسنطيني) ، **أنس الفقير وعز الحقير**، اعتنى بنشره وتصحيحه، محمد الفاسي وأدولف فور، منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس الرباط ، الطبعة الأولى ، 1965م .
- الجابري (محمد عابد)، **التراث والحداثة: دراسات ومناقشات**، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى ، 1991م .
- الجراري (عباس)، **عبقرية اليوسي** ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى، 1981م.
- جدعان (فهمي)، نظرية التراث- ودراسات عربية وإسلامية أخرى، دار النشر الشروق – الأردن ، الطبعة الأولى ، 1985م .
- الجزنائي (علي) ، **جني زهرة الآس في بناء مدينة فاس**، تحقيق عبد الوهاب ابن منصور، الطبعة الملكية الرباط، الطبعة الثانية ، 1991م .
- الجرجاني(محمد)، **التعريفات**، تحقيق ابراهيم الابياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ـ لبنان. الطبعة الأولى 1984م.
- الطاهري الجوطي الفاسي (حمدون بن محمد)، **تحفة الإخوان ببعض مناقب شرفاء وزان**، دراسة وتحقيق محمد العمراني، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، فاس سايس، سلسلة رسائل وأطروحات (14)، مطبعة سايس كرافيك الطبعة الأولى، 2011م .
- القبلي خليل (فاطمة)، **رسائل أبي علي الحسن بن مسعود اليوسي** (جمع وتحقيق ودراسة)، طبع دار الثقافة الدار البيضاء، ومطبعة النجاح الجديدة ، الطبعة الأولى ، 1981م، الجزأن الأول والثاني .

- القدوري (عبد المجيد)، **ابن أبي محلي الفقيه الثائر ورحلته الاصليت الخريت**، منشورات عكاظ الرباط، الطبعة الأولى ، 1991

- دي طوريس (دييكو)، **تاريخ الشرفاء**، ترجمه الى العربية محمد حجي ومحمد الأخضر، الجمعية المغربية للتاليف والترجمة والنشر، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، دون تاريخ الطبع .

- الذهبي (نفسية) ، **الزاوية الفاسية – التطور والأدوار حتى نهاية العصر العلوي الأول** ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء الطبعة الأولى، 2001 م .

- الرازي (أبي بكر): **مختار الصحاح**، تحقيق محمود خاطر ، مكتبة لبنان ، بيروت، الطبعة الأولى، 1995م.

- الرباطي (محمد الضعيف)، **تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة)**، دراسة وتحقيق أحمد العماري، دار المأثورات الرباط، الطبعة الأولى، 1986م.

- الريفي (عبد الكريم)، **زهر الاكم ، مساهمة في تاريخ الدولة العلوية من النشأة الى عهد مولاي عبد الله بن اسماعيل** ، دراسة وتحقيق آسية بنعدادة ، مطبعة المعارف الجديدة الرباط، الطبعة الأولى ، 1992م.

- الزاهي (نور الدين)، **بركة السلطان** ، كتاب ضمن سلسلة دفاتر وجهة نظر (12)، مطبعة النجاح الجديدة، 2007 .

- زروق (أحمد)، **قواعد التصوف** ، تقديم وتحقيق عبد المجيد خيالي ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2003م .

- الزركلي (خير الدين)، **الأعلام**، دار العلم للملايين ، بيروت ط10 سنة 1992، الجزءان السابع والثامن.

- الزياني (أبو القاسم) ، **البستان الظريف في دولة أولاد مولاي علي الشريف**، دراسة وتحقيق رشيد الزاوية، مركز الدراسات والبحوث العلوية ، مطبعة المعارف الجديدة ، الطبعة الأولى ، 1992 .

- ابن زيدان (عبد الرحمن بن محمد السجلماسي)، **إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس**، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى، 2008م. الجزءان الثالث والخامس.

- الزياني (أبو القاسم)، **تحفة الحادي المطرب في رفع نسل شرفاء المغرب**، تقديم وتحقيق رشيد الزاوية ، كتاب دعوة الحق (1)، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية –الرباط ، مطبعة الأمنية الرباط الطبعة الأولى ، 2008م.

- السبتي (عياض بن موسى) ، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك،** تحقيق عبد القادر الصحراوي، مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب الطبعة: الأولى ، 1966م ، الجزء الثالث .

- السبتي (محمد ابن الدراج)، **اتجاهات أدبية وحضارية في عصر بني مرين أو كتاب الإمتاع والانتفاع بمسألة سماع السماع،** دراسة وتحقيق محمد بن شقرون، مطبعة الأندلس الرباط ، الطبعة الأولى ، 1982.

- السبتي (عبد الأحد) ، **النفوذ وصراعاته في مجتمع فاس_ من القرن السابع عشر حتى بداية القرن العشرين،** دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى، 2007م .

- السبتي (عبد الأحد) ، وفرحات (حليمة)، **المجتمع الحضري والسلطة بالمغرب – من القرن الخامس عشر حتى الثامن عشر- قضايا ونصوص،** دار توبقال للنشر ، الدار البيضاء ، الطبعة الأولى، 2007.

- السملالي (العباس بن إبراهيم)، **الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام،** مراجعة عبد الوهاب بن منصوور، المطبعة الملكية، الرباط، ط2، سنة 1993، الجزء السادس .

- السلمي (محمد الطالب بن الحاج: **الإشراف على بعض من بفاس من مشاهير الأشراف،** تحقيق جعفر بن الحاج السلمي، منشورات جمعية تطوان أسمير عام 1424 هـ - 2004 م.

- السقاط (عبد الجواد)، **اشارات من أدب الزوايا بالمغرب،** مطبعة فضالة ـ المحمدية ، الطبعة الأولى، 2006 .

- ابن سودة (عبد السلام بن عبد القادر)، **إتحاف المطالع بوفيات أعلام القرن الثالث عشر والرابع** : تحقيق محمد حجي، موسوعة أعلام المغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، 1997م .

- ابن سودة (عبد السلام بن عبد القادر) ، **سل النصال للنضال بالأشياخ وأهل الكمال** ، تحقيق محمد حجي ، موسوعة أعلام المغرب، مطبعة دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى 1997م .

- ابن سودة (عبد السلام بن عبد القادر) **البيوتات العلمية بفاس،** ضمن الكتاب الذهبي الخاص بجامعة القرويين في ذكرها المائة بعد الألف، منشورات وزارة التربية الوطنية، ادارة الشؤون الثقافية، مطبعة فضالة- المحمدية، الطبعة الأولى ، 1960م. .

- السقاط (عبد الجواد)، **إشارات من ادب الزوايا بالمغرب** ، مطبعة فضالة ـ المحمدية ، الطبعة الأولى، 2006م .

- الشراط (أبي عبد الله محمد بن عيشون)، **الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس**، دراسة وتحقيق زهراء النظام ، منشورات كلية الآداب بالرباط (ضمن رسائل وأطروحات)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، سنة 1997م .

- الشاذلي (عبد اللطيف)، **الحركة العياشية، حلقة من تاريخ المغرب في القرن 17**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، الطبعة الأولى، 1982م .

- الشاذلي (عبد اللطيف)، **التصوف والمجتمع – نماذج من القرن العاشر الهجري** ، منشورات جامعة الحسن الثاني مطابع سلا – سلا، الطبعة الأولى، 1989م .

- الشاذلي (عبد اللطيف)، **المجاهد السلاوي محمد بن أحمد العياشي _من تاريخ المغرب في القرن السابع عشر**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس اكدال ، الرباط، سلسلة رسائل واطروحات (65)، الطبعة الثانية، 2012م .

- الشرقي (ابن الطيب)، **الرحلة الحجازية**، تحقيق: نور الدين شوبد، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي، الطبعة الأولى، 2014م .

- الصغير الفاسي (أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن ابن عبد القادر)، **المنح البادية في الأسانيد العالية والمرويات الزاهية والطرق الهادية الكافية**، دراسة وتحقيق محمد الصقلي الحسيني، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية، الرباط ، الطبعة الأولى، 2005م، الجزء الأول .

- الصغير (عبد المجيد)، **اشكالية اصلاح الفكر الصوفي في القرنين 19/18م** ، دار الافاق الجديدة – المغرب – 1994

- الطريبق (احمد)، **الخطاب الصوفي في الأدب المغربي على عهد السلطان المولى اسماعيل** (الرسائل والشعر)، مطبعة سيليكي إخوان – طنجة، الطبعة الأولى، 2008 ، الجزءان الأول والثاني .

- الطريبق (أحمد)، **الكتابة الصوفية في ادب التستاوي**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ،الرباط 2003، الطبعة الأولى، 2003 م ، الجزء الأول .

- بن عبد الجليل (عبد العزيز)، **الموسيقا الأندلسية المغربية ،** كتاب في مجلة عالم المعرفة ، مجلة شهرية تصدر عن المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، عدد 129 شتنبر ، 1988م .

- العمراني (أحمد الأمين)، **الحركة الفقهية في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله العلوي** ، طبع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، الطبعة الأولى، 1996م

- العمراني(محمد)، **مؤسسة الحرم في تاريخ المغرب – دراسة تاريخية لمسألة الاحتماء بالمؤسسات الدينية والاجتماعية خلال الفترتين الحديثة والمعاصرة** ، مطبعة آنفو – برانت فاس ، الطبعة الأولى 2024م.
- العمراني (محمد)، **المغرب زمن العلويين الأوائل** ، مطابع الرباط نت الطبعة الأولى ، 2013م.
- العروي (عبد الله) ، **مجمل تاريخ المغرب** ، المركز الثقافي العربي ، ط5 ، 1996، الجزء الثالث
- العزفي (أبو العباس) ، **دعامة اليقين في زعامة المتقين (مناقب الشيخ أبي يعزى)** ، تحقيق أحمد التوفيق، مكتبة خدمة الكتاب الرباط ، الطبعة الأولى ، 1989م .
- العلوي (سيدي محمد بن عبد الله)، **مواهب المنان بما يتأكد على المعلمين تعليمه للصبيان** ، قابله وصححه أحمد العلوي عبد اللوي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الرباط ، الطبعة الأولى ، 1996م .
- العلوي (سليمان بن محمد بن عبد الله بن إسماعيل) ، **عناية أولي المجد بذكر آل الفاسي بن الجد الفاسي الفهري**، تحقيق خالد بن أحمد الصقلي ، سلسلة تحقيقات (23- 30) ، دار الأمان ، الطبعة الأولى ، 2018م .
- العلوي (عبد اللوي)، **قسم الداسة لكتاب "مواهب المنان بما يتأكد على المعلمين تعليمه للصبيان"** للسلطان سيدي محمد بن عبد الله، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط ، الطبعة الأولى ، 1996م .
- العلوي المدغري (عبد الكبير)، **الفقيه أبو علي اليوسي**، نموذج من الفكر المغربي في فجر الدولة العلوية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية ، الرباط ، الطبعة الأولى ،، 1989م .
- العلوي (أحمد بن عبد العزيز)، **الأنوار الحسنية في نسبة من بسجلماسة من الأشراف المحمدية**، طبع وزارة الأنباء، مطبعة فضالة ، المحمدية ،الطبعة الأولى، 1689م .
- العياشي (أبو سالم)، **اقتفاء الأثر بعد ذهاب أهل الأثر**، دراسة وتحقيق نفيسة الذهبي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس الرباط سلسلة رسائل وأطروحات (33)، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء ، الطبعة الأولى 1996م .
- العياشي (أبو سالم)، **فهرست عبد القادر الفاسي**، دراسة وتحقيق محمد بن عزوز"، دار ابن حزم ، بيروت لبنان ومركز التراث الثقافي المغربي الدار البيضاء، سلسلة فهارس علماء القرويين بفاس (1)، الطبعة الأولى ، 2003م .

- الفاسي (علي بن أبي زرع)، **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار موك المغرب وتاريخ مدينة فاس** ، دار المنصور الرباط، الطبعة الأولى، 1972م .

- الفاسي (محمد العربي بن أبي المحاسن)، **مرآة المحاسن من أخبار الشيخ أبي المحاسن (ونبذة عن نشأة التصوف والطريقة الشاذلية بالمغرب)** ، دراسة وتحقيق محمد حمزة الكتاني منشورات رابطة ابي المحاسن ابن الجد (3) ، الطبعة الأولى ، 2003م .

- الفاسي (امحمد فتحا بن أحمد)، **المورد الهني بأخبار الإمام عبد السلام القادري الحسني** ، تقديم وتحقيق وتعليق وفهرسة خالد بن أحمد الصقلي ، سلسلة تحقيقات (4)، منشورات دار الامان ، الطبعة الأولى الرباط 2008 .

- الفاسي (محمد المهدي)، **ممتع الأسماع في الجزولي والتباع وما لهما من الأتباع** ، تحقيق وتعليق عبد الحي العمري وعبد الكريم مراد، مطبعة النجاح ، الطبعة الأولى 1994م .

- الفاسي (عبد القادر بن علي)، **الأجوبة الصغرى**، دراسة وتحقيق علي بن أحمد الابراهيمي ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، المغرب، طباعة ونشر دار أبي رقراق الرباط الطبعة الأولى، 2007م .

- الفاسي (عبد القادر بن علي)، **الأجوبة الحسان في الخليقة والسلطان (أو رسالة في الإمامة العظمى)**، دراسة وتحقيق المهدي المصباحي، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية – الرباط ، طبع دار أبي رقراق للطباعة والنشر ، الطبعة الأولى، 2014م .

- الفاسي(عبد القادر بن علي)، **مفتاح الوصول إلى علم الأصول في شرح خلاصة الأصول**، دراسة وتحقيق ادريس الفاسي الفهري ، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث ، دبي الإمارات المتحدة الطبعة الأولى ، 2004م .

- الفاسي الفهري (عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن)، **الإعلام بمن غبر من أهل القرن الحادي عشر**، تقديم وتحقيق فاطمة نافع، دار ابن حزم ، مركز التراث الثقافي المغربي، الدار البيضاء، الطبعة الأولى، 2008م .

- الفاسي (عبد الرحمن بن عبد القادر)، **ذكر بعض مشاهير أهل فاس في القديم** ، تحقيق خالد الصقلي، مطبعة آنفو برانت فاس، الطبعة الأولى، 2007م .

- الفشتالي (أبي فارس عبد العزيز) ، **مناهل الصفا في مآثر موالينا الشرفا** ، دراسة وتحقيق ، عبد الكريم كريم ، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية الرباط ، الطبعة الأولى ، دون تاريخ الطبع .

- ابن القاضي(أحمد)، **لقط الفرائد من لفاظة حقق الفوائد:** ضمن ألف ، من الوفيات، تحقيق أحمد حجي، مطبوعات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر، الرباط، 1976م. .
- القادري (محمد بن الطيب)، **التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار اعيان المائة الحادية والثانية عشر**، تحقيق هاشم العلوي القاسمي ، دار الافاق الجديدة بيروت، الطبعة الأولى 1983م .
- القادري (محمد بن الطيب)، **نشر المثاني لاهل القرن الحادي عشر والثاني**، تحقيق محمد حجي واحمد التوفيق، منشورات الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مكتبة الطالب الرباط الطبعة الأولى، 1982م، الأجزاء: الأول والثاني والثالث والرابع .
- القادري (محمد بن الطيب)، **الكوكب الضاوي في إكمال معتمد الراوي بمنقب سيدي أحمد الشاوي،** تقديم وتحقيق خالد الصقلي، سلسلة تحقيقات (5 – 6) ، دار الأمان الرباط ، الطبعة الأولى ، 2010م.
- القادري (عبد السلام بن الطيب) ، **نزهة النادي وطرفة الحادي فيمن كان بالمغرب من أهل القرن الحادي،** تقديم وتحقيق خالد الصقلي ، سلسلة تحقيقات (8- 10) ، دار الأمان الرباط ، الطبعة الأولى، 2010م .
- القادري (عبد السلام بن الطيب) **، معتمد الراوي بمناقب سيدي أحمد الشاوي** ، تقديم وتحقيق خالد الصقلي **،** سلسلة تحقيقات (8- 10) ، دار الأمان الرباط ، الطبعة الأولى، 2010م .
- بن قاسم (عبد الرحمن بن محمد)، **الدرر السنية في الأجوبة النجدية،** ط6 سنة 1996م ، الجزء الثامن.
- الكلاباذي (محمد بن اسحاق البخاري)، **كتاب التعرف لمذهب أهل التصوف** ، نشر بتصحيح أرثر جون اريري ، مكتبة الخاتجي ، القاهرة مصر الطبعة الثانية، 1994م .
- الكحلاوي (محمد)، **الفكر الصوفي في افريقية والغرب الاسلامي (القرن9هـ/15م)**، دار الطليعة بيروت، الطبعة الأولى، 2009م .
- الكتاني (محمد بن جعفر)، **سلوة الأنفاس ومحاضرة الأكياس فيمن اقبر من العلماء والصلحاء بفاس،** تحقيق عبد الله الكامل الكتاني وحمزة بن محمد الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني ، الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس (4)، دار الثقافة ، الطبعة الأولى، 2004 ، الأجزاء : الأول والثاني والثالث.
- الكتاني الحسني (عبد الكبير بن هاشم)، **روض الأنفاس العالية في بعض الزوايا الفاسية**، دراسة وتحقيق محمد العمراني، الموسوعة الكتانية لتاريخ فاس (9)، دار الأمان للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2014م.
- الكتاني (نور الهدى) ، **الأدب الصوفي في المغرب والاندلس في عهد الموحدين** ، نشر دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ، 2008م .

- لوطورنو (روجي)، **فاس قبل الحماية**، ترجمه إلى العربية محمد حجي ومحمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ، نشر الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ، الطبعة الأولى، 1992م ، الجزء الأول .

- ابن المجذوب الحسبني (عبد الحق)، **الحالة الاجتماعية بفاس في القرن الثاني عشر الهجري من خلال الحوالة الإسماعيلية**، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دار أبي رقراق للطباعة والنشر ، الرباط 2006، الجزء الأول .

- ابن منظور (محمد بن مكرم)، **لسان العرب**، دار لسان العرب –دار المعارف – القاهرة مصر ، دون تاريخ طبع، المجلدات : الأول والثاني والسادس .

- محمود (عبد الحليم)، **النفحة العلية في أوراد الشاذلية**، طبع ونشر مكتبة المتنبي القاهرة ، الطبعة الأولى دون تاريخ الطبع .

- مخلوف (محمد)، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية** ، تحقيق عبد المجيد خيالي ، نشر دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ، 2003م، الجزء الأول .

- مسعود (جبران)، **الرائد - معجم لغوي عصري** ، دار العلم للملايين، بيروت لبنان، ط7 ، 1992م .

- المنصور (محمد)، **المغرب قبل الاستعمار – المجتمع والدولة والدين (1792-1822)** ، ترجمه عن الإنجليزية محمد حبيدة، المركز الثقافي العربي – الدار البيضاء المغرب الطبعة الأولى ، 2006 .

- مؤلف مجهول، تاريخ الدولة السعدية التكمادارتية، تقديم وتحقيق عبد الرحيم بنحادة، طباعة ونشر دار تينمل للطباعة والنشر مراكش، الطبعة الأولى ، 1994م.

- مجموعة مؤلفين، **تاريخ المغرب تحيين وتركيب**، إشراف وتقديم محمد القبلي، المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب ، الرباط، الطبعة الألى ، 2011م.

- مزين (محمد) ، **فاس وباديتها ، مساهمة في تاريخ المغرب السعدي (1549- 1637م)**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس الرباط، سلسلة رسائل وأطروحات (12)، الطبعة الأولى، 1986م ، الجزءان الأول والثاني .

- الناصري (محمد بن عبد السلام)، **الرحلة الناصرية الكبرى لمحمد بن عبد السلام الناصري**، تقديم وتحقيق، المهدي الغالي، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، دار أبي رقراق الرباط، الطبعة الأولى ، 2013م .

- الناصري (أحمد بن خالد)، **الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى**، تحقيق وتعليق: جعغر الناصري ومحمد الناصري، دار الكتاب – الدار البيضاء ، ، 1997م / الجزءان الثامن والتاسع .

- الناصري (أحمد بن خالد)، **طلعة المشتري في النسب الجعفري** ، طبعة حجرية ، فاس ، مطبعة سيرار الدار البيضاء ، المؤسسة الناصرية للثقافة والعلم سلا ، ، 1987م ، الجزءان الأول والثاني .

- الناصري (محمد)، **المزايا فيما أحدث من البدع بأم الزوايا (الزاوية الناصرية)**، دراسة وتحقيق عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى ، 2003م .

- النبهاني (يوسف بن اسماعيل)، **جامع كرامات الأولياء** ، تحقيق ومراجعة ابراهيم عطوه عوض، مركز أهل، بركات رضا فوربندر غجرات، الهند ، الطبعة الأولى 2001م. الجزء الثاني .

- نجمي (عبد الله)، **التصوف والبدعة بالمغرب ، طائفة العكاكزة خلال القرنين 16-17م**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ، الطبعة الأولى ، 2000م.

- نجمي (عبد الله) ، **أبحاث في تاريخ التصوف المغربي – في مراجعة الحقبة الجازولية**، سلسلة مسارات في البحث(1)، منشورات دار أبي رقراق للطباعة والنشر ، الرباط المغرب ، الطبعة الأولى، 2017م .

- نوار (سامي محمد)، **الكامل في مصطلحات العمارة الإسلامية من بطون المعاجم اللغوية**، دار الوفاء، مصر، د.ط. سنة 2002 .

- لمعي (صالح مصطفى)، **القباب في العمارة الإسلامية**، بيروت، دار البهجة، الطبعة الأولى، دون تاريخ .

- الولالي (أبي العباس أحمد ، **مباحث الأنوار في أخبار بعض الأخيار** ، دراسة وتحقيق عبد العزيز بوعصاب، الأطروحات والرسائل الجامعية (46)، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس الرباط ، 1999م .

- اليوسي (الحسن بن مسعود) : **المحاضرات في الأدب واللغة** ، تحقيق وشرح مجمد حجي وأحمد الشرقاوي إقبال ، دار الغرب الإسلامي ، ط3 ، 2014م، الجزءان الأول والثاني .

- اليوسي (الحسن بن مسعود) ، **فهرسة اليوسي**، تقديم وتحقيق حميد حماني اليوسي، ضمن سلسلة الأعمال الكاملة للإمام الحسن بن مسعود اليوسي في الفكر اليوسي (4)، مطبعة دار الفرقان للنشر الحديث الدار البيضاء ، الطبعة الأولى، 2004م.

❖ **الدراسات الجامعية :**

- زطيط (نور الهدى)، **المناقب الصوفية : نموذج مناقب الصوفي أبي يعزى** – مقارنة تحليلية ظاهرتية ، اشراف : فاطمة طحطح – سعيد يقطين ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط ، الموسم الجامعي 2000 – 2001م .

- شراس (لطيفة)، **الحركة الصوفية في منطقة تادلا خلال القرنين 10-16/11-17**، أطروحة جامعية، اشراف عبد اللطيف الشاذلي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس الرباط، 2004م.

- الوارث (أحمد)، **الأولياء ودورهم الاجتماعي والسياسي في المغرب خلال القرن السادس عشر**، دبلوم الدراسات العليا تحت اشراف احمد بوشرب، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله ، فاس ، 1988م .

- الوارث (احمد)، **الأولياء والمتصوفة ودورهم الاجتماعي والسياسي في المغرب خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر** ، دكتوراه دولة تحت اشراف احمد بوشرب ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، عين الشق جامعة الحسن الثاني، 1998م .

- الويشمي (الحسن)، دراسة وتحقيق لكتاب "**تحفة الأكابر بمناقب الشيخ سيدي عبد القادر**" ل "أبي زيد عبد الرحمن الفاسي"، رسالة جامعية لنيل شهادة الدكتوراه تحت إشراف محمد مزين، جامعة سيدي محمد بن عبد الله كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، سايس، الموسم الجامعي2001- 2002م .

❖ **الأبحاث والمواد المنشورة ضمن المجلات والكتب الجماعية والموسوعات وأعمال الندوات**

- أبو حميد (محمد)، مادة "أوال" في **معلمة المغرب** ، إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر، مطابع سلا ، سلا ، 1989م، المجلد الثاني .ص 635 .

- ايشرخان (أحمد)، "جهود السلطان مولاي إسماعيل في تأسيس الخزانات العلمية وازدهار الحياة الفكرية بالمغرب الحديث (1672-1727م)"، **مجلة دعوة الحق**، عدد 404 يناير 2013م، صص 95-110 .

- بنصر العلوي (عبد الله)، "الواقع الفكري في فجر الدولة العلوية" ، ضمن **ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن التاسع عشر**، أيام 9-10-11 دجنبر 1993م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، وجدة (8)، سلسلة ندوات ومناظرات (3)، مطبعة النجاح الجديدة ، دون تاريخ ، ص ص 182- 202 .

- بنصر علوي (عبد الله)، "من شخصيات الزاوية العياشية (أبو سالم العياشي).2"، **مجلة دعوة الحق**، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، الرباط ، العدد 252 ، شتنبر، 1985م، ص ص 102- 109 .

- بنصر العلوي (عبد الله)، "أبو سالم العياشي- المتصوف الأديب"، مجلة **دعوة الحق**، العدد 308 مارس 1995م، ص ص 134- 140 .

- بن عبد الله (عبد العزيز)، مادة "التعريجة"، **معلمة المغرب** ، إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ، مطابع سلا ، سلا ، 1989م، المجلد السابع . ص 2418 .

- بن عبد الله (عبد العزيز)، "تواكب الفكرين الأدبي والصوفي بالمغرب" ، **مجلة التاريخ العربي**، تصدر عن جمعية المؤرخين المغاربة وبمساهمة من مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، ع 25 (شتاء 2003م) ص ص 32- 42 .

- بوشنتوف (لطفي)، "النخبة في تاريخ المغرب ، قضايا واسئلة قراءة في جلسة النخب بمدينة فاس"، ضمن **ندوة فاس والمجالات الحضرية بالمغرب – التاريخ والتراث والمجتمع** ، اشغال الايام الوطنية السادسة عشرة للجمعية المغربية للبحث التاريخي 29-30-31 اكتوبر و01 نونبر 2008 ، تنسيق عبد الاله بنمليح ومحمد اليزيدي، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي ، الطبعة الأولى، 2013م، ص ص 17- 26 .

- بوشنتوف (لطفي)، "صورة عالم من القرن 9هـ/16م ـ رضوان الجنوي من خلال تحفة الاخوان ومواهب الامتنان في مناقب سيدي رضوان "، ضمن **ندوة محطات في تاريخ المغرب الفكري والديني** كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، الدار البيضاء، سلسلة ندوات ومناظرات (8) ، ص ص 45- 70 .

- بوشنتوف(لطفي)، "الأدب الديني مصدرا لتاريخ المغرب الحديث"، **مجلة الجمعية المغربية للبحث التاريخي**، 50 سنة من البحث التاريخي في المغرب، عدد مزدوج 7-8 : 2010/2009م، ص ص 93- 100 .

- التوفيق (أحمد)، "صلحاء وسلاطين ، دينامية السلطة في المغرب قبل الحماية" ، ضمن عدد خاص **وقفات في تاريخ المغرب**، دراسات مهداة للأستاذ ابراهيم بوطالب ، تنسيق عبد المجيد القدوري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس الرباط، سلسلة بحوث ودراسات (27) ، الطبعة الأولى ، 2001م ، ص ص 411- 422 .

- التازي (عبد الهادي)، "دور الطرق الصوفية في المحافظة على التراث الموسيقي العربي"، **مجلة المناهل** ، مجلة فصلية تصدرها وزارة الثقافة المغربية ، الرباط، عدد 13، 1978م، ص ص 207- 222.

- التازي (عبد الهادي)، اكتشاف موقع الزاوية المتوكلية بظاهر مدينة فاس ، مجلة **مجمع اللغة العربية** بدمشق- المجلد 79، الجزء الأول، 2004م ، ص ص 89- 106 .

- تاوشيخت (لحسن)، الحركة العلمية والثقافية بتافيلالت خلال عهد الدولة العلوية (القرنين 18-19م) **ضمن ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن التاسع عشر**، أيام 9-10-11 دجنبر 1993م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، وجدة (8)، سلسلة ندوات ومناظرات (3)، مطبعة النجاح الجديدة ، دون تاريخ ، ص ص 22- 54 .

- حجي (محمد)، المؤسسات الدينية بالمغرب (في القرنين 16ـ17) ، مجلة **المناهل** مجلة فصلية تصدرها وزارة الثقافة المغربية ،الرباط العدد 18 ، السنة السابعة ، يوليو 1980م، ص ص 112- 128.

- الخمليشي (عبد العزيز)، زاوية تمجروت والمخزن (1642-1914م) ، ضمن **ندوة الرباطات والزوايا في تاريخ المغرب** – دراسات مهداة للاستاذ ابراهيم حركات – انجاز الجمعية المغربية للبحث التاريخي ، تنسيق نفيسة الذهبي ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط سلسلة ندوات ومناظرات (69)، مطبعة النجاح ، الطبعة الأولى، 1997، ص ص 22- 54 .

- الجيدي(عمر)، دعوة إلى نبذ المختصرات الفقهية في عهد الدولة العلوية ، مجلة **دعوة الحق**، تصدر عن وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب، عدد 227 ، 1983، ص ص 250- 257 .

- جلاب (حسن)، تسهيل الفزائد (لابن مالك الأندلسي وشروحه العلمية) ، مجلة **دعوة الحق**، عدد 323، نونبر 1996م، ص ص 82- 86

- الدناي (محمد)، مفهوم الشعر لدى اليوسي من خلال كتاب "نيل الاماني في شرح التهاني" . ضمن **ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن التاسع عشر**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، وجدة (8)، سلسلة ندوات ومناظرات (3)، ص ص 156- 168.

- دادي (مارية)، ملاحظات حول مناهج الدراسة والتدريس في القرن (12هـ-18م) من خلال كتاب الاكليل والتاج لمحمد بن الطيب القادري . ضمن **ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن التاسع عشر**، أيام 9-10-11 دجنبر 1993م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الأول، وجدة (8) ، سلسلة ندوات ومناظرات (3) ، مطبعة النجاح الجديدة ، دون تاريخ، ص ص 211- 222 .

- الذهبي (نفسية)، مظاهر وتجليات القوة الرمزية في تجربة الزاوية الفاسية، ضمن **ندوة فاس والمجالات الحضرية بالمغرب** – التاريخ والتراث والمجتمع، اشغال الايام الوطنية السادسة عشرة للجمعية المغربية للبحث التاريخي 29-30-31 اكتوبر و01 نونبر 2008، تنسيق عبد الاله بنمليح ومحمد اليزيدي، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي ، ط1 ،2013م، ص ص 121-132 .

- رضا (أحمد) ، مادة "**رياض**" ، **معجم متن اللغة** – موسوعة لغوية حديثة، دار مكتبة الحياة ، بيروت لبنان ، ط 1 ، 1958م، المجلد الثاني ، ص 679 .

- زنيبر (محمد)، مادة "الآلة" ، في **معلمة المغرب**، إنتاج الجمعية المغربية للتأليف والترجمة والنشر ، مطابع سلا ، سلا ، 1989م، المجلد 1، ص ص 66 .

- السبتي (عبد الأحد) ، فاس بين زمن الأصل وزمن التاريخ ، **مجلة مقدمات**، عدد 38 مطبعة أبو رقراق، سلا ، ، 2009م، ص ص 5- 12 .

- السلاوي (مصطفى)، كتاب " زهر الاكم في الامثال والحكم " لأبي علي الحسن اليوسي (1040-1102) نموذجا للحركة العلمية على عهد الدولة العلوية (1630-1692) ، ضمن **ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن التاسع عشر**، أيام 9-10-11 دجنبر 1993م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية(8)، جامعة محمد الأول، وجدة ، سلسلة ندوات ومناظرات (3)، مطبعة النجاح الجديدة ، دون تاريخ، ص ص 129- 155 .

- السقاط (عبد الجواد)، من سمات النهضة الادبية في العصر العلوي الأول ، **ضمن ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن التاسع عشر** ، جامعة محمد الأول – منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية(8) ، وجدة ، سلسلة ندوات ومناظرات (3)، مطبعة النجاح الجديدة . ص ص 84-95 .

- الشريف (محمد)- الزاهري (سلوى)، ملاحظات حول تحقيق التراث المناقبي بالمغرب ، **ضمن ندوة 50، من البحث التاريخي في المغرب**، مجلة الجمعية المغربية للبحث التاريخي ، عدد مزدوج 7-8 : 2009/ 2010م، ص ص 65- 82 .

- العراقي (أحمد)، من قضايا الفكر لدى المؤلفين المغاربة زمان محمد الثالث وابنه سليمان (1757-1823) ضمن **ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن التاسع عشر**، أيام 9-10-11 دجنبر 1993م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية(8)، جامعة محمد الأول، وجدة ، سلسلة ندوات ومناظرات (3)، مطبعة النجاح الجديدة ، دون تاريخ، ص ص 203- 210 .

- العماري (الصادقي)،"الحركة الادبية في عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله (1171هـ - 1204م)"، ضمن **ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن التاسع عشر**، أيام 9-10-11 دجنبر 1993م، جامعة محمد الأول – منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، وجدة (8) ، سلسلة ندوات ومناظرات (3) ، مطبعة النجاح الجديدة ، دون تاريخ، ص ص 96 – 128 .

- العمراني (محمد)، مادة "جوطة"، في **معلمة المغرب**، ج10، مطابع سلا ، 1998، ص ص 3198 .

- الفاسي (محمد)، "عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي"، **مجلة المناهل**، وزارة الثقافة المغربية ،الرباط عدد 35 ، دجنبر 1986م ، ص ص ص55-80 .

- الفاسي (محمد)، "الأدب الشعبي المغربي الملحون"، **مجلة البحث العلمي**، العدد الأول، يناير/أبريل 1964م، ص ص 56- 76 .

- القبلي (محمد)، "مساهمة في تاريخ التمهيد لظهور دولة السعديين" ، مجلة **كلية الآداب والعلوم الإنسانية** ، جامعة محمد الخامس، الرباط عدد مزدوج3-4، 1978م، ص ص 7- 59 .

- قدوري (عبد المجيد)، "عودة إلى ظاهرة الزوايا في مغرب العصر الحديث"، ضمن **عدد خاص وقفات في تاريخ المغرب،** دراسات مهداة للأستاذ ابراهيم بوطالب، تنسيق عبد المجيد القدوري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس الرباط ، سلسلة بحوث ودراسات (27)، الطبعة الأولى ، 2001م، ص ص 399- 410 .

- معكول (علال)، نماذج وصور من تصدي العلماء للفساد الاجتماعي والصوفي خلال القرنين الهجريين الحادي عشر والثاني، ضمن **ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن التاسع عشر**، أيام 9-10-11 دجنبر 1993م، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية(8) ، جامعة محمد الأول، وجدة ، سلسلة ندوات ومناظرات (3)، مطبعة النجاح الجديدة ، دون تاريخ، ص ص 264 – 278 .

- مزين (محمد)، "الأدب الفقهي والأزمة (ق17)" ، ضمن **ندوة الأسطوغرافيا والأزمة** – دراسات في الكتابة التاريخية والثقافة (يوم دراسي 25 فبراير 1989)، انجاز الجمعية المغربية للبحث التاريخي ، سلسلة ندوات ومناظرات (3)4 ، تنسيق عبد الأحد السبتي ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء الطبعة الأولى ، 1994م، ص ص 61- 74 .

- مزين (محمد)، "مساهمة علماء مكناس وفقهائها في حل مشاكل المجتمع المغربي عبر كتب النوازل الفقهية خلال بداية العصر الحديث" ،ضمن **أعمال ندوة الحاضرة المكناسية** ، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية مكناس، 1988م، ص ص 253- 260 .

- مفتاح (محمد) ، "السياسة الحيوانية ، قراءة في كرامات أبي يعزى" ، ضمن **ندوة التاريخ واللسانيات: النص ومستويات التأويل**، الرباط، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، م1992، ص ص 67- 88 .

- مفتاح (محمد) ، "الواقع والممكن في المناقب الصوفية" ، ضمن ندوة **:التاريخ وأدب المناقب**، الرباط يومي 8 و9 أبريل 1988، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي (1)، عكاظ ، 1989م، ص ص 29- 42 .

- المنصور (محمد)، "تصوف الشرفاء: الممارسة الدينية والاجتماعية للزاوية الوزانية من خلال مناقبها"، ضمن ندوة **:التاريخ وأدب المناقب**، الرباط يومي 8 و9 أبريل 1988، منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي (1)، عكاظ ، 1989م، ص ص 15- 27 .

- المنوني (محمد)، مكتبة الزاوية الحمزاوية- صفحة من تاريخها، **مجلة تطوان**، عدد 8، سنة 1963، ص ص 96 – 110 .

- اللبار (محمد)، "قراءة في وثائق جديدة حول مكانة العلماء في الحياة اليومية (نماذج من عصر الدولة العلوية)" ، ضمن **ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن التاسع عشر**، أيام 9-10-11 دجنبر 1993م، جامعة محمد الأول، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، وجدة (8)، سلسلة ندوات ومناظرات (3)، مطبعة النجاح الجديدة ، دون تاريخ ، ص ص 279- 299 .

- نجمي (عبد الله)، "الإفادات والإنشادات لمحمد الصغير الإفراني" ، **ضمن متنوعات محمد حجي** ، دار الغرب الاسلامي بيروت ، الطبعة الأولى ، 1998م، ص ص 60- 115 .

- هلالي (خالد)، "الجـوق في موسيقى الآلة المغربي"، **مجلة الثقافة الشعبية** ، العدد 30، السنة الثامنة البحرين،2015م، ص ص 132- 147 .

- الوارث (أحمد)،" الطريقة الوزانية- سلوك في الظاهر وجذب في الباطن"، مجلة **المناهل**، عدد خاص (الزوايا في المغرب) الجزء الثاني، مجلة فصلية تصدرها وزارة الثقافة المغربية ،الرباط، عدد مزدوج 82-83 شتنبر 2007م. ص ص 47- 73 .

- الوارث (أحمد)، "من تاريخ التصوف المغربي: الزاوية التوزينية بالريف الشرقي"، **مجلة التاريخ العربي** عدد49، جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، 2009م. ص ص 80- 92

- الوارث (أحمد)، "تصوف العوام خلال القرنين 17-18 – التيار الشرقاوي نموذجا-" ، ضمن **ندوة الرباطات والزوايا في تاريخ المغرب** ، دراسات مهداة للاستاذ ابراهيم حركات ، الجمعية المغربية للبحث التاريخي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، سلسلة ندوات ومناظرات (69)، مطبعة النجاح ، الطبعة الأولى، 1997، ص ص 237 – 256 .

- الوارث (أحمد)، "من تاريخ التصوف المغربي – النشاط السياسي لزاوية عبد الرحمن المجذوب" ، مجلة **أمل** عدد مزدوج 22-23 (نظيمة الزوايا في علاقتها بالمجتمع والسلطة 2) السنة الثامنة 2001م، ص ص 33- 46 .

❖ باللغة الفرنسية :

- Bel (Alfred): *la religion musulmane en Berberie, Esquisse d'histoire et de sociologie religieuse*; du VIIe au xxe siècl ;. Paris: Geuthner., 1938
- Berque (Jacques), *AL-YOUSI , problème de la culture marocaine au XVII siècle*, édition centre tarik ibn zyad 2001
- Elboudrari (Hassa) , *Quand les saints font les villes lecture anthropologique de la pratique sociale d'un saint marocain du XVII SIECLE ,Annales ESC*, mai-juin 1985 , N 3, pp 489- 508
- Spillmann (Georges) ; *Esquisse d'histoire religieuse du Maroc- les zaouias et les confréries marocaines* (1945), publication de la faculté des lettres et de sciences humaines, université Mohammed V agdal Rabat / série . les Trésors de la bibliothèque , n° 7 , 2011
- Ruggero Vimercati Sanseverino, *Fès et sainteté – de la fondation a l'avènement du protectorat (808-1912)-Hagiographie, tradition spirituelle et héritage prophétique dans la ville de Mawlāy Idrīs- Description du Maghreb* ; Publisher: Centre Jacques-Berque ; Series: Description du Maghreb, Place of publication : Rabat, 2014.
- Hassan Elboudrari, *Quand les saints font les villes. lecture anthropologique de la pratique sociale d'un saint marocain du XVII SIECLE ,Annales ESC*, mai-juin 1985 , N 3, p p 489-508.

❖ المنشورات الرقمية :

- الراجحي (خديجة)، الزاوية السملالية في مرحلة التأسيس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة ابن زهر- أكادير، ضمن سلسلة الكتب الرقمية للكلية (1)، إصدار، 2020م

www.flsh-agadir.ac.ma

فهرس المحتويات

مقدمـــــة 5

مدخل عام : أصول الحركة الصوفية وتجلياتها في المغرب خلال القرنين 17-18م 12

أولا: الأوضاع السياسية والثقافية في المغرب خلال القرنين 17- 18م، ودورها في تطور في الحركة الصوفية.....13

ثانيا: أسس الحركة الصوفية في المغرب خلال القرنين 17-18م 29

ثالثا: تطور الحركة الصوفية في المغرب خلال القرنين 17-18م.....40

الباب الأول: الحركة الصوفية في مدينة فاس خلال القرنين 17-18م 57

تقديم :..... 58

الفصل الأول : الحركة الصوفية في مدينة فاس خلال القرنين 17- 18م 60

مبحث تمهيدي : مكانة وأهمية مدينة فاس ومراحلها التاريخية..... 60

1- مكانة مدينة فاس 60

2- أهمية مدينة فاس ضمن الحركة الصوفية المغربية..... 62

3- المراحل التاريخية لمدينة فاس من القرن 16م إلى القرن 18م..... 63

المبحث الأول: أسس ازدهار مدينة فاس علميا وصوفيا..... 65

1- المكانة العلمية لمدينة فاس..... 65

2- المؤسسات العلمية والدينية في مدينة فاس..... 68

المبحث الثاني : عوامل تراجع مدينة فاس..... 76

1- الأزمات السياسية..... 76

2- تحويل العاصمة لمدينة مكناس..... 81

3- الأزمات الاقتصادية..... 84

المبحث الثالث: المكانة الصوفية لمدينة فاس 85

1- طرق التصوف في مدينة فاس..... 85

2- الطوائف الصوفية في مدينة فاس 93
3- الزاوية والطريقة الفاسية ومكانتهما الصوفية 95
أ -الزاوية الفاسية: التأسيس والتطور 95
ب - الزاوية المعنية – امتداد الطريقة الفاسية 105
الفصل الثاني: فاس والحركة الصوفية بالمغرب بين التأثير والتأثر خلال القرنين 17 و18م 107
المبحث الأول: تأثير مدينة فاس في الحركة الصوفية بالمغرب..... 107
1- دور رجال فاس في الاستقطاب والتأثير الصوفيين..... 107
أ- الفئة الأولى- تأثير من الداخل: علماء فاس والاستقطاب الصوفي..... 111
ب- الفئة الثانية – تأثير من الخارج : علماء فاسيين خارج مدينة فاس..... 125
2- فضل مدينة فاس على علماء وصوفية المغرب 131
3- الطرقية بفاس وانتشار الزوايا بالمغرب..... 141
أ- تأثير الطرقية بفاس على انتشار الزوايا بالمغرب 142
ب- الزاوية الفاسية ودورها في تأسيس الزوايا بالمغرب..... 143
المبحث الثاني: تأثير الحركة الصوفية بالمغرب على التصوف بمدينة فاس..... 146
1- تأثير رجال الزاوية الدلائية على التصوف الفاسي..... 148
أ- تأثير الفئة الأولى من رجال الزاوية الدلائية 150
ب- تأثير الفئة الثانية من رجال الزاوية الدلائية 153
2- الطرقية بالمغرب وانتشار الزوايا في مدينة فاس 156
المبحث الثالث: التصوف في مدينة فاس والمغرب خلال القرنين 17 و18م- تأثير وتأثر 157
1- علاقات الزاوية الفاسية مع بعض الزوايا المغربية- اتصال وانفصال..... 158
2- علماء ورجال تصوف بين التأثير المغربي والفاسي..... 165
الفصل الثالث : طبقات رجال التصوف في مدينة فاس خلال القرنين 17-18 173

المبحث الأول: الطبقة الأولى- من مطلع القرن 17م (1009هـ)، إلى غاية سنة 1079هـ/1668م (معركة بطن الرمان) 174

المبحث الثاني: الطبقة الثانية- من سنة 1079هـ/1668م، إلى غاية 1171هـ/1757م..... 178

المبحث الثالث : الطبقة الثالثة- من سنة 1171هـ/1757م، إلى غاية سنة 1780م..... 192

الباب الثاني: التراث الصوفي لمدينة فاس خلال القرنين 17 و18م 198

تقديم :..... 199

فصل تمهيدي : قضايا التراث الصوفي بمدينة فاس خلال القرنين 17 و18م وإشكاليات دراسته200

1- تعريف التراث..... 200

2- مفهوم التراث والثقافة الصوفية الشعبية 202

3- إشكالية المنهج في دراسة التراث الصوفي 203

الفصل الأول : تراث الزوايا بمدينة فاس خلال القرنين 17-18م 205

مبحث تمهيدي: تعاريف ومفاهيم ترتبط بتراث الزوايا..... 206

1- تعريف الزاوية..... 206

2- تعريف الأوراد والأحزاب 207

3- تعريف السماع والآلة 209

4- تعريف الرقص والشطح 212

المبحث الأول : زوايا الطرق العلمية 213

1- زوايا الطريقة الفاسية..... 213

2- زاوية الطريقة الفاسية المعنية 225

المبحث الثاني: زوايا الطرق الشعبية..... 230

1- زوايا الطريقة الناصرية..... 231

2- زوايا الطريقة الشرقاوية 237

3- زوايا الطريقة الوزانية..... 239

4- زوايا الطريقة الزروقية 252
5- زوايا الطريقة القادرية 257
المبحث الثالث: زوايا طرق الجذب والخلوتية..... 264
1- زوايا الجذب 264
2- زوايا الطريقة الخلوتية 266
الفصل الثاني: تراث الأضرحة في مدينة فاس خلال القرنين 17 و18م 270
مبحث تمهيدي : تعاريف ومفاهيم ترتبط تراث الأضرحة 271
المبحث الأول : أضرحة وروضات خارج أسوار مدينة فاس..... 273
1- روضات ومقابر باب الفتوح..... 273
2- روضات ومقابر صلحاء باب الكيسة 281
المبحث الثاني: أضرحة ومقابر داخل أسوار مدينة فاس..... 285
1- روضات وأضرحة الزوايا 285
2- قبور تحولت لزوايا وروضات 292
3- صلحاء وصوفية تحولت منازلهم لمقابر وروضات 293
4- صلحاء دفنوا داخل مساجد وجوامع 295
الفصل الثالث: التراث الصوفي اللامادي- نموذج الكرامات وقداسة الزوايا والأضرحة..... 296
مبحث تمهيدي: مفهوم الكرامة ومكانتها ضمن التراث الصوفي اللامادي..... 297
المبحث الأول: الكرامات والخوارق وقداسة الولي في مدينة فاس..... 300
1- دور الكرامة في تعزيز مكانة الأولياء..... 300
2- صور من كرامات ومناقب وخوارق أولياء فاس 304
أ- الكرامة المرتبطة بذات الولي..... 304
ب- الكرامة المرتبطة بقدرات الولي 306
المبحث الثاني: المجتمع الفاسي وقداسة الأضرحة والزوايا..... 312

1- مكانة الأضرحة والزوايا في المعتقد الجمعي..... 312

2- صور عن المعتقد الجمعي المرتبط بزوايا فاس وأضرحتها..... 315

خاتمــة..... 321

ملحق 324

جدول رقم 1: صوفية مدينة فاس من خلال بعض المصادر التاريخية..... 325

جدول رقم2 : ترتيب الطرق الصوفية بمدينة فاس حسب أتباع الطرق الصوفية، من خلال أطروحة "الأولياء والمتصوفة ودورهم الاجتماعي والسياسي في المغرب خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر" لأحمد الوارث"..... **353**

مبيان: توزيع الطرق الصوفية بمدينة فاس **354**

قائمة المصادر والمراجع..... 355

فهرس المحتويات..... 373